

في تاريخ مصر الإسلامية

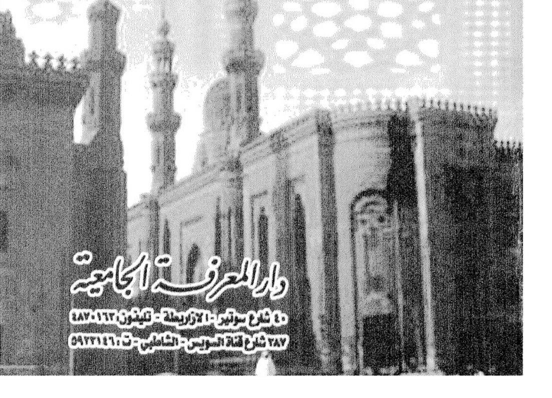
الأستاذة الدكتورة

نبيلة حسن محمد

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

ورئيس قسم التاريخ

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة - تليفون: ٤٨٧٠١٦٣

٣٨٧ شارع قناة السويس - الشاطبي - ت: ٥٩٢٢١٤٦

في

تاريخ مصر الإسلامية

الأستاذة الدكتورة

نبيلة حسن محمد

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية
ورئيس قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

٢٠٠٢

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة ت: ٤٨٧٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي ت: ٥٩٢٣٦٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾

سورة يوسف

آية ١١١

المقدمة

الكتاب فى تاريخ مصر الإسلامية. مصر التى قال فيها ابن عبد الحكم (فى كتابه الموسوم باسم «فتوح مصر وأخبارها») ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها فى الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين تخضر زروعها وتنور ثمارها.

وفى موضع آخر يقول : « لم يكن فى الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله إلى آخره فى الجانبين جميعاً ما بين أسوان إلى رشيد ».

مصر التى أوصى الرسول ﷺ بقبطها فقال : « إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحمة ».

وفى رواية أخرى قال ﷺ : « استوصوا بالأدم الجعد .... فسألوه فقال قبط مصر فإنهم أخوال وأصهار وهم أعوانكم على عدوكم وأعوانكم على دينكم ».

والكتاب فى تاريخ مصر الإسلامية منذ الفتح العربى الإسلامى لها سنة ٢٠ هـ / ٦٤٢م وحتى سقوط دولة الفواطم سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م.

وبوصول المعز لدين الله إلى مصر وحلوله بالقصر من القاهرة المعزية «صارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة ، كما يقول المقريزى فى «اتعاظ الحنفا».

الكتاب فى قسمين : القسم الأول يتناول تاريخ مصر منذ الفتح حتى نهاية الأخشيديين ويحتوى على ثلاثة فصول :

ويتضمن الكلام عن : فتح مصر، ومصر فى عصر الولاة، الدولتان الطولونية والأخشيدية.

أما القسم الثانى فقد أفردناه للكلام عن الدولة الفاطمية ويحتوى على سبع فصول :

تكلمنا فى الفصل الرابع عن : الشيعة والدعوة الشيعية فى المغرب، وخروج عبيد الله المهدى إليه، والتخلص من الداعى وأخيه والسياسة الدينية التى انتهجها.

أما الفصل الخامس فعن خلافة القائم.

وفى الفصل السادس : تطرقنا إلى الكلام عن موت المنصور وخلافة المعز وفتح مصر والانتقال إليها.

أما الفصل السابع فعن : السياسة الخارجية للدولة.

الفصل الثامن : تعرضنا فيه لمظاهر ضعف الخلافة.

الفصل التاسع : أفردناه للكلام عن إنهيار الدولة الفاطمية.

الفصل العاشر عن «مصادر النويرى فى كتابه نهاية الأرب فى فنون الأدب» الجزء السادس والعشرون.

وبعد ... فهذا الكتاب ، محاولة حاولنا أن نسهم فيها فى إبراز بعض الجوانب الهامة والمضيئة فى تاريخ مصر الإسلامية.

وبعد ... « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » صدق الله العظيم.

الاسكندرية فى أغسطس ٢٠٠١ م

المؤلف

القسم الأول

الفصل الأول

دراسة لبعض مصادر تاريخ مصر الإسلامية

المقدمـــة

المصادر التى يرجع إليها فى تاريخ مصر الإسلامية عديدة تتضمن كل المصادر التى يرجع إليها فى دراسة تاريخ مصر العام، كما تشمل المصادر الخاصة بالدول التى كانت لها علاقات بمصر.

ونظراً لأن هذه المكتبة تحتوى على عدد عديد من الكتب فلن نستطيع تعدادها بل سنكتفى بالإشارة إلى بعض المصادر ذات الأهمية الخاصة.

الفترة الأولى من تاريخ مصر كانت ولاية تابعة للخلافة الراشدة فى المدينة ثم تابعه لخلافة الأمويين فى دمشق. وعلى أيام العباسيين بدأت ظاهرة الانفصال عن الخلافة العباسية السنية فى بغداد وتأسست دول مثل: الدولة الطولونية والدولة الاخشيدية مرتبطة بالخلافة العباسية السنية برابطة الولاءوالتبعية.

وقد عمل الكتاب على الإشادة بمفاخر مصر وتمجيد الأسر الحاكمة الموجودةفيها.

بعد ذلك أصبحت مصر على أيام الدولة الفاطمية دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة مختلفة فى المذهب عن العباسيين وظهر كتاب يمجدونها ويشيدون بمفاخرها.

ظهرت فى البداية طبقة الاخباريين ثم المؤرخين وأول لون من ألوان الأدب التاريخى هو كتب الفتوح، كما اهتم الكتاب إلى جانب تاريخ مصر وأخبارها بفضائلها.

المصادر التى يرجع إليها فى دراسة تاريخ مصر الإسلامية عديدة يأتى فى مقدمتها كتب التاريخ العام.

كتب التاريخ العام:

كتب التاريخ العام تحتوى على إشارات عديدة عن تاريخ مصر، بوصفها أحد الأعمال التابعة للخلافة، بعد أن صارت دار إسلام، أى الفترة التى كانت فيها مصر دار إمارة، وذلك قبل أن تصبح دار خلافة على أيام الدولة الفاطمية.

وذلك يعنى أنه يمكن أن نستفيد من كتب خليفة بن خياط والطبرى والمسعودى وابن الأثير وابن خلدون وغيرها من كتب التاريخ العام.

ويأتى فى مقدمة كتب التاريخ العام كتاب «**تاريخ خليفة بن خياط**» (توفى سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م)[١]. وخليفة من قدامى المؤرخين الثقات، وصاحب أقدم رواية تاريخية وصلت إلينا، وهو يسبق تاريخ الطبرى بأكثر من نصف قرن. والكتاب مرتب على طريقة الحوليات «أو السنويات Annales» ففى حكم كل خليفة يذكر لنا أهم الأحداث التى وقعت فى عصره مرتبة على السنين. وخليفة مؤرخ محدث فهو يعتنى بسلسلة الإسناد أى الرواة الذين رووا الخبر بل يذهب فى ذلك إلى الذين شهدوا الأحداث ورغم أنه بصرى إلا أنه يسند رواياته عن فتح مصر والإسكندرية إلى أئمة مدرسة التاريخ المصرية

(١) هو خليفة بن خياط العصفرى البصرى، المعروف بشَباب، ويكنى بأبى عمرو أحد المؤرخين الثقات، كان حافظا عارفا بالتواريخ وأيام الناس - روى عن الإمام محمد بن اسماعيل البخارى فى صحيحه وفى تاريخه، وعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، وغيرهم. وقد اختلف فى سنة وفاته فذكر البعض أنها فى سنة ٢٣٠ هـ أو ٢٤٠ هـ أو ٢٤٦هـ. وقد صنف خليفة عدداً من الكتب نخص بالذكر منها «كتاب الطبقات» وقد نشره أكرم العمرى فى بغداد سنة ١٩٦٧، وكتابه فى التاريخ المعروف بتاريخ خليفة بن خياط، وقد قام بتحقيقه ونشره أكرم العمرى فى بغداد وهو من جزئين (١٩٦٧، ١٩٦٨م) أما النشرة الثانية وهى التى رجعت إليها فهى تحقيق سهيل زكار، وهى فى جزئين أيضاً، وقد نشر فى مجموعة «إحياء التراث القديم» بمساعدة وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومى، دمشق، سنة ١٩٦٧ - ١٩٦٨.

(أى الرواية المحلية) فهو يذكر أنه حَدثه من سمع من ابن لهيعة (توفى سنة ١٧٤ هـ/ ٧٩٠ م)، عن يزيد بن أبى حبيب (توفى سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٦م) عن سفيان بن وهب الخولانى[١] .

وهو يسند رواية أخرى إلى من سمع عبد الله بن صالح (توفى سنة ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م) عن ابن لهيعة وعن الليث (توفى سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م) ومن سمع سعيد بن أبى مريم عن ابن لهيعة[٢]، وبالتالى فإن رواياته تتفق مع ما ورد فى «**فتوح مصر وأخبارها**» لابن عبد الحكم.

وبعد خليفة يأتى **الطبري** (أبو جعفر محمد بن جرير، ولد فى أواخر سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٩م، فى مدينة آمل وهى من بلاد طبرستان ومن هنا جاءت نسبته الطبرى، وتوفى فى ٢٦ شوال سنة ٣١٠هـ ١٦ فبراير ٩٢٣م).

وللطبرى عدد من المؤلفات يهمنا منها كتاب «**تاريخ الرسل والملوك**» أو «**تاريخ الأمم والملوك**» . ولما كان الطبرى من كبار الفقهاء المشتغلين بالقرآن والسنة حتى أن أشهر مؤلفاته هو «**تفسير الطبري**» ، فإننا نلاحظ أنه ينهج نهج المحدثين فى كتابته للتاريـخ. فهـو يورد الروايـات التاريخـية مسـبوقة باسنادها، هذا إلى جانب أنه يعطى للحدث الواحـد أكثر من روايـة وهـو نزيه يظهر بمظهر المحايد الذى لايرجح رواية على غيرها[٣] . هـذا ولقـد سـار الطبرى بدوره فى تاريخه على طريقة الحوليات.

---

(١) أنظر، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، قسم ١، ص ١٣٧.

(٢) انظر، تاريخ خليفة بن خياط، قسم ١، ص ١٣٧ – ١٣٨ . وانظر، قسم ١، ص ١٤٧، حيث يقول فى أحداث سنة إحدى وعشرين (٢١ هـ/ ٦٤١م) «حدثنا يحيى بن عبد الرحمن عن عبد الله بن وهب قال: حدثنا حرملة بن عمران أن أبا تميم حدّثه أنه شهد فتح الإسكندرية الآخرة وعليهم عمرو بن العاص».

(٣) فى أحداث سنة ٢٠هـ/ ٦٤٠م يذكر الطبرى الخبر عن فتح مصر والإسكندرية ويسجل اختلاف أهل السير فى السنة التى كان فيها فتح مصر والإسكندرية، فهو يورد روايات متباينة منها رواية ابن اسحاق (توفى سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧ أو ١٥١هـ/ ٧٦٨م) التى تقول: إن مصر فتحت سنة عشرين، انظر، الطبرى، تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع دار المعارف، مصر (مجموعة ذخائر العرب)، ج٤، ص ١٠٤.

--/--

وبعد الطبرى ننتقل للكلام عن **المسعودي**، وهو أبو الحسن على بن الحسين إبن على، من ذرية عبد الله بن مسعود رضى الله عنه[1] ولذا عرف بالمسعودى، وهو من أسرة عربية عريقة فى بغداد[2].

والحقيقة أن المسعودى من الكتاب القلائل الذين تجولوا فى البلاد المختلفة، تجول بفضول حوالى أربعين عاما زار خلالها فارس والهند والصين وزنزبار، وبلاد الشام، وكذلك مصر والإسكندرية حيث توفى فى الفسطاط سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٦م[3].

وكتاب «**مروج الذهب ومعادن الجوهر**» للمسعودى يعتبر من المصادر الهامة بالنسبة لتاريخ مصر والإسكندرية. فهو يفرد فصلا يذكر فيه «أخبار الإسكندرية وبنائها وملوكها وعجائبها» ويورد عدداً من الروايات ذ ات الطابع الأسطورى إلى جانب الروايات التاريخية الصحيحة. ووصفه لمنار الإسكندرية يتميز بدقة الملاحظة[4] وهو يكتب فى سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٣م، أى فى عصر محمد بن طغج الإخشيد.

هذا وقد قرظ **ابن خلدون** فى «**المقدمة**» كتاب المسعودى بقوله: «إن التاريخ إنما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل. فأما ذكر الأحوال العامة بالآفاق والأجيال والأعصار فهو أس المؤرخ تنبنى عليه أكثر مقاصده وتبين

= ورواية أخرى للواقدى (مات سنة ٢٠٧هـ/ ٨٣٢م) نقلاً عن ابن سعد كاتبه (مات سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) تقول: «فتحت مصر والإسكندرية فى سنة عشرين، ورواية ثالثة عن سيف بن عمر (توفى سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م) يذكر فيها أنها فتحت (أى مصر والإسكندرية) فى سنة ستة عشرة.
أنظر، الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج٤، ص ١٠٤ – ١٠٥.

(١) ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، طبعة التجارية، ج٢، ص ٩٤، ابن النديم، الفهرست، طبع مصر، ص ٢١٩ – ٢٢٠.

(٢) ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق أحمد فريد الرفاعى، طبع عيسى البابى الحلبى، ج١٣، ترجمة رقم (١٦)، ص ٩١ – ٩٣.

(٣) ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، ج٢، ص ٩٤.

(٤) المسعودى، مروج الذهب، تحقيق محمد محيى عبد الحميد، طبعة التجارية سنة ١٩٥٨، ج١، ص ٣٠١.

به أخباره. وقد كان الناس يفردونه بالتأليف، كما فعله المسعودى فى كتاب «مروج الذهب» شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده فى عصر الثلاثين والثلثمائة غربا وشرقًا، وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار إماماً للمؤرخين يرجعون إليه وأصلا يعّولون فى تحقيق الكثير من أخبارهم عليه»[١].

والمسعودى بذلك يعتبر النموذج الذى حذا حذوه ابن خلدون.

بعد ذلك ننتقل إلى الكتب الخاصة بتاريخ مصر فهى أكثر فائدة بطبيعة الحال وأول ما نذكر منها تلك الكتب التى عالجت الفترة الأولى من تاريخ مصر أى **عصر الفتوح**.

ومن كتب الفتوح هذه كتاب «**فتوح مصر والإسكندرية**» لابن اسحاق صاحب السيرة (توفى سنة ١٥٠ أو ١٥١هـ/ ٧٦٧ – ٧٦٨م) وهو من أقدم كتاب المغازى. رواية ابن اسحاق هذه مليئة بالأساطير والروايات الخرافية، ولانعرف إن كانت الرواية قد بدأت بهذا الشكل فى صورتها الأولى أو أنها تحورت على مر الأيام والعصور[٢].

ومن أشهر كتاب المغازى، **الواقدي**، وهو محمد بن عمر بن واقد أبو عبد الله، وهو مدنى ويعد فى البغداديين كما يقول **القاضي عياض** (توفى سنة

(١) ابن خلدون، المقدمة، طبع بيروت، ص٥٢ .

(٢) وهو أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن يسار، صاحب السيرة، وكان جده عراقيًا وهو ممن سباهم خالد إبن الوليد بعد الفتح «بعين التمر» وقدم المدينة أسيراً فى سنة ١٢هـ، وأصبح مولى لقيس بن مخرمة، الذى عتقه. وقد ولد ابن اسحاق حوالى سنة ٨٥هـ/ ٧٠٤م، ودرس الحديث، ورحل فى طلب العلم إلى مصر، ثم عاد إلى المدينة موطنه، وكان يروى عن عاصم بن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن شهاب وغيرهم. وكان ابن اسحاق قد شخص إلى الخليفة أبى جعفر المنصور بالحيرة فكتب إليه «المغازى» فسمع منه أهل الكوفة وسمع منه أهل الجزيرة وأهل الرى «فرواته من هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة». وفى أواخر أيامه نزل بغداد إلى أن مات بها سنة ١٥٠هـ و ١٥١هـ. انظر، طبقات ابن سعد، ح٧ قسم ٢، ص ٦٧، ابن النديم، الفهرست، النسخة المصورة عن نشرة فلوجل، مكتبة خياط، بيروت، ص ٩٢ – ٩٣ حيث يقول: «صاحب السيرة أبو عبد الله محمد بن اسحق بن يسار مطعون عليه غير مرضى الطريقة»، ياقوت، معجم الأدباء، ح ١٨، ص ٥، ابن تغرى بردى، النجوم، ح ٢، ص ٥١٦.

٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) فى ترجمته فى كتاب «**ترتيب المدارك**» وقد سكن بغداد وتقلد القضاء بها للمأمون، بعسكر المهدى والجانب الشرقى، والصلاة بالرصافة، وولى القضاء من قبل الرشيد، وقد روى عن مالك حديثا كثيراً وفقهاً ومسائل ...، وكان واسع العلم كثير المعرفة[١].

ويقول عنه: **ابن النديم** فى «**الفهرست**» «وكان عالماً بالمغازى والسير والفتوح .. والأخبار»[٢] ورغم ما يؤكده تلميذه وكاتبه، **ابن سعد**، من أنه ثقة فقد اختلف فيه فهو عند النسائى «ليس هو بثقة ولايكتب حديثه»[٣] وتوفى الواقدى ببغداد وهو على قضاء عسكر المهدى فى ذى الحجة سنة ٢٠٧هـ/ ٨٣٢م[٤].

وقد أخذ الواقدى رواية ابن اسحاق عندما كتب فى المغازى، ومن مغازى الواقدى «**فتوح مصر والإسكندرية**» وهو نفس عنوان مؤلف ابن اسحاق. والذى نلاحظه أنه يؤخذ على الواقدى ما أخذناه على ابن اسحاق من كثرة اهتمامه بجمع الأساطير الشعبية والروايات الخرافية. وكذلك العجائب مما يجعل الحقيقة التاريخية تضيع وسط سيل الروايات الأسطورية.

أما أهم كتب المغازى والفتوح فهو كتاب «**فتوح مصر وأخبارها**» أو «**فتوح مصر والمغرب والأندلس**» لابن عبد الحكم المصرى المتوفى سنة ٢٥٧هـ/ ٨٨٠ - ٨٨١م.

والرواية التاريخية تستمد أهميتها من موقف صاحبها بالنسبة للأحداث التى يسجلها ويتلخص ذلك فى مدى قربه الزمنى أو بعده من الأحداث، وفى

---

(١) انظر، القاضى عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى معرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، طبع بيروت، ج٢، ص ٤٠٥.

(٢) ابن النديم، الفهرست، النسخة المصورة عن نشرة فلوجل، ص ٩٨ - ٩٩ (أخبار الواقدى).

(٣) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ج٢، ص ٤٠٥.

(٤) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ج٢، ص ٤٠٥.

مركزه الاجتماعى وهل كان يسمح له بالتعرف عن قرب بخفايا الأمور أم لا، وفى تكوينه العلمى والثقافى، ثم ما يتعلق بخصال المؤرخ أو الصفات التى يجب توفرها فى المؤرخ من النزاهة وعدم الميل إلى الهوى وهو ما يعرف بالعدالة.

وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ولد حوالى سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م، وتوفى فى سنة (٢٥٧هـ/ ٨٨٠ - ٨٨١م) أى أنه ولد بعد حوالى أكثر من مائة وخمس وستين عاما من فتح مصر، وهى فترة طويلة لم تسمح له بلقاء بعض من شاهدوا الأحداث، ولكنه احتفظ لنا فى مؤلفه بروايات يرجع سندها الأول إلى شهود عيان للأحداث.

أما عن مركز مؤرخنا الاجتماعى فابن عبد الحكم ينتسب إلى أسرة عريقة كانت تحتل مركزاً ممتازاً فى مجتمع الفسطاط مكّنها أن يكون لها دورها فى الأحداث السياسية التى وقعت بدولة الخلافة يومئذ[١]. وتعرضت الأسرة لمحنة خلق القرآن سنة ٢٢٧هـ/ ٨٤١ - ٨٤٢م[٢]، وقد اتهموا فى تبديد أموال والى مصر الجروى[٣]، هذا ولو أنه يفهم من روايات الكندى فى كتابه «**القضاة**» أن بنى عبد الحكم قد استرجعوا مكانتهم الممتازة برضاء الخلافة العباسية عنهم من جديد[٤].

أما عن تكوين عبد الرحمن العلمى والثقافى فإنه كان يؤهله لأن يصل إلى أرفع مراتب المعرفة فى ذلك الوقت (القرن الثالث الهجرى، التاسع الميلادى) فهو قد شب ونما فى كنف أسرة من الأئمة الأعلام، فوالده عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن الليث (مات سنة ٢١٤هـ) أفضت إليه أو

---

(١) انظر، الكندى، كتاب القضاة، ص ٣٣٤ - ٣٣٥، ص ٣٤٦.

(٢) الكندى، كتاب الولاة والقضاة، ص ٤٥٢.

(٣) الكندى، كتاب القضاة، ص ٤٦٤ - ٤٦٥ (فقيه بنى عبد الحكم).

(٤) الكندى، كتاب القضاة، ص ٤٦٥.

إنتهت إليه رئاسة المالكية بمصر بعد وفاة أشهب «وكان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله»[1] . واتفقت الأقوال فيه أنه: «ثقة صدوق». وكان أستاذ مؤرخنا الأول، وعبد الرحمن يروى عنه أكثر من مرة فى كتابه[2] «**فتوح مصر وأخبارها**» أما أخاه محمداً الذى كان أسن منه بحوالى خمس سنوات، والذى وافته المنية بعده بعشر سنوات، والذى ذاع صيته فى المغرب – حيث كان له تلاميذه الذين رووا العلم عنه – فلا يروى مؤرخنا عنه شيئا.

أما أخاه الأكبر عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم «فلم يكن فيهم أفقه منه ولا أجود حظا» كما تقول رواية القاضى عياض فى «ترتيب المدارك» نقلاً عن ابن حارث[3] . وقد توفى بمصر فى سجن يزيد التركى وعذابه سنة ٢٣٧هـ[4]، فيروى عنه مؤرخنا فى الجزء الخاص بحفر خليج أمير المؤمنين[5] .

أما عن بقية أساتذته الذين روى عنهم فيذكر منهم فى كتاب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضى عياض بن موسى اليحصبى السبتى (المتوفى سنة ٥٤٤ هـ/ ١٤٤٩م) يونس بن يحيى بن نباته (وهو من أصحاب مالك بن أنس) وادريس بن يحيى الخولانى المصرى، ووهب الله بن راشد، وأسد بن موسى، وطلق بن السمح، وهانئ بن المتوكل الإسكندرانى وعبد الله بن صالح المصرى.

أما تلاميذ مؤرخنا ومن روي عنه فيذكر منهم القاضى عياض: عيسى بن مسكين.

---

(١) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ح٢، ص ٥٢٣ – ٥٢٤.
(٢) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ح٢، ص ٥٢٤.
(٣) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ح٣، ص ٦٠.
(٤) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ح٣، ص ٦١.
(٥) انظر، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٦٤ س١٢، س ١٣ حيث يقول: «كما حدثنا أخى عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة .....».

أما من كتب عنه فيذكر القاضى عياض أبو جعفر الطبرى (المؤرخ الشهير).

وأبو عبيد الله الحميدى، وأبو حاتم[1] (والد ابن أبى حاتم الرازى صاحب كتاب «**الجرح والتعديل**»).

هذا وتقول رواية ابن أبى حاتم الرازى نقلاً عن أبيه الذى روى عنه أنه «صدوق» بمعنى أنه ثقة ممن يعتمد على روايتهم[2].

تاريخ مصر وأخبارها:

تشغل رواية فتوح مصر - بما فيها الإسكندرية - وأخبارها، من كتاب «**فتوح مصر وأخبارها**» لابن عبد الحكم. إذا تركنا الإحدى وأربعون صفحة التى أفردها للكلام عن «فتوح المغرب والأندلس» جانباً، حوالى ٢٧٨ صفحة، (من طبعة ليدن ١٩٢٠م).

أما موضوعات الرواية فهى على النسق التالى:

- ذكر وصية رسول الله ﷺ بالقبط	٢ - ٤
- ذكر بعض فضائل مصر	٤ - ٧
- ذكر نزول القبط بمصر وسكناهم بها	٧ - ١٠

من كلامه عن دخول إبراهيم (ﷺ) مصر، وحتى كلامه عن «ظهور الروم وفارس على مصر» و «انكشاف فارس عن الروم»، «وذكر بناء الإسكندرية». أقول أن هذا الجزء يحوى عدداً من الروايات ذات الطابع الأسطورى، وهى روايات لاتصمد أمام النقد، ولكن هذا لايقلل من رواية ابن عبد الحكم وأهميتها، فهذا الأمر أصبح تقليدياً، حتى بالنسبة للكتاب الذين

---

(١) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ج٣، ص ٧٠.

(٢) ابن أبى حاتم الرازى، كتاب الجرح والتعديل، طبعة حيدرآباد الدكن، الهند سنة ١٣٧١هـ/ ١٩٠٢م، ج١. قسم ١، ص ٣٧.

وجهوا عناية خاصة بنقد الروايات، وتصحيح الأخبار والمثل لذلك، المؤرخ المغربي الشهير ابن خلدون (توفى سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) الذى خصص فصلا فى «المقدمة» **«في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شئ من أسبابها»**[1]. **لم يخل كتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»** من ايراد الأساطير والقصص الشعبية.

(١) ابن خلدون، المقدمة، طبع بيروت، ص ١٢ – ٥٣.

فى الجزء السادس يحدثنا ابن عبد الحكم عن «ذكر قضاة مصر» من ص ٢٢٦ - ٢٤٧ فى ص ٢٢٦ س٢ يحدثنا عن «ذكر كراهية العمل على القضاء»

ثم تتوالى أخباره عن القضاة بدءاً بأول قاض اسـ ـ ـى بمصر وهو قيس بن أبى العاص، وآخرهم بكار بن قتيبة أبو بكره الثقفى، وهو من أهل البصرة «ودخل البلد يوم الجمعة لثمان ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين ومائتين».

أما آخر موضوعات كتاب «فتوح مصر وأخبارها» التى أوردها ابن عبد الحكم فهى «ذكر الأحاديث» (ص ٢٤٨ – ٣١٩).

قال (ص ٢٤٨ س ٢ – ٧) هذه تسمية من روى عنه أهل مصر من أصحاب رسول الله ﷺ ممن دخلها فعرف أهل مصر بالرواية عنهم ومن شركهم فى الرواية عنهم، من أهل البلدان وما تفردوا به دون غيرهم. ومن عرف دخوله مصر منهم برواية غيرهم عنه . وتركت قوماً يذكر بعض الناس أن لهم صحبة وأنهم قد دخلوا مصر لم أر أحداً من أهل العلم من مشائخهم يثبت ذلك لهم. وتركت كثيراً من حديث بعض من ذكرت منهم كراهية للاكثار واقتصرت على بعضه.

المصادر:

يسير ابن عبد الحكم على نفس منهاج الكتاب والمؤرخين الأوائل وهو منهاج كتابة الأحاديث بمعنى أنه يهتم بالإسناد إلى جانب اهتمامه بالمتن أو النص، حتى يرجع فى بعض الأحيان الرواية إلى مصادرها الأولى، ولهذا السبب يمكن أن يقال أن ابن عبد الحكم محدث قبل أن يكون مؤرخا.

الرواة والمحدثون:"

الرواة الذين حدّث عنهم ابن عبد الحكم أو نقل مما كتبوه فى روايته عن «**فتوح مصر وأخبارها**» نجد أن أهمهم ثمانية عشر (١٨) محدثًا وراوية نرتبهم أبجدياً على النحو التالى: ادريس بن يحيى الخولانى، أسد بن موسى، خالد بن حميد، سفيان بن عيينه، سعيد بن عفير، عبد الله بن صالح، عبد الله بن عبد الحكم، عبد الملك بن مسلمة، عبد الملك بن هشام، عثمان بن صالح، عبد الله ابن لهيعة، الليث بن سعد، أبو الأسود النضر بن عبد الجبار، يحيى بن أيوب، يحيى ابن خالد العدوى (وهو يحدث عن الليث بن سعد)،

يحيى بن عبد الله بن بكير، يزيد بن أبى حبيب. وإلى جانب ذلك هناك ذكر مشايخ أهل مصر[1].

وأكثر من يحدث عنهم ابن عبد الحكم هم: عبد الله بن عبد الحكم (والده) وعثمان بن صالح، وعبد الله بن صالح، وعبد الملك بن مسلمة، ويحيى بن عبد الله بن بكير.

يزيد بن أبي حبيب:

وكان أبوه اسمه سويد، وهو من سبى دنقلة التى غزاها عبد الله بن سعد سنة ٣١هـ، وكان مولى لرجل من بنى عامر من أهل المدينة يسمى شريك بن طفيل[2]. ولد يزيد سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م، ومات سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٦م، وكان فقيه مصر وشيخها ومفتيها، روى عن سالم ونافع وعكرمة، وروى عنه ابن لهيعة والليث بن سعد وآخرون. وكان ثقة، وكان أحد ثلاثة جعل إليهم عمر بن عبد العزيز الفتيا بمصر كما تقول رواية ابن يونس[3].

الليث بن سعد:

الليث بن سعد صاحب أهم وأكثر الروايات والتواريخ القيمة فى «فتوح مصر وأخبارها» لابن عبد الحكم، ويعد الليث إمام مصر الأشهر. وكان أصله من أصفهان ولد سنة ٩٤هـ/ ٧٦٣م وتوفى سنة ١٧٥هـ/ ٧٩٢م. وممن روى عنهم محمد بن شهاب الزهرى، وبكير بن الأشج وعطاء وغيرهم، وروى عنه ابن المبارك والوليد بن مسلم وابن وهب وأبو صالح كاتب الليث ويحيى بن عبد الله بن بكير.

---

(١) انظر، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٣٨ س١ (ذكر بناء الإسكندرية) حيث يقول: وحدثنى شيخ من أهل مصر، «وذكر بعض مشايخ أهل مصر»، ص ٤٠ س (١٢) و «أن الإسكندرية فيما ذكر بعض المشايخ» (ص ٤٢ س (١٤)، (ذكر النوبة)، ص ١٨٨ س ١٨ حيث يقول: «كما ذكر بعض مشايخ أهل مصر».

(٢) انظر، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٨٨ (ذكر النوبة) حيث يقول: «... حدثنا ابن لهيعة قال سمعت يزيد بن أبى حبيب يقول أبى من سبى دمقله».

(٣) السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ١٣١.

«وكان الليث ثقة صدوقا ثبتا» وعن مدى علـ[illegible] روى عن يحيى بن عبد الـ[illegible] بن بكير أنه قال: «الليث أفقه من مالك ولكن كانت الحظوة لمالك».

ويفهم من رواية الكندى فى فتح طرابلس سنة ٢٣هـ/ ٦٤٣م أنه كان لليث ابن سعد كتاب فى التاريخ، وإلى جانب كتابه هذا فى التاريخ يذكر له ابن النديم فى «الفهرست» كتاب مسائل الفقه. هذا وتذكر رواية الكندى أن الليث بن سعد ولى خطة القضاء سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥م وذلك فى ولاية حوثرة بن سهيل الباهلى فى خلافة مروان بن محمد وتقول الرواية: «فاجمع الناس كلهم يومئذ على الليث ابن سعد وفيهم معلماه يزيد بن أبى حبيب وعمرو بن الحارث»[(١)].

وربطت أواصر الصداقة بين الليث وبين إمام دار الهجرة، مالك ابن أنس، وكانت بينهما مكاتبات فى أمور الفقه والفتيا[(٢)].

ابن لهيعة:

وابن لهيعة هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمى، ويعرف أيضاً بالغافقى، وهو أحد مشاهير قضاة مصر، وقد ولى القضاء أول سنة ١٥٥هـ/ ٧٧١م زمن الخليفة أبى جعفر المنصور، وكان راتبه فى الشهر ثلاثون ديناراً[(٣)]، وظل فى خطة القضاء عشر سنين حتى سنة ١٦٣ هـ/ ٧٨٠م.

---

(١) انظر ترجمة الليث بن سعد فى البخارى، التاريخ الكبير، طبع حيدرآباد الدكن طبعة أولى سنة ١٣٦٠هـ، ح٤ قسم ٢، ص ٢٤٦ - ٢٤٧، ترجمة رقم (١٠٥٣)، وابن أبى حاتم الرازى، كتاب الجرح والتعديل، قسم ٢ مجلد ٣، ص ١٧٩ - ١٨٠، ترجمة رقم (١٠١٥)، الكندى، كتاب الولاة والقضاة، ص ٨٩، ابن النديم، الفهرست، طبعة التجارية، ص ٢٨١ (الفن الأول من المقالة السادسة فى أخبار المالكيين وما صنفوه من كتب)، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، طبعة التجارية، ح٣، ص ٢٨٠ - ٢٨١، ترجمة رقم (٥٢١)، السيوطى، حسن المحاضرة، طبع حجر، مصر، ح١، ص١٣٢.

(٢) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ح١، ص ٦٤ (رسالة مالك إلى الليث ابن سعد).

(٣) انظر، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٢٤٤ س١-٣ حيث يقول: «فأمر بتوليته وأجرى عليه فى كل شهر ثلاثين ديناراً وهو أول قضاة مصر أجرى عليه ذلك وأول قاض بها استقضاه خليفة وإنما كان ولاة البلد هم الذين يولون القضاء».

وولد ابن لهيعة فى سنة ٩٦هـ/ ٧١٥م، وتوفى فى سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م وروى عنه عبد الرحمن الأعرج، وابن يونس مولى أبى هريرة، وابن الزبير وعبد الله ابن المبارك، وعبد الله بن وهب[١].

أما عن منزلته فقد ضعفه البعض، كما فى رواية ابن أبى حاتم الرازى - مثل يحيى بن سعيد القطان الذى قال: قال بشر بن السرى: «لو رأيت ابن لهيعة لم تحمل عنه حرفا»[٢] هذا بينما يرى البعض أنه كان ثقة وهم أهل مصر، فإنهم وثقوه فذكروا «أنه لم يختلط ولم يزل أول أمره وآخره واحدا»[٣].

أسد بن موسي:

هو أسد بن موسى بن إبراهيم ابن الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموى الحافظ الملقب بأسد السنة. ولد كما يقول الذهبى فى ترجمته له «عند انقضاء دولة أهل بيته (أى حوالى سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩م ومات سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٨م). ودرس وسمع عن ابن أبى ذئب، وشعبة، والمسعودى، وصنف، وقال عنه النسائى أنه «ثقة»، وقد استشهد به البخارى واحتج به النسائى وأبو داود[٤].

هذا وقد حدّث عنه ابن عبد الحكم فى الجزء الخاص «بذكر كتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس»[٥]، وفى «ذكر من قال فتحت مصر عنوه»[٦]، و «ذكر

---

(١) انظر، ابن أبى حاتم الرازى، الجرح والتعديل، طبع سنة ١٩٥٣م، م٢ قسم ٣، ص ١٤٥ - ١٤٨، ترجمة رقم (٦٨٢)، الكندى، الولاة والقضاة، ص ٣٦٨ - ٣٧٠ سنة ١٥٥هـ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص ٢٤٢ - ٢٤٣، ترجمة رقم (٣٠١)، السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ١٣٢.

(٢) ابن أبى حاتم الرازى، الجرح والتعديل، ج٢، ص١٤٦ - ١٤٧.

(٣) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير، ج٧، قسم ٢، ص ٢٠٤.

(٤) الذهبى، ميزان الاعتدال، ج١، ص ٢٠٧، ترجمة رقم (٨١٥).

(٥) انظر، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٤٥ س ٣، ص ٤٧ س١١.

(٦) ابن عبد الحكم، نفس المصدر، ص ٩٠ س ١٤.

«من اختط.. حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص»[1]، و «ذكر حفر خليج أمير المؤمنين»[2]، و «ذكر استئذان عمرو بن العاص عمر بن الخطاب فى غزو افريقية»[3]، وحدّث عنه بصفة خاصة فى الجزء الخاص «بالقضاة»[4] و «الأحاديث»[5].

أما رواياته التى وردت فى الجزء الخاص «بذكر بناء الإسكندرية فتتصف بالطابع الأسطورى»[6].

عثمان بن صالح:

يكنى بأبى يحيى وهو من قبيلة سهم، ولد سنة ١٤٤هـ/ ٧٦١ - ٧٦٢م، وتوفى فى سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤ - ٨٣٥م) ودرس على مالك بن أنس، والليث ابن سعد، عبد الله بن لهيعة، وعبد الله بن وهب. وخالد بن نجيح، وروى عنهم. وممن روى عنه سعيد بن أسد، وأبى حاتم الرازى.

أما عن مكانته فقد «كان شيخا صالحا سليم الناحية» كما يقول ابن أبى حاتم نقلا عن أبيه[7]. ومما يدل على أن عثمان بن صالح كان ثقة فيما يرويه تلك الرواية التى يوردها المقريزى فى كتابه «**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**» ويفهم منها أن عثمان بن صالح حضر مجلس عبد

---

(١) ص ١٢١ س ١٦.

(٢) ص ١٦٨ س ١٧.

(٣) ص ١٧٣ س ٧.

(٤) ص ٢٢٧ س ٥.

(٥) انظر على سبيل المثال، ص ٢٥١ س ١٩، ص ٢٥٢ س ١، ص ٢٥٣ س ١٣، ٢٥٤ س ١٥، ص ٢٦٠ س ١٤، ٣١٥ س ٥.

(٦) انظر، ص ٤٢ س ٨.

(٧) انظر عنه، البخارى، التاريخ الكبير، قسم ٢، ح٣، ترجمة رقم (٢٢٤٨)، وابن أبى حاتم الرازى، الجرح والتعديل، م٣، قسم ١، ترجمة رقم (٨٤٦)، ص ١٥٤. (وعن روايته عن الليث بن سعد، وروايته عن خالد بن نجيح، انظر، ص ٩٥، ص ١١٣، وروايته عن ابن لهيعة، ص ٨٢، ص ١٠٩، ص ١٢٢، السيوطى، حسن المحاضرة، ح١، ص ١٣٤.

الله بن طاهر والى مصر فى الفسطاط سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م ، كان بـ ـطلـ
ليعرف منه أخبار «بقط النوبة» وفى ذلك تقول الرواية «ويقول عثمان بن صالح ... فوجه الأمير إلى الديوان بظهر المسجد الجامع فاستخرج منه خبر النوبة فوجده كما ذكرت فسره ذلك»[1].

عبد الله بن صالح:

عبد الله بن صالح بن مسلم الجهنى المصرى يكنى بأبى صالح. كاتب الليث ابن سعد وهو صاحب حديث وعلم مكثر. حدّث عن معاوية بن صالح والليث وابن وهب. وقال عنه عبد الملك بن شعيب الليثى: «ثقة ... مأمون»، وقال عنه أبو حاتم: «هو صدوق أمين ثقة مأمون» وتوفى ابن صالح سنة ٢٢٣ هـ/ ٨٣٧م[2].

عبد الملك بن مسلمة:

هو عبد الملك بن مسلمة بن يزيد، أصله من نوبية، وكان فقيها من أصحاب مالك كما يقول القاضى عياض فى ترجمته له (نقلا عن الكندى) ولد فى سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٧م وتوفى فى سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م[3]. وهو يروى عن الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة كما يظهر من كتاب «فتوح مصر وأخبارها»[4] لمؤرخنا، وكما يقول الذهبى فى ترجمته له فى «ميزان الاعتدال».

---

(١) انظر، المقريزى، المواعظ والاعتبار، النسخة المصورة بالأوفست عن طبعة بولاق، المثنى، بغداد، ج١، ص ٢٠٠ – ٢٠١ (ذكر البقط). ومما يدل على أن عثمان بن صالح كان ثقة فيما يرويه، أن ابن عبد الحكم فى عديد من المواضع بعد أن يورد أخباره نقلا عن رواة آخرين، يعود فيقول (ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح قال:) انظر، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٨ س١٧ (ذكر فتح مصر)، ص ٦٢ س ٤، «ثم رجع إلى حديث عثمان عن ابن لهيعة»، ص ٧٣ س ٣ «ثم رجع إلى حديث عثمان قال»، ص ٧٧ س ١١ «ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح»، ص ٧٨ س ٢٣ قال «ثم رجع إلى حديث عثمان بن صالح عن ابن لهيعة».

(٢) الذهبى، ميزان الاعتدال، ج٢، ص ٤٤٠ – ٤٤٥، ترجمة رقم (٤٣٨٣).

(٣) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ج٢، ص ٥١٠.

(٤) انظر، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، (عن روايته عن الليث بن سعد، انظر، ص ٩١ س ٢١، ص ٩٢ س١ (ذكر الخطط)، روايته عن ابن لهيعة، ص ٧٣ س ١١، ص ٧٦ س ٢٣، ص ٨٣ س ١٠، ص ٨٦ س ١٧ (ذكر فتح مصر).

أما عن درجته فى الحديث فيقول **الذهبي** نقلا عن ابن يونس أنه «منكر الحديث» وعن ابن حبان «يروى مناكير كثيرة عن أهل المدينة»[1]. وهو ما يخالف رأى مؤرخنا فيه بطبيعة الحال.

سعيد بن عفير:

سعيد بن بكير بن عفير، أبو عثمان المصرى، ولد سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٤م، ومات سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م. روى عن مالك بن أنس، والليث بن سعد. وشبيب الأندلسى، وكان «فقيها نسابة أخباريا شاعراً كثير الإطلاع صحيح النقل»[2].

يحيي بن عبد الله بن بكير:

أما يحيى بن عبد الله بن بكير بن زكريا فهو مخزومى، ولد فى سنة ١٥٣هـ/ ٧٧٠م، ومات فى سنة ٢٣١هـ أو ٢٣٢هـ/ ٨٤٥ - ٨٤٦م[3]. وهو ممن سمع من مالك بن أنس (مات ١٧٩هـ/ ٧٩٥م) موطأه، بمعنى أنه تتلمذ عليه، وأخذ أيضاً عن الليث بن سعد (توفى سنة ١٧٥هـ/ ٧٩١م)، وعبد الله بن لهيعة (توفى سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م)، وعبد الله بن وهب (توفى سنة ١٩٧هـ/ ٨١٣م) وغيرهم.

ويذكر **القاضي عياض** فى «**ترتيب المدارك**» ممن رووا عنه: البخارى «وخرج عنه فى صحيحه»، وأحمد بن حنبل، وأبو زرعة، ويونس بن عبد الأعلى (توفى سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧م).

---

(١) الذهبى، ميزان الاعتدال، ح٢، ص ٦٦٤، ترجمة رقم (٥٢٥).

(٢) انظر، ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس، ح١، ص ١٦٧، ترجمة (٥٩٥)، الحميدى، جذوة المقتبس، ص ٢٢٢، ترجمة (٥٠٧)، القاضى عياض، ترتيب المدارك، ح٢، ص ٤٥٤ - ٤٥٥، السيوطى، حسن المحاضرة، ح١، ص ١٣٦، جست، مقدمة كتاب الولاة بالانجليزية، ص ٢٥، الكندى، الولاة والقضاة، ص ٣٩٥.

(٣) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ح٢، ص ٥٢٨.

أما عن منزلته فى الحديث فيورد **القاضي عياض** أنه (ابن بكير) ذكر ليحيى بن حصين الله ابن بكير فقال «ثقة» هذا بينما ضعفه النسائى[1].

أما **الكندي** فقال عنه أنه كان «فقيه الفقهاء بمصر فى زمانه»[2]. وقد ولّى القاضى العمرى (ولى القضاء من سنة ١٨٥ - ١٩٤هـ/ ٨٠١ - ٨٠٩م) ابن بكير مسائله مع أشهب بن عبد العزيز[3]، كما عهد إليه الإشراف على أموال اليتامى مما أثار حوله الكثير من الشبهات[4].

وصنّف ابن بكير التصانيف من بينها كتاب كان يحوى عدداً من الوثائق وقد أعطاه لمؤرخنا[5].

هانئ بن المتوكل:

يكنى بأبى هاشم[6]، وهو من قبيلة فهم ونزل الإسكندرية، كما يقول **القاضي عياض** فى ترجمته له[7] وهو فقيه مالكى، روى عن مالك، وحيوة بن شريح، ومعاوية بن صالح، وروى عنه بقى بن مخلد، وجماعة وعمّر دهر طويلا كما يقول الذهبى فى «**ميزان الاعتدال**»[8] ومات سنة ٢٤١ هـ/ ٨٥٥م كما يقول القاضى عياض نقلا عن الكندى[9] أو سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م كما يقول الذهبى[10].

---

(١) عياض، ترتيب المدارك، ح٢، ص ٥٢٨ - ٥٢٩.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٥٢٨.

(٣) الكندى، كتاب القضاة، ص ٣٩٥، القاضى عياض، ترتيب المدارك، ح٢، ص ٥٢٨.

(٤) الكندى، كتاب القضاة، ص ٤٠٤ (سنة ١٩٤ مجازاة ابن بكير).

(٥) انظر، السيوطى، حسن المحاضرة، طبع حجر، القاهرة، ح١، ص ١٦٠، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ١٦٠ س ١٠ «كما وجدت فى كتاب أعطانيه يحيى بن عبد الله بن بكير، ص ١٦١ س ١٤ - ١٥ «قال وفى كتاب ابن بكير الذى أعطانى». وذلك عند كلامه عن «ذكر استبطاء عمر بن الخطاب عمرو بن العاص فى الخراج».

(٦) الذهبى، ميزان الاعتدال، تحقيق البجاوى، ح١، ص ٢٩١.

(٧) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ح٢، ص ٥٣٠.

(٨) الذهبى، ميزان الاعتدال، ح١، ص ٢٩١.

(٩) القاضى عياض، ترتيب المدارك، ح٢، ص ٥٣٠.

(١٠) الذهبى، ميزان الاعتدال، ح١، ص ٢٩١.

أما عن منزلته فى علم الحديث فتذكر رواية الذهبى نقلا عن ابن حبان «أنه كان تدخل عليه المناكير، وكثرت فلا يجوز الاحتجاج به بحال ..»[1] وأغلب الظن أن هذا لم يكن رأى مؤرخنا فيه وإلا لما نقل عنه.

وتتلخص أهمية كتاب «فتوح مصر وأخبارها» لابن عبد الحكم فى أنه لا يهتم بالتاريخ السياسى فقط، بل يوجه اهتماماً خاصا للنظم والتراتيب الإدارية.

ويعتبر ابن عبد الحكم أول من رتب خطط مصر، حقيقة هو لم يفرد لها كتابا وإنما اهتم بها فى كتابه اهتماما خاصا. ولهذا فهو يعتبر رائد لهذا النوع من الأدب التاريخى «**كتب الخطط**»، وله السبق فى ذلك على **الكندي** الذى يذكر عنه **المقريزي** فى مقدمة كتابه الموسوم باسم «**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**» أنه «أول من رتب خطط مصر وآثارها ... فى ديوان جمعه»[2]. **والمقريزي** فى القرن التاسع الهجرى، الخامس عشر الميلادى، سيخرج لنا فيه كتابه الذى يعتبر موسوعة كبرى، وهو المعروف «**بالخطط**»[3].

---

(١) الذهبى، ميزان الاعتدال، ج١، ص ٢٩١.

(٢) انظر، المقريزى، المواعظ، والاعتبار بذكر الخطط والآثار، نسخة مصورة بالأوفست، عن طبعة بولاق، المثنى، بغداد، ج١، ص ٤.

(٣) فى هذا الكتاب جمع المقريزى المعلومات المتناثرة فى كتب الجغرافية والرحالة، فهو ينقل عن ابن خرداذبة (توفى سنة ٢٧٢ هـ/ ٨٨٥م)، صاحب كتاب «المسالك والممالك»، وعن المسعودى فى كتاب «أخبار الزمان» و «مروج الذهب»، و «التنبيه والإشراف» وينقل أيضا عن ابن وصيف شاه (صنف كتابه حوالى سنة ١٠٠٠م)، وعن عبد اللطيف البغدادى، صاحب كتاب «الافادة والاعتبار»، وابن جبير، (مات بالاسكندرية سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

ومن المؤرخين ينقل المقريزى، روايات ابن عبد الحكم، صاحب كتاب «فتوح مصر وأخبارها»، كما احتفظ لنا بروايات من كتاب «الموالى» لأبى عمر محمد بن يوسف الكندى (المتوفى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، صاحب كتاب «الولاة والقضاة»، الذى نقل عنه أيضا من كتابه فى «خطط مصر»، وهو أول من رتب خطط مصر وآثارها وذكر أسبابها فى ديوان جمعه كما يقول المقريزى فى مقدمة كتابه «المواعظ»، وعن ابنه عمر فى «فضائل مصر» وعن «جامع السيرة الطولونية»، وعن المسبحى (توفى سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) وعن القاضى أبى عبد الله محمد بن سلامة القضاعى (مات سنة ٤٥٧هـ)

==/==

وفى العصر الحديث سيلبغ فى هذا النوع من الأدب التاريخى علي باشا مبارك عندما يخرج لنا كتابه المعروف باسم «**الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**» (وهو فى عشرين جزءاً، طبعة بولاق، سنة١٨٨٨ – ١٨٨٩م).

وعن ابن عبد الحكم، نقل الكندى فى كتابه «**الولاة والقضاة**»[1] والمقريزى فى «**الخطط**»[2]، وابن تغرى بردى فى «**النجوم الزاهرة**»[3]، والسيوطى فى «**حسن المحاضرة**»[4]،

--/--

صاحب كتاب «المختار فى ذكر الخطط والآثار». وهو ينقل أيضا عن شيخ الاسكندرية الأشهر أبى بكر الطرطوشى (توفى سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) صاحب كتاب «سراج الملوك»، وعن الشريف محمد بن أسعد الجّوانى صاحب كتاب «النقط بعجم ما أشكل من الخطط» «نبه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت»، والقاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب «إيعاظ المتأمل وإيقاظ المتغفل فى الخطط»، وقد بين فى كتابه هذا جملا من أحوال مصر وخططها إلى أعوام بضع وعشرين وسبعمائة، والقاضى محيى الدين ابن عبد الظاهر (توفى سنة ٦٩٢ هـ) صاحب كتاب «الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة»، وغيرهم.

انظر، الخطط، ح١، ص ١٤٦، ص ١٤٤، ص ١٤٨، ص ١٥٦ – ١٥٧، ص ١٣٥ وعن نقله عن كتاب «الموالى» انظر، ح١، ص ١٦٥، ص ٤ – ٥، ح١، ص ١٥٨، ح١، ص ١٧١، ح١، ص ٤ – ٥ (المقدمة).

(١) انظر، الكندى، الولاة والقضاة، ص ١٣، ٣٣، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٣ – ٣٧٤، ٣٨٤، ٤٣٥، ٤٤٨.

(٢) انظر، المقريزى، الخطط، ح١، ص ٢٤٩ (ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها وما فيها من المرافق)، ص ٢٨٧ (ذكر الحصن الذى يعرف بقصر الشمع) ح١، ص ٢٨٨ (حصار المسلمين للقصر وفتح مصر)، ح١، ص ٢٩٥ – ٢٩٦ (ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم)، ح١، ص ٢٩٦ (ذكر السبب فى تسمية مدينة مصر بالفسطاط).

(٣) انظر، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ح١، ص ٢٠ (ذكر فتح مصر لابن عبد الحكم وغيره)، ص ٧٢ حيث يقول: قال ابن عبد الحكم (من شهد فتح مصر من الصحابة وغيرهم).

(٤) انظر، السيوطى، حسن المحاضرة، ح١، ص ٧٨ (ذكر الخطط)، ص ٧٩ (ذكر بناء المسجد الجامع)، ص ٨٠، ص ٨١، ٨٢ (ذكر المقطم)، ص ٨٥ (ذكر فتوح الفيوم)، ص ٩٠ (ذكر المكس على أهل الذمة)، ص ٩٠ – ٩١ (ذكر القطائع)، ص ٩١ (ذكر مرتبع الجند)، ص ٩٣ (ذكر نهى الجند عن الزرع)، ص ٩٣ (ذكر حفر خليج أمير المؤمنين)، ص ٩٥ – ٩٧ (ذكر انتقاض عهد الإسكندرية وسببه)، ص ٩٧ – ٩٨ (ذكر رابطة الإسكندرية)، ص ١٦٦ (عن الشافعى)، ح٢، ص ٢، ص ٥، ص ٨، ص ٩، ص ١١٣ (ذكر قضاة مصر)، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ (ذكر النيل)، ص ٢٦٢

--/--

وابن اياس فى «**بدائع الزهور**»[1]، وغيرهم.

الكتب الخاصة بالمرحلة التالية هى الكتب الخاصة بالدول التى حكمت مصر وأول دولة هى **الدولة الطولونية**.

ومن الكتب التى أرّخت للطولونيين نذكر كتاب «**سيرة أحمد بن طولون**» **لابن الداية** (أبو جعفر أحمد بن يوسف).

كان أبوه ابن داية المهدى، وكاتب إبراهيم المهدى ورضيعه، وكان من جلة الكتاب بمصر، كما يقول **الصفدي** فى ترجمته له فى كتابه «**الوافي بالوفيات**»[2].

أما ابنه أحمد فكان من فضلاء مؤرخى مصر، ومات سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة[3].

وله غير «سيرة أحمد بن طولون» كتاب «سيرة ابنه خمارويه»، و «سيرة هارون ابن خمارويه». و «أخبار غلمان بنى طولون» وكتاب «المكافأة وحسن العقبى»[4]. «مختصر

==/==

(ذكر المقياس)، ص ٢٦٤ (ذكر جزيرة مصر المسماة الآن بالروضة).

(١) انظر، ابن اياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢، ح١ قسم١، ص ١٨ (ذكر أعمال الديار المصرية وكورها، ص ٩٠، ص ٩٢ (ذكر دخول عمرو بن العاص إلى مدينة الإسكندرية فى زمن الجاهلية قبل الإسلام)، ص ٩٤ (ذكر ابتداء دولة الإسلام، وفتح مصر على يد عمرو بن العاص رضى الله عنه)، ص ١٠٩، ص ١٢١ (ذكر ولاية عبد العزيز بن مروان بن الحكم على مصر).

(٢) انظر، الصفدى، الوافى بالوفيات، اعتناء محمد يوسف نجم، طبع ١٤٠١هـ - ١٩٨١، الطبعة الثانية، ح٨، ص ٢٨٢ ترجمة (٣٨٠٤).

(٣) الصفدى، الوافى بالوفيات، ح٨، ص ٢٨٣.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

المنطق، ألف للوزير على بن عيسى[1].

ويرجع الفضل **لابن سعيد المغربي** (المتوفى سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) فى أنه احتفظ لنا بكتاب ابن الداية، المذكور فى كتابه «**المغرب في حلي المغرب**»[2].

وابن الداية يعتبر من رجال دولة آل طولون، وكان لشرف محتده، وعراقة أصله، فى موقف اجتماعى يسمح له بالتعرف عن قرب ببواطن وخفايا الأمور. وهو شاهد عيان، ثقة، للأحداث التى يرويها، ونقل عن رجال ثقات ممن كانوا يخالطون أحمد بن طولون، ويتقلدون الخطط فى دولته.

وممن روى عنهم: أحمد بن خاقان الذى يحدث عن أحمد بن طولون، وابن خاقان المذكور كان صديقا لابن طولون كما يقول ابن الداية[3]. ونسيم الخادم «وكان أخص الناس به»[4] وهو ينقل عنه الكثير من أخبار ابن طولون[5]. والحسن ابن رافع الكاتب[6]، وهو يحدّث أيضًا عن أبى جعفر

---

(١) هو على بن عيسى بن داود بن الجراح، وزر للخليفة العباسى المقتدر فى سنة ٣٠٠هـ وكان فى مكة، فوصل بغداد أول سنة إحدى وثلثمائة وجلس فى الوزارة كما تقول رواية ابن الأثير، ثم عزل. وفى وزارة أبى القاسم الخاقانى، شفع إليه مؤنس الخادم فى إعادة على بن عيسى من صنعاء إلى مكة «وأذن لعلى فى الإطلاع على أعمال مصر والشام» .. ولما ولى الخصيبى الوزارة أقر على بن عيسى على الإشراف على أعمال مصر والشام، فكان يتردد من مكة إليها .. وفى سنة ٣١٤هـ عزل المقتدر أبا العباس الخصيبى، وولى على بن عيسى بن داود «فقدمها أوائل سنة خمس عشرة .. ولازم النظر فيها فمشت الأمور واستقامت الأحوال» وفى سنة ٣١٦هـ عزل بأبى على بن مقلة، وتوفى فس سنة ٣٣٤هـ «وله تسعون سنة وقد تقدم من أخباره - كما يقول ابن الأثير - ما يدل على دينه وكفايته».

انظر، ابن الأثير، ج٦، ص ١٤١، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٤، ١٩٢، ٣٢١.

(٢) انظر، ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر، تحقيق زكى محمد حسن، شوقى ضيف، سيدة اسماعيل كاشف، طبع القاهرة، ١٩٥٣، ص ٧٣ - ١٣٣.

(٣) انظر، ابن سعيد، المغرب، ص ٨٣.

(٤) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ٧٦.

(٥) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٢٣، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١.

(٦) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ٧٦.

محمد بن موسى بن طولون ويقول عنه: «وكان لى صديقًا وبى حفيا»[١]، وبراقة الحاسب[٢]، وأبو جعفر محمد بن عبدكان (كاتب أحمد بن طولون)[٣]، وابن قراطغا (وكان موثقا عنده ومتولى الصدقات»[٤]، وأحمد بن القاسم أخو عبيد الله بن القاسم كاتب العباس ابن أحمد بن طولون[٥]، والفارسى كان رئيسا من السعاة[٦]، وأحمد بن أبى يعقوب وكان يتولى خراج برقة من قبل أحمد بن طولون[٧]. وأحمد بن دغيم، من قواد ابن طولون[٨] والحسين بن مهاجر، صاحب ديوان البريد[٩]. وأحمد بن عبد العزيز الحريزى وكان فى خزانة أحمد بن طولون[١٠]، وأحمد بن محمد الواسطى (وهو من المقربين لابن طولون)[١١]، ونعت أم ولد أحمد بن طولون[١٢] وغيرهم.

ورواية ابن الداية فى «سيرة أحمد بن طولون» من النوع المنقبى الذى يرمى إلى تمجيد وإبراز خصال وصفات أحمد بن طولون.

فابن الداية يتكلم عن أصل ابن طولون ونشأته، واتصافه بالشجاعة والنجدة، ومحبة الخليفة المستعين له، ثم ما كان من خلع المستعين وتسليمه لابن طولون، وامتناع ابن طولون من قتله. وما كان من صعود نجمه بتوليته امرة مصر خلفا لباكباك. فلما حصلت مصر ليارجوخ زاده جميع الأعمال الخارجة كانت عن مصر بما فيها الإسكندرية.

(١) انظر، ابن سعيد، المغرب، ص ٨١.
(٢) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ٨٢.
(٣) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٠٥.
(٤) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٠٥.
(٥) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٠٨.
(٦) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١١٢.
(٧) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٢٢.
(٨) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٣٢.
(٩) ابن سعيد، نفس المصدر، ١٠٦.
(١٠) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٣٣.
(١١) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٢٧، ١١٨، ١٢١.
(١٢) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ٩٣.

ويحدثنا عن الخوارج على ابن طولون بين برقة والإسكندرية والصعيد وبلاد البجة.

وفى خلافة المعتمد تقلد ابن طولون الخراج والمعونة بمصر والثغور إلى جانب تقلده الشام كله.

ويعطى نماذج لتوقيع ابن طولون فى الكتب التى تصدر عنه.

ويحدثنا عن عطف ابن طولون على حفظة الكتاب العزيز..

وينفرد بتقديم معلومات عن خروج العباس بن أحمد بن طولون على أبيه، وتأديب ابن طولون له.

ثم يحدثنا عن سعى ابن طولون لاقناع الخليفة العباسى المعتمد بقصد مصر وكتابه إليه، حتى يتخلص مما يلحقه أخيه الموفق به، ونقل كرسى الخلافة إلى مصر. وما كان من خروج ابن طولون إلى الشام للقاء الخليفة وخلع الموفق فى مدينة دمشق، ووثيقة خلعه. وقد أفتاه قضاة أعماله فى خلع أبى أحمد الموفق إلا القاضى بكار بن قتيبة فوبّخه وسجنه.

ويحدثنا عن خروج لؤلؤ غلام ابن طولون، وانتهى أمره بأن قبض عليه وأخذ جميع ما لديه.

ثم يتحدث عما جرى بين ابن طولون ويازمان (الذى كان قد تمكن من طرطوس) ثم يتكلم عن مرضه ووصيته لقواده وغلمانه، ثم وفاته، ويعدد أولاده الذكور والإناث، ويتكلم عن تركته[1].

ولعل أبلغ تقريظ لكتاب **«سيرة أحمد بن طولون وسيرة ابنه خمارويه»** لأبى جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكاتب المعروف بابن الداية، هو ما قاله عنه فقيه مصر ومؤرخها الشهير **ابن زولاق** فى مقدمة كتابه فى «سيرة

(١) انظر، ابن سعيد، المغرب، ص ١٢٨ - ١٣٣.

محمد بن طغج» حيث يقول: «كان أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم الكاتب قد عمل سيرة أحمد بن طولون أمير مصر وسيرة ابنه أبى الجيش، وانتشرتا فى الناس، وقرأتهما عليه، وحدّثت بهما عنه مع غيرهما من مصنفاته، ثم عملت أنا ما فاته من سيرتهما»[1].

وكان كتاب ابن الداية هذا هو النموذج الذى نهج نهجه ابن زولاق فى كتابه عن «سيرة الإخشيد» يتضح ذلك من قوله: «وحدثنا أبو جعفر أحمد بن يوسف فى سيرة ابن طولون بما خلفه، فأردت أن أذكر فى سيرة الإخشيد ما خلفه»[2].

وكتاب «**سيرة أحمد بن طولون» للبلوي** (أبو محمد عبد الله بن محمد)[3].

أما السبب الذى دعا البلوى، إلى تصنيف كتاب فى «سيرة أحمد بن طولون» فهو كما يقول من خلال المقدمة: «فهمت ما ذكرت، جعلنى الله فداك (من هو المقصود بهذا القول لم يصرّح البلوى باسمه) فى سيرة آل طولون، وأنك قرأت كتاب أحمد بن يوسف فى ذلك ... وأنك تريد ما هو أكبر منه شرحاً، وأكمل وصفا»[4].

وينقد كتاب ابن الداية فيقول: «وأن أحمد بن يوسف كان يمر فى شرح قصة ثم يرجع إلى ما هو قبلها، وأنه كان يخلط أخباره، فيأتى بقصة من قصصه التى تدل على ذكاء عقله وفطنته، ولطيف حسه، ثم يأتى بضدها، وأنه لم يأت بجميع أخباره، ولا أخبار أبى الجيش ابنه، وما كان من جميع فعاله، وحسن آثاره، ولا أخبار سائر إخوته بعده.

---

(١) انظر، ابن سعيد، المغرب (سيرة محمد بن طغج)، ص ١٤٨.

(٢) انظر، ابن سعيد، المغرب (سيرة محمد بن طغج)، ص ١٩٦.

(٣) انظر، ابن النديم، الفهرست، ص ٢٧٣ حيث يقول: «البلوى واسمه عبد الله بن محمد، من بلى، قبيلة من أهل مصر، وكان واعظا فقيها عالما. وله من الكتب: كتاب الأبواب، كتاب المعرفة، كتاب الدين وفرائضه.

(٤) انظر، البلوى، سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٣١ – ٣٢.

ثم يبين منهاجه فى التأليف فيقول: «وأردت أن يكون ذلك مستقصى جميعه، وعلى ترتيب فى شرحه، ولا يذكر آخرا قبل أول، ولايقدم سالفا على آنف، وقد امتثلت أمرك فيما أردت ... ولم أدع من أخبار جماعتهم شيئا مثله يؤرخ وبه يتأدب وله يستحسن إلا ذكرته، وجعلت ذلك أبوابا، ولم اذكر فى الباب ما ليس من شكله، ولا خلطت به ما خرج عن أصله ..»[1].

وابن الداية كان «أحد خواص دولتهم»[2] كما يقول ابن سعيد فى «**المغرب في حلي المغرب**»، وفى موقف يسمح له بالإطلاع على بواطن الأمور فى الدولة، وهو شاهد عيان، ويروى عن عدد من كبار رجال دولة ابن طولون، قواده، وكتابه، وأصحاب دواوينه، وغلمانه، وغيرهم من ثقات دولته، ومن هنا جاءت أهمية كتابه كما سبق القول.

والبلوى ينقل روايات ابن الداية باسنادها إلى الرواة الذين نقل عنهم دون الإشارة إليه والتصريح بالنقل عنه[3]. وهو بهذا يفتقد الأمانة والنزاهة والعدالة، وهى أهم الصفات التى ينبغى أن تتوفر فيمن يتصدى للكتابة فى التاريخ.

وبمقارنة العديد من الروايات التى وردت فى كتاب البلوى، بما ورد فى كتاب ابن الداية، نجده ينقل روايات ابن الداية باللفظ والمعنى. ولدى البلوى زيادات ولا ندرى إن كانت تلك الاستطرادات فى كتاب ابن الداية الأصلى أم لا؟ فأورد البلوى تفصيلات عن نشأة ابن طولون، وما كان من أخبار حروبه فى الثغور، وأخبار ابنه الأكبر العباس وخروجه عليه، وغلامه لؤلؤ، وأخبار

---

(١) البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٢.

(٢) انظر، ابن سعيد، المغرب، ص ٧٣.

(٣) انظر، البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ١١٠ حيث يقول: «ومن ذلك ما حدثت به نعت أم ولده ..».

(أما ابن الداية فيقول: وحدثتنى نعت)، ص ١١١، يقول: «وحدّث نسيم الخادم»، ص ١١٢ «وحدث عنه ابن عبدكان قال ..»، ص ١١٨ يقول: «ومن ذلك ما حدث به الفارسى، وكان من ثقات أصحاب أخباره وخصيصا به جدا».

هذا باستثناء قوله فى ص ٣٠٢ «حدثنا عبد الله بن الفتح عن ابن الداية ..».

مرضه، وخلعه الموفق، ووصيته، ووفاته، وجنازته، وثروته، وعدد أسماء أبنائه.

وهو بذلك قد نجح فى وضع تأليف مطول لسيرة ابن طولون.

أما طريقته فى التأريخ. فهو يورد الحدث أو الخبر، ويحاول تحليله وتعليله وأحياناً يصرح برأيه، وهو يهتم بالإسناد على طريقة المحدثين.

ومؤلف البلوى يحوى وثائق ورسائل عديدة لاتوجد فى ابن الداية الذى احتفظ لنا به ابن سعيد فى كتابه «المغرب».

مثال ذلك كتاب العباس لأبيه[١] وقول البلوى «والكتاب طويل وإنما اختصرنا منه هذا القول».

وكتاب أحمد بن طولون لابنه العباس[٢].

وكتاب أحمد بن طولون للؤلؤ، ويقول البلوى «والرسالة طويلة وإنما اقتصرنا على هذا منها»[٣].

أما متى صنف البلوى كتابه هذا عن «سيرة أحمد بن طولون».

أقول قد ألفه كما نستبين من بعض الإشارات التى أوردها فى ثنايا الكتاب بعد القضاء على الدولة الطولونية. نستشف ذلك من قوله عن دار الإمارة «وإنما فرقت هذه الدار حجرا بعد دخول محمد بن سليمان البلد وبعد انحلال أمر آل طولون»[٤].

وفى موضع آخر يقول عن ايراده مثال من حزم أحمد بن طولون والمقارنة بينه وبين غيره: «قال مؤلف هذا الكتاب: ومثل هذا بعينه رأيناه مع مؤنس الخادم الذى كان يعرف بالأستاذ، لما وجه به المقتدر لقتال عبد

---

(١) انظر، البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ٢٥٦ – ٢٦٠.

(٢) البلوى، نفس المصدر، ص ٢٦٠ – ٢٦٤.

(٣) البلوى، نفس المصدر، ص ٢٧٧ – ٢٧٩.

(٤) البلوى، نفس المصدر، ص ٥٣.

الرحمن صاحب الغرب وقد حصل عبد الرحمن هذا بالفيوم ..»[1].

أقول هذه الوقعة لم تكن مع عبد الرحمن صاحب الغرب كما ورد خطأ فى البلوى، هذا وبالرجوع إلى كتاب «**الولاة والقضاة**» للكندى، المؤرخ الثقة المعاصر وشاهد العيان لتلك الأحداث نجده يقول: أن مؤنس الخادم أقبل إلى مصر ودخلها يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلثمائة، فنزل الجيزة وعسكر بها .. وأقبل عبد الرحمن ابن صاحب افريقية من الإسكندرية إلى الفيوم فنزلها .. وملكت البربر جزيرة الأشمونين كلها مع الفيوم .. وسار مؤنس وتكين فى عسكرهما .. يوم الخميس لثمان عشرة خلت من صفر سنة تسع فدخلوا مدينة الفيوم، .. ومضى ابن صاحب افريقية هاربا إلى برقة ولم يكن بينهم لقاء، فرجع مؤنس وتكين إلى الجيزة ...»[2].

والكندى يذكر تلك الأحداث فى ولاية تكين الثانية لمصر من قبل المقتدر بالله.

ويلاحظ أن الكندى يسميه عبد الرحمن أيضا، ولكنه يقول «ابن صاحب افريقية».

وعبد الرحمن هذا كما يقول **ابن ظافر** فى كتابه «**أخبار الدول المنقطعة**» هو عبد الرحمن بن عبيد الله (المهدى) وغير اسمه لما غلب على المغرب بمحمد وكنيته أبو القاسم»[3]. وسيلى الخلافة - فيما بعد - ويتلقب بالقائم بأمر الله.

أقول هذه الرواية الخطأ يمكن أن نستفيد منها فى تحديد الزمن الذى صنف فيه البلوى كتابه هذا عن «سيرة أحمد بن طولون» لأن عبد الرحمن كان «صاحب المغرب» أو خليفة المغرب على أيامه. وولى الخلافة من سنة

(١) البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ١٠٢.

(٢) الكندى، الولاة والقضاة، ص ٢٧٦ - ٢٧٨.

(٣) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ١٤.

أما اسم ابن المهدى كما ذكره القاضى النعمان فى «رسالة افتتاح الدعوة» فهو محمد أبى القاسم القائد.
انظر، افتتاح الدعوة، ص ٢٧٣.

٣٢١هـ حتى سنة ٣٣٤هـ وفى هذه السنة توفى وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل وتلقب المنصور بالله، وكتم موته خوفا أن يعلم بذلك أبو يزيد (مخلد بن كيداد اليفرنى الثائر الخارجى) «وبقى على ذلك إلى أن فرغ من أمر أبى يزيد، فلما فرغ من أمره، أظهر موته وتسمى بالخلافة»[1] كما تقول رواية **ابن الأثير** فى كتابه «**الكامل في التاريخ**» وابن الأثير يرجع إلى كتب أهل الثقة من المغاربة «وهم أخبر ببلادهم»[2].

وأغلب الظن أن البلوى ألف كتابه هذا بعد سنة ٣٣٠هـ.

أما عن **الإخشيديين** فيعتبر «**كتاب الولاة والقضاة**» **للكندي** من أهم الكتب الخاصة التى تعالج تاريخ هذه الفترة إلى منتصف القرن الرابع الهجرى.

والكندي هو أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص، أحد أعلام علماء مصر ومؤرخيها فى القرن الرابع الهجرى (توفى سنة ٣٥٠ هـ/ ٩٦١م) «حدّث فى آخر عمره وسمع منه»، «وكان أعلم الناس بالبلد وأهله وأعماله وثغوره»[3].

والكندى يمثل نفس المدرسة التاريخية الأولى فى مصر. فهو يحدثنا عمن ولى إمرة مصر، ومن ولى الصلاة ومن ولى الحرب والشرطة ومن جمع له الصلاة والخراج منذ فتح عمرو بن العاص لمصر على أيام الخليفة عمر بن الخطاب «إلى زماننا هذا»[4].

والكندى يهتم بالنظم والتراتيب والخطط.

---

(١) انظر، ابن الأثير، الكامل، طبع دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٦، ص ٣١٧، حوادث سنة ٣٣٤ هـ.

(٢) ابن الأثير، الكامل، النسخة المصورة عن طبعة طورنبرج، طبع دار صادر، بيروت، ١٩٦٥، ج٣، ص ٤٦٥، ج٤، ص ٥٥٦.

(٣) انظر، الكندى، كتاب الولاة، طبعة جست، بيروت ١٩٠٨، ص ٥.

(٤) الكندى، كتاب الولاة، ص ٦.

فهو عندما يتكلم عن ولاية بشر بن صفوان، وتدوينه يقول «وهو التدوين الرابع، الأول تدوين عمرو، والثانى تدوين عمر بن عبد العزيز بن مروان والثالث تدّوين قرة بن شريك، والرابع هو هذا، ولم يكن بعد هذا فى الديوان شئ له ذكر، إلا ما كان من الحاق قيس فيه زمن هشام وأشياء أحدثها المسودة من أرباعهم التى أحدثوها منه»[1].

وفى ولاية الوليد بن رفاعة من قبل أمير المؤمنين هشام «نقلت قيس إلى مصر فى سنة تسع ومائة»[2].

واهتمامه بالخطط يبدو واضحا عند كلامه عن دخول الخليفة مروان بن الحكم إلى الفسطاط سنة ٦٥ هـ وبنائه «الدار البيضاء»[3].

وعند كلامه عن ولاية عبد العزيز بن مروان، يتكلم عن بنائه «الدار المذهبة سنة ٦٧ هـ، ثم يتكلم عن سكناه حلوان وبنى بحلوان الدور والمساجد وغيرها»[4].

وفى ولاية عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير (ولى من قبل الخليفة مروان بن محمد فى جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ) يذكر «أن عبد الملك أمر باتخاذ الناس المنابر فى الكور ولم يكن قبله وإنما كانت ولاة الكور يخطبون على العصى إلى جانب القبلة ...»[5].

ثم بعد ذلك يتكلم عن ولاة الدولة العباسية، أولهم صالح بن على حيث يقول: «وورد الكتاب بولاية صالح بن علي على

---

(١) الكندى، كتاب الولاة، ص٧١.

(٢) الكندى، نفس المصدر، ص٧٦ .

(٣) الكندى، نفس المصدر، ص ٤٥.

(٤) الكندى، نفس المصدر، ص ٤٩ – ٥٠.

(٥) الكندى، نفس المصدر، ص ٩٣ – ٩٤.

مصـــر وفلسطـــين وافريقـــية جمعوا لـــه»[1].

ثم تتوالى أخبار ولاة الدولة العباسية.

وعند كلامه عن ولاية كيدر نصر بن عبد الله من قبل المأمون يقول: «وورد كتاب أبى اسحاق ابن الرشيد إلى كيدر بأن يأخذ الناس بالمحنة ... فكان الناس على ذلك من سنة ثمانى عشرة (ومائتين) إلى أن قام المتوكل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين[2].

ثم يتكلم عن خلافة المعتصم «وورد كتابه إلى كيدر ... وأمره باسقاط من فى الديوان من العرب وقطع أعطياتهم ...»[3].

ويتكلم بعد ذلك عن ولاية عنبسة بن اسحاق الضبى، الذى أمر ببناء المصلى الجديد، وكان عنبسة آخر من وليها من العرب وآخر أمير صلى بالناس فى المسجد الجامع[4].

وآخر أمير ولى (قبل الدولة الطولونية) هو أزجور الذى ولى فى شهر رمضان سنة ٢٥٤هـ.

يتكلم بعد ذلك عن الدولة الطولونية. وولاية أحمد بن طولون من قبل المعتز على صلاتها سنة ٢٥٤ هـ[5].

ثم يتكلم عن خروج ابن الصوفى العلوى عليه بصعيد مصر وهو إبراهيم بن على بن أبى طالب عليه السلام. وقوله عن على عليه السلام تؤكد أن له ميول علوية شيعية أو ينقل عن رواة لهم ميول علوية ؟؟

ثم تتوالى أخبار أحمد بن طولون وأبنائه، وما كان من دخول محمد بن

---

(١) الكندى، كتاب الولاة، ص ١٠٢.
(٢) الكندى، نفس المصدر، ص ١٩٣.
(٣) الكندى، نفس المصدر، ص ١٩٣.
(٤) الكندى، نفس المصدر، ص ٢٠٢.
(٥) الكندى، نفس المصدر، ص ٢١٢.

سليمان الكاتب مصر فى أول ربيع الأول سنة ٢٩٢هـ «فأمر باحراق القطائع فاحرقت ونهب أصحابه الفسطاط، ثم أخرج ولد أحمد بن طولون وأخرج منها قواد بنى طولون ومواليهم ...»[١].

ثم يحدثنا عن ولاة الدولة العباسية وآخر من تكلم عنهم الأمير محمد بن طغج الذى توفى بدمشق لثمان بقين من ذى الحجة سنة ٣٣٤ هـ وورد الخبر بوفاته إلى الفسطاط يوم الأثنين لليلتين خلتا من المحرم سنة خمس وثلاثين وثلثمائة[٢].

هذا وكتاب الكندى يقدم معلومات هامة عن تاريخ المغرب والأندلس وعن علاقته بمصر. والمثل لذلك أن الكندى ينفرد بتقديم معلومات عن استيلاء الأندلسيين على الإسكندرية فى أوائل القرن الثالث الهجرى (٩م) ولمدة عشر سنوات، ويرجع الفضل للكندى الذى يثبت أن هؤلاء الأندلسيين «كانوا يرتادون سواحل الإسكندرية بعد قفولهم من الغزو ليبتاعوا ما يصلحهم، وكذلك كانوا على الزمان»[٣].

وكثير من روايات الكندى تروى منسوبة إلى رواتها الأوائل، ومن أهم من نقل عنهم سعيد بن عفير (توفى سنة ٢٢٦ هـ/ ٨٤٠م)، وابن لهيعة، ويحيى بن عبد الله بن بكير، وفقيه مصر الأشهر يزيد بن أبى حبيب (توفى سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٦م)، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المؤرخ المشهور، وهؤلاء بدورهم يذهبون فى كثير من الأحيان بسلسلة المسندين حتى شهور العيان الأوائل للأحداث.

وإلى جانب ذلك هنا ذكر «أشياخ مصر»[٤].

(١) الكندى، كتاب الولاة، ص ٢٣٧ – ٢٤٠، ص ٢٤٤ – ٢٤٥، ص ٢٤٧ – ٢٤٨.
(٢) الكندى، نفس المصدر، ص ٢٩٣.
(٣) الكندى، نفس المصدر، ص ١٥٨.
(٤) الكندى، نفس المصدر، ص ٢٧ يقول: «فذكر بعض أشياخ مصر»، ص ١٠٧ «حدثنى أشياخنا»، ص ١٠٨ «وذكر أشياخ مصر».

أما كتاب «أخبار قضاة مصر» للكندي رواية أبى محمد عبد الرحمن البزار المعروف بابن النحاس (توفى سنة ٤١٦هـ).

يتحدث فيه عن قضاة مصر وأولهم «قيس بن أبى العاص»، ولى من قبل الخليفة عمر بن الخطاب[١]. ثم تتوالى أخبار القضاة تبعا لعهود الخلفاء وأمراء مصر.

وبعض هؤلاء القضاة جمع له القضاء والقصص[٢].

وبعضهم جمع له القضاء والشرط[٣]، والقضاء وبيت المال[٤].

ونستبين من بعض الروايات أن القاضى أصبح يولى من قبل أمير مصر وليس الخليفة كما كان من قبل[٥].

وعند كلامه عن القاضى عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة ... يقول: «وكان أخذ القضاء عن أبيه»[٦] بمعنى توارث خطة القضاء.

وهناك روايات نستبين منها أن القاضى عاد يولى مرة أخرى من قبل الخليفة مثله مثل الأمير على الصلاة والخراج[٧].

وعلى أيام الدولة العباسية هناك روايات نستبين منها أن القاضى كان يعين من قبل أمير مصر[٨].

وكان عبد الله بن لهيعة الحضرمى، فقيه مصر الشهير هو: أول قاض ولى قضاء مصر من قبل الخليفة (المنصور)[٩] (يعنى فى الدولة العباسية).

(١) الكندى، كتاب القضاة، ص ٣٠٠ – ٣٠١.
(٢) الكندى، نفس المصدر، ص ٣٠٣.
(٣) الكندى، نفس المصدر، ص ٣١١.
(٤) الكندى، نفس المصدر، ص ٣٣٢.
(٥) الكندى، نفس المصدر، ص ٣١٤، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٣١.
(٦) الكندى، نفس المصدر، ص ٣٢٩، ٣٣١.
(٧) الكندى، نفس المصدر، ص ٣٣٣، ٣٤٠.
(٨) الكندى، نفس المصدر، ص ٣٥٥، ص ٣٦٣.
(٩) الكندى، نفس المصدر، ص ٣٦٨.

وكان القاضى اسماعيل[1] بن اليسع الكندى، وكان كوفيا «أول من ولى مصر يقول بقول أبى حنيفة»[2].

أما أول مولى ولى القضاء بمصر هو اسحاق بن الفرات.

ونلاحظ هنا أن بعض من يوليه الخليفة لايكون من أهل البلاد، ومن يوليه الأمير يكون من أهل البلد.

وعلى أيام محمد بن الليث الخوارزمى (ولى القضاء من قبل المعتصم سنة ٢٢٦هـ) حدثت المحنة على أيامه سنة ٢٢٧هـ «ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد وأمرهم ألا يقربوه»[3].

آخر قاض تكلم عنه الكندى هو بكار بن قتيبة الذى ولى من قبل المتوكل وقدم مصر ٨ جمادى الآخرة سنة ٢٤٦هـ وتوفى سنة ٢٧٠هـ.

والكندى يسند العديد من رواياته عن القضاة إلى ابن عبد الحكم، كما تأثر بمنهجه فى كتابه «فتوح مصر وأخبارها» فيما يتعلق بالكلام عن القضاة، فالكندى يذكر القضاة تبعاً لعهود الخلفاء وأمراء مصر، وليس على حروف المعجم مثل ابن حجر فى كتابه «رفع الأصر عن قضاة مصر».

كما يلاحظ أن آخر قاض تكلم عنه ابن عبد الحكم عند كلامه عن «القضاة» فى كتابه «فتوح مصر وأخبارها» هو بكار بن قتيبة، لأن ابن عبد الحكم، مات سنة ٢٥٧ هـ/ ٨٨٠ – ٨٨١م.

التساؤل هو لماذا لم تستمر أخبار القضاة عند الكندى الذى مات سنة ٣٥٠هـ بينما كتاب «الولاة» له استمرت أخباره حتى سنة ٣٣٥هـ؟

ومن كتاب الدولة الإخشيدية أيضا نذكر **ابن زولاق** (توفى سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) صاحب كتاب «**سيرة محمد بن طغج**» التى يرجع الفضل فى

(١) الكندى، كتاب القضاة، ص ٣٧١.

(٢) الكندى، نفس المصدر، ص ٤٥١.

(٣) الكندى، نفس المصدر، ص ٤٧٦.

الاحتفاظ بها إلى **ابن سعيد** صاحب كتاب «**المغرب في حلي المغرب**»، الذى أفرد للدولة الإخشيدية كتابه الموسوم باسم «**كتاب العيون الدعج في حلي دولة بني طغج**»، ونقل كما يقول من «**كتاب الحسن بن زولاق** فى سيرة محمد بن طغج»[١].

يقول ابن زولاق «ولما فتح الإخشيد محمد بن طغج مصر وإحتوى على بلادها مع الشامات، عمل له محمد بن موسى بن المأمون الهاشمى فى آخر أيام الإخشيد كتابا ترجمه بسيرة الإخشيد يتقرب به إليه»[٢].

وينقد ابن زولاق كتاب **ابن المأمون** بقوله: «ولم أجد فيه سيرة وإنما هو مدح إلى الذم أقرب ... ولم يذكر أبوته ولاموضعه، وألا ولاته ولا حروبه وألا سفراته وألا أفعاله مع أعدائه، وألا ما جمعه من الأموال والعبيد والكراع». ثم يذكر أنه حضر ابن المأمون وقد سئل عن الكتاب فى سنة ٣٤والإخشيد فى الشام فى سفرته التى مات فيها. وقد قال ابن المأمون للإخشيد أن الناس يطلبون منه الكتاب لينسخوه فرفض الإخشيد ... عرف معنى الكتاب وأنه إلى الهجاء أقرب»[٣].

ثم يقول ابن زولاق إن على بن الإخشيد (أبو الحسن) طلب منه فى سنة ٣٥٠ «أن أعمل سيرة أبيه فعملت هذه السيرة وأنها «حسن موقعها منه وأحسن عليها المكافأة وجعل ذلك جاريا فى كل سنة هو ووالدته». ثم يستطرد فيقول: «ولم أضمن هذه السيرة إلا ما شاهدته أو أخبرنى به من أثق به حسبما أمكننى»[٤].

وهذه النسخة التى بين أيدينا ليست التى قدمها لعلى بن الإخشيد.

أما التاريخ الذى كتب فيه **ابن زولاق** «**سيرة الإخشيد**» هذه فهو سنة ٣٦٦ هـ أو بعدها، أى أنها كتبت فى عصر الخليفة الفاطمى العزيز بالله نزار، نستبين

(١) انظر، ابن سعيد، المغرب، ص ١٤٨.

(٢) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٤٨.

(٣) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٤٨ – ١٤٩.

(٤) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٤٩.

ذلك من تلك الرواية التى يوردها عن كنيسة أبى شنودة حيث يذكر أنه فى سنة ٢٦ انهدمت قطعة من الكنيسة، فبذل النصارى مالا ليطلق عمارتها وقال (يعنى الإخشيد) خذوا فتوى العلماء، فافتى ابن الحداد بهدم عمارتها، ووافقه فى ذلك أصحاب مالك، وأفتى محمد بن على العسكرى بأن لهم أن يرَموها ويعمروها وكادت تحدث فتنة بين الرعية. وأرسل الأمير إلى ابن الحداد وطلب منه أن يذهب إلى الكنيسة فإن كانت قائمة فيتركها على حالها، فتوجه بصحبة المهندس على بن عبد الله البواش، وقال المهندس بعد أن دخل المذبح ستبقى كذا خمس عشرة سنة، ثم يسقط منها موضع ثم تقيم إلى تمام أربعين سنة وتسقط جميعها، فانصرفت إلى الإخشيد وعرفته فتركها ولم يعمرها. وكان أمرها كما قال ابن البواش المهندس فعَمرت سنة ست وستين قبل تمام أربعين سنة ولو تركت سقطت[١].

ونفس الرواية احتفظ لنا بها **ابن حجر** فى كتابه «**رفع الأصر عن قضاة مصر**» نقلا عن ابن زولاق، فى ترجمة القاضى (محمد بن أحمد بن الحداد)[٢].

وابن زولاق، كان معاصراً لفترة من تلك الأحداث التى يرويها عن محمد بن طغج وشاهد عيان.. وهو يتصف بالأمانة والنزاهة والعدالة والصدق والورع والتقوى، ويتحرى الحقيقة، وهو ثقة فى روايته، وينقل عن أهل ثقة (الإخشيد) المقربين، وهو يسند رواياته إلى كبار رجال الدولة من خواصهم من ذلك قوله: «حدثنى أحمد بن عبيد الله قال[٣]»، «وحدثنى بعض عدول مصر قال»[٤].

وينقل عن أبى بكر محمد بن على الماذرائى صاحب أعمال مصر[٥].

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ص ١٨٣.
(٢) الكندى، ملحق كتاب القضاة، ص ٥٥٤ – ٥٥٥.
(٣) ابن سعيد، المغرب، ص ١٥٠.
(٤) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٥٠.
(٥) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٥١.

هذا وقد أفرد له ابن زولاق سيرة كبيرة احتفظ لنا بنقول منها المقريزى فى كتابه الموسوم باسم «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» [1] .

وفارس بن نصر العراقى[2] ، وحدثنى بعض أصحابه[3] «وحدثنى بعض الكتاب» والرواية يرجع سندها إلى محمد بن كلا كاتب الإخشيد[4] ، وجعفر بن الفضل «الذى ندبه الخليفة الراضى وزيراً لكشف مصر والشام»[5]، وحدثنى الفضل ابن محمد قال: سمعت أحمد بن موسى الزعلمان، وكان أحد القواد، قال: سمعت الإخشيد[6] (أى أن الرواية يرجع سندها إلى الإخشيد نفسه)، حدثنى بعض الوجوه بمصر[7] ، حدثنى محسن قال: سمعت كافورا يقول[8] ، ويحيى بن مكى بن رجال المعدل[9] ، و «بعض الإخشيدية»[10] ، وعبد الوهاب بن سعيد الكاتب[11] ، ومزاحم بن رائق[12] ، ومسلم بن عبيد الله الحسينى الشريف[13]، و«بعض غلمانه[14] ، وأبو الفرج البالسى الطبيب[15] ، ومحمد بن

---

(١) انظر، المقريزى، الخطط، ج٢، ص ١٥٥ – ١٥٧ (ذكر الماردانى)، ص ١٥٧ س ١ حيث يقول فى نهاية كلامه «وقد أفرد له ابن زولاق سيرة كبيرة وهذا منها والله أعلم»، ج١، ص ١٣٣ س ٣٢ (ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة) حيث يقول: «وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة الماردانيين».

(٢) ابن سعيد، المغرب، ص ١٥٤ .

(٣) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٥٥ .

(٤) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٥٦ .

(٥) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٥٧ .

(٦) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٦٧ .

(٧) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٧٦ .

(٨) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨١ .

(٩) ابن سعيد. نفس المصدر، ص ١٨١ .

(١٠) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٢، ص ١٨٨ .

(١١) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٣.

(١٢) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٥.

(١٣) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٥.

(١٤) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٦.

(١٥) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٧.

الحسين المكفوف المفسر[١] ، وسليمان بن الحسين بن طاهر[٢] ، والأصبهانى (صاحب محمد بن رائق)[٣] .

وأبو الحسن بن جابر كاتب عبيد الله بن طغج[٤] ، «وبعض الشيوخ»[٥] وأحمد بن عبد الله الفرغانى[٦] ، والحسن بن أريخا[٧] ، «وحدثنى بعض شيوخ دمشق»[٨] وغيرهم.

يتكلم ابن زولاق عن أصل «الإخشيد»، وكيف أن جده سار من فرغانة إلى الخليفة العباسى المعتصم، الذى أكرمه، وبعد وفاته صحب ابنه الواثق وصحب المتوكل حتى وفاته[٩] .

ويقول عن طغج (والد محمد «الإخشيد») أن أحمد بن طولون كان قد «قلده ديار مصر» والصحيح أنه كان من كبار قواد ابن طولون كما نستبين من رواية الكندى فى كتابه «الولاة»[١٠] .

ويحدثنا أيضا عن مولد محمد بن طغج وصعود نجمه، وما تقلده من خطط إلى أن آلت إليه امرة مصر، وما نهجه فى سبيل تحقيق ذلك: ابن زولاق يثير الشك حول صحة تقليد ابن طغج فى ولايته الثانية حيث يقول أنه أخذ من رسول محمد ابن تكين الذى كان قد سار إلى دمشق كتاب تقليد محمد بن تكين «فقال

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ص ١٨٧ .
(٢) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٩ .
(٣) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٩ .
(٤) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٩ .
(٥) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٩١ .
(٦) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٩٢ .
(٧) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٩٥ .
(٨) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٩٥ .
(٩) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٤٩ .
(١٠) انظر، الكندى، كتاب الولاة، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

«فقال أنه محا تكين» وكتب «طغج، فحصل له عهدان، عهد كتبه له الفضل بن جعفر، والعهد الذى كتبه الراضى لمحمد بن تكين»[1].

ويقول ابن زولاق «وكان الإخشيد على تشبه بأحمد بن طولون فى أحواله»[2].

وكان يحب «الصالحين ويركب إليهم ويأخذ دعاءهم»[3]. وكان لا يتأخر عن الجمعة فى الجامع العتيق فى رجب وشعبان وشهر رمضان، ويركب ليلة الختم إلى الجامع ويحضر الختم والدعاء»[4].

وكان إذا توفى قائد من قواده أو كاتب، تعرض ورثته وأخذ منهم وصادرهم، وكذلك كان يفعل مع التجار المياسير»[5].

وينقل عن أبى بكر محمد بن على الماذرائى خبر ما أخذه منه الإخشيد[6]. هذا وتتوالى أخبار ابن زولاق عن «الاخشيد فى مصر والشام، حتى وفاته، ويذكر ما خلفه، وتستمر روايته حتى عصر «أنوجور بن الإخشيد»[7].

وقد تضمنت «سيرة محمد بن طغج» إشارة إلى كتاب «أرمانوس عظيم النصرانية» إلى الإخشيد[8]، ورد الإخشيد عليه، الذى كتبه إبراهيم بن عبد الله النجيرمى «وكان عالما بوجوه الكتابه .. ويورد ابن زولاق نسخة الكتاب»[9].

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ص ١٥٧.
(٢) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٩٠.
(٣) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٥.
(٤) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٥.
(٥) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٧.
(٦) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٨٧.
(٧) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٩٥ - ١٩٧.
(٨) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٦٧، و (هـ١).
(٩) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٦٧ - ١٧٢.

هذا وينفرد ابن زولاق بقوله أن الإخشيد «كان سيقيم الدعوة لأبى القاسم (القائم) صاحب المغرب ويسقط الدعوة للخليفة العباسى الراضى»[١].

كما وجه الإخشيد كتابا إلى القائم «يعرض عليه ابنته لابنه المنصور»[٢].

أما عن منهج ابن زولاق فى الكتابة، كما نستبين من سيرة «محمد بن طغج» هذه فهو طريقة الحوليات أو السنوات، فهو فى كل سنة من سنى امارة «الإخشيد» يذكر أهم الحوادث التى جرت فيها على الشهور[٣].

وعن **العصر الفاطمي**، يعتبر **ابن زولاق** من أهم الكتاب الذين كتبوا فى تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر، فى عصر الخليفة المعز لدين الله، والعزيز بالله.

وابن زولاق هو أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق، الفقيه الفاضل المؤرخ ولد فى شعبان سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م، ومات سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م[٤].

وروى أبو محمد ابن زولاق عن القاضى محمد بن أحمد بن الحداد (ولد سنة ٢٦٤هـ لسبع بقين من رمضان)، كما يقول ابن حجر العسقلانى فى كتابه «رفع الإصر» وهو من أقرانه وكتب عنه غالب مصنفاته»[٥]، وعن الطحاوى، وابن الداية.

ولابن زولاق العديد من المؤلفات، يذكر منها **السخاوي** فى كتابه **«الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ»** كتاب **«فضائل مصر وأخبارها»**، و **«تاريخ القضاة»**[٦]، **«تتمة أخبار أمراء مصر»**، **«وسيرة المعز»** وغيرها من المؤلفات.

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ص ١٧٦ – ١٧٧.

(٢) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٧٧.

(٣) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، ج٢، ص ٩١ – ٩٢ ترجمة (١٦٧).

(٥) انظر، الكندى، ملحق كتاب القضاة، ص ٥٥١.

(٦) السخاوى، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تحقيق وتعليق فرانز روزنتال بالانجليزية ترجم التعليقات والمقدمة وأشرف على نشر النص، الدكتور صالح أحمد العلى، طبع بغداد، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ص ٧٧، ص ٢٠٦.

ولقد احتفظ لنا **المقريزي** في «**اتعاظ الحنفا**» و«**الخطط**» بنقول هامة منها فالمقريزى فى «**اتعاظ الحنفا**» عند كلامه عن «ذكر بناء القاهرة» ينقل عن الحسن ابن إبراهيم بن زولاق المصرى فى كتاب «اتمام أخبار أمراء مصر للكندى» عن مسير عساكر المعز لدين الله وعليها مولاه جوهر إلى مصر فى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة. وعن رسل جوهر إلى ابن الفرات – (وزير أونوجور ابن أبى بكر الإخشيد وأخيه أبى الحسن على، ثم وزر لكافور، وبقى يتقلد خطة الوزارة حتى دخول الفواطم مصر)–، كما يورد نص كتاب الأمان الذى كتبه جوهر لأهل مصر[1]. وعن انتقاض الإخشيدية والكافورية للصلح، وعن الحرب التى دارت بينهم وبين جوهر وانتصاره عليهم، وطلب الناس من الشريف مسلم (أبو جعفر) بن محمد بن عبيد الله الحسينى، مكاتبة جوهر فى «إعادة أمانهم».

ثم يتكلم عن اختطاط جوهر القاهرة واختطاطه القصر[2].

وينقل عنه ما فعله جوهر فى صلاة الجمعة من الدعاء للمعز «وأسلافه الأئمة الراشدين»[3]. وعن صلاة العيد «ولم يصل أهل مصر، وصلوا من الغد فى الجامع العتيق»[4] وعن جلوسه للمظالم، وتوليته على الشرطة السفلى، وعلى الخراج وعلى الضياع والحسبة[5] ومازاده فى الخطبة «ونودى برفع البراطيل، وقائم الشرطتين، وسائر رسوم البلد»[6].

وابن زولاق كان معاصراً لتلك الأحداث التى يرويها وشاهد عيان لها، كما كان فى موضع يسمح له بالإطلاع على بواطن الأمور، وهو يستمد

---

(١) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ١٠٢ – ١٠٧.
(٢) المقريزى، نفس المصدر، ج١، ص ١٠٨ – ١١١.
(٣) المقريزى، نفس المصدر، ج١، ص ١١٤.
(٤) المقريزى، نفس المصدر، ج١، ص ١١٤.
(٥) المقريزى، نفس المصدر، ج١، ص ١١٤.
(٦) المقريزى، نفس المصدر، ج١، ص ١١٧.

رواياته من ثقات الدولة وأكابرها. من ذلك قوله: «سألت أبا جعفر مسلم عند رجوعه (يعنى من عند جوهر) عن مقدار العسكر، فقال: «هو مثل عرفات كثرة وعدة، وسألته عن سن القائد جوهر، فقال لى: «نيف وخمسين سنة»[١].

وفى موضع آخر يقول: «وحدثنى أحمد بن جعفر قال: كان القائم بأمر الله – عليه السلام – يوما فى مجلس أبيه المهدى» ... وبعد أن يورد ابن زولاق هذا الخبر مسندا إلى أحمد بن جعفر يقول: «وزادنى أبو الفضل ريدان – صاحب المظلة – فى هذا الخبر»[٢].

وإذا كان المقريزى يطلق على كتاب ابن زولاق هذا اسم «**اتمام أخبار أمراء مصر للكندي**». وينص على ذلك ابن زولاق فى كتابه عن «محمد بن طغج «الإخشيد» حيث يقول: «وقد كان أبو عمر محمد بن يوسف الكندى عمل أخبار أمراء مصر وختمه بوفاة الإخشيد وذكر له أخبار يسيرة وقد أتممت أنا هذا الكتاب بسيرة أونوجور وأخيه علي وكافور، وأحمد بن على بن الإخشيد، والقائد جوهر إلى أن دخل المعز لدين الله عليه السلام مصر وصارت دار خلافته»[٣]. إلا أن البعض قد أطلق على الجزء الخاص بولاية «جوهر» اسم «**سيرة جوهر**» والمثل لذلك، قول **ابن حجر العسقلاني** فى كتابه «**رفع الأصر عن قضاة مصر**»، عند كلامه عن «أحمد بن قتيبة»، «قال ابن زولاق فى سيرة جوهر» دخل أبو أحمد عبد الواحد بن أحمد بن عبد الله بن قتيبة على جوهر فقال: ... أى شئ يكون المصنف منك قال جدى. قال كم كتبه قال: أحد وعشرون كتابا»[٤].

ويتبعه فى ذلك الداعى **إدريس عماد الدين** (المتوفى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٨٨م) فى كتابه «**عيون الأخبار**» حيث يقول: «وحين وردت وفاة كافور

---

(١) انظر، المقريزى، اتعاظ، ح١، ص ١٠٧.

(٢) المقريزى، نفس المصدر، ح١، ص ١٣٥.

(٣) انظر، ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، ص ١٤٩، س ٥ – ٨.

«وأخبار أمراء مصر» هذا هو الكتاب الذى نشره رفن جست تحت عنوان «كتاب الولاة»؟.

(٤) انظر، ملحق كتاب الكندى، ص ٥٤٧ – ٥٤٨.

إلى الإمام المعز وكتب الأولياء ووجوه أهل مصر، أخذ فى تجهيز العساكر وجمعها، وقدم القائد جوهرا عبده على جميعها، فبرز جوهر إلى رقاده . قال الحسن بن زولاق فى «**سيرة جوهر**» : فخرج جوهر القائد فى أكثر من مائة ألف ...»[1] .

ولابن زولاق مؤلف آخر عن «الفواطم، يعرف بكتاب «**سيرة المعز**» وقف عليها المقريزى بخطة ونقل عنه روايات عديدة فى «اتعاظ الحنفا» وفى «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، وقد ذكر كما يقول ملخص هذه السيرة فيما مر من أخبار المعز[2] .

والمقريزى يقارن ما ورد من أخبار المعز فى كتابه هذا الموسوم «**سيرة المعز**» مع ماورد فى «**الكامل في التاريخ**» لابن الأثير فيقول: «إن ابن زولاق أعرف بأحوال مصر من ابن الأثير خصوصاً المعز[3] ، فإنه كان حاضراً ذلك ومشاهدا له، وممن يدخل إليه ويسلم مع الفقهاء عليه، ويروى فى هذه السيرة أشياء بالمشاهدة، وأشياء حدثه بها ثقات الدولة وأكابرها[4] ، كما هو مذكور فيها، إلا أن ابن الأثير تبع مؤرخى العراق والشام فيما نقلوه، وغير خاف على من تبحر فى علم الأخبار كثرة تحاملهم على الخلفاء الفاطميين وشنيع قولهم فيهم، ومع ذلك فمعرفتهم بأحوال مصر قاصرة عن الرتبة العلية، فكثيرا ما رأيتهم يحكون فى توار يخهم من أخبار مصر ما لا يرتضيه جهابذة العلماء، وتردّه الحذاق العالمون بأخبار مصر، وأهل كل قطر أعرف بأخباره، ومؤرخو مصر أدرى بماجرياته»[5] .

---

(١) انظر، ادريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب «عيون الأخبار»، تحقيق محمد اليعلاوى، طبع دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، طبعة أولى، سنة ١٩٨٥، ص ٦٦٦ .

(٢) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٢٣٢ .

(٣) المقريزى، نفس المصدر، ج١، ص ١٣٨ (عن المعز) «قال: ابن زولاق «أنا سبحت خلفه فى كل ركعة وفى كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة، وكان القاضى النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير ...» .

(٤) وفى موضع آخر يقول: «وحدثنى بعض كتاب بيت ماله قال..» (انظر، ج١، ص ١٤٦) .

(٥) انظر، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٢٣٢ .

هذا وقد احتفظ لنا المقريزى فى كتابه «الخطط» بالعديد من روايات ابن زولاق، من كتاب «**سيرة الإمام المعز لدين الله**»[1] أو «**سيرة المعز لدين الله**»[2]، أو «**سيرة المعز**» كما يسميه[3].

انظر على سبيل المثال حيث يقول: «وقال ابن زولاق فى كتاب «سيرة الإمام المعز لدين الله ومن خطه نقلت وفى هذا الشهر يعنى المحرم من سنة ثلاث وستين وثلثمائة تبسطت المغاربة فى نواحى القرافة ...»[4].

وفى موضع آخر يقول: (ذكر دار الإمارة) «قال: الفقيه الحسن بن إبراهيم بن زولاق فى كتاب «سيرة المعز» ولست بقين من المحرم يعنى من سنة ثلاث وستين وثلثمائة قلد المعز لدين الله الخراج وجميع وجوه الأعمال الحسنة والسواحل والأعشار ... أبا الفرج يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن، وكتب لهما سجلا بذلك قرئ يوم الجمعة على منبر جامع أحمد بن طولون، وجلسا غد هذا اليوم فى دار الامارة، فى جامع أحمد بن طولون، للنداء على الضياع وسائر وجوه الأعمال»[5].

وفى موضع ثالث يقول: «وقال فى كتاب «سيرة المعز لدين الله» وفى مستهل رجب سنة أربع وستين وثلثمائة أصلح جسر الفسطاط ومنع الناس من ركوبه وكان قد أقام سنين معطلا»[6].

ولابن زولاق مؤلفات أخرى ذكرها **ابن خلكان** فى ترجمته له فى كتابه «**وفيات الأعيان**» حيث يقول: «وله كتاب فى **خطط مصر** استقصى فيه، وكتاب «**أخبار قضاة مصر**» جعله ذيلا على كتاب أبى عمر محمد بن يوسف الكندى، الذى ألفه فى أخبار قضاة مصر، وانتهى فيه إلى سنة ست وأربعين

---

(١) انظر، المقريزى، الخطط، طبع بولاق، ح٢، ص ١٣٨.

(٢) المقريزى، نفس المصدر، ص ١٧٠.

(٣) المقريزى، نفس المصدر، ص ٢٦٩.

(٤) انظر، المقريزى، المواعظ والاعتبار، ح٢، ص ١٣٨ (ذكر الخندق).

(٥) انظر، المقريزى، الخطط، ح٢، ص ٢٦٩.

(٦) المقريزى، نفس المصدر، ح٢، ص ١٧٠. (جسرا مصر والجيزة).

ومائتين، وابتدأ فيه ابن زولاق بذكر القاضى بكار بن قتيبة، وختمة بذكر القاضى محمد بن النعمان، وتكلم على أحواله إلى رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة»[1].

هذا وقد شهد **ابن حجر** فى كتابه «**رفع الاصر عن قضاة مصر**» لابن زولاق، بأنه ثقة وصدوق وأمين. ففى ترجمته لابن الحداد يقول: «قال ابن زولاق مات فى صفر سنة ٤٠، وقال ابن خلكان مات فى المحرم سنة ٤٥ «وابن زولاق أعرف به ... وهو تلميذه وبلديه بخلاف ابن خلكان»[2].

وفى موضع آخر يقول ابن حجر فى «رفع الاصر» فى ترجمة (عبد الله بن أحمد بن شعيب) «هكذا قال ابن زولاق وهو المعتمد فى أهل مصر»[3].

وعند ترجمته (الحسن بن عبد الرحمن الجوهرى) يقول: «وقرأت بخط شيخ شيوخنا قطب الدين الحلبى فى تاريخ مصر فى ترجمة الحسن بن عبد الرحمن هذا ما نصه: «فإنه ... أرخ أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال[4] وفاته سنة ٤١٦ كذا قال وأخطأ فى ذلك خطأ فاحشا يقتضى أنه لم يقف على ترجمته فى «أخبار القضاة» لابن زولاق فقد أرّخ مولده ووفاته كما نقلته وبالله التوفيق»[5].

---

(١) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبع بيروت، ح٢، ص ٩١ – ٩٢ (ترجمة رقم ١٦٧).

(٢) انظر، ملحق كتاب القضاة للكندى، ص ٥٥٧.

(٣) الكندى، ملحق كتاب القضاة، ص ٥٦٤.

(٤) وعن أبى اسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبّال، المصرى، الإمام، صاحب التاريخ – (نشره الدكتور صلاح الدين المنجد تحت عنوان «وفيات المصريين فى العهد الفاطمى» انظر، مجلة معهد المخطوطات العربية، ح٢، سنة ١٩٥٦) – ولد سنة ٣٩١هـ ومات سنة ٤٨٢ هـ. انظر، الصفدى، الوافى بالوفيات، تحقيق س. ديد رينغ سنة ١٩٧٠، طبع بمساعدة المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية ببيروت، ح٥، ص ٣٥٥، وقارن، ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٥٠ – ٥١ حيث يذكر وفاته فى سنة ٤٨٣هـ (عصر المستنصر). وقد تبعه فى الأخذ بذلك التاريخ المقريزى فى «اتعاظ الحنفا».
انظر، المقريزى، اتعاظ الحنفا، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد، طبع القاهرة، ١٩٧١، ح٢، ص ٣٢٦ حيث يذكر وفاته فى سادس ذى القعدة، سنة ٤٨٣هـ. (هذا وقد ورد اسمه خطأ «الخيال» وليس «الحبال».

(٥) انظر، ملحق كتاب القضاة للكندى، ص ٥٧١ – ٥٧٢.

وفى موضع آخر يقول فى ترجمته (لمحمد بن عبد الله بن الخصيب) «قلت وقع لابن عساكر فى تاريخه الكبير مع سعة اطلاعه فى ترجمة الخصيب هذا تقصير ... والذى بلغه عن عبد الله بن زولاق فى كونه كان ينوب عن أبيه بمصر صحيح، وما عدا ذلك القول قول ابن زولاق لأنه أعلم بأهل بلده»[1].

وآخر ما نقله ابن حجر عن ابن زولاق ترجمة (محمد بن النعمان بن حيون) يقول: «... قال ابن زولاق: ما شهدنا لقاض من القضاة بمصر ما شاهدناه لمحمد بن النعمان، ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق وكان مع ذلك مستحقا لما هو فيه من العلم والصيانة والتحفظ والهيبة وإقامة الحد»[2].

وكما نستشف من أحد تراجم ابن زولاق، (التى احتفظ لنا بها **ابن حجر** فى كتابه «**رفع الاصر**» أن منهج **ابن زولاق** فى كتاب «**أخبار القضاة**» هو التأليف على حروف المعجم، مثله فى ذلك مثل **ياقوت** فـى «**معجم الأدباء**»، **وابن خلكان** فى «**وفيات الأعيان**»، وابن حجر فى «**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**»[3].

المسبحي:

وبعد ابن زولاق يأتى المسبحى وهو الأمير المختار عز الملك محمد بن أبى القاسم عبيد الله بن أحمد بن اسماعيل بن عبد العزيز المعروف بالمسبحى.

---

(١) ملحق كتاب القضاة للكندى، ص ٥٧٩ – ٥٨١.

(٢) انظر، ملحق كتاب القضاة للكندى، ص ٥٩٤ – ٥٩٥.

(٣) انظر، ترجمة (أحمد بن عبد الله الكشى) حيث يقول: «وكانت فى لسانه عجمة وكان قدومه إلى مصر فى ولاية محمد بن بدر القضاء ... فسعى له عبد الله بن الوليد عند الحسين بن عيسى بن هروان فقلده قضاء الرملة، ثم لما اشتغل الحسين بقضاء مصر أرسله هو وبكران للحكم بمصر تولى هو قضاء مصر مجرّدا كما ذكرنا، وولى بكران النظر فى الأحباس والمظالم وتولية ولاة النواحى ثم صرفا جميعا كما سنذكره فى ترجمة بكران فى حرف العين المهملة لأن اسمه عتيق بن الحسن..». انظر، ملحق كتاب القضاة للكندى، ص ٥٧٢.

ولد كما يقول ابن خلكان فى ترجمته له التى ينقلها عن المسبحى فى «تاريخه الكبير» يوم الأحد عاشر رجب سنة ٣٦٦هـ/ ٢٤ فبراير سنة ٩٣٦م (وهى السنة الأولى من عصر العزيز بالله نزار).

وهو ينتمى إلى أسرة أصلها من حرّان[١] (ببلاد الشام)، ورحل أجداده إلى مصر فى تاريخ لانعرفه وفى مصر ولد.

وهو ينتمى إلى أسرة لها مكانتها فى مجتمع الفسطاط فى ذلك الوقت يستشف ذلك من ترجمة والده عبيد الله بن أحمد الذى ذكر **المسبحي** وفاته فى كتابه «**أخبار مصر**» فى سنة ٤٠٠ هـ/ ١٠١٠م وعن المسبحى، نقل هذه الترجمة **ابن العديم** (توفى سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م ورواها عنه ابن سعيد (يكتب فى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) فى كتابه الموسوم باسم «**المغرب في حلي المغرب**» وفيها يقول: إن والده توفى يوم الأثنين التاسع من شعبان سنة ٤٠٠هـ (١٨ مارس ١٠١٠م).

وكان مما أوصى به الأب ابنه قوله «أقم على قبرى قارئين يقرآن فى كل يوم نصف ختمة، وستكملان خمس عشرة ختمة فى الشهر ... واعمل .. ما وصيتك به لسنة كاملة، فإذا تمت فاصنع ما بدا لك»[٢]. وصلى عليه قاضى القضاة مالك ابن سعيد[٣]. وقد رثاه ابنه وجماعة من شعراء عصره ذكرهم المسبحى فى تاريخه الكبير وذكر مراثيهم[٤].

ويورد **ابن خلكان** فى ترجمته للمسبحى أنه دخل فى خدمة الحاكم فى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة (١٠٠٧ - ١٠٠٨م)، وتقلد القيس والبهنسا من أعمال الصعيد، ثم تقلد ديوان الترتيب[٥].

---

(١) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، ج٤، ص ٣٧٧، ترجمة رقم (٦٥٣).

(٢) انظر، ابن سعيد، المغرب، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

(٣) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ٢٦٥.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص ٣٧٩.

(٥) ابن خلكان، نفس المصدر، ج٤، ص ٣٧٧.

ونستشف أهمية «ديوان الترتيب» الذى كان يتولاه زمن الحاكم، من تلك الرواية التى يوردها المسبحى فى «أخبار مصر»، (فى حوادث شهر رجب سنة ٤١٤هـ (فى عصر الظاهر) وفيها يقول: «... فى يوم الأحد لخمس خلون منه (يعنى شهر رجب) عرضت الحسبة[١] بمصر على العميدى، متولى الترتيب كان – فاستعفى منها وامتنع، وقال كنت بالأمس جليس أمير المؤمنين وصاحب خريطته[٢]، أصير اليوم محتسبا لم أكن لأفعل[٣].

ومتولى الترتيب هذا كما نستبين من رواية **المقريزي** فى «**اتعاظ الحنفا**» «يقال له فى غير هذه الدولة صاحب البريد – فكان يكاتب متولى هذا الديوان بالأخبار بمطالعات تصل له مترجمة بمقام الخليفة فيعرضها من يده ويجاوب عنها بخطة»[٤] .وبحكم تقلده لهذه الخطّة كان يلازم أمير المؤمنين.

ومما احتفظ لنا به المقريزى من نقول عن كتاب المسبحى المفقود – الذى لم يصلنا منه سوى سنة ٤١٤، ٤١٥هـ (الجزء الأربعون) من عصر الظاهر – يتضح لنا المكانة التى حظى بها فى دولة الحاكم.

يقول **المقريزي** فى حوادث سنة ٣٩٦ هـ «**قال المسبحي** : قال لى الحاكم بأمر الله وقد جرى حديث أبى ركوة ما أردت قتله، ولكن جرى فى أمره ما

(١) الجدير بالذكر أن اثنين من كبار مؤرخى مصر فى القرن التاسع الهجرى/ ١٥م، تقلدا خطة الحسبة، أولهما المقريزى، والثانى هو العينى. والمقريزى ولى الحسبة سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م فى سلطنة الناصر فرج بن برقوق، ثم عزل فى شهر ذى الحجة سنة ٨٠١ هـ/ ١٣٩٨م ببدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العينتابى العينى، ثم أعيد مرة ثانية إلى حسبة القاهرة فى ١٨ جمادى الأولى سنة ٨٠٢ هـ/ ١٣٩٩م، وصرف العينتابى (انظر، المقريزى، السلوك، ح٣ قسم ٢، ص ٩٣٠ سنة ٨٠١هـ/ ح٣ قسم ٣، ص ٩٦٩ سنة ٨٠١هـ شهر ذى القعدة، ح٣ قسم ٣، ص ٩٧، سنة ٨٠١هـ، شهر ذى الحجة، ح٣ قسم ٣، ص ٩٩٩، سنة ٨٠٢ هـ (جمادى الأولى).

(٢) المسبحى، أخبار مصر، ص ٣٣.

(٣) المسبحى، نفس المصدر، ص ٣٣.

(٤) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٣، ص ١٩٤، ص ١٩٥ س ١ – ٤ (عند كلامه عن ابنى الأنصارى) عصر الخليفة الظافر بأمر الله.

لم يكن عن اختيارى، فقلت له: يا أمير المؤمنين، ما قصّر عبدك الفضل بن صالح فى خدمته، قال: وأيش تظن أن فضل أخذ؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، هذا قول الناس. فقال والله العظيم ما أفلح فضل فى حركته تلك، ولا أنجح ميزاننا. أنفقنا ألف ألف دينار ذهبا صناعا، وإنما أخذه ملك النوبة وأنفذ به إلىّ. فقلت صدقت يا أمير المؤمنين»[1].

وفى موضع آخر يقول (سنة ٣٩٨هـ) «قال المسبحي: قال لى الحاكم بأمر الله، أحضرت ابن سورين وحلفته على الانجيل أن يكتب سجل صالح بن على ولا يطلع عليه أحدا من ابن جوهر ولا غيره، وقلت له أنك تعرف ما أجازى به من يخالف أمرى فكن منه على يقين. فوالله ما اطلع عليه أحد غيرى وغيره، حتى كان»[2].

ومن خلال الجزء الذى وصلنا من **تاريخ المسبحي** يتضح لنا أنه ظل يتمتع بهذه المكانة لدى الخليفة الظاهر ابن الحاكم بأمر الله (الذى ولى الخلافة منه سنة ٤١١ - ٤٢٧ هـ/ ١٠٢٠ - ١٠٣٥م).

من ذلك قوله: «وفى يوم الأحد لأثنتى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر، جلس أمير المؤمنين للناس فى المجلس الذى يجلس فيه أبوه «قصر الذهب، ودخل الناس إليه من باب العيد، ودخلت فيمن دخل على رسمى، وجلسنا بحضرته - عليه السلام - مع من جرى رسمه بالجلوس ...»[3].

وفى موضع آخر يقول (نفس الشهر) «وفى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه، جلس أمير المؤمنين فى قصر أبيه بباب الذهب، ودخلنا إليه من باب العيد، ... فسلمنا وجلسنا ساعة وانصرفنا»[4].

---

(١) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٦٦ - ٦٧.

(٢) المقريزى، نفس المصدر، ج٢، ص ٧٢.

(٣) انظر، المسبحى، أخبار مصر، ص ٥٨.

(٤) المسبحى، نفس المصدر، ص ٦٠.

ويقول فى شهر رمضان «استهل بيوم الخميس» ففيه ركب مولانا – صلوات الله عليه فى عبيده وعساكره ورجال دولته ... وركب سائر رجال دولته – عليه السلام – خلفه .... وسار إلى أن قرب من مسجد تبر وعاد إلى قصره سالما والحمد لله. ونزلنا ومشينا بين يديه مع كافة الشيوخ إلى أن دخل مسلما محروسا ...»[1].

وفى موضع آخر (نفس الشهر) يقول: «وفى يوم الجمعة لليلتين خلتا من شهر رمضان، ركب مولانا – صلوات الله عليه – إلى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر، وركب بين يديه عبيده وخواص دولته ... فنزل عليه السلام – فصلى بالناس أتم صلاة وأحسنها، وانصرف إلى قصره سالما، والحمد لله، ومشينا بين يديه فى ذهابه وعوده، على رسومنا مع كافة الشيوخ[2].

وفى يوم الجمعة السادس عشر من شهر رمضان – صلى مولانا – صلوات الله عليه فى الجامع الأنور خارج باب الفتوح .... وعاد إلى قصره فى سائر عبيده ورجال دولته، ومشينا بين يديه – صلوات الله عليه – إلى أن دخل من باب الذهب بالسلامة والحمد لله»[3].

وكان المسبحى يقطن الفسطاط – لا القاهرة حاضرة الدولة – وكانت داره بالحمراء[4]، وتعرف بدار البحر على شط النيل، كما يقول فى ترجمته لأم ولده التى احتفظ لنا بها **ابن العديم** ونقلها عنه **ابن سعيد** فى «**المغرب في حلي المغرب**»[5].

والمسبحى كما يقول عنه **ابن خلكان** «كانت فيه فضائل، ولديه معارف، ورزق حظوة فى التصانيف»[6].

(١) المسبحى، أخبار مصر، ص ١٨٠.
(٢) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٨٠.
(٣) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٨٢ – ١٨٣.
(٤) المسبحى، نفس المصدر، ص ٢٣٣ حيث يقول: «الكمارى الفقاعى الذى بجوار دارنا بالحمرا ...».
(٥) ابن سعيد، المغرب، ص ٣٦٥.
(٦) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص ٣٧٧.

وثبت مؤلفات المسبحى الذى يورده ابن العديم وابن خلكان، يشتمل على حوالى ثلاثين مصنفا، ضاعت جميعها، ما عدا الجزء الأربعون من كتابه «أخبار مصر» (وبه أيضا خروم ...).

وأشهر مؤلفاته هو كتاب «**أخبار مصر**» أو «**تاريخه الكبير**» كما يسميه ابن خلكان، ويعنى به «أخبار مصر» كما نستشف من روايته.

أما ابن العديم ففى ثبت مؤلفات المسبحى بذكر «كتاب التاريخ»[١] وكتاب «أخبار مصر» (فى ثلاثة عشر ألف ورقة)[٢].

فهل هما اسمان لكتاب واحد أم كتابان؟؟.

هذا وتوجد فى كتاب «**الأنساب**» **للسمعاني** (توفى سنة ٥٦٧هـ/ ١١٦٦/ ١١٦٧م) رواية يقول فيها: «والمسبحى بضم الميم وفتح السين المهملة وكسر الباء الموحدة وفى آخره حاء مهملة هذه النسبة إلى الجد – وهذه الرواية نقلها ابن خلكان عن السمعانى، والرواية التى وصلتنا فى ابن خلكان، أكثر دقة منها فى كتاب السمعانى بصورته التى وصلتنا – وعرف بها **المسبحي** صاحب «**تاريخ المغاربة ومصر**»[٣].

أغلب الظن أنه أطلق عليه هذه التسمية لأن الكتاب كان يتضمن تاريخ الخلفاء الفواطم الأول فى المغرب، وذكر العلاقات التى كانت تربطهم بعمّالهم الزيريين (بنوزيرى بن مناد الصنهاجى) الصنهاجيين فى افريقية.

أما عنوان الكتاب كما هو مدون – فى الجزء الأربعين – وكما ذكر **ابن خلكان** أيضا فهو «**أخبار مصر وفضائلها وعجائبها وغرائبها وما بها من البقاع والآثار وسير من حلها وحل غيرها من الولاة والأمراء والأئمة الخلفاء آباء أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين**».

هذا وعنوان الكتاب يبين موضوعاته والفترة الزمنية التى يعالجها فهو

---

(١) ابن سعيد، المغرب، ص ٢٦٦.

(٢) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ٢٦٧.

(٣) السمعانى، كتاب الأنساب، نشر مرجليوث، النسخة المصورة بالأوفست، طبع المثنى، بغداد، ص ٥٢٨.

يتناول أخبار مصر فى عصر الولاة والأمراء - ولابأس من الاشارة هنا إلى أن **الكندي** يسمى كتابه «**كتاب الولاة**» أو «**أخبار أمراء مصر**» - الطولونيين والإخشديين، ثم تاريخ الأئمة الخلفاء آباء أمير المؤمنين (الحاكم بأمر الله)، الذى بدأ تأليف الكتاب أغلب الظن، فى عهده. أو بعبارة أخرى يتناول الكتاب تاريخ مصر، منذ أن صارت دار إسلام بعد فتح عمرو بن العاص لها فى خلافة عمر بن الخطاب وحتى عصره.

ويضيف **ابن خلكان** إلى ذلك «والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة، وذكر نيلها، وأحوال من حل بها إلى الوقت الذى كتبنا فيه تعليق هذه الترجمة، وأشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمعدلين والأدباء والمتغزلين وغيرهم»[1].

والجزء الأربعون من «**أخبار مصر**» الذى يتضمن حوادث سنتين فقط من حكم الخليفة الظاهر (سنة ٤١٤ - ٤١٥) - وبه خروم كما سبق القول - يعتبر وثيقة معاصرة للأحداث، وهو عبارة عن «مياومات» كتبها **المسبحي**، شاهد العيان، المعاصر، الذى كان فى موضع يسمح له بالتعرف على بواطن الأمور فى الدولة عن قرب. فوضعه الاجتماعى، والخطط التى تقلدها، وصداقاته بكبار رجال الدولة وأدبائها وكتابها كل هذا ظهر بوضوح فى كتاباته.

وهو لايهتم فقط بالحوادث السياسية، وإنما وجه اهتماما بالغا إلى الحياة الاجتماعية[2]، والاقتصادية[3]، والدينية[4] والثقافية.

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص ٣٧٧.

(٢) والمثل لذلك قوله: «وفى يوم الجمعة سلخ شهر رمضان، حمل السماط على الرسم، والتماثيل والتزايين والقصور من السكر، وشق به البلد، وتولى عمله الشيخ نجيب الدولة أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى، وكان عدد قطعة مائة واثنين وخمسين قطعة من التماثيل، ومن القصور السكر الكبار سبعة قصور، وشق البلد بالخيّال والمجانبة والطبالين من السودان الفرحية، واجتمع الناس لرؤيته» (انظر المسبحى، أخبار مصر، ص ١٨٤ (شهر رمضان).

وفى موضع آخر (فى شهر ذى الحجة) يقول: «وفى يوم الأربعاء حمل السماط المعمول والشرابين والعصور، وشق به الشارع الأعظم، واجتمع الناس فى الشوارع لمشاهدته، فعبر به، وبين يديه المجانبة، وأفراس الخيّال، والسودان الفرحية الطبالون .. والصقالبة، وتولى النفقة عليه الشيخ نجيب الدولة على بن أحمد الجرجرائى، وكان عدد قطعة وتماثيله مائة وسبعة وخمسين قطعة، ومن القصور السكر الكبار سبعة قصور، وكان يوما مشهوداً حسنا من اجتماع الناس فى الأسواق» (انظر، المسبحى، ص ٢٠١).

ويحدثنا عما يفعله الناس فى ليلة الغطاس من «شرى الفواكه والحملان والضأن وغير ذلك .. وأنه (فى هذه السنة وهى سنة ٤١٥هـ) «نودى فى الناس أن لايختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم فى البحر فى الليل» (انظر، المسبحى، ص ١٩٠ (شهر ذو القعدة).

ويحدثنا أيضا عما يقوم به الناس فى يوم غدير خم فيقول: «وفيه جرى الناس على رسومهم بمصر فى يوم غدير خم وتزيوا بأفخر زيهم، وطلع المنشدون إلى القصر المعمور يدعون وينشدون على رسومهم، ولم يجر منهم شئ من سب السلف بمصر، ولاتجمع ولا حال تذم» (انظر، يوم الجمعة الثامن عشر من ذى الحجة، ص ٢٠٥ – ٢٠٦).

(٣) أما اهتمامه بالجوانب الاقتصادية فيتمثل فى قوله عن النيل: «وفى يوم الأحد والأثنين والثلاثاء سلخ جمادى الآخرة، انصرف ماء النيل انصرافا متداركا فاحشا، ولم ترو منه الضياع ولا زكت الأرضين، فكثر ضجيج الناس بمصر واستغاثتهم إلى الله – عز وجل – وخرج أهل البلد من الرجال والأطفال ومعهم المصاحف المنشورة إلى الجبل يستغيثون بالله تعالى – وتعذرت الأخباز فى الأسواق ومنع الازدحام على الغلات، وليس يجسر أحد يزيد على دينار التليس شيئا، فإذا طلب لم يوجد، وابتيع القمح بدينارين سرا، وبيعت حملة الدقيق بدينارين وربع، وبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم وثمن، وبيع التليس بعشرين درهما الحمل (انظر، ص ٣٢، جمادى الآخرة سنة ٤١٤هـ).

وفى (شهر رجب يوم الخميس لتسع خلون منه) يقول ... «اشتد تعذر الأخباز بمصر وكثرت الزحمة فى الدكاكين، وأمر ببله فى الماء فى القصارى، قيل وبيع ثلاثة أرطال بدرهم ..» (ص ٣٥).

وفى (شهر ربيع الأول يقول: «وفى هذا الشهر اشتد غلاء القمح وبيع التليس منه بثلاثة دنانير، والشعير أربع بدينار، والخبز رطلين ونصف بدرهم، ولم يوجد التبن للدواب إلا بدينار للحمل الجملى وقريب منه، وغلا كل شئ من سائر الحبوب وأصناف ما يؤكل ولم ير النيل فيما تقدم فى السنين أقل نقصانا فى هذه السنة، وقى الله تعالى كفاية إن شاء الله» (انظر، ص ٥٤).

ويتكلم المسبحى عن الإجراءات التى اتخذها الخليفة الظاهر للقضاء على تزايد الأسعار وتعذر الأقوات يقول: (شهر ذو القعدة) وفى يوم الأثنين آخر النهار، نزل دواس بن يعقوب من القاهرة ومعه سجل قد كتب بحطيطة جميع المكوس من سواحل مصر عن سائر أصناف الغلات عن أهلها رفقا من أمير المؤمنين – عليه السلام – برعيته، وأن توضع مكوسها عما يرد منها إلى سواحل مصر، وأن يبيع الناس كما يؤثرون بما أطعم الله ورزق بغير تسعير، وقرئ هذا السجل فى شوارع مصر، فأصبحت الأخباز كثيرة متوافرة فترة فى الأسواق، وبيع القمح حساب ثلاثة دنانير غير ربع للتليس، والخبز السميد رطلين بدرهم وربع، والخبز الحوارى رطلين بدرهم، وظهر الخبز والدقيق فى الأسواق.

ويذكر أنه فى يوم الثلاثاء من نفس الشهر «ضرب دواس بن يعقوب المحتسب جماعة من الدقاقين بالدرة ضربا وجيعا، وطاف بهم على الجمال فى شوارع مصر وكان عدتهم اثنين وعشرين رجلا، ... على الرافع فى الأسعار وسواد الأخباز وفساد الدقيق وأخلاطه بالطفل المصحوق، ضربا وجيعا، ثم أعادهم إلى السجن» . (انظر، ص ١٩٦ شهر ذو القعدة).

وهو يتضمن وصفا ينبض بالحياة والحيوية عن المواكب[1]،

(٤) أما الاهتمام بالنواحى الدينية فيتمثل فى قوله: «وجرت الأمور فى هذه الشهور المباركة على ما كان الرسم جرى به من عمارة المساجد والجوامع بالحصر والقناديل والزيت وكثرة الوقيد والعمارة الحسنة» (انظر، ص ١٦٩).

ويقول فى حوادث شهر رجب سنة ٤١٤هـ «وفيه فى يوم الجمعة قرئ فى الأسواق بمصر سجل برفع المناكير وترك التظاهر بشئ منها، وأن لاتخرج النساء من بعد العصر إلى الطرقات بالقرافة، وأن تنزه هذه الأشهر الشراف عن المناكير، وأن لايجتمع الناس كما كانوا يجتمعون بالجيزة ولا بالجزيرة ولا بالقرافة على شئ من المحظورات، وأن يمنع الغناء ظاهراً أو التشهر بشئ منه» (انظر، ص ٣٤).

ويهتم بالكلام عن أمر الحاج (يقول فى أحداث شهر شوال) «وفيه قطع على حاج المغاربة الخارجين فى البر عند تعذر أمر الحج فى هذه السنة ووقوفه، فتقدمت قوافل خرجت لجماعة من المغاربة الواردين من المغرب، والمصامدة، بغير وال عليهم ولا حافظ. فلما جاوزوا بركة الجب قطع عليهم، وأخذت أموالهم، وخرجوا، ورجع من رجع منهم، وهلك من هلك. (انظر، ص ١٨٩).

وفى شهر ذو القعدة يقول: «وفيه سار حاج المغاربة والمصامدة من مصر إلى مكة فى البر بغير أحد من حاج المصريين، والتمس الوفد الوارد من الحجاز إلى مصر من الحسنيين وغيرهم المسير معهم فمنعوا .. فلما تجاوز حاج المغاربة (بركة) الجب خرج عليهم جماعة من القيصرية والعبيد .. فوقف لهم المصامدة وهزموهم ...» (انظر، ص ١٩٤).

وفى يوم السبت لتسع بقين منه، ورد جميع من كان خرج للحج من المغاربة والمصامدة إلى مصر ... واستقبلهم الحاج الذين خرجوا قبلهم فى الدفعة الأولى، وهم جرحوهم عراة، فذكروا لهم ما لقوه من العرب المجمعة من الطماع قبل وصولهم إلى أيلة وأنهم جرحوهم وعروهم .. فعاد جميعهم إلى مصر على أقبح صورة وبطل حجهم وحج غيرهم من مصر فى هذه السنة» (انظر، ص ١٩٥ – ١٩٦).

(١) وهو يتكلم عن مواكب الخليفة فى المناسبات المختلفة من ذلك قوله: «وفى يوم الجمعة لليلتين خلتا من شهر رمضان، ركب مولانا – صلوات الله عليه – إلى صلاة الجمعة فى الجامع الأزهر ..» (انظر، ص ١٨٠ (شهر رمضان).

ويقول أيضا: «وفى يوم الجمعة السادس عشر من شهر رمضان صلى مولانا صلوات الله عليه فى الجامع الأنور خارج باب الفتوح ..» (انظر، ص ١٨٢ – ١٨٣).

وفى شهر شوال يقول: «كان يوم السبت عيد الفطر، وركب مولانا – صلوات الله عليه – فى عساكره ورجال دولته ...» (انظر، ص ١٨٥ – ١٨٦ (شهر شوال)).

وفى شهر ذى الحجة سنة ٥١٤ هـ يقول: «وكان عيد النحر يوم الخميس لعشر خلون من ذى الحجة، فيه ركب مولانا – صلوات الله عليه – إلى ظاهر المصلى من باب الفتوح...» (يتكلم عن صلاته وعوده إلى قصره) (انظر، ص ٢٠١ – ٢٠٢).

ويحدثنا أيضا عن خروج أمير المؤمنين للصيد فيقول: «وفى يوم الجمعة لعشر بقين منه (ذو القعدة) ركب مولانا – صلوات الله عليه – إلى سردوس للصيد ... وعاد إلى قصره بالقاهرة المحروسة سالماً والحمد لله» (انظر، ص ١٩٥).

ويتكلم عن ركوب أمير المؤمنين «إلى نواحى عين شمس فى خاصته وعبيده، يتصيد ويتفرج ...» (انظر، ص ١٩٩ (شهر ذو الحجة لأربع خلون منه). وانظر، ص ٣٣ (موكب ابن دواس بعد أن قلد الحسبة والأسواق والسواحل).

والأعياد[١].

كما يتضمن معلومات خاصة بالنظم والتراتيب الإدارية[٢].

كما اهتم بأخبار الشامات: دمشق وحلب وفلسطين[٣].

ويتضمن كتاب المسبحى أيضا نصوص لثلاث سجلات رسمية صادرة عن أمير المؤمنين الظاهر[٤].

كما اهتم بالكلام عن النيل[٥].

واهتم المسبحى أيضا بالأدب والشعر، **فابن العديم** الذى ينقله **ابن سعيد** فى «**المغرب في حلي المغرب**» يورد له نماذج من شعره فى رثاء والده وفى رثاء أم ولده[٦] وكذلك **ابن خلكان** أورد القصيدة التى رثى بها والده[٧].

والأبيات التى رثى بها أم ولده[٨]. كما أورد له أيضا أبيات من قصيدة أنشدها على البديهة فى أبى محمد عبيد الله بن أبى الجوع الأديب الوراق الكاتب المشهور (مات سنة ٣٩٠ هـ)[٩].

---

(١) المسبحى، أخبار مصر، ص ١٨٨ (عما يفعله الناس فى ليلة الميلاد)، ص ١٩٠ (ليلة الغطاس)، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ (يوم غديرخم).

(٢) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨.

(٣) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ص ١٨٣ - ١٨٤، ص ١٨٧، ١٨٨، ١٩٦، ص ٢٠٤ - ٢٠٥، ص ٢٠٦، ص ٢١٠، ص ٢١١.

(٤) «السجل المنشور» كما يطلق عليه المسبحى أو السجل أو الوثيقة الأولى وجهت من الخليفة إلى «أنصار الدولة وجنودها» ينهى جماعتهم عن قبول منتسب إليهم ... «لا اسم له فى الجرائد ولا رزق له فى العطايا المقررة» (انظر، ص ٢٤).

السجل الثانى إلى نقيب نقباء الطالبيين محمد بن على الحسنى الرسى (انظر، ص ٢٦ - ٢٨).

السجل الثالث خاص بتلقيب القائد أبو الفوارس معضاد الخادم الأسود بالقائد «عز الدولة وسنائها» وكتب فى صفر سنة خمس عشرة وأربع مائة (انظر، ص ٤٥ - ٤٧).

(٥) انظر، المسبحى، أخبار مصر، ص ٣٢، وهامش (٣) ص٥٥، وص ٢٣٦ حيث يقول: «وكان مبلغ قياس النيل القديم فى هذه السنة فى القمر، وبلغ بزيادة الجديد ستة عشر ذراعا وثمان أصابع.

(٦) ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، (الجزء الخاص بمصر)، ص ٢٦٦.

(٧) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص ٣٧٩.

(٨) ابن خلكان، نفس المصدر، ج٤، ص ٣٧٨.

(٩) ابن خلكان، نفس المصدر، ج٤، ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

واهتمامه بالأدب والشعر يظهر واضحاً فى مؤلفه هذا فى قوله لما انتهينا من التاريخ إلى هذا المكان واجتمع عندنا قطعة من أشعار المحدثين فى زماننا، وكانت العادة قد جرت فيما قدمناه من قص التاريخ أن نذكر شعر كل شاعر فى أثر ذكر منيته وبعقب شرح منيته، وخفنا من عوارض الأقدار، وحوادث الليل والنهار، التى تجرى بأحكام باريها ... رأينا أن نورد ها هنا ما يحصل عندنا من أشعار الأحياء من المصريين والباقين فى زماننا من المحدثين ليحتوى كتابنا عليها».

ويحوى هذا الجزء من الكتاب مقطوعات وقصائد لثمانية عشر شاعراً، بعضهم من أصدقائه ومعاصريه، وبعضهم بعث إليه بقصيدة وأجابه هو معلقا. والمثل لذلك الحسن بن أحمد الكاتب المعروف بابن الخياط الذى يصفه بقوله: «صديقنا وعشيرنا الأمير مهذب الدولة ذو البلاغتين فإن له إلىّ مكاتبات ومراسلات نثرا ونظما، كثرت وطالت واتصلت على مر الزمان وقد أثبت منها جملا نكتفى بها فى هذا المكان[1]» يقول: «وكتب إلى أيضا يعاتبنى»[2].

«وأنفذ إلىّ أيضا وقد عوفيت من مرضة لحقتنى»[3].

«وكتب إلىّ أيضا يحثنى على الشرب»[4].

وكتب إلىّ أيضا، وقد رد إلى القسم من ديوان الترتيب[5].

وهذه الرواية هامة فمنها نستبين أن المسبحى صرف عن ديوان الترتيب، ثم عاد إلى القسم منه أى أن هناك من شاركه فى تقلد تلك الخطة. ولكن الحدث للأسف غير مؤرخ.

وقد أجاب المسبحى صديقه هذا وفى ذلك يقول: «وكتبت إليه فى يوم

---

(١) انظر، المسبحى، أخبار مصر، ص ١٠٦.
(٢) المسبحى، نفس المصدر، ص ١١١.
(٣) نفس المصدر والصفحة.
(٤) المسبحى، نفس المصدر، ص ١١٢.
(٥) المسبحى، نفس المصدر، ص ١١٥.

غطاس، وكان لى يومان لم أره فيهما، وكتبت إليه أشكو غرامى بمن أهواه[١].

«وكتب إلىَّ يستهدى سنورا»[٢].

«وكتبت إليه يوما أدعوه على سمك»[٣].

«وكتبت إليه يوما، أعتبه على تأخره عنى عند عودتى من الريف..»[٤].

هذا الشاعر استغرق الكلام عنه وايراد نماذج من شعره والرد عليه «ونثره» (من ص ١٠٦ – ١٢٧).

وأغلب هذه الأشعار التى يوردها لهؤلاء الشعراء فى: المدح[٥] وفى الرثاء[٦]، وفى الغزل[٧]، وفى الأدب[٨]، وفى الفخر[٩]، وفى الخمر، وفى الوصف[١٠].

هذا ومن الأخبار التى ينفرد بذكرها خبر القبض على الشريف الحسنى (بالصعيد الأعلى) وقررَّ «فأقر أنه قتل الحاكم بأمر الله – عليه السلام – فى جملة أربعة أنفس تفرقوا فى البلاد، فمنهم من مضى إلى برقة ومنهم من

---

(١) المسبحى، نفس المصدر، ص ١١٨ – ١١٩.
(٢) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٢١.
(٣) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٢٢.
(٤) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٢٤.
(٥) انظر، أبو الحسين محمد بن عثمان الفصيح، يورد له قصيدة فى مدح «أبى محمد الحسن بن عمار أمين الدولة، (ص ٦٢ – ٦٨)، وأبو الفتح منصور .. المعروف بالبيلى يورد له نص قصيدة يمدح فيها محمد بن النعمان، وأبا محمد عبد الوهاب بن حسن بن الحاجب (انظر، ص ٦٨ – ٧٠)، ص ٩٨، فى المدح أيضا، و ص ١١٤، ص ١٥٧.
(٦) المسبحى، أخبار مصر، ص ١٠٠، ص ١٤٧.
(٧) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٠٢، ١٥٠ – ١٥٥، ١٥٧.
(٨) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٠٣، ص ١٠٥.
(٩) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٠٢.
(١٠) فى الخمر، انظر، ص ٨١، وفى الوصف (ص٧٠، ص ٨٠ – ٨١، ص ١٠٨ – ١١٠ حيث يقول: «قال ابن الخياط يصف الدار التى أملكها وأنا بها ساكن».

مضى إلى العراق، وأنه أظهر ... قطعة من جلد رأسه – عليه السلام – وقطعة من الفوطة التى كانت عليه»[1].

وأيضا ذكر «ما صنعه حسن بن جعفر بمكة من إقامته الدعوة لأمير المؤمنين – عليه السلام – بعرفات وسائر المقامات الشريفة، وتنكيسه رايات خراسان ومنعه لأهلها من الدعوة لصاحبهم»[2].

ومن ذلك قوله أيضا «وورد الخبر فى يوم الجمعة، وهو غديرخم، الثامن عشر من ذى الحجة، بأن الدعوة أقيمت لمولانا – عليه السلام – بالبصرة والكوفة والموصل وأعمال الشرق ... وأن الديلم دعوا لمولانا – صلوات الله عليه – هناكبالكرخ، ودعا الأتراك ببغداد للقادر لاغير. ثم توفى القادر، ونصبوا عوضه الغالب بالله ودعوا له هناك»[3].

ومما يدل على أن كتاب **المسبحي** لم يكن «فى صورته الكاملة يتعرض بصفة أساسية لتاريخ مصر والمملكة الفاطمية منذ بداية حكم العزيز سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٥م) إلى السنة الرابعة من حكم الظاهر وهى سنة ٤١٥ هـ (١٠٢٥م) كما يقول **وليم ج ميلورد**، محقق «**أخبار مصر**»[4]. أن الحافظ **الذهبي** (توفى سنة٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) فى **تاريخ الإسلام**» يذكر فى حوادث سنة ٣٢٩هـ بصدد حديثه عن القاضى (عبد الله بن أحمد بن زبر) – الذى وافى مصر فى المحرم سنة ٣١٧ ... واعتل فى ربيع الأول من سنة ٣٢٩ فمات – «وفيه أيضا أنه قال فيه محمد بن عبيد الله **المسبحي**: كان عارفا بالأخبار والكتب والسفر صنف فى الحديث كتبا وعمل كتاب تشريف الفقر على الغناء»[5].

---

(١) المسبحى، أخبار مصر، ص ٤٨، شهر صفر سنة ٤١٥ هـ.

(٢) المسبحى، نفس المصدر، ص ٤٤، شهر صفر سنة ٤١٥ هـ.

(٣) المسبحى، أخبار مصر، ص ٢٠٥ (ذو الحجة سنة ٤١٥هـ).

(٤) انظر مقدمة المحقق بالانجليزية، ص ١٠، الترجمة العربية، ص ١٠ – ١١.

(٥) انظر، الكندى، ملحق كتاب القضاة، ص ٥٤٣.

والنويرى فى كتابه «**نهاية الأرب في فنون الأدب**» عند كلامه عن وفاة الوزير أبى بكر محمد بن الماذرائى وشئ من أخباره ومآثره يقول: «وفى شوال سنة خمس وأربعين وثلاثمائة مات الوزير أبو بكر محمد بن على بن أحمد بن إبراهيم الماذرائى، وزرلخمارويه بن أحمد ولغيره من أمراء مصر، وقال **المسبحي فى تاريخه** «حبس هذا الوزير على مكة والمدينة ضياعا ارتفاعها نحو مائة ألف دينار فى كل سنة، منها كورة سيوط، ومنها نوير، ومنها بركة الحبش،. وحبس أيضا عليهما بالشام. وقال فى كتب وقفه: من بدلها فرسول الله ﷺ خصمه رحمه الله تعالى»[1].

والمقريزي فى كتابه «**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**» عند (ذكر أعمال الديار المصرية وكورها) يقول: «قال المسبحى فى تاريخه تصير قرى مصر أسفل الأرض ألفا وأربعمائة وتسعا وثلاثين قرية ويكون جميع ذلك بالصعيد وأسفل الأرض ألفين وثلثمائة وخمسا وتسعين قرية»[2].

أما **السخاوي** فى كتابه الموسوم باسم «**الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**» (عند كلامه عن «**التواريخ المحلية**» وما صنف فى ذلك يذكر مصر ثم يعدد المصنفات التى ألفت فى تاريخها فيقول (مصر) لأبى سعيد بن يونس، تاريخها والغرباء أيضا وذيله عليه أبو القسم ابن الطحان ..

و «فتوحها» لابن عبد الحكم.

«والبغية والاغتباط فيمن ولى مصر الفسطاط» لابى اسحق إبراهيم بن إسماعيل بن سعيد الهاشمى الأخبارى.

وصنف أبوعمر الكندى محمد بن يوسف بن يعقوب وأبو محمد الفرغانى.

---

(١) انظر، النويرى، نهاية الأرب، المخطوط، ح٢٦، ورقة ١٨.

(٢) انظر، المقريزى، الخطط، ح١، ص ٧٣.

وأبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق «فضائل مصر وأخبارها»

وسعيد بن عفير وغيرهم «تاريخها». ثم يتبع ذلك بقوله: «**وجمعهم محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحي في تاريخ كبير**»[1].

وهو ما يؤيد ما ذهبنا إليه ابتداء[2].

أما عن منهج المسبحي في الكتابة، فهو طريقة الحوليات أو السنوات ففي عصر كل خليفة يذكر لنا أهم الحوادث التي وقعت في عهده مرتبة على السنين والشهور والأيام.

وفي نهاية كل سنة يتكلم عن «ذكر من مات في هذه السنة ومن قتل من الأولياء والشيوخ والرؤساء والمشهورين والكتاب وغيرهم»[3].

أي أنه يجمع ما بين الاخبار والتراجم، وقد نهج نهجه **المقريزي** في كتابه «**السلوك لمعرفة دول الملوك**».

والمسبحي يتصف بالعلم، والعدالة، والصدق، ثقة مأمون، وكان ورعا تقيا. وهو لايكتفي بإيراد الأحداث كما هي، بل يعلق عليها، ويورد رأيه الشخصي فيها.

من ذلك قوله بعد أن أورد الحوار الذي دار بينه وبين الخليفة الحاكم بأمر الله عن الثائر أبي ركوة، وتقليل الخليفة من دور الفضل بن صالح[4]، يعلق على ذلك بقوله: .. وعلمت أن هذا مما قرّر قائد القواد الحسين بن جوهر في نفسه ليبطل فعل فضل وخدمته فاستقر[5].

(١) السخاوي، الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.
(٢) انظر فيما سبق، ص ٥٤.
(٣) انظر، المسبحي، أخبار مصر، ص ٢١١ - ٢٣٥.
(٤) المسبحي، نفس المصدر، ص ٥٢ - ٥٣.
(٥) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ٦٧.

وفى موضع آخر يقول بعد أن يورد خبر «نهب الجوّالة من العبيد بلدا بالأشمونين بأسره ...وحضر دواس بن يعقوب متولى ديوان العرائف، فشكا ذلك إلى معضاد الخادم الأسود، وذكر نهب البلد، فكان جوابه: متقبل من عبيد مولانا. فلم يحبه خوفا من سطوته»

يقول **المسبحي** «وكان فى هذا الجواب ما فيه من فساد الأحوال وأطماع العبيد فى النهب»[1] .

ويحتفظ لنا بنقول من كتاب المسبحى، من المؤرخين المصريين **ابن ظافر**، فى كتابه «**أخبار الدول المنقطعة**»[2] ، **والنويري** فى «**نهاية الأرب**»[3] ، والمقريزى فى «**الخطط**»[4] «**واتعاظ الحنفا**»[5] ، وابن تغرى

(١) المسبحى، أخبار مصر، ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

(٢) انظر، ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٦٠ حيث يقول: «وكان (مولد الحاكم) بالقاهرة فى يوم الخميس لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وثلثمائة، ذكر ذلك المسبحى» .

(٣) النويرى، نهاية الأرب، المخطوط، ح٢٦، ورقة ٤٨ .

(٤) المقريزى، الخطط، ح١، ص ١٨١ س ١٤ - ٢٥، ح١، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ (ذكر أعياد القبط النصارى بديار مصر)، (الغطاس)، ح١، ص ٤٩٤ - ٤٩٥ (الغطاس)، ح٢، ص ١٤٥ س ٧ - ١٢، ح٢، ص ٢٨٢ س ٤ - ١٧ (جامع راشدة)، ح٢، ص ٢٨٩ س ٨ - ١٣ .

(٥) انظر، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٢، ص ١٣٣ السطور الثلاث الأول، حيث ينقل رواية المسبحى بالنص دون أن يشير إليه وقارن بقية الفقرة فى ص ٢١ - ٢٢ فى المسبحى، والسطور ١، ٢، ٣ من ص ٢٢ ببقية فقرة المقريزى فى الاتعاظ.

س ٢ - ٣ فى المسبحى يقول «وفى يوم الأربعاء غد هذا اليوم، ركب أمير المؤمنين - عليه السلام - إلى نواحى القصور وعاد إلى قصره» .

أما المقريزى فى «اتعاظ الحنفا»، ح٢، ص آخر س ٤، س ٥ فيقول: «وفى غده ركب الظاهر إلى نواحى القصور وعاد» .

المسبحى، ص ٢٢ يقول: «وفى يوم الخميس غده، وصلت نحو المائة رأسا من جهة المعروف بابن البازيار وشهرت» .

وقارن المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٢، ص ١٣٣ حيث يقول: «وفى ثالثه وصلت نحو المائة رأس من جهة ابن البازيار وشهرت» .

نص المسبحى لايوجد به ما حدث فى رابع الشهر وألا سادسه (وهى معلومات توجد فى نص الاتعاظ، المقريزى، ح٢، ص ١٣٣ .

بردى فى «**النجوم الزاهرة**»[1]، والسيوطى فى «**حسن المحاضرة**»[2] وابن اياس فى «**بدائع الزهور في وقائع الدهور**»[3].

- انظر المسبحى، ص ٢٨ - ٢٩، وقارن المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٢، ص ١٣٤ - ١٣٥ (المقريزى يختصر بعض الشئ فيما يتعلق بالخطبتين فى الجامع براشدة).

انظر، المسبحى، شهر جمادى سنة ٤١٤هـ، ص ٢٩، ٣٠، ٣١، وقارن، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٢، ص ١٣٤، الفقرة الثالثة (س ٧ - ١٠). انظر، المسبحى، ص ٣٢، وقارن المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٢، ص ١٣٤ — ١٣٥ (ص ١٣٤ السطرين الأخيرين، والسطور الثلاث الأولى من ص ١٣٥ (نص المسبحى ورد به «وابتيع القمح بدينارين سرا» والأصح ما ورد فى المقريزى «وأبيع سرا التليس القمح بدينارين».

وانظر، المسبحى، ص ٣٣ (شهر رجب سنة ٤١٤هـ)، وقارن، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٢، ص ١٣٥.

انظر، المسبحى، ص ٣٤ (شهر رجب سنة ٤١٤هـ)، وقارن المقريزى، اتعاظ الحنفا، ص ١٣٥، فقرة ٣ حيث نقل المقريزى خبر حظر هذه المناكير بالنص تقريباً.

انظر، المسبحى، ص ٣٧ (شهر رجب) حيث يقول: «وفيه ركب أمير المؤمنين - عليه السلام - إلى نواحى عين شمس، وعليه ثوب نبكى أحمر معلم مذهب دبيقى، وعلى رأسه عمامة شرب نبكى مذهبة، وعاد سالما إلى قصره والحمد لله».

وقارن المقريزى، ح٢، ص ١٣٦ شهر محرم سنة ٤١٥ (الفقرة الثانية) حيث يقول: «... وفيه ركب الظاهر إلى نواحى عين شمس وعليه ثوب بنكى أحمر معلم، وعلى رأسه عمامة شرب بنكى مذهب وعاد» هامش ٢ يقول المحقق: (فى تعريفه بنكى)، (صحتها نبكى كما في نص المسبحى وهى نسبة إلى النبك وهى قرية بين حمص ودمشق كما يعرّفها ياقوت فى معجم البلدان، طبع بيروت، ح٥، ص ٢٥٧).

هذه كلمة انجليزية الأصل تدل على اللون الوردى الخفيف Pink. وهذا تطويع للكلمة الأجنبية بتعريبها إذ لم يجد الكاتب بين يديه الكلمة العربية التى تحقق غرضه. (أقول بالله عليك كيف يفسر المحقق ذلك)؟

(١) انظر، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ح٤، ص ١١٣ (ذكر ولاية العزيز نزار على مصر)، ص ١٢٢ (عن العزيز سنة ٣٦٥هـ ينقل رواية ابن خلكان التى يرجع سندها إلى المسبحى)، ص ١٢٤ سنة ٣٦٥هـ يقول: «وقال المختار المسبحى صاحب التاريخ المشهور: «قال لى الحاكم، وقد جرى ذكر والده العزيز ...»، ص ١٢٥.

(٢) انظر، السيوطى، حسن المحاضرة، ح٢، ص ٢٤٨ (ذكر النيل) حيث يقول: «قال المسبحى فى تاريخ مصر فى بلاد تكنة أمة من السودان أرضهم تنبت الذهب يفترق النيل فيصير نهرين أحدهما أبيض وهو نيل مصر....».

(٣) انظر، ابن اياس، بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١م، ح١ قسم ١، ص ٢٩١ (ذكر خلافة العزيز بالله أبى منصور نزار ابن المعز بالله معد الفاطمى «تعبيدى»).

ومن المشارقة تتفق بعض روايات ابن الأثير فى كتابه «**الكامل في التاريخ**» مع ما ورد فى المسبحى وإن لم يشر إليه[1].

وابن خلكان فى «**وفيات الأعيان**»[2].

ومن المغاربة نقل عنه **ابن سعيد** فى كتابه «**النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة**»[3].

ابن ميسر

وبعد المسبحى نتكلم عن ابن ميسر، وهو محمد بن على بن يوسف بن شاهنشاه بن غسيان بن محمد بن جلب راغب، الشيخ تاج الدين، أبو عبد الله، المعروف بابن ميسر المصرى، ولد فى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وستمائة بمصر، كما يقول **النويري** فى ترجمته له فى كتابه الموسوم باسم «**نهاية الأرب في فنون الأدب**»[4].

أى أنه ولد فى عصر الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر الأيوبى، ولانعرف شيئا عن نشأته، ولا العلوم التى درسها، ولا الخطط التى تقلدها.

وصنف ابن ميسر تاريخا لمصر[5] ذيل به على تاريخ المسبحى كما

---

(١) انظر، ابن الأثير، الكامل، طبع دار الفكر، بيروت، ح٦، ص ١٧٦، سنة ٣٨٦هـ (ذكر وفاة العزيز بالله وولاية ابنه الحاكم وما كان من الحروب إلى أن استقر أمره).

(٢) انظر على سبيل المثال، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، ح٥، «نزار العبيدى، ترجمة رقم (٧٥٩)، ص ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، «القاضى النعمان، ترجمة رقم (٧٦٦)، ص ٤١٥ حيث يقول: «ذكره الأمير المختار المسبحى فى تاريخه فقال: كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل على مالا مزيد عليه، وله عدة تصانيف: منها كتاب «اختلاف أصول المذاهب وغيره».

(٣) انظر، ابن سعيد، ص ٢٢٦، القائد صفى الدولة أبو عبد الله محمد بن وزير الوزراء على بن جعفر بن فلاح الكتامى يقول وهو ممن ذكره المسبحى فى تاريخ مصر فى الفضلاء الموجودين سنة خمس عشرة أربع مائة، ص ٢٥٠ أحمد بن الحسن الكاتب يقول: «أنشد له صاحب الجنان من قصيدة يمدح بها المسبحى صاحب تاريخ مصر، ص ٣٥٠ (الشعراء) ويذكر منهم مبارك بن جعفر بن أبى الكرام أنشد له صاحب الجنان وهو ممن ذكره المسبحى.

(٤) انظر، النويرى، نهاية الأرب، ح٣٠، ص ٣٩١ (سنة سبع وسبعين وستمائة).

(٥) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٩١.

يقول **الصفدي** فى كتابه «**الوافي بالوفيات**»[1] ويتبعه فى ذلك **السخاوي** فى كتابه «**الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**»[2]. وصنف أيضا «**تاريخ القضاة**»[3]، أو «**قضاة مصر**» كما يسميه السخاوى[4].

أما وفاة ابن ميسر فكانت بمصر فى يوم السبت ثانى عشر المحرم سنة ٦٧٧هـ، ودفن بسفح المقطم كما يقول النويرى[5].

هل كان «تاريخ مصر» لابن ميسر ذيلا للمسبحى؟

التساؤل هو هل كان كتاب «تاريخ مصر» لابن ميسر ذيلا للمسبحى كما يقول الصفدى، والسخاوى.

من خلال النقول التى احتفظ لنا بها النويرى (توفى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م)، وابن حجر (توفى سنة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، فى كتابه «**رفع الاصر عن قضاة مصر**»، والسيوطى (توفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) فى كتابه «**حسن المحاضرة**» من «تاريخ مصر» لابن ميسر، يتضح لنا أنه لم يكن ذيلا للمسبحى، وإنما تناول تاريخ مصر أغلب الظن منذ أن فتحها عمرو بن العاص فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

يقول **ابن حجر العسقلاني** فى ترجمة القاضى (إبراهيم بن محمد الكريزى) «قال ابن ميسر فى تاريخه، قدم تكين من العراق لعشر بقين من المحرم منها (أى سنة ٣١٢هـ) فصرف أبا الذكر وولى مكانه أبا محمد الكريزى نيابة عن أبى يحيى بن مكرم»[6].

(١) انظر، الصفدى، كتاب الوافى بالوفيات، ح٤، ص ١٨٨، ترجمة (١٧٢٩).
(٢) السخاوى، الاعلان بالتوبيخ، ص ٢٧٨، (هـ ٨٦، هـ٨٧).
(٣) الصفدى، الوافى بالوفيات، ص ١٨٨.
(٤) السخاوى، الاعلان، ص ٢٠٥.
(٥) النويرى، نهاية الأرب، ح ٣٠، ص ٣٩١.
(٦) انظر، الكندى، ملحق كتاب القضاة، ص ٥٣٤ (عن رفع الاصر، ص ٧ب وكتاب «النجوم الزاهرة بتلخيص أخبار قضاة مصر والقاهرة» لجمال الدين يوسف بن شاهين سبط ابن حجر، الذى فرغ من تأليفه فى سنة ٨٧٧هـ، (ص ٩ب).

وفى ترجمته للقاضى (عبد الله بن أحمد بن زبر) - (مات لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٣٢٩هـ) - «وأنشد أبو هريرة ابن أبى العصام فى وفاة ابن زبر مما ذكره ابن ميسر فى تاريخه

أتانا من دمشق وليس شئ أحب إليه من نـــهى وأمر

فغادره المنون لقى فأضحى حلـــيف صغيرة وأسير قبر

لقد حكم الالاه بغير جـــود وقد وعظ الزمان بنجل زبر»[١].

وفى ترجمة القاضى (عبد الله بن أحمد بن شعيب) يقول: «وأما ابن النجار فقال: ولى قضاء مصر فى خلافة الراضى يوم الأربعاء لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٣٤[٢] وصرف فى شهر رجب سنة ٣٦٠ فى خلافة المطيع ثم ولى قضاء دمشق سنة ٣٤٨ قال: ويقال أنه كان خياطا وكان حائكا...

والذى حكاه عن بداءة أمره وحرفة والده سبقه إليه ابن ميسر فى تاريخه وهو عارف بالمصريين أيضا»[٣].

وفى نفس الترجمة يقول: «وقال ابن ميسر: وكان من جملة من عدّ له ابن وليد فى ولاياته الثلاث أربعين شاهدا وزيادة قال: ولما مات ابن الخصيب سعى ابن وليد فى القضاء وبذل لكافور مالا فقام الناس فى وجهه فرفعوا عليه فعدل عنه إلى أبى طاهر الذهلى.»[٤].

وفى ترجمة الكندى صاحب «كتاب الولاة وكتاب القضاة» (وجد على حاشية على صفحة ١٣٤ من النسخة المحفوظة فى المتحف البريتانى وهى النسخة الأصلية الفريدة من الكتاب) ورد ما يلى:

---

(١) الكندى، ملحق كتاب القضاة، ص ٥٤٣ (عن رفع الاصر ص ٤٩ ب، التلخيص ص ٤٠).

(٢) انظر، ملحق الكندى، ص ٥٦٥ (عن رفع الاصر، ص ٥١ب، والتلخيص، ص ٤١ب.

(٣) انظر، ملحق الكندى، ص ٥٦٥ (عن رفع الأصر، ص ٥١ ب، التلخيص ص ٤١ ب).

(٤) انظر، الكندى، كتاب الولاة، ص ٤ (ترجمة المصنف).

ومولده سنة ٢٨٣ وتوفى فى ٨ رمضان سنة ٣٥٠ رحمة الله عليه. هكذا ذكر ابن ميسر فى تاريخه»[١].

وجاء فى أول صفحة من كتاب «أخبار قضاة مصر» لابى عمر محمد بن يوسف الكندى رواية أبى محمد عبد الرحمن البزار عفى الله عنهما «قال محمد ابن على بن يوسف بن جلب راغب المعروف بابن ميسر فى تاريخه: وفى ليلة العاشر من صفر سنة ست عشرة وأربعمائة توفى بمصر أبو محمد عبد الرحمن بن عمر البزار المعروف بابن النحاس وصلى عليه قاضى القضاة ابن أبى العوام وكان له من العمر يومئذ اثنان وتسعون سنة وشهران. وهو آخر من حدث عن (ابن) أبى مطر. آخر كلام ابن ميسر[٢].

وفى ترجمة القاضى (أحمد بن محمد بن أبى العوام) يقول: .. «ولما مات (مات لعشرين ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٤١٨هـ) - صلى عليه الظاهر ابن الحاكم واخرج ترابا من كمه فأمر أن يوضع فى قبره تحت خده ذكر ذلك ابن ميسر فى تاريخه»[٣].

وكتاب «**تاريخ مصر**» لابن ميسر كما يصفه **السخاوي** كان «فى مجلدين عند المحب بن الأمانة أولهما، وعند البدر الشاذلى ثانيهما»[٤].

واستنادا إلى رواية السخاوى هذه - إن صحت - يمكن القول أن كتاب ابن ميسر، بدأت أحداثه منذ الفتح العربى الإسلامى لمصر سنة ٢٠ هـ. وأنه تناول بايجاز تاريخ مصر فى تلك الفترة منذ الفتح وحتى بداية العصر الفاطمى. وانتهى المجلد الأول بحوليات سنة ٤٣٨هـ (من عصر المستنصر).

وكتاب «**تاريخ مصر**» لابن ميسر الموجود بين أيدينا لم يصلنا فى

---

(١) انظر، الكندى، كتاب أخبار قضاة مصر، ص ٢٩٩.

(٢) انظر، الكندى، الملحق، ص ٦١١ نقلا عن رفع الاصر ص ٤٩ ب والتلخيص ص ٢٢ ب.

(٣) انظر، السخاوى، الاعلان، ص ٢٧٨، هـ ٨٦، هـ ٨٧.

(٤) انظر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٥٧.

صورته الأصلية وإنما هو – كما وجد مكتوبًا فى آخر النسخة روايات منتقاه من الجزء الثانى تم انتقاؤها على يد أحمد بن على المقريزى فى مساء يوم السبت لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثمانمائة»[1].

والجزء الثانى هذا الذى انتقاه المقريزى يبدأ بحوليات سنة ٤٣٩ من خلافة المستنصر (المستنصر ولى الخلافة سنة ٤٢٧ هـ) ويتضمن بقية عصر المستنصر، وعصر المستعلى بالله.

والآمر بأحكام الله (٤٩٥ هـ – ٥٢٤هـ، والحافظ لدين الله (٥٢٤ هـ – ٥٤٤هـ) والظافر بأمر الله (٥٤٤هـ – ٥٤٩هـ)، الفائز بنعمة الله (٥٤٩هـ – ٥٥٣هـ).

أى أنه يتناول زمنيا الحوليات من سنة ٤٣٩ هـ إلى سنة ٥٥٣هـ.

واهتم المقريزى كما سنرى بانتقاء روايات ذات طابع خاص. ونلاحظ أن سنة ٤٤٥هـ لاتوجد، وكذلك سنة ٤٧١هـ لا ذكر لها، وكذلك سقطت الأخبار الخاصة بسنوات ٤٧٣هـ، ٤٧٤هـ، ٤٧٥هـ، ٤٧٦هـ، ٤٨١، وكذلك السنوات من سنة ٥٠٢هـ إلى ٥١٤هـ.

نلاحظ أنه فى سنة ٤٣٩ هـ، اهتم المقريزى بانتقاء روايات خاصة بتولية وزارء (انظر الكتاب، ص ٣ – ص ٦).

سنة ٥٤٠هـ (ص ٦ – ص٩) انتقى أخبار عن أحداث خاصة بدمشق وحمص وحلب، إلى جانب خبر مقتل ابن الانبارى (وهو من خاصة الوزير الجرجرائى) سنة ٤٤١هـ انتقى معلومات خاصة عن القضاة، ومعلومات تتعلق بالنظر فى بعض الدواوين (ص١٠).

سنة ٤٤٣هـ يتكلم عن خلاف المعز بن باديس صاحب افريقية وتسييره

---

(١) انظر، ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٧٦ – ٧٧.

رسولا إلى بغداد ليقيم الدعوة العباسية وقطع مكاتبته عن الدونة بالجملة (ص ١١ – ١٢).

سنة ٥٤٤هـ (ص ١٣) كتبت ببغداد محاضر تتضمن القدح فى نسب الخلفاء الفاطميين.

سنة ٤٥٠هـ (ص١٨) اهتم بأخبار القبض على الوزير اليازورى والكلام عن سيرته، وتكلم عن إقامة الدعوة فى بغداد للمستنصر.

سنة ٤٥١هـ (ص٢٠) تكلم عن مقتل البساسيرى، وقطعت الخطبة من بغداد للمستنصر وأعيدت للقائم «وكانت هذه الحادثة آخر سعادة الدولة المصرية فإن الشام خرج من أيديهم بعدها بقليل ولم يبق لهم سوى مصر».

سنة ٤٥٣هـ (ص ٢٢ – ٢٣) أخبار عن تعاقب وزراء وقضاة.

سنة ٤٥٤هـ (ص ٢٣ – ٢٤) أخبار عن تعاقب وزراء.

ص ٢٤ (سنة ٤٥٤هـ) يورد خبر (ذكر الفتنة الواقعة بديار مصر وخرابها).

فى ص ٢٥ عند كلامه عن الفتنة اهتم بايراد ما يلى: «... ثم بعد ذلك سعى، أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى وهو أول من تولى كتابة السر بديار مصر، الذى كان وزيراً، بجماعة من بين الأتراك والعبيد إلى أن اصلحوا بينهم اصلاحا يسيراً»

سنة ٤٥٤هـ (ص ٢٦) يذكر وفاة القضاعى (المؤرخ) الفقيه الشافعى، وكان يخلف عن القضاة بمصر ..

سنة ٤٥٥ هـ (ص ٢٧ – ٢٨) أخبار تتعلق بالقضاة والوزراء.

سنة ٤٥٦ هـ (ص ٢٨ – ٢٩) أخبار تتعلق بالقضاة والوزراء.

سنة ٤٥٧هـ (ص ٢٩ – ٣٠) أخبار عن الوزراء والقضاة.

سنة ٤٥٨هـ (ص ٣٠ – ٣١) يتكلم عن تولية بدر الجمالى الشام بأسره، ثم أخبار عن قضاة ووزراء.

سنة ٤٥٩هـ (ص ٣١ – ٣٢) يتكلم عن حركة الأتراك والعبيد وأخبار عن الوزراء والقضاة.

سنة ٤٦٠هـ (ص ٣٢ – ٣٣) يتكلم عن قوة شوكة الأتراك والحرب بينهم وبين العبيد. ص ٣٣ أخبار وزراء وقضاة.

سنة ٤٦١ هـ (ص ٣٣ – ٣٥) فيها الكلام عن ناصر الدولة والأتراك، وأخبار عن الوزراء والقضاة، وعن اشتداد الغلاء بمصر.

سنة ٤٦٢هـ (ص ٣٥) اهتم بايراد خبر ارسال ناصر الدولة الفقيه محمد بن أحمد النجارى رسولا إلى السلطان ألب أرسلان يسأله أن يسير إليه عسكرا ليقيم الدعوة العباسية وتكون مصر له. وعن قطع الدعوة المصرية من حلب.

ص ٣٦ يتكلم عن تزايد نفوذ ناصر الدولة «وخطب للخليفة العباسى القائم»

سنة ٤٦٦هـ (ص ٣٩ – ٤٠) يذكر فيها قدوم بدر الجمالى إلى مصر.

سنة ٤٦٨هـ (ص٤٢) يقول: «فيها خطب للمستنصر بمكة والمدينة وكانت الخطبة قد انقطعت بها خمس سنين».

سنة ٤٧٨هـ (ص ٤٧) لايهتم فى هذه السنة إلا بايراد خبر يقول: «فيها توفى أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى وكان قد ولى الوزارة بمصر، وتقدم ذلك».

سنة ٤٨٣هـ (ص ٥٠ – ٥١) الخبر الوحيد الذى يذكره هو وفاة الحافظ أبو اسحاق إبراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبّال المصرى الإمام «صاحب التاريخ».

سنة ٤٨٧هـ (ص ٥٢ – ٥٤) يتكلم عن وفاة الوزير بدر الجمالى. (ص ٥٤ – ٥٥) يتكلم عن وفاة المستنصر ويقول: «ووزر له أربعة وعشرون وزيراً ثم يعدّدهم. ثم يتكلم عن قضاته.

سنة ٤٨٨ هـ (ص ٦٣) يتكلم عن خلافة المستعلى.

سنة ٥٠٠هـ فى خلافة الآمر (ص٧٧) يقول: «وانهت زيادة النيل إلى سبعة عشر ذراعا وأربعة أصابع. وهى المرة الأولى التى نجد فيها ذكر لزيادة النيل.

سنة ٥١٧هـ (ص) يتكلم عن وصول رسول الأمير حسن بن على بن يحيى ابن تميم بن معز بن باديس، صاحب المهدية.

سنة ٥١٧ هـ (ص ٩٤) يتكلم عن توجه هلال الدولة سوار رسولا إلى حرة اليمن وكتب إليها كتابا يورد نص ما ورد فى أوله وآخره.

سنة ٥٢٩هـ (عصر الحافظ لدين الله) ص ١٢٢ يتكلم عن استوزار الحافظ بهرام الأرمنى النصرانى.

سنة ٥٣١هـ (ص ١٢٤ – ١٢٦) يتكلم عن خروج بهرام من الوزارة واستقرار رضوان بن الولخشى.

(ص١٢٦ – ١٢٧) يتكلم عن صرف أبو عبد الله محمد بن ميسر من القضاء.

سنة ٥٣٣هـ (ص ١٣٠ – ١٣١) يهتم بايراد أخبار تولية قضاة.

سنة ٥٤٤هـ (ص ١٤٠) يتكلم عن موت الحافظ لدين الله.

ص ١٤١ يتكلم عن خلافة (الظافر بأمر الله) ويذكر أنه استوزر الأمير نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال.

ص ١٤٢ ثار عليه على بن السلار والى الإسكندرية .. خلع عليه خلع الوزارة ولقب بالعادل.

سنة ٥٤٨ هـ (ص ١٤٦) يذكر قتل على بن السلار، قتله ربيبه عباس.

سنة ٥٤٩هـ (ص١٤٧) يورد خبر قتل نصر بن عباس (الوزير) للخليفة الظافر، ومبايعته (عباس) الفائز.

ص ١٤٩ – ١٥١ (الفائز بنصر الله).

يتكلم عن فرار عباس الوزير وأسامة بن منقذ ودخول طلائع القاهرة، وخلع عليه، وقرئ سجله بالوزارة ونعت «بالملك الصالح».

سنة ٥٤٩هـ (ص١٥٢) يتكلم عن صرف قاضى القضاة مجلى بن جميع الفقيه الشافعى.

ص ١٥٣ (نفس السنة) يذكر موت القاضى المرتضى المعروف بالمحنك صاحب «تاريخ خلفاء مصر».

سنة ٥٥٠هـ (ص١٥٣) يتكلم عن مسير الأسطول لميناء صور فملكها ... وعاد وقد ظفر بمراكب حجاج النصارى.

سنة ٥٥٢هـ (ص ١٥٥) من بين الأخبار التى اهتم بايرادها قوله: «فيها كان انفساخ الهدنة بين الفرنج والصالح».

هذا وينفرد ابن ميسر بايراده فى سنة ٥٢٤ هـ خبر مولد ولد للآمر، فى ربيع الأول، فسماه أبا القاسم الطيب، وجعله ولى عهده ... (انظر، ص ١٠٩).

وينفرد بقوله أيضا (سنة ٥٢٨هـ) «... أن الآمر ظهر له ولد يسمى قفيفة كان عند ابن الجوهرى (الواعظ) (انظر، ص ١٢٠)

تأريخ تصنيف ابن ميسر كتابه:

ويوجد فى ثنايا كتاب ابن ميسر الذى بين أيدينا إشارات إلى عصره يمكن من خلالها أن نستبين التاريخ الذى صنف فيه ابن ميسر كتابه وهو عصر السلطان الظاهر بيبرس.

من ذلك قوله فى حوادث سنة ٥٠٠ هـ «بنى الأفضل دار الملك ... وصارت هذه الدار دار متجر فى أيام الكامل محمد، ثم عملت دار وكالة فى أيام الظاهر بيبرس»[١].

وفى حوادث سنة ٥٠١ هـ يقول: «فيها جدد الأفضل ديوان التحقيق، ... ولم يزل هذا الديوان حتى زالت الدولة ... إلا أنه تجدد فى أيام المعز أيبك، أن صفى الدين عبد الله بن على بن المغربى استخدم مستوفيا على مقابلة الدواوين وهو نوع منه»[٢].

وفى أحداث سنة ٥١٨ هـ وعند كلامه عن وفاة الحسن بن صباح[٣]، رئيس الاسماعيلية ... يقول: «ثم امتدت مملكته بعد وفاته، فصار لهم عدة بلاد ومملكة طويلة إلى حد شرقى آذربيجان ... وبقى بأيديهم إلى آخر سنة اثنين وستين وستمائة بالشام ثمان قلاع على جبل عاملة ... وكان رئيسهم فى سنة ست وخمسين وستمائة رضى الدين أبو المعالى، وقدم إلى مصر رسولا منهم قبل أن يرأس عليهم فى شوال سنة خمس وستين ..»[٤].

وبناء على ذلك يكون ابن ميسر قد صنف كتابه فى سنة ٦٦٥هـ أو بعدها، فى عصر السلطان الظاهر بيبرس. هذا ولانجد أية إشارة فى المصادر

---

(١) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٧٧ - ٧٨.
(٢) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ٩٧ (سنة ٥١٨هـ).
(٣) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ١٠٢.
(٤) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ٦٩.

التى نقلت عن ابن ميسر إلى أحداث خاصة بتاريخ مصر فيما بعد دولة الفاطميين.

أما منهجه فى الكتابة كما يبدو من خلال هذا (المنتقى) فهو طريقة الحوليات، أو السنوات، ففى كل سنة يذكر أهم الأحداث التى جرت فيها.

وهو يؤخر كلامه عن بعض الأحداث ولايوردها فى السنة التى حدثت فيها من ذلك خبر المجلس الذى عمل فى عصر الآمر وعقد فى شوال سنة ست عشرة وخمسمائة، وحضرته أخت نزار، ودعاة الاسماعيلية ...»[1].

ابن ميسر يذكر أخبار هذا المجلس فى حوادث سنة ٥١٨هـ وفى ذلك يقول: «وإنما ذكر هذا المجلس هنا ليصير الكلام منسجما بعضه على بعض»[2].

أما المقريزى فى «اتعاظ الحنفا» فقد ذكر خبر هذا المجلس فى حوادث سنة ٥١٦هـ وهو ينقل من ابن ميسر كما ينص على ذلك[3].

ومما لاحظناه قوله فى «سنة خمسمائة» (فى عصر الخليفة الآمر بأحكام الله). وهى السنة الوحيدة فى هذا «المنتقى» التى يبدأ استهلالها على هذا النمط.

يقول ابن ميسر: «أهلت والخليفة ببغداد المستظهر بالله. ومدبر العراق السلطان غياث الدين محمد بن ملك شاه. والخليفة بمصر الآمر بأحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى وهو العاشر منهم. ومدبر مملكته القائم مقام السلطنة أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى، والآمر ليس له

(١) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ١٠٢.
(٢) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ٨٦ - ٨٧.
(٣) انظر، ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٧٦.

حل ولا ربط سوى اسم الخلافة، وهو مقام الوزير»[1].

استهلاله السنة بهذا الشكل يجعلنا نقول أنه كان يعالج تاريخ مصر فى إطار التاريخ الإسلامى العام.

وابن ميسر، كما سبق القول، كتب مؤلفه هذا (الذى تناول فيه تاريخ الدولة الفاطمية) فى عصر الظاهر بيبرس، أى أنه شاهد قيام الخلافة العباسية فى القاهرة سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م[2]، وهو حدث له مغزاه التاريخى.

هذا وإذا رجعنا إلى مؤرخ معاصر للأحداث كابن زولاق صاحب «سيرة المعز» الذى ينقله المقريزى فى كتابه «اتعاظ الحنفا» نجده يستهل السنة على هذا النسق فيقول: «ثم دخلت سنة أربع وستين وثلاثمائة».

والخليفة أمير المؤمنين المعز لدين الله معد

والخراج ووجوه الأموال إلى يعقوب بن كلس بن عسلوج

والقاضى أبو طاهر محمد بن أحمد

ثم يذكر صاحب الشرطة السفلى، والشرطة العليا، وصاحب المظلة، والطبيب، وصاحب بيت المال، وإمام الخمس والمحتسب[3].

وفى السنة التى تليها يقول: «ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمائة والأمر على حاله. إلا أن القضاء بيد أبى طاهر محمد بن أحمد، واشترك معه

---

(١) انظر، النويرى، نهاية الأرب، ج٣٠، ص ٢٨ - ٢٩ وما بعدها، المقريزى، السلوك، ج١ قسم١، ص ٤١ حيث يقول: «وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة فأقيم فى تلك السنة خليفة بمصر قدم إليها من بغداد، لقب بالمستنصر بالله أحمد بن الظاهر بن الناصر ... فصار من بعده ملوك مصر الأتراك يقيمون رجلا يسمونه الخليفة ويلقبونه بلقب الخلفاء، وليس له أمر ولانهى ... بل يتردد إلى أبواب الأمراء وأعيان الكتاب والقضاة، ليهنئهم بالأعياد والشهور .. وانظر، الجزء الأول - القسم الثانى، ص ٤٤٨ - ٤٥١ سنة تسع وخمسين وستمائة، شهر جمادى الأولى.

(٢) انظر، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٢١٦.

(٣) المقريزى، نفس المصدر، ص ٢٢٥.

القاضى على بن محمد بن النعمان»[1].

ويعتبر كتاب «**تاريخ مصر**» لابن ميسر من أهم المصادر التى أرخت لتاريخ مصر فى العصر الفاطمى.

وفى ذلك يقول المرحوم الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال، فى مقدمة تحقيقه للجزء الأول من كتاب «**اتعاظ الحنفا**» للمقريزى، «ويعنينى أن أشير هنا إلى أهمية كتاب «**تاريخ مصر**» لابن ميسر لأننى اعتبرته عند تحقيق هذا الجزء - وسأعتبره عند تحقيق بقية الأجزاء - نسخة ثالثة للكتاب»[2].

ويقول أيضا: «وقد تبين لى بمقارنة هذا الجزء بمخطوطة «**اتعاظ الحنفا**» الكاملة هذه التى ننشرها اليوم الأول مرة، أن **المقريزي** اعتمد اعتمادا كبيرا على **ابن ميسر** عند التأريخ للفاطميين، لهذا استطيع أن أقول أن المخطوطة التى كتبها المقريزى بخط يده كانت تحت يده عند تأليف كتابه «**اتعاظ الحنفا**» ولهذا قلت أننى اعتبرتها نسخة ثالثة عند إعداد الكتاب للنشر»[3].

أقول ليس «**المنتقي من تاريخ مصر**» هو الذى رجع إليه المقريزى فى «**اتعاظ الحنفا**» وأغلب الظن أن الكتاب بأكمله كان فى متناول يديه أثناء تصنيفه «**للاتعاظ**»، لأنه بمقارنة ما ورد فى بعض السنين فى «**المنتقي من أخبار مصر**» لابن ميسر، بما ورد فى نفس السنوات فى «**اتعاظ الحنفا**»، نجد أن هناك أخبار فى «**الاتعاظ**» لاتوجد فى «**المنتقي من أخبار مصر**».

ويؤيد ما نقول أن **المقريزي** فى «**اتعاظ الحنفا**» (حوادث سنة ٥١٥هـ) يورد نسخة «السجل» الذى أمر الآمر بكتابته ... بتعزية الكافة فى الأفضل

---

(١) المقريزى، نفس المصدر، ح١، ص ٣٤ (مقدمة المحقق).

(٢) المقريزى، نفس المصدر، ح١، ص ٣٥ (مقدمة المحقق).

(٣) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٢، ص ٦٨ - ٦٩.

والثناء عليه وعلى خصائصه...»[1].

ثم أمر بإنشاء «منشور» يتلى ... خاص «بامضاء ما كان السيد الأجل الأفضل قرره، وخرجت به توقيعاته ... عليها علامته في الأحكام والأموال ... وليجلّد (لعل صحتها يخلّد) هذا المنشور في ديوان التحقيق والمجلس بعد ثبوته في جميع الدواوين، وليصدر الاعلان به إلى كافة الجهات ..

وبعد أن يورد المقريزى، نص السجل والمنشور يقول: «ذكر هذا جمال الملك موسى بن المأمون في تاريخه وقال ابن ميسر»[2].

ونص هذا السجل وأيضا المنشور لا وجود لهما في «**المنتقى من أخبار مصر**» الذى بين أيدينا؟؟.

وأغلب الظن أن المقريزى، استفاد من «**المنتقى من أخبار مصر**»، في تصنيف مؤلفات أخرى له غير «**اتعاظ الحنفا**» لأنه يوجد في آخر «**المنتقى**» وهو الجزء الثاني من كتاب «**تاريخ مصر**» لابن ميسر، التاريخ الذى أتم فيه المقريزى انتخابه لتلك الروايات - كما سبق القول - وهو «مساء السبت لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع عشر وثمانمائة».

ومما يؤيد ما نذهب إليه أن محقق «الجزء الأربعين» من «**أخبار مصر للمسبحي** عند وصفه المخطوط يقول: «استفاد منه ... أحمد بن على المقريزى في سنة ٨٠١هـ»[3].

والمسبحي كما نعرف، أهم مصادر المقريزى فيما يتعلق بخلافة العزيز بالله، ينقل عنه في «**الاتعاظ**» روايات ترجع إلى سنة ٣٦٨هـ[4]، والحاكم

---

(١) المقريزى، نفس المصدر، ج٣، ص ٦٩ س ٢١ - ٢٢.
(٢) انظر، المسبحى، أخبار مصر، ص ١١.
(٣) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٢٤٤ سنة ٣٦٨ هـ.
(٤) المقريزى، نفس المصدر، ج٢، ص ٦٠، ص ٦٦ - ٦٧، ص ٧٢. وانظر فيما سبق، ص ٦٠ هـ(٣).

بأمر الله، وجزء من خلافة الظاهر[١].

والمقريزى ينص على النقل عنه أحيانا، وينقل عنه ويغفل الإشارة إليه فى كثير من الأحيان[٢].

وأغلب الظن أن المقريزى انتهى من تأليف «**اتعاظ الحنفا**» قبل سنة ٨١٤هـ لأنه أشار إليه فى مقدمة كتابه «**السلوك**»[٣] وأشار إلى «**السلوك**» فى «**المواعظ والاعتبار**»[٤] و«**المواعظ**» كما نستشف من بعض روايات المقريزى بدأ تأليفه فى عصر السلطان المؤيد شيخ[٥].

وهو يشير إلى ذلك بقوله: «.. والأمر على ذلك إلى وقتنا هذا وهو سنة ثمان عشر وثمانمائة[٦]، واستمر حتى سنة ٨٤٣هـ[٧].

---

(١) المقريزى، نفس المصدر، ص ٦٦ هـ(٣).

(٢) انظر، المقريزى، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول - القسم الأول، ص ٢٨ حيث يقول: «أما بعد، فإنه لما يسر الله وله الحمد باكمال كتاب «عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط»، وكتاب «اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء» وهم يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء...».

(٣) انظر، المقريزى، الخطط، ح٢، ص ٣٢، حيث يقول: «وستقف إن شاء الله تعالى على ذكر من ملك من الأكراد والأتراك والجراكسة وتعرف أخبارهم على ما شرطنا من الاختصار إذ وضعت لبسط ذلك كتابا سميته كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك».

(٤) انظر، المقريزى، الخطط، ح١، ص ٩٥ حيث يقول: «والمماليك السلطانية ثلاثة أقسام ظاهرية وناصرية ومؤيدية ... وأن خوفى ليكثر أن يكون الحال بعد الملك المؤيد أبى النصر شيخ خلّد الله ملكه يتلاشى..». (السلطان المؤيد .. أحد مماليك الظاهر برقوق ولى فى يوم الأثنين أول شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة ..).

(٥) انظر، المقريزى، الخطط، ح١، ص ٢٢٧.

(٦) انظر، المقريزى، الخطط، ح٢، ص ٣١٣ س ٥ - ٦ حيث يقول عن (جامع قيدان) «ثم وسع فيه الشيخ أحمد بن محمد الأنصارى العقاد الشهير بالأزرارى ومات فى ثانى عشر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة».

وانظر، ح٢، ص ٣٣١ س١٩ - ٢١ (عند كلامه عن الجامع الباسطى) يقول: «وتجدد فى آخر سويقة أمير الجيوش بالقاهرة جامع أنشأه الفقير المعتقد محمد العمرى وأقيمت به الجمعة فى يوم الجمعة رابع ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة قبل أن يكمل».

(٧) انظر، المقريزى، الخطط، ح١، ص ٤٤٣.

والمقريزى فى كتابه « **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** » ،يقول بعد انتهاء كلامه عن الوزير المأمون بن البطائحى ،وقد استقصيت سير الوزراء فى كتابى الذى سميته « **تلقيح العقول والآراء في تنقيح أخبار الجلة الوزراء** » فانظره .

كلمة فانظره هذه تعنى أنه فرغ من تأليف كتابه هذا؟

وكان المقريزى بصدد الشروع فى تصنيف كتاب آخر عن كتاب الإنشاء نستبين ذلك من قوله على هامش ترجمة «ابن سورين» التى أوردها ابن سعيد المغربى فى كتابه الموسوم باسم « **النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة** » وهو القسم الخاص بالقاهرة من كتاب « **المغرب في حلي المغرب** » ،عفا الله عنك – مؤلف هذا الكتاب – ابن سورين هذا شهر ذكره ، خطير . وعهدى بك تنقل عن **المسبحي** وهو قد ذكر ابن سورين فى عدة مواضع من **كتابه الكبير في أخبار مصر**، وأورد جملة كثيرة من انشائه ... وقد ذكرته فيما أنا جامعه من **التعريف بمن ولي وظيفة الانشاء وكتابة السجلات في مصر** إن شاء الله – يسر الله فى اتمامه وأعان على تبييضه وكتبه أحمد بن على المقريزى لطف الله له ...»[1] .

أقول أغلب الظن أن المقريزى استفاد من « **المنتقي من أخبار مصر** » عند تأليفه هذين الكتابين .

---

(١) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، تحقيق حسين نصار، طبع دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠ ، ص ٤٩ (هـ٢) .

ملاحظات علي الكتاب ومصادره:

ابن ميسر مؤرخ فاضل ثقة يتصف بالأمانة والنزاهة والعدالة، والورع والتقوى.

إلا أنه فى بعض الأحيان يغيب عنه أشياء فهو يورد رواية، ثم يورد رواية أخرى بعدها تتنافى معها، ولايذكر الصحيح منهما. المثل لذلك قوله عن الراهب فى حوادث سنة ٥٢٠هـ «وفى شوال كان بدء أمر الراهب بمصر فى مصادرات الناس»[١] . وفى موضع آخر يقول سنة ٥٢٣هـ «وكان ابتداء أمره أنه كان يخدم ولى الدولة أبا البركات يحنا بن أبى الليث، ثم اتصل بالآمر بعد قتل المأمون، وبذل له فى مصادرة قوم من النصارى مائة ألف دينار، فأطلق يده فيهم»[٢].

قتل المأمون، وصلبه مع أخوته، كان فى سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة[٣] والصحيح هو ما أورده **ابن ظافر** (توفى سنة ٦١٣ هـ/ ١٢١٦م) صاحب كتاب «**أخبار الدول المنقطعة**»، الذى يرجع إليه الفضل فى أنه احتفظ لنا بروايات من كتاب «**تاريخ خلفاء مصر**» **للمرتضي المحنك**، المؤرخ الثقة شاهد العيان المعاصر للأحداث (توفى سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م) وهو فى ذلك يقول: «ثم أظهر فى مدة القبض على المأمون، المصادرات على يد الراهب المسمى بأى نجاح بن قنا، فلم يبق أحد إلا وناله بمكروه من ضرب ونهب وأخذ مال، ثم اتصل بالآمر وبذل له فى مصادرة قوم من النصارى مائة ألف دينار فأطلق يده فيهم ...»[٤].

وهو فى بعض الأحيان لايكتفى بايراد الروايات كما هى وإنما يرجح رواية على الأخرى من ذلك ما قاله عن بهرام الأرمنى النصرانى. فهو يورد روايتين

---

(١) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٠٥.

(٢) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ١٠٨.

(٣) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ١٠٣.

(٤) انظر، ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٨٨.

إحداهما تقول: إن سبب وصول بهرام القاهرة هو أنه غضب لتفضيل الأرمن غيره وتوليته أمرهم فى تل باشر.

والأخرى تقول أنه «ترقى فى الخدم حتى ولى ولاية المحلة»، وأنه سار منها حتى وصل القاهرة «وحاصرها يوما واحدا ودخلها فقرر فى الوزارة» ويردف روايته هذه بقوله: «وهو الصحيح»[1].

المصادر التي نص ابن ميسر علي النقل عنها

معجم السلفى، كتاب «**البستان بحوادث الزمان**»، و«**الكامل في التاريخ**» لابن الأثير.

معجم السفر للسلفي:

أشار ابن ميسر إلى السلفى فى سنة ٥٢٨هـ عند كلامه عن وفاة القاضى المكين أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد، قاضى الاسكندرية بثغر رشيد ... بقوله «وذكره السلفى وأثنى عليه»[2].

والسلفى هو الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن سلفه الأصبهانى الملقب صدر الدين كما يقول **ابن خلكان** فى ترجمته له فى كتاب «**وفيات الأعيان**»[3]. ونسبته إلى جده إبراهيم سلفه - بكسر السين المهملة وفتح اللام والفاء وفى آخره الهاء. وهو لفظ عجمى، ومعناه بالعربى ثلاث شفاه، لأن شفته الواحدة كانت مشقوقة، فصارت مثل شفتين غير الأخرى الأصلية، وأصله سلبه بالباء فابدلت بالفاء[4].

---

(١) انظر، ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٢٣.

(٢) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ١٢٠.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص ١٠٥ ترجمة (٤٤).

(٤) نفس المصدر، ص ١٠٧، الصفدى، الوافى بالوفيات، تحقيق احسان عباس، طبع ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، الطبعة الثانية، ج٧، ص ٣٥١ - ٣٥٢ ترجمة (٣٣٤٤).

ولد بأصبهان سنة ٤٨٧هـ «بالتخمين لا باليقين» كما يقول تلميذه جمال الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن أبى الفضل عبد المجيد بن اسماعيل بن حفص الصفراوى الاسكندرى، والرواية (عن مولده) مسنده إلى السلفى[١]. ويرجح **ابن خلكان** رواية الصفراوى بقوله: «وليس الصفراوى ممن يشك فى قوله ولايرتاب فى صحته»[٢].

وسمع ببلده القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفى ومكى بن منصور الكرخى وخلقا كثيرا كما يقول **الصفدي** فى ترجمته له فى كتابه «**الوافي بالوفيات**»[٣]. ورحل فى طلب الحديث، ولقى أعيان المشايخ[٤].

ورحل إلى بغداد فى شبابه ودرس على الكيا أبى الحسن على الهراسى فى الفقه، وعلى الخطيب أبى زكريا يحيى بن على التبريزى اللغوى، اللغة، وروى عن أبى محمد جعفر السراج وغيره، وسافر للحجاز، وسمع بمكة والمدينة، والكوفة وواسط والبصرة وخوزستان ونهاوند وهمدان والرى وقزوين وزنجان. ودخل بلاد آذربيجان إلى أن وصل الدربند «وكتب بهذه البلاد عن شيوخها» كما يقول الصفدى[٥] وعاد إلى الجزيرة، وسمع بخلاط ونصيبين والرحبة ودمشق، ورحل إلى صور[٦] ودخل ثغر الاسكندرية سنة ٥١١هـ «وأقام به وقصده الناس من الأماكن البعيدة، وسمعوا عليه وانتفعوا به»[٧] وفى ذلك يقول **السخاوي** فى «**الاعلان بالتوبيخ**» (عن الاسكندرية) «ومازال بها الحديث قليلا حتى سكنها السلفى، فصارت مرحولا إليها فى الحديث والقراءات»[٨].

---

(١) انظر، ابن خلكان، وفيات، ح١، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) ابن خلكان، وفيات، ح١، ص ١٠٧.

(٣) انظر، الصفدى، الوافى بالوفيات، ص٣٥٢.

(٤) انظر، ابن خلكان، وفيات، ح١، ص ١٠٥.

(٥) انظر، الصفدى، الوافى بالوفيات، ح٧، ص ٣٥٢.

(٦) الصفدى، نفس المصدر والصفحة.

(٧) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح١، ص ١٠٥.

(٨) السخاوى، الاعلان بالتوبيخ، ص ٢٩٤.

وانتهى إليه علو الاسناد وروى عنه الحفاظ فى حياته وكان أوحد زمانه فى علم الحديث وأعلمهم بقوانين الرواية كما يقول السيوطي فى كتابه «**حسن المحاضرة**»[1].

وبنى له الوزير العادل ابن السلار (وزير الخليفة الظافر بأعداء الله) مدرسة بالاسكندرية تعرف بالعادلية[2] فى سنة ست وأربعين وخمسمائة[3].

وللسلفى العديد من المؤلفات منها «معجم شيوخه».

و «**معجم السفر**» وقد ترجم السلفى فى معجمه هذا لمن التقى بهم وأخذ العلم عنهم، ولمن قدم عليه فى الاسكندرية من مختلف الامصار الإسلامية وأخذوا العلم عليه.

أما منهجه فى الكتابة وهو الحافظ المحدث فهو يبدأ الترجمة مسبقة بكلمة أخبرنا. أو أنشدنى أو سمعت فلان. والكتاب مرتب على حروف المعجم.

وقد رجعت إلى المخطوط المصور المحفوظ بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية تحت رقم (٩١٢) وهو فى جزئين.

وقد وردت ترجمة القاضى ابن حديد المذكور فى (الجزء الأول ص٣٥) وفيها يقول: «القاضى أبو طالب هذا قل ما يرى مثله فى أبناء جنسه رياسة وهيبة وسياسة وفضلا ونبلا. وكان سنيا مالكى المذهب عريق الرياسة، توفى بقرب ثغر رشيد .. وهو راجع من مصر فحمل إلى الاسكندرية وصلى عليه فى مقبرة الديماس وحضره خلق لا يحصون كثرة ورد إلى داره، ودفن فى بستان بناه بجنبها فى جمادى الآخر سنة تسع وعشرين (وليس ثمان وعشرين كما ورد فى ابن ميسر) ورثى بقصائد كثيرة وكنت قد علقت عنه غير حكاية. وحكى لى أخوه القاضى أبو على أن مولده سنة اثنتين وستين وأربعمائة قال بينى وبينه عشر سنين فقد ولدت أنا سنة اثنتين وسبعين».

---

(١) السيوطى، حسن المحاضرة، ح١، ص ٢٠٠.

(٢) انظر، ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ١٠٤.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح١، ص ١٠٥.

«كتاب البستان بحوادث الزمان»

أو «**البستان الجامع لتواريخ الزمان**» كما يسميه ابن خلكان في كتابه «**وفيات الأعيان**»[1] . أو «**بستان التواريخ**» . كما ورد في «**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**» **لحاجي خليفة**[2] .

وقد أشار إليه ابن ميسر، في حوادث سنة ٥١٩هـ، عند كلامه عن القبض على المأمون البطائحي، واعتقاله وصلبه سنة ٥٢٢هـ بقوله: «ورأيت في كتاب «**البستان بحوادث الزمان**» ،أن المأمون كان يرش بين القصرين بالماء»[3] .

والكتاب كما وجد على صفحة غلاف مخطوطته التي أوردها الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه «**الكتاب العربي المخطوط إلي القرن العاشر الهجري**» أنه من تصنيف القاضي الأجل العالم العامل عماد الدين أبي حامد محمد بن محمد ابن حامد الأصفهاني[4] .

الكامل في التاريخ «لابن الأثير»

والمصدر الأخير الذي نص ابن ميسر على النقل عنه هو كتاب «**الكامل**» لابن الأثير (عز الدين أبي الحسن علي بن محمد المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

---

(١) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص ٢٦٨ ترجمة (٨١٢) .

(٢) حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبع دار الفكر، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ج١، ص ٢٧١ - ٢٧٥ .

(٣) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٠٥ .

(٤) صلاح الدين المنجد، الكتاب العربي المخطوط إلى القرن العاشر الهجري، طبع معهد المخطوطات العربية، والعنوان كما ورد في اللوحة رقم (٦٩) هو البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان. تصنيف القاضي الأجل العالم العامل عماد الدين أبو حامد محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م

من نسخة كتبت في سنة ٧٤٤هـ/ ١٣٤٤م برسم الخزانة السعيدية المولوية (استانبول: أحمد الثالث - ٢٩٥٩ - معهد المخطوطات) .

فعند كلامه عن المأمون يقول: «وذكر ابن الأثير فى تاريخه عن أبيه أنه كان من جواسيس الأفضل بالعراق ...».

وبعد ذكره لرواية ابن الأثير يعلق عليها بقوله: «قال المؤلف: هذا وهم فإن والد المأمون توفى فى سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وولده مدبر ملك الأفضل»[1].

وابن ميسر ينقل رواية ابن الأثير باللفظ[2]، وبالمقارنة يتضح أن ابن ميسر نقل عن ابن الأثير فى كتابه هذا فى أكثر من موضع[3] ولم يصرح بالنقل عنه إلا فى هذا الموضع فقط.

مصادر لم يرد ذكرها فى ابن ميسر ونرجح عن طريق المقارنة أنه نقل عنها:

- «**الإشارة إلي من نال الوزارة**» لابن الصيرفى.
- «**ذيل تاريخ دمشق**» لابن القلانسى.
- «**سيرة المأمون**» لابن المأمون البطائحى.
- «**النقط بعجم ما أشكل من الخطط**» لمحمد بن أسعد الجوّانى.
- «**نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية**» لابن الطوير.
- «**الإشارة إلي من نال والوزارة**» لابن الصيرفى (تاج الرئاسة على بن منجب بن سليمان الكاتب، المتوفى سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)[4].

فى حوادث سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م، يذكر ابن ميسر، خلاف المعز بن

---

(١) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٠٤ (حوادث سنة ٥١٩هـ).
(٢) ابن الأثير، الكامل، طبع دار الفكر، بيروت، ح٨، ص ٣١٩ (سنة ٥١٩هـ).
(٣) انظر، ابن الأثير، الكامل، ح٨، ص ١٠٨ حوادث سنة ٤٦٢ وقارن ابن ميسر، ص ٣٦ - ٣٧، ح٨، ص ١١٧ - ١١٨ حوادث سنة ٤٦٥هـ (قتل ناصر الدولة بن حمدان) وقارن ابن ميسر، ص ٣٨ - ٣٩ حيث ينقل باللفظ والمعنى، وهناك تفصيلات أكثر فى رواية ابن الأثير، ص ٥٣ (سنة ٤٨٧هـ).
(٤) عن ابن الصيرفى، انظر، ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٣٨، سنة ٥٤٢هـ.

باديس الصنهاجى على المستنصر، ويبين أن سبب ذلك تقصيره فى المكاتبة للوزير اليازورى، ثم يذكر تسييره عسكرا للقيروان، وأصلح ما بين زغبة ورياح من قبائل العرب «وأباحهم أعمال القيروان وأمرهم بافسادها»

وأيضا خبر الحرب بالبحيرة بين عربها من بنى قرة والطلحيين[١].

وابن ميسر ينقل أخباره هذه عن ابن الصيرفى بالمعنى والاختصار دون أن يشير إليه[٢].

ويحدد ابن ميسر تاريخ الانفصال بسنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م.

أما التاريخ الصحيح لقطع الخطبة للمستنصر العبيدى صاحب مصر فهو سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م[٣]، حسبما تحدده رواية ابن شرف. وابن شرف ثقة وشاهد عيان ومعاصر للأحداث التى يرويها، وكان فى موقف يسمح له بمعرفة الأمور على حقيقتها لقربه من المعز بن باديس.

وفى سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٨م كما تقول رواية ابن شرف التى ينقلها ابن عذارى فى «**البيان المغرب**» حدث تبديل السكة عن أسماء بنى عبيد[٤].

أما سنة ٤٤٣هـ، هذه ففيها كما تقول رواية ابن شرف كان لباس السواد بالقيروان والدعاء لبنى العباس[٥].

أما تاريخ دخول العرب افريقية فهو سنة ٤٤٢هـ كما تقول رواية ابن الأثير[٦].

وفى سنة ٤٨٧هـ يذكر ابن ميسر وفاة الوزير حسين بن محمد الماشلى

---

(١) انظر، ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١١ – ١٣.

(٢) ابن الصيرفى، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، طبع الدار القومية اللبنانية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٧٦ – ٧٨.

(٣) انظر، ابن عذارى، البيان والمغرب، تحقيق كولان وبروفنسال، طبع ١٩٤٨، ح١، ص.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ح١، ص.

(٥) ابن عذارى، البيان المغرب، ح١، ص ٢٨٠.

(٦) ابن الأثير، الكامل، ح٨، ص ٥٥، سنة ٤٤٢ هـ (ذكر دخول العرب إلى افريقية).

وهو ينقله باللفظ والمعنى عن ابن الصيرفى دون أن يشير إليه[١].

- «**ذيل تاريخ دمشق**» لابن القلانسى. (حمزة بن أسد بن على بن محمد أبو يعلى التميمى الدمشقى (توفى سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)[٢].

عن طريق الدراسة المقارنة يتضح لنا أن ابن ميسر ينقل عن ابن القلانسى.

والمثل لذلك ما أورده **ابن ميسر** فى حوادث سنة ٤٩٤هـ حيث يقول: «فى شعبان أخرج الأفضل عسكرا كثيفا للقاء الفرنج، فوصل إلى عسقلان فى أول رمضان، فأقام فيها إلى ذى الحجة، فنهض إليه من الفرنج ألف فارس وعشرة آلاف راجل، وكانت بينهما حروب كثيرة كسرت فيها ميمنة المسلمين وميسرتهم، وثبت سعد الدولة القواس مقدم العسكر فى القلب، وقاتل حتى قتل، وتراجعت عساكر المسلمين فهزموا الفرنج إلى يافا وقتلوا منهم وأسروا كثيرا»[٣].

قارن، **ابن القلانسي**، حوادث سنة ٤٩٤هـ حيث يقول: وفى هذه السنة خرج من مصر عسكر كثيف مع الأمير سعد الدولة المعروف بالقوامسى، ووصل إلى عسقلان لجهاد الفرنج فى أول شهر رمضان وأقام بحيث هو إلى ذى الحجة منها، ورحل عن عسقلان ونهض إليه من الإفرنج ألف فارس وعشرة آلاف راجل والتقى الفريقان فكسرت ميمنة المسلمين وميسرتهم وتبعوهم وبقى سعد الدولة المقدم فى نفر يسير من عساكره فى القلب فحمل الأفرنج عليه وطلب الثبات فعاجله القضاء وكبا به جواده وسقط عنه إلى الأرض فاستشهد مكانه رحمة الله ومضى شهيدا مأجوراً. وعاد المسلمون على الأفرنج .. فهزموهم إلى يافا وقتلوا منهم وأسروا وغنموا وكانت العقبى الحسنة لهم ولم يفقد إلا نفر يسير منهم»[٤].

(١) ابن الصيرفى، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٨٧ – ٨٨.

(٢) انظر ترجمته فى، ياقوت، معجم الأدباء، ج١٠، ص ٢٧٨ – ٢٨٠، ترجمة (٣٨).

(٣) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٦٨.

(٤) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق آمدروز، طبع بيروت سنة ١٩٠٨، ص ١٤٠.

وابن ميسر ينقل عن **ابن القلانسي** باللفظ والمعنى والاختصار فى بعض المواضع

- **«سيرة المأمون» للمأمون بن البطائحي** (الأمير جمال الملك موسى بن المأمون البطائمى، توفى بالقاهرة فى سادس عشر جمادى الأولى سنة ٥٨٨هـ)[١].

ويعتبر كتاب ابن المأمون من أهم المصادر التى اعتمد عليها ابن ميسر فى تأريخه لعصر الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥هـ - ٥٢٤هـ)، وأيضا للفترة التى تقلد فيها الأفضل ابن بدر الجمالى خطة الوزارة، وبدأ فيها نجم المأمون يظهر، واحتفظ لنا المقريزى فى كتابه «**الخطط**» بروايات منه ترجع إلى عصر الخليفة الحافظ لدين الله خاصة بأحداث سنة ٥٣١هـ[٢].

وابن المأمون مؤرخ ثقة، وكان فى موقف يسمح له بالتعرف عن قرب ببواطن الأمور فى الدولة، خاصة فى الفترة التى تقلد فيها والده الوزارة (من سنة ٥١٥ هـ - ٥١٩هـ) للخليفة الآمر بأحكام الله، مما جعله يتمكن من الاطلاع على الوثائق والسجلات الرسمية المخلدة فى الدواوين وهو الأمر الذى أسبغ على تاريخه أهمية خاصة.

هذا وبمقارنة ماورد من روايات فى «**خطط**» **المقريزي** مسندة إلى ابن المأمون، بما ورد فى ابن ميسر، نستطيع الجزم بأنه ينقل عنه من ذلك قول المقريزى فى «**الخطط**» عند كلامه عن (ذكر دار الضرب)،قال ابن المأمون وفى شوال منها وهى سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الأجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة، لكونها مقر الخلافة وموطن الإمامة، فبنيت بالقشاشين قبالة المارستان وسميت بالدار الآمرية واستخدم لها العدول وصار دينارها أعلى عيارا من جميع ما يضرب بجميع الأمصار[٣].

وقارن ابن ميسر، حوادث سنة ٥١٦هـ حيث يقول: «وفى شوال أمر المأمون

(١) المقريزى، السلوك، ج١ قسم١، ص ١١١.

(٢) انظر، المقريزى، الخطط، ج١، ص ١١٠.

(٣) المقريزى، نفس المصدر، ج١، ص ٤٤٥ س ١٠ - ١٣.

بعمل دار ضرب بالقاهرة فعملت وضرب فيها. وأمر أن يكون الدينار أعلى ذهبا من كل دار ضرب فبنيت بالقشاشين»[١].

وفى موضع آخر يقول المقريزى فى «**الخطط**» عند كلامه عن «دار الوكالة الآمرية» «قال **ابن المأمون** فى شوال سنة ست عشرة وخمسمائة ثم أنشأ يعنى المأمون بن البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار ولم يسبق إلى ذلك»[٢].

وقارن **ابن ميسر** حيث يقول: «وفيها (يعنى سنة ٥١٦هـ) أمر ببناء دار وكالة بالقاهرة، لمن يصل من العراق والشام من التجار (ولم يسبق إلى ذلك)[٣].

ويلاحظ هنا أن ابن ميسر ينقل عن ابن المأمون باللفظ.

وبالمقارنة يتضح أيضا أن ابن ميسر ينقل عن ابن المأمون النص الخاص بخيمة «القاتول»[٤].

– **النقط بعجم ما أشكل من الخطط لمحمد بن أسعد الجّواني** (محمد بن أسعد بن على بن معمر بن عمر بن على بن الحسين بن أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد الجوّانى الشريف النسّابة، ولى نقابة الأشراف مدة بمصر، وكان شيعيا، توفى سنة ثمان وثمانين وخمس مائة كما يقول **الصفدي** فى ترجمته له فى كتابه «**الوافي بالوفيات**»[٥].

---

(١) انظر، ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٩٢.

(٢) المقريزى، الخطط، ح١، ص ٤٥١ س ٢ – ٤.

(٣) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٩٢.

(٤) المقريزى، الخطط، ح١، ص ٤٧٠ س ٨ – ٩، ص ٤٧١ س ١ – ٧.

(٥) الصفدى، الوافى بالوفيات، الطبعة الثانية، ح٢، ص ٢٠٢ ترجمة (٥٧٩)، السخاوى، الاعلان بالتوبيخ، ص ٢٧٩، وانظر المقريزى، الخطط، ح٢، ص ١٤ عند كلامه عن (الحارة الجوانية) يقول تنسب للأشراف الجّوانيين، منهم الشريف النسابة الجّوانى (وانظر س ١٣ – ١٩) حيث يقول: وقال الشريف محمد بن أسعد الجّوانى وقبل لمحمد بن عبد الله الجّوانى بسبب ضيعة من ضياع المدينة يقال لها الجّوانية وكانت تسمى البصرة الصغرى لخيراتها وغلاتها ... ولم يزل أجداد مؤلفه ببغداد إلى حين قدوم والده أسعد النحوى مع أبيه من بغداد إلى مصر.

وله العديد من المؤلفات منها كتاب «**النقط**» هذا الذى قال عنه المقريزى فى مقدمة كتابه «**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**» «نبة فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت»[١].

وقد احتفظ لنا المقريزى فى كتابه «**الخطط**» بالعديد من النقول من كتاب «**النقط**» للشريف الجَوَّانى، فقد نقل عنه خبر الغلاء الشديد الذى حل بمصر زمن الخليفة المستنصر بالله، وهذا الخبر موجود بالنص مع بعض الاختصار فى ابن ميسر[٢].

ونقل عنه أيضا خبر عمل القاضى محمد بن ميسر الفستق الملبس بالحلوى تشبها بالوزير محمد بن على الماذرائى وزير الدولة الإخشيدية الذى عمل الكعك المسمى «افطن له» وعمل عوضا عن حشو السكر دنانير[٣].

ومنهج الجوانى فى الكتابة، كما نستبين من بعض الروايات التى احتفظ لنا بها المقريزى فى «الخطط» هو طريقة المحدثين، فهو يهتم بالإسناد فيقول سمعت فلان الذى حدث عن فلان عن.. [٤].

- «**نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية**» (لأبى محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير الفهرى القيسرانى الكاتب المصرى (توفى سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م).

---

(١) المقريزى، الخطط، ح١، ص ٥ س ١٦ - ١٧.

(٢) انظر، المقريزى، الخطط، ح١، ص ٣٣٧ س ١٩ - ٣٨ (ذكر خراب الفسطاط)، وقارن ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٥٨ (سنة ٤٨٧هـ).

(٣) انظر، المقريزى، الخطط، ح، ص ٣٣٢ س ١٥ - ٢١ (ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة)، وقارن، ابن ميسر، ص ١٢٧ سنة ٥٣١هـ.

(٤) انظر، المقريزى، الخطط، ح١، ص ٣٣٠ حيث يقول: «وقال الشريف أبو عبد الله محمد بن أسعد الجَوَّانى النسابة فى كتاب «النقط على الخطط» سمعت الأمير تأييد الدولة ... يقول ... وحدثنى القاضى ... الخلعى عن القاضى أبى عبد الله القضاعى...

يذكر لنا ابن ميسر فى حوادث سنة ٥٢٩هـ نهاية حسن ابن الخليفة الحافظ فيقول: «فاطلع طبيبه ابن قرقة على ذلك، فقال الساعة ولا ينقطع شئ من جسده بل تفيض نفسه لا غير.. واعلم القوم سرا بما كان ليمضوا إلى دورهم فأبوا إلا أن يشاهده منهم من يثقون به، فانتدبوا أميرا اسمه محمد، وينعت بالأمير المقدم المعظم جلال الدين بن عبد الله ويعرف بجلب راغب .. دخل على حسن وهو مسجى وعليه ملاءة فكشف عن وجهه وأخرج من وسطه سكينا ... ثم أن الحافظ قتل طبيبه ابن قرقة[1].

أقول بمقارنة هذا الخبر بما ورد فى «**النجوم الزاهرة**» **لأبن تغري بردي**، نقلا عن صاحب كتاب «**المقلتين في أخبار الدولتين**» يتضح أن ابن ميسر ينقل باللفظ والمعنى عن **ابن الطوير** دون أن يشير إلى ذلك[2].

وقد احتفظ لنا بالعديد من الروايات عن **كتاب ابن الطوير، القلقشندي** (توفى سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) فى كتابه «**صبح الأعشي في صناعة الإنشاء**»[3]. **والمقريزي** فى «**الخطط**» (وأشار إليه أيضا فى «**اتعاظ الحنفا**»)

وقد اعتمدا عليه بصفة خاصة عند كلامهم عن النظم والتراتيب الإدارية والرسوم المتبعة فى عهد الدولة الفاطمية[4].

---

(١) انظر، ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٢٢، حوادث سنة ٥٢٩هـ.

(٢) انظر، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٤١ - ٢٤٣.

(٣) انظر، القلقشندى، صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٧٣، ٤٧٩، ص ٤٨٦، ص ٤٩٣.

(٤) انظر على سبيل المثال، المقريزى، الخطط، ج١، ص ٣٨٦ (هيئة جلوس الخليفة بمجلس الملك)، ص ٣٧٨ (كيفية سماط شهر رمضان..)، ص ٣٩٧ (ديوان المجلس)، ص ٤٠٠ (ديوان النظر) ص ٤٠١ - ٤٠٢ (ديوان الجيش والرواتب).

هذه هى أهم المصادر التى نرجح أن ابن ميسر رجع إليها.

وقد احتفظ بنقول من كتاب ابن ميسر، النويرى فى «**نهاية الأرب**»[1]، والمقريزى فى «**اتعاظ الحنفا**» وفى «**الخطط**»، وابن حجر العسقلانى فى «**رفع الاصر عن قضاة مصر**» والسيوطى فى «**حسن المحاضرة**»[2].

هذا ومن حظ الحظ أنه وصلتنا مؤلفات قيمة نستطيع أن نعتمد عليها خاصة فيما يتعلق بتاريخ الفاطميين السياسى ويأتى فى مقدمتها كتب ابن حيون.

وهو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصوربن أحمد بن حيان التميمى وهو معاصر للمعز لدين الله، وتقلد منصب قاضى القضاة فى دولة الفواطم وصاحب المؤلفات الكثيرة فى المذهب الاسماعيلى مات فى جمادى الآخرة سنة ٣٦٣هـ.

ومن أشهر مؤلفاته كتاب «دعائم الاسلام فى ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام» وهو من الكتب التى أمر الخليفة الظاهر لا عزاز الله الدعاة أن يحفظوها الناس[3].

وله مصنف آخر يعرف باسم «رسالة افتتاح الدعوة» (رسالة فى ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية) وقد قامت بتحقيقه وداد القاضى. طبع دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م.

---

(١) يقول النويرى فى ترجمته لابن ميسر «كان فاضلا، جمع تاريخا لمصر، وقد نقلنا عنه مواضع فيما سلف من كتابنا هذا»، ح٣٠، ص ٣٩١.

(٢) نقل السيوطى عن ابن ميسر فى أكثر من موضع من كتابه «حسن المحاضرة» من ذلك قوله قال ابن ميسر فى تاريخه ولما توفى المستعلى أحضر الأفضل أبا على وبايعه بالخلافة ونصبه مكان أبيه ولقبه بالآمر بأحكام الله وكان له من العمر خمس سنين وشهر وأيام فكتب ابن الصيرفى الكاتب السجل بانتقال المستعلى وولاية الآمر وقرئ على رؤوس كافة الأجناد والأمراء وأوله ... ثم يورد نص السجل (انظر، نص السجل من ص ١٩ – ٢٢)

والسيوطى ينقل عن ابن ميسر باللفظ والمعنى.

(٣) انظر، المقريزى، الخطط، ح ١، ص ٣٥٥.

وتتناول رسالة افتتاح الدعوة فى معظمها بدء الدعوة العبيدية فى جزء من المغرب سنة ٢٨٠هـ عى يد أبى عبدالله الداعى الشيعى وتحولها هناك الى تنظيم عقائدى سياسى عسكرى، عصبة النابض قبائل كتامة ومن والاها من البربر، ومقره الأساسى بلاد كتامة بالجزائر، ثم تحولها قوة تستطيع أن تهزم الجيوش وتفتح البلاد من سجلماسة غرباً حتى القيروان شرقاً الى ان قضت على آخر قلاع المقاومة الأغلبية والرستمية والمدرارية فى افريقية والمغرب، وبذلك تمهد الأمر لقدوم عبيد الله المهدى، فدخل القيروان سنة ٢٩٧هـ وبه بدأت الدولة العبيدية.

لم تكن الدعوة العبيدية – كما يصورها القاضى النعمان – دعوة طارئة على أفريقية ولا كان ظهورها فى المغرب مفاجئاً، بل كان التشيع قد استطاع فيما يبدو أن يحرز موطئ قدم هناك عن طريق اثنين من الدعاة توجها اليه قبل أبى عبد الله الداعى بنحو من مائة وخمس وثلاثين سنة، يسمى احدهما أبا سفيان ويسمى الآخر الحلوانى، فلما حل أبو عبد الله فى المغرب وجد الارض ممهدة بعض التمهيد لنشر دعوته، اذ كان التشيع ينتشر بين الناس هناك، وشحنت النفوس بترقب ظهور المهدى وداعيه الذى سيتطلع بتهيئة الجولة.

وكان دور أبو عبد الله الداعى متعدد المراحل على النحو الآتى :

١- مرحلة الاعداد باليمن.

٢- مرحلة التسلل.

٣- مرحلة التعليم بسط العقيدة.

٤- مرحلة التكوين السياسى.

٥- مرحلة التطهير الداخلية.

٦- المرحلة العسكرية.

٧- مرحلة الاستقرار التمهيدى.

وقد أطال القاضى النعمان الحديث عن بدء الدعوة الشيعية فى اليمن ربما بهدف تصوير الجو الذى نشأ فيه أبو عبد الله فى مرحلة اعداد الدعوة فى المغرب.

وكانت المرحلة التالية هى خروج ابى عبد الله من اليمن وايجاد الوسيلة للتسلل الى المغرب .. ووجد بغيته فى مكة اذ لقى فيها جماعة من الحجاج من قبيلة كتامة البربرية استطاع أن يجتذبهم بسحر حديثه وتعلقوا به وطلبوا منه الذهاب معهم الى بلادهم. وقد سرابو عبد الله من حديثهم إذ «صح عنده أن ليس فى قبائل افريقية أكثر عدداً وألا أشد شوكه ولا أصعب مراماً على السلطات من كتامة». ولما تيقن ان كتامة هى الموطن الصالح لنشر الدعوة سار معهم ونزل فى بلدهم حيث اختار مكاناً حصيناً فى جبل ايكجان المنيع وجعله مقر دعوته.

وقد قضى أبو عبد الله حوالى سبع سنين يبث عقيدته بين الناس فقسم كتامه الى سبعة أقسام، وجعل لكل قسم منها داع اختاره من بين ثقاتها، وسن لهم القواعد الخلقية كتجنب المعاصى واتيان أعمال البر والخير والصلاح. ولقد تجاوبت كتامة ومن والاها من البربر لدعوة أبى عبد الله وأطلق على أصحابه اسم «المؤمنين» وأطلق على مناوئهم اسم «الكافرين»، وانتقل بجماعته مهاجراً الى تازروت وأسماها «دار الهجرة».

وبعد أن اتسع نطاق الدعوة وتكاثر أعداد المنضمين لها حدث رد فعل عنيف لدى بعض أصحاب السلطات فى بلد كتامة ولدى صاحب افريقية من بنى الأغلب وحاول صاحب ميلة أن يهدم التجمع الشعبى عن طريق اختبار

الداعي بمواجهة العلماء، ثم عن طريق التخويف، أما صاحب افريقية ابراهيم بن أحمد فإنه توعد وانفجر وأظهر شيئاً من الاحتقار للداعى واتهمه بأن له أغراض دنيوية، ولكن الداعى حول الاتهام الى بنى الاغلب وقال انه يدعوا الى الله عز وجل والى كتابه والى الامام المهدى من ذرية رسوله «دعوة فتح عليه وراغب فيها ينجيه» وعبر عن استعداده لقتال ابن الاغلب وعن ثقته بأن النصر سوف يكون حليفه.

وتم تحالف ما بين أصحاب ميله وسطيف وبلزمه وبين أكابر كتامة، ولكن سرعان ما أنفك تحالفهم بعد المواجهات العسكرية مع جماعة أبى عبد الله وتمكن ابو عبد الله من تثبت قدمه بفعالية أكثر من كتامة.

دارت رحى الحرب بين الداعى واعدائه وتمخضت عن انتصاره عليهم، وبعد أن دخل أبو عبد الله رقادة سنة ٢٩٦ هـ دخلت دعوته فى طورها الأخير ولم يبق إلا أن يسلم لصاحبه . فأقام برقادة بضعة أشهر وأستخلف مكانة ابا العباس أخاه وسافر إلى سجلماسة للقاء المهدى.

أما المهدى فيصف صاحب رسالة افتتاح الدعوة وصوله من المشرق إلى سجلماسة ويتكلم عن المشاق التى لقيها فى طريقة وهى معروفة فى النبؤات.

وفى سجلماسة دك الداعى آخر قلاع المقاومة فى المغرب وسار منها برفقه صاحب الدولة إلى القيروان، فقام المهدى بارساء قواعد دولته على سيادة التشيع وسيادة شخص المهدى وآلة، فقام عليه غير ثائر، فوضع السيف فيهم وكان فيمن قتله، أبو عبد الله الشيعى، داعى دولته وأخوه أبو العباس وكثيرون غيرهما، ولما تخلص المهدى من الداعى ومن أتهم بالتآمر معه، أخذ فى ارسال الجيوش إلى النواحى، وظل الحال كذلك فى أيام ابنه

القائم وحفيده المنصور ثم فى أيام المعز لدين الله الذى كتبت رسالة الافتتاح فى دولته سنة ٣٤٦هـ.

وقد سرد المؤلف تلك الأحداث سرداً سريعاً لأن اهتمامه كان يهدف إلى خطوات الدعوة نفسها.

والقاضى النعمان يكتب عن الدعوة العبيدية وحدها دون سائر الأحداث التاريخية المعاصرة لها. وهو يكتب فى سنة ٣٤٦ هـ أى فى النصف الأول من القرن الرابع أى بعد مضى نصف قرن فقط على الأحداث التى سجلها فى رسالته، وهو يكتب عن نشأة الدعوة للدولة التى أصبح هو نفسه يشغل منصب قاضى القضاة فيها، وعن دعوتها إلى العقيدة التى يعتبر هو من كبار المشرعين فيها.

سيرة الاستاذ جودز:

وهو من تصنيف أبى على منصور العزيزى الجوذرى، الذى كان فى خدمة جوذر، أحد المماليك الصقالبة من أعوان الفاطميين. وهو من كتب السير (قام بتحقيقه الدكتور محمد كامل حسين، وعبد الهادى شعيرة طبع القاهرة سنة ١٩٥٤) إلا أنه يلقى أضواء على حياة الخلفاء الفاطميين فى المغرب وأوائل حكمهم لمصر، فضلاً عن احتوائه على سجلات للائمة الفاطميين من سنة ٣٢٣ إلى ٣٦٢ هـ تعتبر من الوثائق الرسمية.

وكتاب «**سيرة جعفر الحاجب**» (حوالى القرن الرابع الهجرى) وهو جعفر ابن منصور اليمن، الذى رحل إلى المغرب بعد انقسام الدعوة الأولى فى اليمن، بعد وفاة المهدى، وتوثقت علاقته بالأئمة الفاطميين حتى المعز وقد نال جعفر مكانة كبيرة عندهم، وأعتبر حجة فى علومهم – وهذه السيرة التى ألفت فى عصر العزيز بالله نزار تتناول نشأة الدولة، وتؤيد حق الفواطم فى الخلافة.

رسالة استتار الأمام وألفت فى عهد العزيز ألفها ابراهيم النيسابورى وهى تتناول الفترة التى اختفى فيها الأئمة نتيجة لاضطهاد الخلافة العباسية إلى وقت ظهورهم فى المغرب وهو مهم لأنه يتناول نشأة الدولة.

وكتاب المؤيد فى الدين الشيرازى (توفى سنة ٤٧٠ هـ) **سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة**، (تحقيق الدكتور محمد كامل حسين، القاهرة ١٩٤٩) وفيه يتعرض المؤلف لفترة هامة من تاريخ الفاطميين خاصة بعهد المستنصر. ومما يزيد من أهمية الكتاب أن المؤلف تقلد خطة داعى الدعاة المختص بالدعوة للمذهب. ومن أهم الأعمال التى قام بها المؤلف هو قيامه على رأس المدد الذى أنفذه الفواطم إلى البساسيرى فى العراق. هذا إلى جانب أن الكتاب يتضمن عدداً من الرسائل كتبها المؤيد إلى بعض الوزراء والولاة والقواد الفواطم تعتبر من الوثائق الرسمية.

وكتاب **ذيل تاريخ دمشق** لابن القلانسى (توفى سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م)، وهو يحتوى على اخبار كثيرة عن سياسة الفاطميين فى الشام بدأها بعام ٣٦٣ هـ، انتهى بحوادث سنة ٥٥٥ هـ.

وكتاب **تاريخ دولة آل سلجوق** للعماد الكاتب الأصفهانى (توفى سنة ٥٩٧ هـ) السلاجقة، هم الذين استولوا على املاك الفاطميين فى الشام واعتمدت عليهم الخلافة العباسية السنية، فيذكر العماد حروبهم وأخبار الاسماعليلية فى وقتهم.

وكتاب **الكامل في التاريخ** «لابن الأثير» توفى سنة ٦٣٠ هـ، وهو من خيار التواريخ كما يقول ابن خلكان فى تقريظه له. ومما يزيد من أهمية الكتاب أن مؤلفه كان شاهد عيان لسقوط الخلافة الفاطمية وقيام دولة صلاح الدين.

وكتاب **مرآة الزمان** «لسبط ابن الجوزى» (توفى سنة ٦٥٤م)

وكتاب الروضتين فى اخبار الدولتين النورية والصلاحية لابى شامه (توفى سنة ٦٦٥ م) وقد تناول فيه مؤلفه كما يبدو من العنوان تاريخ الدولتين النورية والاصلاحية، ولكن تعرض لاخبار الفواطم. ومما يزيد من أهمية أنه احتفظ لنا بروايات عن مؤرخين عاصروا الفاطميين، ولاسيما القاضى الفاضل الذى عمل فى ديوان الانشاء الفاطمى على أيام الوزير طلائع بن رزيك ووزر لصلاح الدين.

والقلقشندى، صاحب **صبح الاعشي في صناعة الانشا**، مات سنة ٨٢١ هـ. وفى كتابه هذا أورد نماذج سجلات عديدة للفاطميين نقلها عن أصولها وتعتبر وثائق هامة.

وابن تغرى بردى (توفى سنة ٨٧٤ هـ) صاحب كتاب «**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**» تعرض فيه لعصر كل خليفة من خلفاء الفواطم، كما اهتم بأحوال مصر وعلاقاتها الخارجية فى عصرهم، وأهتم بفيضان النيل فى كل عام.

ونخص بالذكر كتب **المقريزي** (توفى سنة ٨٤٥ هـ).

ومن أشهر مؤلفاته كتاب «**اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**» الذى يؤرخ فيه للعلويين ومشكلة النسب، ونشأة الدولة فى المغرب والخلفاء الأربعة هناك: المهدى والقائم والمنصور والمعز، كما يتكلم عن الفتح الفاطمى لمصر وتأسيس مدينة القاهرة، ويعرض للخطر القرمطى ويورد نص الخطاب الذى ارسله المعز للحسن الأعصم، وهو يتبع خلفاء الفواطم فى مصر حتى سقوط الدولة على يد صلاح الدين. وتكمن أهمية الكتاب فى أن المقريزى احتفظ لنا بالكثير من الروايات استقاها من مصنفات معاصرة

للدولة الفاطمية ضاعت ولم تصل الينا مثل كتب ابن زولاق والمسبحى والقضاعى وابن المأمون.

والكتاب من ثلاثة أجزاء. وللمقريزى مؤلف آخر يعرف باسم «**المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار**» ويتناول فيه تاريخ مصر والقاهرة وكل ما يتصل بها فهو يتكلم عن فتح مصر ومن شهد فتحها من الصحابة، وهل فتحت بصلح أو عنوه ويتكلم عن انشاء الفسطاط والعسكر والقطائع وقاهرة المعز لدين الله، ومسالك القاهرة وشوارعها، وأسوارها وأبوابها، وقصور الخلفاء، والدواوين مثل ديوان النظر والجيش والانشاء وغيرها، والقاعات والمناظر، ودار الضرب، والخزائن مثل خزانة الكتب والسلاح والجوهر والكسوات والسلاح والسروج وغيرها.

وتكلم عن الاعياد مثل عيد الفطر، وعيد النحر، وعيد الغدير، والنوروز، كما يتكلم عن حارات القاهرة وظواهرها وروبها، كما تكلم عن الحمامات، وتكلم عن الخانات والفنادق والأسواق، وذكر الميادين، وكذلك الخوانك والمدارس والبيمارستانات. وتتلخص أهمية الكتاب أيضاً فى أنه استقى معلوماته من المصنفات المعاصرة للدولة الفاطمية والتى ضاع معظمها ولم يصل إلينا.

وللمقريزى مؤلف اخر يعرف باسم «**اغاثة الأمة بكشف الغمة**» وهو من الكتب الهامة التى تتناول الناحية الاقتصادية والاجتماعية ففى هذا الكتاب يؤرخ المقريزى للمجاعات والغلاء الذى أصاب مصر منذ أقدم العصور وحتى سنة ٨٠٨ هـ والكتاب حققه الدكتوران محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال.

كتب الرحلة:

من أهم كتب الرحلة كتاب «**سفرنامة**» لناصرى خسرو وهو يصف فيه رحلته فى بلاد الفاطميين بين سنة ٤٣٧ هـ، وسنة ٤٤٤ هـ وقد أقام بمصر

أكثر من ثلاث سنوات. والكتاب يعتبر مرجعاً هاماً للحياة الاجتماعية المزدهرة فى عصر الفاطميين.

كتب النظم:

يأتى فى مقدمتها كتاب «**الإشارة إلي من نال الوزارة**» لعلى من منجب ابن الصيرفى (توفى سنة ٥٤٢ هـ) وهو يتبع فيه تراجم وزراء مصر الفاطمية إلى عهد الخليفة الآمر.

وكتاب «**النكت العصرية في اخبار الوزارة المصرية**» لعمارة اليمنى توفى سنة ٥٦٩ هـ، الذى ألفه عن وزراء مصر، ويعطينا فيه صورة ممتعة لحياتهم ونفوذهم ومدى سيطرتهم على الخلافة فى مصر. وقد زار عمارة مصر فى سنة ٥٥٠ هـ فى أواخر الحكم الفاطه ى، وتشيع لهم حتى قتل على يد صلاح الدين الأيوبى.

هذه هى بعض المصادر التى نعتمد عليها فى دراستنا لتاريخ مصر الاسلامية.

***

الفصل الثاني

مصر في عصر الولاة

١- فتح مصر.

٢- دور مصر في الحركات السياسية والدينية في عصر الخلافة الراشدة والدولتان الأموية والعباسية (٢٠ - ٢٣٤هـ).

١- فتح مصر

يتضح من روايات الكتاب القدامى أن عمرو بن العاص كان شديد الحرص على فتح مصر بينما كان الخليفة متردداً بعض الشئ(١)، وهذا أمر طبيعى فالمسئولية تقع فى أخر الأمر على عاتق الخليفة. ولكنه رغم ذلك فإن هذا التردد من جانب عمر يبين أن جزءاً كبيراً من الفضل فى التوسع الإسلامى يرجع إلى القواد وكبار رجال الدولة الذين وجدوا فى ميادين الأحداث.

على كل حال خرج عمرو بن العاص من الشام فى سنة ١٨ هـ متجها نحو مصر ولاشك أن الخليفة كان على علم بمقصده اذ أن فتح مصر كان ضرورة استراتيجية للمسلمين بعد أن انتزعوا بلاد الشام من بيزنطة هذا إلى جانب ما يمكن أن يفهم من أن عمرو بن العاص ربما ساءه أن آلت ولاية الشام إلى معاوية ابن ابى سفيان بعد وفاة أخيه يزيد فاحب أن يكون فتح مصر من نصيبه ويفهم هذا مما يقوله بعض الكتاب من أن عثمان نصح عمر وقال له : «أن عمرا جريئاً يحب الامارة وأنه يخشى أن يتعرض المسلمين معه للهلكة»(٢).

وتقدم عمرو بقواته الصغيرة التى لم تتجاوز الخمسة آلاف رجل وهو مطمئن تمام الاطمئنان وذلك أنه كان على علم بأحوال مصر المضطربة وما كانت عليه من الضعف العسكرى لأنه كان يختلف بتجارته اليها(٣). وفعلاً صدقت فراسة عمرو واستطاع بقواته دخول الفرما (قريبة من مدينة بورسعيد

(١) انظر، ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٦ – ٥٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٥٧– ٥٨.

(٣) نفس المصدر، ص ٥٨ – ٥٩.

الحالية) دون مقاومة وتقول النصوص أن القبط ساعدوا عمرو وكانو اشبه ما يكونون بقوات مساعدة للجيش العربى[١] وتقدم عمرو بعد ذلك نحو بلبيس[٢] دون أن يجد الا مقاومة ضعيفة وأنتهى به الأمر إلى الوصول إلى قلعة بابليون[٣] فى المكان الذى توجد به القاهرة الآن وحيث كان يقيم حاكم مصر الذى يعرفه الكتاب العرب باسم المقوقس. ووجد عمرو أنه من الصعب على قواته الصغيرة وما كان لديه من القوات البسيطة الاستيلاء على الحصن فبعث إلى المدينة يطلب المدد من الخليفة فسير عمر مدداً يبلغ حوالى أربعة الاف رجل على رأسهم الصحابى المشهور الزبير بن العوام[٤] ، وكما حدث فى فارس ظن المقوقس أن العرب أنما جاءوا فى غارة عادية من تلك الغارات التى كانوا يقومون بها ولكنه عندما وجد اصرارهم على القتال رأى أن يفاوضهم من أجل الانسحاب وعرض عليهم أن يدفع لهم مبلغا من المال وعرض المسلمون شروطهم المعهودة من الدخول فى الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، وأنتهت المفاوضات بالفشل وتمكن العرب من الانتصار فى واقعة تعرف بعين شمس واستولوا على بعض قلعة بابليون وتنسب الروايات فضل هذا النصر إلى ما ابداه الزبير ابن العوام من شجاعة وجرأة شخصية[٥] .

واضطر والى مصر إلى الخضوع للأمر الواقع وقبل الشروط التى عرضها العرب وتمت اتفاقية تقضى بدفع الجزية بمقدار دينارين على كل رجل[٦] وسار المقوقس إلى القسطنطينية ليحصل على موافقة هرقل ورفض الامبراطور الموافقة على الصلح بل أنه غضب على المقوقس وأمر بنفيه وفى هذه الأثناء

---

(١) ابن الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص ٥٩ – ٦٠

(٢) نفس المصدر .

(٣) ا نفس المصدر، ص ٦٤ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٦١.

(٥) نفس المصدر، ص ٦٢ – ٦٣.

(٦) نفس المصدر، ص ٦٣ –٦٤ .

تم الاستيلاء على حصن بابليون وكان هذا يعنى فتاح الطريق أمام العرب إلى الفيوم والصعيد ولم يبق أمام عمرو سوى الاسكندرية وكان يظن أن المدينة الكبيرة المفتوحة على البر ستقاوم العرب بفضل اسوارها وتحصيناتها وفعلا وقف العرب أمامها حوالى سنة[1] ، وذلك إلى أن عاد المقوقس وكان هرقل قد اقتنع بوجهة نظره ومال إلى قبول مبدأ المفاوضة وكانت الخلافات قد مزقت الاسكندرية فانتهى الأمر باستسلام المدينة صلحاً وتقررت عليها جزية ولكنها تختلف عن جزية بابليون، وذلك أنه اشترط أن يدفع كل حسب مقدرته وما لديه من الزرع والأرض[2] . وفى أثناء حصار الاسكندرية نشبت بعض الحرائق فى المدينة وربما أتت على بعض الكنائس وهناك بعض الروايات التى تقول أن العرب احرقوا فى هذا الوقت مكتبة الاسكندرية المشهورة ولكن هذا الرأى لا أساس له من الصحة فهو لم يظهر عند الكتاب الا فى وقت متأخر بينما لانجد لمثل هذا الحريق أى أشارة عند قدامى الكتاب.

وترك عمرو بالاسكندرية حامية عربية ثم أنه عاد إلى موضع بابليون حيث بدأ فى بناء مدينة عربية جديدة لتكون عاصمة للبلاد ومركزاً اسلاميا وقاعدة عسكرية يمكن للعرب أن يواصلوا منها التقدم نحو الغرب. وبدأ عمرو باختطاط المسجد الجامع وأطلق على المدينة اسم **الفسطاط** فهذه الكلمة تعنى المعسكر وقد عرف الجامع باسم **جامع عمرو** واسم **الجامع العتيق**، وذلك على نفس النسق الذى بنى عليه مسجد النبى فى المدينة وهو النموذج للمسجد العربى كما قلنا. وإلى جانب المسجد الجامع بنى عمرو دار الإمارة ثم أنه قسم الأرض فيما حول المسجد ودار الإمارة إلى خطط[3] وزعها على

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٦٣ – ٦٤.

(٢) نفس المصدر ٧٤ – ٧٦.

(٣) نفس المصدر، ص ٩٨ – ١٢٨ (ذكر من اختط حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاصى).

القبائل العربية التى استقرت فى المدينة. هذا بينما نزلت بعض القبائل العربية فى الموضع الذى عرف باسم الجيزة(١). وهذا المسجد مع مرور الوقت كان موضع عناية الولاه، والأمراء على مر الأيام فأخذ يزداد حتى أتخذ شكله الأخير فى أوائل القرن الثالث الهجرى.

فتح المغرب:

وبعد فتح مصر كان من الطبيعى أن يوجه عمرو بن العاص انظاره نحو المغرب نحو برقة وطرابلس وذلك لتأمين حدود مصر الغربية وفعلاً لم تكد الاسكندرية تسقط فى سنة ٢١ هـ (٢) حتى واصل عمرو مسيرة نحو المغرب وتم له فتح براقة بسهولة فى ٢٢ هـ واتبع ذلك بفتح مدينة طرابلس(٣) وفيما بين الفتحين سير أحد قواده وهو عقبه بن نافع الفهرى نحو الصحراوت الجنوبية ففتح فزان وودان وتوغل جنوباً فى الصحراء حتى واحة زويلة وبذلك أصبح ما بين برقة وزويله للمسلمين(٤). وهكذا تم فتح مصر وأمنت حدودها الغربية فى أواخر أيام الخليفة عمر بن الخطا

٢- دور مصر في الحركات السياسية والدينية في عصر الخلافة الراشدة والدولتان الأموية والعباسية (٢٠ - ٢٣٤ هـ).

كان لمصر موقفها من الفتنة التى قامت ضد الخليفة عثمان بن عفان التى انتهت باستشهاده فى سنة ٣٥ هـ كما كان لها دورها أيضاً فى النزاع بين على رضى الله عنه ومعاوية بن أبى سفيان الذى أرسل إليها فى سنة ٣٨ هـ جيشاً بأمرة عمرو بن العاص تمكن من فتحها وأصبحت

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٨٤.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٩٨ – ١٢٨ (ذكر من اختط حول المسجد الجامع مع عمرو بن العاص).

(٣) نفس المصدر، ص ١٢٨ – ١٢٩.

(٤) البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٢٢٤.

مصر ولاية تابعة لمعاوية والى الشام رغم أن الخليفة الشرعى هو على بن أبى طالب.

كما كان لمصر أيضاً موقف ضد النزاع والتخاصم الذى دار حول الخلافة فى عصر الدولة الأموية (٤٠ – ١٣٢ هـ / ٦٦١ – ٧٥٠ م) خاصة أثناء الفتنة التى حدثت بعد وفاة معاوية الثانى ابن يزيد والتى انتهت بتولية مروان ابن الحكم الخلافة سنة ٦٤ هـ / ٦٨٤ م وموقف عبد الله بن الزبير المتغلب على الحجاز والعراق.

وعلى أواخر أيام الدولة الأموية ظهرت الدعوة للمسودة فى مصر. وهو ما تعرضنا له بتفصيل فى دراستنا لتاريخ الدولة العربية.

كما كان لمصر أيضاً دور فى الحركات ذات الطابع السياسى والدينى التى قامت فى عصر الدولة العباسية حتى قيام الطولونيين (١٣٢ – ٢٥٤هـ).

وذلك فى خلافة المنصور والمهدى والهادى؛ كما كان لها دورها أيضاً فى النزاع بين الأمين والمأمون أو بين العرب والفرس.

ونكبت مصر وتعرضت لمحنة خلق القرآن أيام خلافة المأمون والمعتصم والواثق إلى أن قدم كتاب الخليفة المتوكل على هرثمة بن النضر الجبلى نائب مصر فى شهر جمادى الآخرة سنة ٢٣٤ هـ كما نستبين من رواية الكندى صاحب كتاب **الولاة والقضاة** يأمر بترك الجدل فى القرآن، وبذلك أحيا المتوكل السنة من جديد. وهو ما تناولناه بتفصيل فى تاريخ الدولة العباسية.

الفصل الثالث

الدولتان الطولونية والاخشيدية

١- الدولة الطولونية فى مصر والشام

(٢٥٤ - ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ - ٩٠٥م)

	هجرية	ميلادية
١- أحمد بن طولون	٢٥٤	٨٦٨
٢- خمارويه بن أحمد	٢٧٠	٨٨٣
٣- أبو العساكر جيش بن خمارويه	٢٨٢	٨٩٥
٤- هارون بن خمارويه	٢٨٣	٨٩٦
٥- شيبان بن أحمد	٢٩٢ -	٩٠٤ -
	٢٩٢	٩٠٥

الفصل الثالث

١- الدولة الطولونية فى مصر والشام

(٢٥٤ - ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ - ٩٠٥م)

أحمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٧٠هـ):

ظلت مصر بعد قيام الدولة الأموية فى حالة ضعف وجمود فى كل ناحية من نواحى الحياة، الا فى فترات قليلة عمل فيها ولاة هذه البلاد على تقدمها ورقيها، كمسلمة بن مخلَّد (٤٧ – ٦٢هـ)، وعبد العزيز بن مروان (٦٥ – ٨٦هـ)، وموسى ابن عيسى الذى ولى مصر ثلاث مرات (فى سنى ١٧١، ١٧٥، ١٧٩هـ) على أن هذه البلاد أخذت تنتعش منذ قامت الدولة الطولونية التى استقلت بحكمها استقلالاً يكاد يكون تاماً. وعلى الرغم من أن عمر هذه الدولة لم يزد على ثمان وثلاثين سنة، أخذت مصر بقسط موفور من التقدم والاصلاح.

كان أحمد بن طولون مؤسس هذه الدولة تركيا، وكان أبوه أحد الأتراك الذين كان يرسلهم الولاة من بلاد ما وراء النهر الى الخلفاء العباسيين ضمن هداياهم. وقد كثر هؤلاء الأتراك منذ ولى المعتصم الخلافة (٢١٨هـ) اذ كانت أمة تركية، فاعتمد على العنصر التركى، واتخذ من الأتراك حرساً له، وأسند اليهم مناصب الدولة، كما كان يفعل الخلفاء العباسيون من قبله من تولية الفرس مناصب الدولة. فولى المأمون عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر صلاتها وخراجها (٢١١ – ٢١٣هـ)، وولى المعتصم آشناس التركى مصر (٢١٩ – ٢٢٩هـ)، وقلد الواثق إيتاخ (٢٣٤ – ٢٣٥هـ). وكان هؤلاء الولاة يستخلفون عنهم نواباً يحكمون البلاد باسمهم، ويدعون لهم على المنابر

بعد الخليفة، وينقشون اسمهم على السكة، اذ لم يكن من السهل عليهم أن يتركوا دار الخلافة وما فيها من نعيم وترف ويأتوا الى مصر للإقامة فيها. ولما أسقط الخليفة المعتصم العرب من ديوان العطاء، واعتمد على الأتراك، انتشر العرب فى ريف مصر، واحترفوا الزراعة وغيرها طلباً للرزق، وأخذ العنصر العربى يضعف شيئاً فشيئاً، وبدأ ظل الولاة من العرب يزول باحلال ولاة من الاتراك محلهم. ولم يل مصر بعد ذلك عربى الا عنبسة بن اسحاق (٢٣٨ - ٢٤٢هـ).

تقلد «باكباك» التركى مصر، فاستخلف عليها ابن طولون وجعله على حاضرتها، وضم اليه جيشاً فدخلها فى شهر رمضان سنة ٢٥٤هـ. وكان ولاة مصر فى ذلك العصر لا ينيبون عنهم شخصاً واحداً فى هذه البلاد، وانما كانوا يقسمون اعمالها بين عدة أشخاص ليكون كل واحد منهم عيناً على الآخر، فلا يتطلع أحدهم الى الاستقلال بها فى يده خشية اتفاق الآخرين عليه. وكان هؤلاء الاتراك يسندون القضاء والخراج لغير هؤلاء الولاة، وبذلك كانت أعمال مصر عندما دخلها أحمد بن طولون مقسمة بين عدة أشخاص: فكان على الاسكندرية اسحاق بن دينار، وعلى برقة احمد بن عيسى الصعيدى، وعلى القضاء بكار بن قتيبة، وعلى البريد شقير الخادم غلام قبيحة أم المعتز، وعلى الخراج أحمد بن المدبر.

من ذلك نرى أن ولاية مصر لم تصف لابن طولون، لأنه انما تقلد قصبة هذه البلاد دون غيرها، اذ كان يحكمها باسم واليها باكباك، وفى استطاعته ان يعزله اذا لم يحز رضاه. هذا فضلاً عما كان من منافسة ابن المدبر عامل الخراج فى مصر ومثابرته على الايقاع به عند الخليفة، ومن قيام الثورات التى أضرم نارها الخوارج فى مصر ومن بينهم ابنه العباس، الى ما كان من سخط أبى أحمد طلحة ولى العهد عليه وعمله على صرفه

عن هذه البلاد فلم يكن بد من أن يعمل ابن طولون على التغلب على هذه الصعاب وتثبيت قدم أولاده من بعده.

قتل باكباك فتولى مصر يارجوخ صهر أحمد بن طولون، فكتب اليه «تسلم من نفسك لنفسك». وبذلك أقره على ما بيده، وزاد فى سلطته بأن استخلفه على مصر كلها. وزاد قلق ابن المدبر عامل الخراج، الذى أثار سخط المصريين بزيادته الضرائب، واستعماله القسوة فى جبايتها، وعمل على عزل ابن طولون، وخشى عاقبة أمره فى مصر، فطلب صرفه عن خراجها، وتقلد خراج دمشق وفلسطين والأردن فى سنة ٢٥٧هـ، وتقلد خراج مصر من بعده أحمد بن خالد.

وفى شهر رمضان سنة ٢٥٩ هـ مات يارجوخ صاحب اقطاع مصر الذى كان ابن طولون يحكمها نيابة عنه ويدعو له على منابرها بعد الخليفة، فتوطدت قدمه فى هذه البلاد وأصبح والياً عليها من قبل الخليفة مباشرة. وفى سنة ٢٦٣هـ كتب الخليفة المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩هـ) الى ابن طولون يستحثه على ارسال الخراج، فرد عليه: لست أطيق ذلك والخراج فى يد غيرى»، فقلده خراج مصر، وولاه الثغور الشامية، وبذلك أصبحت جميع أعمال مصر الإدارية والقضائية والعسكرية والمالية فى يده.

بعد أن قضى ابن طولون على الصعاب التى قامت فى وجهه فى مصر، اعترضته صعوبة كادت تقضى على آماله، لولا ما أوتيه من حسن السياسة وعلو الهمة ورباطة الجأش. وكان مصدر هذا الشر أبو أحمد الموفق طلحة، الذى غلب أخيه الخليفة حتى انه لم يبق له من الخلافة الا اسمها. كما أن ثورة الزنج الطاحنة أثارت عداء الموفق لابن طولون والى مصر، الذى وقف على مدى الخطر الذى هدد سلامة الدولة العباسية من ناحية الزنج، فبعث

الى الموفق بمليون ومائتى ألف دينار ولكنه استقل هذا المال، وبعث الى ابن طولون بكتاب ينطوى على الجفاء والشر، فرد عليه بكتاب شديد اللهجة.

وعلى الرغم من أن الخليفة العباسى كان يميل إلى ابن طولون، أرغم على عزله من ولاية الثغور الشامية، لكنه لم يلبث ان ردها اليه بعد أن اضطربت أحوالها. ووجد ابن طولون الفرصة سانحة لأخذ بلاد الشام بعد وفاة واليها ماجور لاشتغال الموفق بحرب صاحب الزنج، وخشى ضياع ولاية الثغور منه بسبب وقوع بلاد الشام بينها وبين مصر، وسار بجيشه نحو بلاد الشام، فدانت له أمهات مدنها، ودعى له على منابرها (٢٦٤ - ٢٦٥هـ)، ولكنه اضطر الى العودة الى مصر لقمع ثورة ابنه العباس. ثم خرج ابن طولون الى الشام (جمادى الأولى سنة ٢٦٩هـ) بعد أن اتصل به نبأ خروج لؤلؤ والى الرقة عليه وانضمامه الى الموفق، واستخلف على مصر ابنه خمارويه. وبينما هو فى طريقه اليها، بلغه خروج أهل طرسوس عليه، فعول على المسير اليها. ولكنه لما وصل الى دمشق جاءه كتاب الخليفة العباسى ينبئه فيه بالمسير اليه والاحتماء به. ورحب ابن طولون بهذه الفكرة لما تنطوى عليه من تقوية شأنه فى مصر. ولكن ابن كنداج عامل الموصل والجزيرة قبض على الخليفة المعتمد وساقه الى سامرا، وكوفىء بولاية مصر.

وقد فعلت سياسة الموفق فعلها فى الناس، فقد كان من أثر لعن الخليفة ولعن ابنه المفوض وأخيه الموفق لابن طولون، وانضمام لؤلؤ ومن معه من القواد ومنافسة ابن كنداج له وتوليته على مصر والشام، ان ضعف نفوذه الادبى فى البلاد التى دانت لسلطاته. فحلت الهزيمة بجيشه فى مكة، ولعن فى المسجد الحرام وكان من أثر هذه الدعاية الواسعة التى نشرها الموفق ضد

عدوه ابن طولون، ان حلت بـه الهزيمة لأول مرة فى طرسوس ومـات أكثر جنده من البرد بسبب غرق أمتعتهم.

وسار ابن طولـون بعد ذلك الى المـصيصة وأقام بـها ثلاثة أيام. وهنا عرضت له علته التى أودت بحياته.

قال الكندى: وتزايدت علة أحمد بن طولون، فأمر الناس بالدعاء له فغدا الناس بالدعاء له الى مسجد محمود بسفح المقطم يوم الاثنين لست خلون من شوال سنـة سبعين ومائتين. وحضر معهم القصاص فدعوا له، ثم غدوا أيضاً بالدعاء له. وحضرت اليهود والنصارى معتزلين عن المسلمين، وحضروا أيضاً اليوم الثالث مع النساء والصبيان، وأقاموا على ذلك أياماً. ثم تـوفى ليلة الأحد لعشر خلت من ذى القعدة سنة سبعين ومـائتين وله من العمر خمسون سنة وشهر وسبعة عشر يوماً، ودفن باليحموم بسفح المقطم بعد أن حكم نيفا وستة عشر سنـة، وترك من الأولاد ثلاثة وثـلاثين، منـهم سبعة عشر من الذكور وستة عشر من الاناث.

كان ابن طولون بعيد النظر عالى الهمة قوى البأس شديد المراس. اتسع ملكه حتى امتد من العراق الى برقة ومن النوبة الى آسيا الصغرى، وخشى بأسه امبراطور الروم، على ما بين بلاديهما من بعد الشقة ووعورة الطريق، فأهدى اليه عدة مصاحف للقرآن الكريم، وأرسل اليه من تحت يده من المسلمين.

وكان ابن طولون سياسياً محنكاً، وقائداً ماهراً، خبيراً بأساليب الحروب وتعبئة الجيوش، كما كان ادارياً حازماً، وقف على موارد الثروة على اختلافها، وعرف كيف يستغلها لمصلحة دولته من غير ان يرهق الأهالى بالمكوس والضرائب، وعمل على ترفيههم ونشر العدل بينهم، فاستتب الأمن واستقرت الأمور وسادت الطمأنينة بين الناس. وشمل الرخاء البلاد فى عهده، حتى بيع عشرة الأرادب من القمح بدينار واحد.

هذا، الى تحصينه الثغور والاحتفاظ بجيش كامل العدد والعدة. كما ضرب بسهم وافر فى سبيل الاصلاح، فاهتم بالزراعة وعنى باقامة الجسور وحفر الترع.

أما اخلاقه وصفاته، فقد كان مضرب الامثال فى الكرم والجود، وفى الشجاعة والبسالة، وفى صدق الفراسة، وفى العدل والتواضع. وكان يقرب اليه العلماء، ويجزل لهم العطاء، كما كان يتصدق على الفقراء. فقد أثر عنه انه كان يتصدق كل شهر بألف دينار. وكان – الى جانب ذلك – يبذل فى أعمال الخير الف دينار فى كل يوم.

قال المقريزى (خطط جـ١، ص ٣١٦): «وكانت صدقاته على أهل المسكنة والستر من الضعفاء والفقراء، وأهل التجمل متواترة. سوى مطابخه التى أقيمت فى كل يوم للصداقات فى داره وغيرها، ويذبح فيها البقر والكباش، ويغرف للناس فى القدور الفخار والقصاع على كل قدر أو قصعة أربعة أرغفة، فى اثنين منها فالوذج والاثنان الآخران على القدر. وكانت تعمل فى داره وينادى: من أحب أن يحضر دار الأمير فليحضر وتفتح الأبواب ويدخل الناس، وابن طولون ينظر ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته».

ويعد ابن طولون من حفظة القرآن المعدودين، ولذلك كان من أكثر الولاة احتراماً لحفاظه.

خمارويه (٢٧٠ - ٢٨٢هـ)؛

بعد وفاة ابن طولون، اجتمع الجند – على ما قضت به العادة فى ذلك الوقت – وولوا مكانه ابنه خمارويه: ولم يستطع الخليفة العباسى الا الموافقة على تعيين الوالى الجديد وله من العمر عشرون سنة. ولم تكن ولاية مصر

قد توطدت اركانها لآل طولون، وأصبح خمارويه أمام عدة صعاب لا سبيل الى التغلب عليها الا بالقوة حيناً وبالدهاء حيناً آخر.

ولا غرو، فقد ظلت مصر فى عهد خمارويه كما كانت فى عهد أبيه، محط أطماع المتنافسين من القواد الأتراك، ومثار حسد أبى أحمد الموفق، فواصل لعن الموفق على المنابر، وبعث الواسطى كاتب أبيه بجيش كثيف، وعززه من البحر بأسطول قوى: وخرج الموفق من بغداد، وانضم اليه ابن كنداج والى الموصل، ومحمد ابن أبى الساج والى ارمينية والجبال، واستولوا على دمشق. فلم ير خمارويه بدأ من الخروج بنفسه، فدخل دمشق سنة ٢٧٣هـ، ثم واصل السير لقتال ابن كنداج فى أعماله، وتم الصلح بين والى مصر ودار الخلافة، وكتب الموفق والخليفة المعتمد وابنه المفوض كتاب الصلح بأيديهم – ويتضمن تولية خمارويه وأولاده من بعده على مصر والشام ثلاثين سنة. هنا أمر خمارويه بالكف عن لعن الموفق على المنابر والدعاء له مع الخليفة.

وكان من أثر هذا الانتصار ان استولى خمارويه على الرقة، واعترف بولايته على الموصل والجزيرة، ودعى له على منابرها، كما اخضع ابن أبى الساج (٢٧٦ هـ/ ٨٨٨م)، وطارد جيوشه الى مدينة (بلد) على نهر دجلة، حيث بنى على شاطئه سريراً من الذهب ليجلس عليه، اشارة بما حازه من نصر مؤزر. كما كان من أثر هذا الانتصار ان اعترف بسلطانه والى طرسوس (٢٧٦هـ)، بعد ان كان قد نبذ طاعة الطولونيين سنة ٢٧٠هـ. ولم تقتصر اعمال خمارويه الحربية على ما تقدم، بل اتسع نفوذ مصر فى عهده الى ما وراء ولاية طرسوس، فغزت جيوشه الولايات الرومانية عدة مرات (٢٧٧ – ٢٧٩هـ).

وقد ساعد موت الموفق وابن كنداج (سنة ٢٧٨هـ) والخليفة المعتمد (سنة ٢٧٩هـ) على توطيد سلطان خمارويه الذى استطاع ان يكسب رضا الخليفة المعتضد بهداياه، فأقره على ولاية البلاد الممتدة بين الفرات وبرقة ثلاثين سنة، وجعلها لأولاده من بعده. وكان من أثر سياسة حسن التفاهم ان عرض خمارويه زواج ابنته أسماء التى تلقب بقطر الندى من ابن الخليفة العباسى، ولكن الخليفة اختارها لنفسه.

توفى خمارويه فى سنة ٢٨٢هـ وكان محباً للترف يبذل الأموال الضخمة على أبهة بلاطه ومبانيه الفخمة ومتنزهاته وغير ذلك. وقد بلغت نفقات جيشه تسعمائة ألف دينار كل سنة، وكانت رواتبهم وأرزاقهم تدفع اليهم بانتظام. هذا الى ما عرف عن خمارويه من كثرة أنفاقه على مطابخه، حتى بلغت نفقاته كل شهر ثلاثة وعشرين الف دينار (٢٧٦٠٠٠ دينار فى السنة). ولا شك أن كثرة هذا المبلغ وتسمية مطبخه مطبخ العامة يدلان على انه نسج على منوال ابيه فى حبه للجود والكرم، وشغفه بمد يد المساعدة الى الفقراء والمعوزين، هذا الى ما أطلقه من الأرزاق لجواريه وأولاده ومن يقوم بخدمتهم.

زوال الدولة الطولونية (٢٨٣ - ٢٩٢هـ):

ولى مصر بعد خمارويه ثلاثة من آل طولون لم يزد حكمهم على عشر سنين، لم تستفد البلاد فيها شيئاً غير انتشار الفوضى، وتألب الجند وتنازع السلطة بين المتنافسين، وانتصار الجند لفريق دون فريق. ذلك انه لما توفى خمارويه بدمشق (ذو القعدة ٢٨٢هـ) عاد ابنه أبو العساكر جيش الى مصر، حيث أخذ الناس عليه أموراً أثارتهم عليه، فاستوحش من كبار الجند وتنكر لهم، فعملوا على الكيد له والخلاص منه، وفر بعضهم الى الخليفة العباسى، وخلع طاعته طغج بن جف (أبو محمد الاخشيد مؤسس الدولة الاخشيدية

بمصر) عامل دمشق. وقد آل جيش على نفسه ليشعلن نار الفتن والثورات، فقتل عمه مضر بن أحمد بن طولون، فوثب عليه الجند وخلعوه، ثم جمعوا الفقهاء والقضاة فتبرءوا من بيعته، وانضموا الى الجند فى خلعه (١٥ جمادى الآخرة سنة ٢٨٣هـ)، وذلك بعد نيف وستة أشهر من ولايته، فظل فى سجنه الى ان مات بعد أيام.

اجتمع الجند يوم خلع جيش وولوا - على ما جرت به العادة فى ذلك الوقت - أبا موسى هارون بن خمارويه. وكان صغيراً لم تزد سنة على الرابعة عشرة، فلم يكن يصلح للولاية والحكم. وربما كان ذلك مما دفع بطائفة من الجند الى عدم الرضا بتوليته، فكاتبوا رجلاً آخر من بنى طولون، هو ربيعة بن أحمد بن طولون، وكان فى الاسكندرية، وطلبوا اليه ان يسير الى مصر، ووعدوه ان يقدموا لنصرته. فليس من عجب اذا صادفت هذه الدعوة قبولاً فى نفس ربيعة الذى جمع من أهل البحيرة ومن البربر وغيرهم جيشاً كثيفاً سار على رأسه حتى نزل قريباً من الفسطاط. على أن حال هؤلاء القوم مع ربيعة كانت أشبه من بعض الوجوه بحال أهل الكوفة مع الحسين ابن على، فقد خذلوا ربيعة وقعدوا عن نصرته، ولم يحولوا على الأقل دون خروج جند هارون الذين قاتلوه وأسروه (شعبان سنة ٢٨٤هـ) ثم أثخنوه بالسياط، حتى قيل انه ضرب ألفاً ومائتى سوط، ومات تحت الضرب.

لم يفلح المناوئون لحكم هارون فيما دبروه، بل لم تعد نصرتهم لربيعة حد التدبير والكتابة. وفى عهد هارون خرج القرامطة بالشام (٢٩٠هـ) وكانت تابعة لمصر، فأنفذ والى مصر جيشاً لمحاربتهم، ولم يستطع هذا الجيش اخراجهم من الشام، بل حلت به الهزيمة، وأدى هذا الضعف الى تجديد رغبة الخلافة العباسية فى اعادة مصر الى سلطانها المطلق، فبعث الخليفة المكتفى (٢٨٩ - ٢٩٥هـ) محمد بن سليمان الكاتب لاستردادها من

هارون، فنزل بحمص وبعث بأسطول الى سواحل هذه البلاد، ثم واصل السير الى فلسطين. وخرج هارون بن خمارويه لدفع سليمان عن دخول مصر، وسير المراكب الحربية لقتاله. وفى تنيس التقى الاسطولان العباسى والمصرى، فحلت الهزيمة بأسطول مصر، ووقعت تنيس ودمياط فى يد محمد بن سليمان.

رأى هارون انه لا طاقة له بهزيمة الجيش العباسى، فصمم عى الفرار، ولجأ الى العباسة، ومعه أهله واعمامه ونفر يسير من جنده. وفى هذا المكان قتله عماه شيبان وعدى ابنا أحمد بن طولون، وهو منشغل باللهو ثمل بالخمر (صفرسنة ٢٩٢هـ) ولم يناهز حينذاك الثانية والعشرين من عمره.

هكذا انتهت ولاية هارون الذى قتل بيد عميه، فكان طبيعياً اذا ان يؤول أمر هذه الولاية الى أحد قتلته. وقد آلت فعلاً الى عمه شيبان الذى لم يلبث ان سار الى الفسطاط ليتسلم مقاليد هذه الولاية. بيد ان هذا العمل لم يرض الجند، بل أغضبهم بمقدار ما اغضبهم قتل مضر بن أحمد بن طولون على يد ابن أخيه جيش ابن خمارويه من قبل. وانكر القواد جميعاً، ما أتاه شيبان وأخوه، ولم يعترفوا بولاية شيبان، وكاتبوا محمد بن سليمان وطلبوا منه المسير الى مصر، فسار حتى نزل العباسة حيث لقيه طغج بن جف فى جمع كثير من القواد، وصحبوه الى الفسطاط. وهنا انضم اليهم أصحاب شيبان الذى لم يجد بدا من طلب الامان من محمد بن سليمان. وفى شهر ربيع الأول من سنة ٢٩٢هـ خرج شيبان، ولم يكن قد مضى على ولايته غير اثنى عشر يوماً، ودخل القائدة العباسى مدينة القطائع، والقى فيها النار، ونهبت رجاله الفسطاط وكسروا أبواب السجون وأخرجوا أولاد ابن طولون وانصارهم من القواد. وهكذا زالت الدولة الطولونية بعد أن حكمت هذه البلاد ثمانياً وثلاثين سنة.

على ان الاضطرابات استمرت فى هذه البلاد، بسبب ضعف الخلفاء العباسيين، وعجزهم عن المحافظة على سلطانهم فيها، ثم لاستبداد الاتراك بالسلطة، وضعف مصر نفسها وقيام المنافسة بين الولاة وعمال الخراج. هذا الى أن مصر قد تعرضت فى ذلك الوقت لغزوات الفاطميين، الذين أسسوا دولتهم فى بلاد المغرب سنة ٢٩٦هـ، وحاولوا الاستيلاء على مصر مرات لاتخاذها مركزاً لنشر دعوتهم، ومقراً لخلافتهم وبسط نفوذهم فى الشرق، وظلت مصر على هذه الحال، الى ان ولاها محمد بن طغج الاخشيد، فدخلت فى عهده فى طور جديد من التقدم والاصلاح.

٢- الدولة الاخشيدية في مصر والشام

(٣٢٣ - ٣٥٨هـ/ ٩٣٥ - ٩٦٩م)

	هجرية	ميلادية
١- محمد الاخشيد بن طغج	٣٢٣	٩٣٥
٢- أبو القاسم أنوجور بن الإخشيد	٣٢٤	٩٥٦
٣- أبو الحسن على بن الاخشيد	٣٤٩	٩٦٠
٤- أبو المسك كافور	٣٥٥	٩٦٦
٥- أبو الفوارس أحمد بن على	٣٥٧	٩٦٧
		٩٦٩

٢- الدولة الاخشيدية في مصر والشام

(٣٢٣ - ٣٥٨هـ/ ٩٣٥ - ٩٦٩م)

محمد بن طغج الاخشيد (٣٢٣ - ٣٣٤هـ) :

كان أبو بكر محمد بن طغج بن جف من أولاد ملوك فرغانة، وكان كل من ملوكها يلقب الاخشيد، كما يلقب ملك الفرس بكسرى، وملك الروم بقيصر، وملك الحبشة بالنجاشى.

سار جف جد الاخشيد الى الخليفة المعتصم، فأكرمه، وأقام معه الى ان توفى هذا الخليفة، فاتصل بابنه الواثق ثم بأخيه المتوكل، وظل على ذلك إلى ان توفى فى نفس الليلة التى قتل فيها المتوكل.

ولما سار جف الى بغداد بمن بقى معه من الطولونيين وانصارهم، سار معه ابنه طغج، فنقم على الوزير العباس بن الحسن، لأنه ترفع عن النزول له والترجل، فأوقع به الوزير عند الخليفة وحبسه مع ابنيه محمد وعبيد الله.

وقد ظل طغج وابناه فى الحبس الى ان توفى سنة ٢٩٤هـ على ما تقدم، فأطلق الوزير ابنيه، فلزما خدمته، وكانا يركبان معه اذا ركب ويقفان بين يديه اذا جلس، وظلا على ذلك الى اليوم الذى ضرب فيه الحسين بن حمدان الوزير العباس بن الحسن بالسيف على عاتقه. ولم يكن ولداً طغج نسيا الاخذ بثأر أبيهما كما لم يكن ابن حمدان يجهل ما فعله الوزير بطغج. فلما سقط الوزير عن جواده صاح ابن حمدان بولدى طغج ليثأرا لقتل أبيهما، فضربا العباس بالسيف. وهرب ابن حمدان الى ديار ربيعة، وهرب عبيد الله بن طغج الى شيراز حيث دخل فى خدمة أميرها.

أما طغج بن جف فقد زودنا ابن زولاق بشيء ذي غناء عن سيرته، فذكر لنا أنه ولد له سبعة أولاد من الذكور، أحدهم محمد الاخشيد الذى ولد فى منتصف شهر رجب سنة ٢٦٨هـ بشارع باب الكوفة ببغداد، ووصفه بالثراء وسعة العيش. اتصل محمد بن طغج بخدمة ابن بسطام عامل بلاد الشام، وقد ذكر ابن سعيد نقلاً عن ابن زولاق ان عبيد الله بن طغج عاد الى بغداد فى أيام الخليفة المقتدر، واتصل بخدمته، وحاز من علو المرتبة ما جعله يفتخر على أخيه الاخشيد، فكان يخرج معه للصيد. ولما ولى ابن بسطام مصر صحبه الاخشيد اليها وبقى معه الى ان توفى سنة ٢٩٧هـ، فانضم بخدمة ابنه ابى القاسم على، ثم حارب تحت قيادة تكين، فى الموقعة التى دارت بين الجند المصريين وجند حباسة بن يوسف الكتامى قائد عبيد الله المهدى الفاطمى فى بلاد المغرب. وفى هذه الموقعة أبلى الاخشيد بلاء حسنا، وتوثقت الصلة بينه وبين تكين، فكان يتنقل معه بين الشام ومصر. وقد ولى عمان وجبل الشراة شمالى العقبة سنة ٣٠٦ هـ نيابة عن تكين الذى كان يلى بلاد الشام اذ ذاك، ثم ولاه الاسكندرية فى ولايته الثانية على مصر (٣٠٧ - ٣٠٩هـ)، واشترك فى غزوة الفاطميين الثانية على مصر بقيادة القائم ابن المهدى وولى عهده.

اشتهر أمر محمد بن طغج فى الدولة العباسية منذ سنة ٣٠٦هـ، حين ولى اقليم طبرية وجبل الشراة نيابة عن تكين، وذلك على أثر بلائه وايقاعه بجماعة من لخم وجذام كانوا قد دهموا حاج الشام وجماعة من أهل العراق، منهم جارية أم الخليفة المقتدر. وقد سار الاخشيد بالأسرى الى دمشق، فحمد له تكين هذا العمل، وكتب أهل العراق بما كن من خلاصهم على يد

الاخشـــيد، فاشتهر أمره، وكتب اليه الناس يشكرون له فعله ويحمـــدون مروؤته.

ولا غرو فقد كان من اثر انتصار محمد بن طغج على جند الفاطميين الذين غزوا مصر (٣٢١ - ٣٢٤هـ)، ان أمر الخليفة العباسى بزيادة «الاخشيد» على اسمه، وهو اللقب الذى كان يطلق على ملوك فرغانة، ودعى له بهذا اللقب على منابر مصر والشام فى شهر رمضان سنة ٣٢٧هـ.

وقد أعاد الاخشيد النظام والسكينة، ووطد مركزه فى مصر والشام، وصد غزوات الفاطميين الذين ارسلوا الى مصر حملة استمرت ثلاث سنوات (٣٢١ - ٣٢٤هـ) حدثت فيها مناوشات بين جند الفاطميين والمصريين، وانتهت بمعاهدة الصلح.

ويخبرنا الكندى انه حدثت فى عهد ولاية الاخشيد الثانية (رمضان سنة ٣٢٣ - جمادى الثانية سنة ٣٢٤) عدة مواقع انتهت بعقد الصلح بين الفريقين، وانضمام بعض الزعماء المصريين الى جيش المغاربة الذى دخل الاسكندرية، فأرسل إليهم الاخشيد جيشاً هزمهم وأرغمهم على العودة الى بلادهم.

وكتب القائم الفاطمى الى الاخشيد بيده كتاباً دوّنه ابن سعيد فى كتابه «المغرب فى حلى المغرب». وانما فعل القائم ذلك رغبة منه فى ان تفعل سياسة اللين والمسالمة ما لا تفعله سياسة العداوة والحرب التى أخفق فيها هو وأبوه من قبل.

وقد سادت صلة الوفاق بين الاخشيد والخلافة العباسية الى سنة ٣٢٨هـ، حين تبدلت هذه الصلة بمسير محمد بن رائق الخزرى الى الشام يريد مصر بتقليد من الخليفة، مما حدا بالاخشيد الى الغاء الخطبة للخليفة العباسى وذكر

اسم الخليفة الفاطمى محل اسمه فى الخطبة، أو على الاقل الى وقف لدعوة للخليفة العباسى ردحاً من الزمن.

وفى هذه السنة وقعت الحرب فى العريش بين الاخشيد وابن رائق، الذى استولى على دمشق من قبل، فمضى ابن رائق منهزماً الى الرملة، وعلى الرغم من قتل عبيد الله بن طغج أخى الاخشيد، عقد الصلح على ما يحب ابن رائق، فتقلد ولاية الأراضى الشامية الواقعة شمالى الرملة، وتعهد الاخشيد بأن يدفع اليه ١٤٠,٠٠٠ دينار جزية سنوية، مما حدا ببعض المؤرخين الى أن يعد عقد الاخشيد للصلح على هذه الصورة مع انتصاره على خصمه دليلاً على ضعف سياسته.

على اننا نرى فى عمله هذا ما يبرره نظراً للأحوال التى كانت تربط به، لأنه كان يخشى ان تواصل الخلافة العباسية الحملات عليه، على الرغم من انتصاره فى هذه المرة، ولأنه كان يخشى خصماً آخر يهدده من ناحية مصر الغربية، وهو الخليفة الفاطمى.

بيد أن وفاة ابن رائق بعد الصلح بسنتين أعادت الى حوزة الاخشيد كل بلاد الشام من غير حرب، ودخلت مكة والمدينة تحت سيادة مصر، وأصبح الاخشيد من القوة بحيث يستطيع أن يأمر عماله وقواده بالاعتراف بولاية ابنه أنوجور.

غير أن الأمر لم يكن قد استتب للأخشيد بعد، لخروج العلويين عليه فى مصر، ومناوأة الحمدانيين الذين استولوا على قنسرين والعواصم سنة ٣٣٢هـ فولاها ناصر الدولة بن حمدان صاحب الموصل ابن عمه الحسين بن سعيد بن حمدان. ثم سار الاخشيد الى الشام، فانتهز ابن السراج العلوى هذه الفرصة وسار الى الصعيد ونهب بعض بلاده. ولكن قوته لم تكن بالتى تديل

دولاً وتقيم أخرى، فسرعان ما سار الى برقة ودخل فى سلطان الخليفة.

وقد ساءت العلاقة بين الاخشيديين وسيف الدولة الحمدانى على اثر استيلائه على حلب واضطر الاخشيد الى عقد الصلح الذى يقضى بترك حلب وما يليها من بلاد الشام شمالاً للحمدانيين، وتعهد بأن يدفع لهم جزية سنوية لقاء احتفاظه بدمشق.

وصاية كافور على أولاد الاخشيد :

ولما شعر الاخشيد بدنو أجله، عهد إلى كافور بالوصاية على ولده ابى القاسم انوجور. وقد مات الاخشيد بدمشق فى ٢٤ ذى القعدة سنة ٣٣٩هـ (بوليه سنة ٩٤٦م)، وهو فى السادسة والستين من عمره، ونقل الى بيت المقدس، ودفن بها بعد ان ولى مصر احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ويومين. فخلفه ابنه ابو القاسم أنوجور ثم أبو الحسن على. ولا نستطيع الحكم عليهما، اذ لم تترك لهما الفرصة الكافية لاظهار كفايتهما حتى ماتا فى غموض تام لم يشعر بولايتهما أحد. وكان أنوجور فى ذلك الحين لا يزال طفلاً لم يجاوز الرابعة عشرة من عمره، فقام بتدبير أمره كافور الاخشيد، الذى بقيت علاقته بهذا الوالى الجديد على ما كانت عليه من قبل، وهى علاقة الاستاذ بالتلميذ، وأصبح كافور بذلك صاحب السلطان المطلق فى إدارة الدولة الاخشيدية. «وبقى الاسم لأبى القاسم والدست لكافور».

وقام فى وجه كافور فى مبدأ حكمه بعض المشاكل الداخلية والخارجية، فنجح فى القضاء على ثورة قام بها أهل مصر، فارتفع شأنه عند الناس على اختلافهم. وبعد ذلك بقليل وردت الانباء باضطراب الامور فى الشام

واستيلاء سيف الدولة الحمدانى صاحب حلب على دمشق وبأنه عول على المسير الى الرملة لغزو مصر، فحاربه كافور وانتصر عليه انتصاراً حاسماً بالقرب من مرج عذرا بجوار دمشق، ودخل الجيش المصرى مدينة حلب، وعقدت بين الفريقين معاهدة الصلح، بنفس الشروط التى عقدت بها فى أواخر أيام الاخشيد، ماعدا الجزية التى وقف دفعها.

وحصل كافور على موافقة الخليفة العباسى على تولية الامير الصغير على مصر والشام وعلى المدينتين المقدستين مكة والمدينة، كما ضم الى حكم مصر فيما بعد كل بلاد سورية حتى مدينتى حلب وطرسوس. وبذلك عظم شأنه وزادت شهرته، واستطاع أن يقبض على زمام الاحكام من غير ان تكون له سلطة شرعية. وخاطبه علية القوم بالاستاذ، وذكر اسمه فى الخطبة، ودعى له على المنابر فى مصر والبلاد التابعة لها، وأتيح له بما أغدقه من العطايا والهبات أن يكتسب محبة رؤساء الجند وكبار الموظفين.

على أن أنوجور لما كبر وشعر بحرمانه من سلطته ظهرت الوحشية بينه وبين كافور. وانقسم الجند فريقين: الاخشيدية، وهم مماليك الاسرة الاخشيدية وانصارها. والكافوريون وهم انصار كافور الذين رقاهم الى المناصب العالية فى الدولة. ومع ذلك ظل كافور على ما هو عليه يصرف لابن سيده راتباً سنوياً قدره اربعمائة ألف دينار.

ولا شك أن كافورا كان مشغولاً بالامارة ولوعا بالسلطة، فإنه لما تولى ابو الحسن على بن الاخشيد بعد أخيه أنوجور، ظل يباشر الامور بنفسه، على الرغم من أن الوالى الجديد قد ناهز الثالثة والعشرين من عمره، بل انه حرمه كل عمل، ومنع الناس من الاجتماع به، فأصبح أبو الحسن أسيراً فى

قصره لا عمل له الا الصلاة أو اللهو. وعيّن له كافور - كما عين لأخيه من قبل - أربعمائة ألف دينار فى كل سنة، وبقى أبو الحسن على ذلك الى ان مات سنة ٣٥٥هـ بالعلة التى مات بها أخوه من قبل.

وكان الوارث للعرش ولداً صغيراً يدعى أحمد بن أبى الحسن على، فحال كافور دون تعيينه بحجة انه غير صالح للحكم لصغر سنه، وبقيت مصر بغير أمير نحوا من شهر. وفى المحرم سنة ٣٥٥هـ أخرج كافور كتاباً من الخليفة العباسى بتقليده على ولاية مصر، وأظهر الخلع التى وصلت اليه من الخليفة، فنودى به والياً على مصر وما يليها من البلاد، فلم يتغير لقبه «الاستاذ» ودعى له بعد الخليفة على المنابر.

ظل كافور على رأس الحكومة المصرية زهاء سنتين وأربعة أشهر (١٠ صفر ٣٥٥ - جمادى الأولى سنة ٣٥٧هـ). ويصف المؤرخون عهده بأنه كان عهداً أسود، توالت فيه المصائب على مصر، فقد تعرضت بلاد الشام لغارات القرامطة الذين نهبوها وقبضوا على قافلة مصرية كبيرة تتألف من عشرين ألف جمل كانت ذاهبة الى مكة لأداء فريضة الحج (سنة ٣٣٥هـ)، ووقعت بمصر زلازل مروعة، وشبت نيران هائلة دمرت ١٧٠٠ منزل من منازل الفسطاط، وأغار ملك النوبة على مصر فجأة، وعاث فساداً فى البلاد الواقعة بين الشلال الأول وأخميم، فأحرق بعض المدن وقتل أهلها بالسيف ونهب أموالهم. وكان أشد هذه الأهوال انخفاض ماء النيل.

وفى عهد كافور حاول المعز لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين العودة لغزو مصر، وسار بجيشه الى حدود هذه البلاد الغربية، ووصل الى الواحات. فجهز اليه كافور جيشاً أوقف تقدمه وطرده، ولكنه تلقى بالقبول الدعاة الفاطميين الذين قدموا عليه من قبل المعز يدعونه إلى طاعته والاعتراف

بسيادته، ووعد كثير من رجال بلاط وكبار موظفى دولته بتقديم الولاء للخليفة الفاطمى.

روى أبو المحاسن عن الذهبى: «وكان كافور يدنى الشعراء ويجيزهم، وكانت تقرأ عنده فى كل ليلة السير وأخبار الدولة الأموية والعباسية، وله ندماء. وكان عظيم الحرمة، وله حجاب، وله جوار مغنيات، وله من الغلمان الروم والسود ما يتجاوز الوصف. زاد ملكه على مولاه الاخشيد. وكان كثير الخلع والهبات، خبيراً بالسياسة فطناً ذكياً، جيد العقل داهية. كان يهادى المعز صاحب المغرب ويظهر ميله اليه، وكذا يذعن بالطاعة لبنى العباس، ويدارى ويخادع هؤلاء وهؤلاء، وتم له الأمر».

وقد نبغ بمصر فى عهد كافور الاخشيد كثير من الفقهاء والأدباء والمؤرخين ومن أشهرهم القاضى أبو بكر بن الحداد، وتلميذه محمد بن موسى المعروف بسيبويه المصرى، وأبو عمر الكندى، والحسن بن زولاق.

توفى كافور بمصر فى شهر جمادى الأولى سنة ٣٥٧هـ، وعاش بضعاً وستين سنة، وكذلك امارته على مصر ثلاثاً وعشرين سنة، استقل منها بالملك سنتين وأربعة شهور، خطب له فيها على منابر مصر والشام والحجاز والثغور، مثل طرسوس والمصيصة وغيرهما، وحمل تابوته الى القدس فدفن به، وكتب على قبره :

ما بال قبرك يا كافور منفرداً ∴ بالصحصح المرت بعد العسكر اللجب
يدوس قبرك آحاد الرجال وقد ∴ كانت أسود الشرى تخشاك فى الكتب

ولما توفى كافور، اختار رجال البلاط أبو الفوارس أحمد حفيد الاخشيد والياً على هذه البلاد، وكان طفلاً لم يبلغ الحادية عشرة من عمره، فعينوا الحسن بن عبيد الله بن طغج – والى الشام – وصياً عليه. غير أنه لم يلبث ان استبد بالأمر وأساء معاملة الأهلين، فسخط عليه المصريون، واضطر اخيراً الى العودة الى بلاد الشام، وقد انتهز المعز لدين الله الفاطمى فرصة هذا الاضطراب الذى فشا فى مصر، وضعف بغداد عن الدفاع عنها، لا شتغالها بصد غارات البيزنطيين الذين توغلوا فى بلاد الدولة العباسية، فبعث جيشا لغزو مصر بقيادة جوهر الصقلى سنة ٣٥٨هـ(١).

(١) انظر، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى، جـ ٣، ص ١٢٦ – ١٤٢.

القسم الثاني

الفصل الرابع

الدولة الفاطمية

الدولة الفاطمية

أهميـة قيام الدولة الفـاطمية تتلخص فى أنه لأول مرة ينجح العلويون أو الشيعة فى تكوين دولة لهم، وفى اتخاذ لقب الخليفة أو أمير المؤمنين ذلك اللقب الذى كانوا يطالبون به منذ وفاة النبى باعتبار أن الخلافة تركة النبى وينبغى أن تئول إلى أقاربه.

١ - الشيعة

والفاطميون من الشيعة [١] الغلاة وهم ينتسبون إلى فاطمة بنت النبى واتخذوا اسمهم من اسمها وعلى ذلك فهم علويون أى من نسل على بن أبى طالب ابن عم النبى وزوج ابنته ولكنهم على عكس غيرهم من العلويين عندما انتسبوا إلى فاطمة أرادوا أن يؤكدوا زعم وراثتهم لخلافة النبى على عكس غيرهم من العلويين الذين ينتسبون إلى على ولكن إلى غير فاطمة مثل الشيعة الكيسانية اتباع محمد بن الحنفية. وهم أرادوا أيضاً أن يحددوا وراثة الخلافة فى هذا الفرع الفاطمى العلوى علىٰ عكس من أرادوا أن تكون الخلافة مشاعة فى آل النبى ومن هو أقرب الرجال إليه مثل العباسيين الذين بدأوا دعوتهم للرضا من آل محمد ثم استخلصوا الخلافة لأنفسهم باعتبارهم حفدة العباس عم النبى وأحق الناس بوراثة تركته. والفاطميون كما قلنا من الشيعة الغلاة أى من أولئك الذين يخلعون على الإمام صفات إلهية وهم بذلك يوضعون أسرة على فوق مستوى البشر فيقولون أن روح الله تحل فى الأئمة حلولاً شبه كلى وذلك على عكس عامة الشيعة الذين يعرفون بالإمامية أو الإثنى عشرية الذين يقولون إن

---

(١) الشيعة لغة هم الأصحاب والأتباع، ويطلق فى عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على أتباع على وبنيه رضى الله عنهم. انظر : ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٤٨.

هذا الحلول إنما هو حلول جـزئى ويعكس المعتـدلين من الشيـعـة وهم جـمـاعـة الزيدية الذين لايقولون بحلول روح الله فى الإمـام بل يقولون إن الإمام يتمتـع بتوجيه من الله بتوجيه العناية الإلهية فى أعماله[١].

وينتسب الفاطميون من الشيعة الإسماعيلية الذين يعرفون أيضاً بالسبعية مثلهم فى ذلك مثل جماعة القرامطة أو جماعة «الحشاشين» الذين يتمسكون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق[٢] وهو السابع فى تسلسل الأئمة ويقولون أنه يختم قائمة الأئمة الشرعيين الظاهرين وذلك على عكس غالبية الشيعة من الإمامية أو الاثنى عشرية الذين يضعون مكان اسماعيل أخاه الأصغر «موسى الكاظم» ثم يضعون بعده خمسة من الأئمة آخرهم محمد بن الحسن بن على العسكرى الذى تغيب واختفى فى سرداب دارهم بسامرا وذلك فى ٢٦٥ هـ / ٨٦٥ هـ. فهو المهدى وهو الإمام المنتظر[٣].

وأصول الشيعة الرئيسية سياسية بصفة عامة وهذا يعنى أنه لايوجد خلاف أساسى فيما يتعلق بالمعتقدات بين الشيعة أو بين الشيعة وبين السنية وهذا ما قد يخطر على بال البعض.

وإذا رمى البعض الشيعة بشئ من التساهل فيما يتعلق بالأمور الدينية فإنهم على العكس من ذلك نجدهم يتعصبون للإسلام تعصباً أكثر من تعصب أهل السنة فى كثير من الأحيان.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٥١.

(٢) انظر، الشهرستانى، الملل والنحل، ج ٢، ص ٥، ص ٢٧ - ٢٨.

(٣) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٥٢، ص ١٨ - ١٩، الشهرستانى، الملل والنحل، ج ١، ص ١٩٥.

أصول التشيع سياسية فى جوهرها وليست عـيـية فالخلفاء الثلاثة الأول عند الشيعة غير شرعيين[1].

عند الجمهرة الزيدية سيوافقون على شرعية أبو بكر وعمر[2].

أما الأمويون والعباسيون فهم مغتصبون وعلى ذلك فالأساس الشيعى فى السياسة هو فكرة الشرعية أى شرعية الحكم، فهم يعتقدون أن عليا وسلالته هم الخلفاء الحقيقيين وهم الأئمة بوجه أصح وذلك أن الإمام وريث النبى ويتم تعيينه بطريق إلهى بفضل وصية سرية تنتقل من إمام إلى إمام وهؤلاء معصومون.

وينسبون أصل هذه القصة إلى النبى فيقولون أنه عقب حجة الوداع أوصى النبى صراحة أمام جمع من صحابته بخلافته إلى على وذكر فى موضع يعرف «بغدير خم» فيقولون إن النبى خطب الناس فقال : «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى يارسول الله قال : فمن كنت مولاه فعلى مولاه اللهم ولى من والاه وعادى من عاداه وأ نصر من نصره وأخذل من خذله».

ومازال الشيعة يحتفلون بهذا اليوم ويسمونه عيد الغدير [3]. وهذا يعنى أن الشيعة - جمعت مبدأ الوراثة ومبدأ النبوة ... ويترتب على ذلك أن وجود الإمام ضرورياً فى كل زمان ومكان.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٥، انظر ابن حزم، الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج ٤، ص ١٦٤، الشهرستانى، ج ١، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) انظر ، الشهرستانى، ج ١ ، ص ٢٢٠ حيث نص الحديث : «من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه».

(٣) عن عيد الغدير، انظر المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

وهذه العصمة التى يتمتع بها الإمام الشيعى تجعل من التشيع مذهب تسلط واستبداد وذلك على عكس مذهب أهل السنة الذى يعتبر العصمة من صفات الله والذى يأخذ بمبدأ الإجماع بمعنى أنه مذهب الشورى والاختيار. ولما كان التشيع موضع اضطهاد الدولة التى طاردت أتباعه منذ أيام الأمويين ثم العباسيين أصبح له حياة مستترة عملت على ستر أو كتمان أو عدم الكشف عن معتقداته وكانت هذه السرية من الأسباب التى عملت على التسامح فى عدم تنفيذ تعاليم المذهب وخاصة فى أوقات الخطر ومع مرور الوقت أصبح هذا الكتمان الذى يعرف باسم «التقية» وأصبحت التقية من أهم مميزات الشيعة الغلاة[1].

ولما كان وجود الإمام ضرورياً لكل زمان ومكان فإن آخر الأئمة لم يمت بل هو غائب وينبغى أن يعود فى يوم ما (الرجعة) وفكرة عودة الإمام هى التى تمخضت عنها الحركات المهدية وذلك أن المهدى الذى يملأ الدنيا عدلاً قبيل آخر الزمان أصبح أحد أفراد بيت على وسليل فاطمة.

واستفاد عبيد الله المهدى من هذه التقاليد الشيعية واستطاع أن يؤسس دولة الفاطميين فى بلاد المغرب ثم فى مصر وبفضل الستر والكتمان وسعت الشيعة الإسماعيلية ومنها الشيعة الفاطمية نطاق أعمالها كجمعية سرية تتحد بخضوعها المطلق لرئيسها وبفضل الدراسة الدينية التى تستخدم تأويل القرآن وتفسيره إلى حد بعيد استطاع أتباع هذا المذهب أن يقننوا نوعا من الحرية الدينية والأخلاقية التى قد تتمثل فيما يعرف عن الشيعة «بزواج المتعة»، وهو الزواج المؤقت أو ما يتعلق بمسألة «توريث البنات».

وسبب توقف الإسماعيلية عند الإمام السابع وإنكارهم الأئمة الخمس

---

(١) الشهرستانى ، الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

الباقين هو أنه فى حوالى ١٤٣ هـ / ٧١٠ م وجـ . مـام السادس وهو جعفر الصادق أن ابنه الأكبر «إسماعيل» غير جدير بالإمامة فخلعه وأحل مكانه ابنه الأصغر «موسى الكاظم»[١].

وعلى عكس الإمامية وهم «الاثنى عشرية»، لم يوافق الشيعة الإسماعيلية على تنحية أو على عدم صلاحية إسماعيل لتولى الإمامة، وعلى ذلك فرغم زيوع خبر موته الذى ربما حدث فى عهد أبيه فإنهم ظلوا مخلصين له وذلك بفضل شبكة الدعاية الكبيرة التى نظموها وظل نشاط الفرقة خلال قرن من الزمان نشاطاً دينياً إلى أن استطاع أحد الدعاة من توجيه الدعوة نحو أغراض سياسية.

وتمكن الداعية حمدان قرمط (حمدان بن الأشعث) من أن يجمع له عناصر من العمال والفلاحين فى أسافل العراق ممن كانوا قد اشتركوا فى ثورة الزنج فى منتصف القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى واكتسبهم إلى جانب الإمام المستور حتى يرضى ميولهم نحو المساواة التى طالبوا بها ونظمهم قرمط بعد ذلك فى طبقات من أصحاب المعرفة انتشرت دعوة القرامطة إلى جزيرة العرب وشمل نشاطها بلاد الشام. وانقلبت جزئياً إلى مايمكن أن يشبه بشيوعية بدائية وأدى ذلك إلى قيامهم بأعمال متطرفة خرجت على كل العرف والتقاليد المعروفة فى الإسلام فانتهكوا الحرمات وبلغ بهم الأمر أن أخذوا الحجر الأسود من الكعبة وكسروه فى (٣١٦ هـ / ٩٢٨م) ولم يردوه إلا بعد أن تدخلت جماعة أخرى من الإسماعيلية وهم «الفواطم» يقال أنهم ردوه بعد نصح الخليفة الفاطمى[٢].

---

(١) انظر، الشهرستانى، الملل والنحل، ج ٢ ، ص ٥ ، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) انظر، ابن الأثير، الكامل، ج ، ص .

وهذا يعنى أن حركة القرامطة هذه استغلت المبادئ الشيعية ووجهتها وجهتين : إحداهما شعبية وهى التى تتمثل فى المطالبة بالإصلاح الاجتماعى، والثانية فكرية وهى التى تصل إلى درجات عالية فى التفكير الفلسفى حينما قسموا المعارف إلى طبقات.

وبينما كان قرمط يقوم بدعوته فى العراق آثار داع آخر هو أبو عبد الله الشيعى حماس البربر فى أفريقية باسم الفواطم ومع أن القرامطة استخدموا مذهب الإمام المستور من أجل (الثورة الاجتماعية) وتحقيق أهدافهم السياسية. ومع أن شرعية الفاطميين كانت محل نقد المؤرخين[1] فإن هذه المسألة لم تعد أساسية لدى الشيعة. فبينما قال الإمامية بتوارث الإمامة بالوصية من إمام إلى إمام. رأى الزيدية أن الإمامة تجوز لأى علوى. أما الإسماعيلية فإنهم أصبحوا يرون أن الإمامة حق إجبارى يعطى للمختار من بين العارفين بالعلم الإلهى العلم اللدنى عن طريق استنارة العقل أى الذى خصته العناية الإلهية «بالنورانية».

وبذلك أصبحت مسألة الشرعية ثانوية لدى الفاطميين الذين أعلنوا أنفسهم أئمة واستفادوا من نظرية الحلول الإلهى حتى قيل أن الحاكم منهم أصبح إلهاً. وهكذا ابتعدت الإسماعيلية عن السنية فإلى جانب القرآن اعتقدت فى تأويله أى فى تفسيره تفسيراً يتناسب مع أغراضهم كما اعتقدت فى نظرية الحلول وهو ما يوافق مذهب النصارى فى عيسى صلوات الله عليه كما يقول ابن خلدون[2].

---

(١) انظر، ابن خلدون، المقدمة (فى فضل علم التاريخ. وتحقيق مذاهبه والالماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط والأوهام وذكر شئ من أسبابها). ص ٣٣ – ٣٥.

(٢) ابن خلدون، نفس المصدر.

ومع تطور الإسماعيلية اتخذ الرقم سبعة صفة خفية لها نوع من القدسية فقالوا أنه يوجد بين الإنسان وبين الله سبع درجات هى : (العقل والنفس والمادة الأولى والقضاء والوقت).

والأنبياء من آدم إلى محمد بن إسماعيل سبعة هم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وأخيراً محمد بن إسماعيل وهو آخر الأئمة.

وكل من الأنبياء يتبعه سبعة من الأئمة والأول من هؤلاء الأئمة يصاحب النبى دائماً فعلى يصاحب النبى والإمام الثانى هو محمد المكتوم بن إسماعيل وهو أول الأئمة المستورين.

وبعده ابنه جعفر المصدق وبعده، ابنه محمد الحبيب وهو آخر الأئمة المستورين وبعده ابنه عبيد الله المهدى الذى أظهر دعوته أبو عبد الله الشيعى، وعلى ذلك فعبيد الله هو رابع الأئمة.

وربما كان هذا الرمز هو الذى أدى إلى تفكير بعض الشيعة فى أن الخليفة الحاكم يستوعب فكرة الله ويتجسدها، وربما كان هذا هو الذى أدى إلى أن تمسكت فرقة الدروز بهذه العقيدة وانتظرت عودة الخليفة الحاكم.

وكانت مطالبة الشيعة فى أن الخلافة أو الإمامة فى آل البيت أى بيت النبى فقط دون غيره ثم التجأوا إلى ستر وكتمان العقيدة والسرية فى الدعوة كل هذا كان سبباً فى دخول الكثير من المتآمرين ومنهم من استغل الفرصة وحولها إلى صالحه.

انفتح الباب على مصراعيه أمام المحتالين والأدعياء وهكذا كانت صحة نسب الفاطميين أنفسهم موضع شك وجدل عند الكتاب، وأورد كثير من هؤلاء تفاصيل ذلك الجدل الذى سنشير إليه إشارة سريعة.

الحقيقة أن الشيعة أنفسهم الذين اعترفوا بصحة نسب الفاطميين اختلفوا في تسلسل هذا النسب.

أما عن أهل السنة وأعداء الفاطميين التقليديين السياسيين فمنهم من قال أن النسب منقول وليس بصحيح فقال البعض أن الفاطميين من ولد ميمون القداح ابن ديصان الثنوى[1] ... فيقولون أن ميمون القداح هذا كان مجوسياً ولكنه أظهر الإسلام فقبض عليه أيام المنصور العباسى وسجن وبعد خروجه من السجن – ادعى – أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق.

أما عن الإسماعيلية فإنهم يقولون أن ميموناً هذا كان حاجباً ومستودعاً لأسرار أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق. وقد حاول أن يوفق إيفانوف بين الفكرتين أى بين المنكرين للنسب وبين المؤيدين له.

فقال، قال إن عهد التكتم عهد التستر عهد التقية عرف نوعين من الأئمة منهما الأئمة المستودعون وينتسبون إلى ميمون القداح، أما الآخرون فهم الأئمة المستقرون وينتسبون إلى محمد بن إسماعيل وعلى هذا الأساس يقول الكتاب أن عبيد الله المهدى فى الحقيقة هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان وغالى بعض المفكرين فى النسب فقالوا أنهم يهود وأن نسبهم فى اليهودية معروف لاينكر.

فقالوا أن الحسين بن أحمد المذكور تزوج بامرأة يهودية من نساء (سلمية)

---

(١) انظر ، المقريزى، اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، طبع القاهرة، طبع ثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج ١ ،ص ٢٢ – ٢٣ومايليها (ذكر ما قيل فى أنساب خلفاء الفاطميين)، ابن النديم، الفهرست، ص ٢٦٤، وعن الديصانية، انظر الشهرستانى ، الملل والنحل، طبع مصر ١٩٤٨، ج ٢، ص ٨٩ – ٩٠.

مركز الدعوة فى بلاد الشام. كان لها ابن يهودى حداد وأن الحسن رباه وأدبه ثم مات عن غير ولد فعهد إلى ابن امرأته هذا وكان هو عبيد الله المهدى[1].

ولقد كتب على عهد الخليفة العباسى القادر محضر تضمن القدح فى نسب المهدى ونسب أولاده (٤٠٢ هـ - ١٠١١م) وينكر عليهم الانتساب إلى فاطمة[2]. وعلى كل حال لا تهمنا هذه المسألة التفصيلية إنما المهم هو موضوع الدعوة ونجاحها وأثر ذلك فى تاريخ العالم الإسلامى والعالم العربى على وجه الخصوص.

---

(١) انظر ، النويرى، نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق محمد محمد أمين، ج ٢٨، ص ٦٤ - ٦٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٢٦٣، حوادث سنة ٤٠٢ هـ، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٤٣ - ٤٤ حيث يورد نص المحضر.

٢ - الدعوة الشيعية في المغرب :

بداية الدعوة التى قام بها أبو عبد الله الداعية الشيعى لحساب أبى عبيد الله المهدى فى بلاد المغرب تبين كيفية التنظيم السرى للحركة وتقول الرواية المغربية أن وصول أبى عبد الله إلى منصب الداعى تم بمحض الصدفة ولكنها كانت صدفة مرسومة على كل حال وتقول هذه الرواية أن ذلك حدث بالعراق وليس بالشام كما تقول أغلبية النصوص وكانت العراق فى الحقيقة هى مركز الحركة العلوية ومنها كان يوجه الدعاة إلى خراسان وإلى بلاد اليمن وبلاد العرب ولم يكن أبو عبد الله غريباً عن التشيع وذلك أنه يمنى الأصل من مدينة صنعاء وأخذ العلم فى بلادة على أئمة المذهب وعلى ذلك كان يعتقد أبو عبد الله فى وجود الإمام المهدى ولكنه كان يجهل زمنه أى وقت ظهوره.

وذات يوم بينما كان يصلى ويقرأ القرآن على ضفاف دجلة حضر رجل مهيب الطلعة عليه مظاهر النبل والوقار واستقر فوق بساط بسطه له خدمه فى جوار النهر وبطريقة ماهرة دخل الشيخ فى نقاش مع أبى عبد الله حول تفسير ما كان يقرأ من آيات القرآن وتمكن بفضل علمه بالجدل من الاستحواز على عقله حتى سأله الغزير من علمه ولكن الشيخ أجل ذلك إلى فرصة أخرى. وامتطى جواده منصرفاً يتبعه غلامه. وعندما علم أبو عبد الله أن الشيخ ليس إلا محمد بن إسماعيل بن الحسن الطالبى تعلق بركابه وتضرع إليه أن يعلمه ويعرفه السبيل إلى معرفة الإمام، ووثق الشيخ من إخلاص هذا التابع المتعطش إلى المعرفة وأشار عليه أن يسير معه إلى منزله وفى الدار وجد أبو عبد الله الشيعى شاباً هو ابن الشيخ. وهو المهدى عبيد الله. ومعه إحدى عشر رجلاً من الدعاة وضمه الشيخ إليهم وبذلك أصبحوا اثنى عشر داعياً وهؤلاء يذكروننا بنقباء الدعوة العباسية الاثنى عشر الأوائل الذين تم اختيارهم من بين السبعين

داعياً والذين مهدوا أرض خراسان للدعوة للثورة العباسية التى قامت باسم آل البيت وتم انعقاد مجلس الدعاة هذا برئاسة الشيخ الذى أعلن أن وقت ظهور الإمام قد حان وأمرهم بالانتشار فى الأقطار والتبشير بقرب ظهور عهد العدل والإصلاح والدعوة للمهدى العلوى الفاطمى ووقع الاختيار على أبى عبد الله ليقوم بالدعوة فى بلاد المغرب بأرض كتامة» . والظاهر أن هؤلاء البربر كانوا على علم بعض الشئ بالمذهب إذ أقام فى بلادهم من قبل عدد من الدعاة (أبو سفيان – والحلوانى)[1] .

ففى هذه الرواية أن الشيخ قال له (أى قال لأبى عبد الله) : «إن جعفر بن محمد الصادق زرع بالمغرب بذراً فأنت تحصده إن شاء الله». وحسب الأسلوب الذى كان يسير عليه الدعاة لم يتوجه أبو عبد الله مباشرة إلى بلاد المغرب سار إلى مكة أيام الموسم (موسم الحج). فيتصل بحاجى كتامة هناك ويعرف أخلاقهم ويتطلع على مذهبهم وذلك بعد أن زوده المطالب بالإمامة بمبلغ كبير من المال يستعين به على قضاء حاجاته.

وهكذا وصل أبى عبد الله الشيعى إلى مكة فى يوم من أيام موسم الحج حوالى سنة ٢٨٠ هـ وبدأ البحث عن حاجى المغرب إلى أن اهتدى إلى عدد من أعيان قبيلة كتامة يبلغون عشرة رجال ملتفين حول شيخ منهم.

فاتصل بهم الداعى وكما فعل العلوى معه فعل هو مع هؤلاء المغاربة فجاذبهم الحديث وبفضل فصاحته وسحر بيانه تمكن من سلب عقولهم وبطبيعة

---

(١) القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضى، طبع بيروت، سنة ١٩٧٠، النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨ ، ص ٥٩ – ٦٠، القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٦٢ – ٦٣.

الحال سألهم عن بلادهم وعن مذهبهم وجاوبه الكتاميون بصراحة عن صفة بلادهم وعن علاقاتهم بأمير القيروان ومدى استقلالهم عنه[1].

والحقيقة أن بلاد المغرب فى ذلك الوقت كانت أرضاً صالحة لبذر بدور الدعوات الخارجة على الخلافة فى المشرق ولم يحدث هذا من ذلك الوقت المتأخر فى أواخر القرن الثالث الهجرى بل منذ أيام الأمويين وذلك عندما ساءت الإدارة الأموية فى البلاد وحدث التضارب بين السياسة الدينية والمالية ولم يسو العرب أهل البلاد بأنفسهم كان ذلك من أسباب قيام ثورات عنيفة فى المغرب، كما كان من أسباب نجاح المذهب الخارجى هناك لأن المذهب الخارجى كما نعرف كان يدعو إلى المساواة المطلقة بين جميع أفراد الجماعة الإسلامية لا فرق بين عربى ولا عجمى فهو مبدأ الجمهورية الشعبية التى يمكن أن يصل إلى منصب الرياسة فيها إلا وهو منصب الخلافة أو الإمامة أى رجل من أفرادها مادام يتمتع بالأهلية دون أية تفرقة عنصرية ولو كان «عبداً حبشياً ذو زبيبة»[2] كما يقول الكتاب.

نجح المذهب الخارجى واضطربت البلاد حتى انتهى الأمر إلى أن اتخذت الخلافة خطة جديدة فى حكم المغرب فأقامت أسرة وراثية هناك هى أسرة الأغالبة فى أيام هارون الرشيد سنة ١٨٤ هـ دولة الأغالبة هذه عاشت إلى أواخر القرن الثالث (الفاطميون هم الذين سيقضوا على هذه الدولة) قبيل نشأة الدولة الأغلبية كانت قد قامت فى بلاد المغرب الأقصى دولة الإدارسة وبنت عاصمتها فى مدينة فاس.

وإلى جانب الأغالبة والأدارسة قامت فى بلاد المغرب الأوسط فى بلاد

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٧١ – ٧٢، ص ٧٣ وهو ينقل عن الرقيق القيروانى.

(٢) الشهرستانى، الملل والنحل، ج ١، ص ١٥٨.

الجزائر دولة خارجية هى دولة الرستميين فى مدينة (تاهرت) نسبة إلى مؤسسها عبد الرحمن بن رستم الذين أثاروا الثورات فى عهد المنصور وهى تتبع المذهب الأباضى (فرع من المذهب الخارجى) وهم المعتدلون من الخوارج الذين يمكن أن يشبهوا بأهل السنة ويطلق عليهم فى بلاد المغرب اسم (الخمسية) أصحاب المذهب الخامس (مذاهب أهل السنة أربعة يعتبر من مذاهب أهل السنة). فى منتصف القرن الثانى الهجرى بعد ١٤٤ هـ.

وازدهر العمل الحضارى الذى قامت به هذه الدولة الثلاث بفضل عواصمها الشهيرة : القيروان وتاهرت وفاس. وبفضل إنشاء هذه المدن وبفضل الدور الذى قامت به فى تسهيل المبادلات ونشر العلم ارتقى البربر وتحضروا حضارة شرقية الأصل كما سبق أن قلنا.

عرفت دولة الأغالبة على وجه الخصوص فترة من الازدهار حققت خلالها للإسلام أشياء كثيرة عرفت منها فتوحاتها فيما وراء البحر فى صقلية وجنوب إيطاليا سنة ٢١٢ هـ . وكذلك عملت على ازدهار القيروان وبنت إلى جانبها عواصم جديدة مثل العباسية ورقادة مدن ملكية إلى جانب العاصمة وهى مدينة القيروان. وشجعوا العلماء والفقهاء حتى أصبحت القيروان من أهم مراكز الثقافة الإسلامية ولكنه كان على الدولة لكى تحقق برنامجها هذا أن تهتم بالسياسة المالية فحرصت على تنظيم الضرائب وجمعها وربما اشتطت فى ذلك بعض الشئ مما أثار السخط إلى حد ما بين أهل البلاد.

وهكذا عندما بدأت الدعوة الفاطمية فى بلاد المغرب نلاحظ أن أهل البلاد لايلتفون حول الأسرة التى حققت لهم ذلك العصر الذهبى من الازدهار والتقدم والظاهر أن سلطان الأغالبة لم يكن قد مد جذوره بعمق فى أرض البلاد فتحولت عنهم الأقاليم المغربية التى يقطنها البربر وحتى عرب القيروان

أنفسهم لم يقفوا إلى جانبهم وربما يتضح لنا ذلك التباعد بين الأغالبة وبين رعيتهم فى تلك المدن الملكية التى أنشئوها بعيداً عن القيروان ويمكن أن نفسر ذلك الحدث من الناحية الحضارية عمل جليل جداً ولكن من الناحية السياسية ربما يدل هذا على شئ من التباعد بين الحكام وبين الشعب. وهذا يفسر كيف أن الأغالبة لم يستطيعوا الوقوف أمام القبائل البربرية التى دخلت فى المذهب الشيعى والتى ناصرت الدعوة الفاطمية.

وكانت هناك دولة خارجية أخرى هى إمارة المدراريين نسبة إلى بنى مدرار وذلك فى منطقة سجلماسة فى أقصى الجنوب. هؤلاء كانوا من الخوارج الصفرية. ورغم أن دولة الأغالبة كانت هى الدولة الشرعية التى تمثل الخلافة من الناحية «النظرية» على الأقل إلا أنها عاشت فى سلام ووئام مع دولتى تاهرت وفاس دولتى الرستميين والأدارسة وكان هذا من مصلحة الإسلام إذ عرفت بلاد المغرب نوعاً من الاستقرار فانتشر الإسلام وعرفت البلاد عصراً يمكن أن يشبه بعصر النهضة.

وهناك ملاحظة هى أن مؤسسى هذه الدولة مشارقة (أى أنهم أتوا من الشرق) فهذا كان سبباً فى توجيه سياستهم اتجاهاً شرقياً إلى حد كبير فساعد هؤلاء على هجرة نسبة متميزة من المشارقة نحوهم وبذلك وجد تيار مستمر يربط بين المغرب وبين المشرق العربى أو الإسلامى فتأكد الاتصال بين البلاد الإسلامية فى الشرق وفى الغرب من جهة وبينها وبين مهد الإسلام وهى الحجاز من جهة أخرى.

ولما كانت دولة الأدارسة ودولة الرستميين لهما صفة دينية فالأولى كان المفروض أنها شيعية وإن كانت شيعية إلا أنها من النوع المعتدل القريب من السنة حتى أن الكتاب يسمونها دولة الهاشميين اكسبتها هيبة خاصة فى نظر الشعب.

هذا بينما عملت الدولة الثالثة دولة الأغالبة بدورها على محاباة رجال .ين بمكانة ممتازة وكان هذا أحد الأسباب التى جعلت الدول الثلاث تعمل منفردة بشئ من التنافس على إدخال أهل البلاد المغاربة أو البربر فى الإسلام.

وبفضل هذه الدول فقد اتخذ الإسلام فى المغرب شكله السنى الذى تمسكت به والذى بقى هناك حتى اليوم.

هذه كلمة سريعة عن أحوال بلاد المغرب في ذلك العصر

ونرجع مرة ثانية إلى الشيخ الكتامى وجماعته فى مكة فى موسم الحج، وأجابوه بصراحة وفهم أبو عبد الله الشيعى أن شيخ الجماعة يذهب مذهب الأباضية النكارة (الذين يرفضون الأخذ بمبدأ الوراثة)، ومن هذه الثلمة دخل عليه وأخذ يستدرجهم بفضل علمه وجدله.

فلما حان وقت عودتهم لبلادهم فسألوه عن أمره ومقصده فأجابهم وهو يظهر الورع الشديد أنه عراقى ومن رجال الدولة وأنه وجد أن خدمة السلطان ليس من أعمال البر وأنه بعد أن تروى وبعد أن تحقق فى أمره وصل إلى أن ذلك لايتأتى إلا عن طريق تعليم القرآن للصبية وأنه وهب نفسه لهذا العمل.. وقال لهم بعد ذلك أن البعض نصحه بالذهاب إلى مصر ففى مصر كانت هذه الصناعة أعنى صناعة تعليم الصبية رائجة رواجاً كبيراً[1].

ولم يكن من الغريب إذن أن يعرض عليه صحبته إلى مصر فهى فى طريق عودتهم إلى بلادهم وفى القيروان أعادوا الإلحاح عليه ولكنه أصر على الإقامة بعاصمة الأغالبة ووعدهم أن يلحق بهم ببلادهم إذا لم يطب مقامه هناك أى فى القيروان. ولم يضيع عبد الله وقته فى القيروان ساعة فأخذ

---

(١) القاضى النعمان، افتتاح الدعوة، ص ٦٢ - ٦٣.

يتقص أخبار القبائل إلى أن تأكد من كثرة عدد كتامة وشدة شوكتها بين قبائل البربر وعدم استكانتها للسلطان فقرر أن يبدأ العمل الإيجابى ولم يمض فعلاً وقت طويل على فراق رفقائه حتى لحق بهم ببلادهم ونزل على الشيخ الكتامى فى المنطقة الجبلية الممتدة بين سهل سطيف وبين البحر وهى المنطقة الجبلية المعروفة حالياً. واتخذ مجلسه فى مسجد القرية وأخذ يصلى ويعلم الصبيان وهو يجتهد فى ذلك.

وأخذ يلقن أهل المنطقة من البربر ويكشف شيئاً فشيئاً.. وعن حقوق الإمامة وذلك حسب الأصول الشيعية التى يعرفها الدعاة. وكان من الطبيعى أن يبدأ أبو عبد الله بدعوة الشيخ وذلك بعد أن اطمأن إليه فإنه كشف له ذات يوم عن طبيعة أمره فقال له : «لست بمعلم الصبيان إنما نحن أنصار أهل البيت وقد جاءتهم الرواية فيكم يا أهل كتامة أنكم أنصارنا والمقيمون لدولتنا وأن الله يظهر بكم أهل البيت وأنه سيكون إمام منهم أنتم أنصاره والباذلون مهجكم دونه»[1].

ويقنع الشيخ مقالة الداعى وقال له : أنا أرغب فيما رغبتنى فيه وابذل فيه مهجتى ومالى، أنا ومن اتبعنى، وأنا أطوع إليك من يدك، فمر بما شئت أمتثله، فقال له : ادع الخاصة من بين عمك الأقرب فالأقرب فقال نعم، فنظر الشيخ فيما قاله وبث دعوته فى أقاربه ومن يختص به.

نجح الشيخ فى اجتذاب قبائل كتامة إلى ما يدعو إليه أبو عبد الله الشيعى. الداعى الذى وقع تحت تأثيره كثير من أهل المنطقة.

وكان ذلك إلى جانب تعاليمه الجديدة المريبة سبباً فى إقامة خلافات خطيرة فى قبيلة كتامة وفروعها المختلفة ولكن الداعى عرف كيف يستفيد من

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٧٩ - ٨٠، ص ٧١ - ٧٢، ص ٧٣.

هذه الخلافات ليضم له أتباعاً مخلصين مؤمنين بدعوته يهمه أن يعتمد عليهم وذلك عندما ثار أخو الشيخ. واحتج على ما ينشره الداعى من البدع المخالفة للسنة لم يتردد الشيخ فى التخلص من أخيه وكذلك عمل الزعيم الكتامى على إخضاع بقية قبائل كتامة لسلطانه ولطاعة الداعى وكسب البعض بالسياسة والمداراة واضطر لاستخدام القوة والعنف لإخضاع البعض الآخر وتقول بعض النصوص أن ذلك استلزم سبع سنوات فى إخضاع القبائل[١].

انتهى الأمر بخضوع كتامة لأبى عبد الله الشيعى ودخلت فى طاعته قبائل كثيرة فأنشأ دار هجرة وذلك تشبهاً بما صنعه النبى عندما هاجر إلى يثرب المدينة وذلك فى قرية من قرى الجبال (إيكجان) وشكل أتباعه فى هيئة جند منظم فالزمهم بالعسكرية وسماهم «المؤمنين» (دون غيرهم من المسلمين من الناس) وجعل لهم ديواناً أى بيت مال للحرب كانت تأتيه الأموال عن طريق الغزوات وعن طريق المساعدات والتبرعات وكذلك الضرائب[٢].

كان حشدهم بغير ديوان إنما كان يكتب إلى رؤساء القبائل فيحشرون من بينهم ورغبة فيه وكان لايزيدهم فى كتابه إليهم على أن يقول إن الموعد يوم كذا فى موضع كذا ويصرخ صارخ بين يديه حرام على من يتخلف فلا يتخلف عليه أحد.

ولما وصلت أخبار الداعى إلى ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (ابراهيم الثانى) (٢٦١ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٠٢ م) لم يهتم به فى أول الأمر[٣] ولكن عندما اشتد خطره أشفق الأغالبة ووجهوا عدة حملات إلى

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص١٢٧-١٢٨ ، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٥٨.

(٢) ابن عذارى، البيان. ج ١، المقريزى، اتعاظ ، ح ١، ص ٥٧.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٨٠ - ٨١. هذا وينفرد النويرى - الذى ينقل عن الرقيق - بايراد نص رسالة أمير أفريقية ابراهيم بن أحمد إلى الداعى الشيعى ورد الداعى عليها.

الجبال رغم أن كتامة هذه كانت خارجة عن نطاق البلاد الخاضعة للسلطان الأغلبى ولكن هذا لم يمنع الداعى من حشد قبائل كتامة والخروج بها إلى تخوم المملكة الأغلبية حيث هاجموا مدينة (ميله) ودخلوها ومع أن عساكر ابراهيم تمكنت من إيقافهم ومن ردهم ولكنه بعد قتل ابراهيم بن أحمد ابراهيم الثانى وذلك فى كلابريا، اضطرب أمر الأغالبة فقتل ابنه أبو العباس فى (سنة ٢٨٩ – ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ – ٩٠٣م) ثم انصرف حفيده زيادة الله الثالث آخر الأغالبة إلى اللهو والمجون فانقطعت العمليات الحربية فى ا لمناطق البعيدة واتخذ أبو عبد الله الشيعى خطة الهجوم فاستولى على مدينة سطيف بعد استيلائه على مدينة ميلة[١].

اضطراب الدولة الأغلبية من الأسباب التى عملت على نجاح أبى عبد الله الشيعى. حاول زيادة الله الثالث أن يعبئ البلاد نفسانياً إلى جانب التعبئة المادية لمواجهة ذلك الخطر الداهم فجمع فقهاء أفريقية وأخبرهم بما يدعو إليه الثائر من مخالفة صارخة للسنة وذلك أنه كان يلعن الشيخين أبا بكر وعمر كما تقول النصوص وكان يرمى مخالفيه بالكفر، وأعلن فقهاء أفريقية اللعنة على الثائر وحرضوا الناس على جهاده واعتنوا بمجاهدته إلى جانب ذلك حاول الأمير الأغلبى أن يراسل الخلافة وأن يكتسب تأييدها من الناحية المعنوية على الأقل فبعث الرسل بالهدايا إلى بغداد وتقول بعض النصوص أن الأمير الأغلبى أرسل إليه هدية منها عشرة آلاف مثقال فى كل مثقاف منها عشرة مثاقيل وكتب فى كل مثقال هذين البيتين :

ياسائرا نحـــو الخليفــة قل لــه	ان قد كفـى اللـه – لك أمـرك كله
بزيــادة اللـــه بـــن عبد اللــه	سيف الله من دون الخليفة سله [٢]

---

(١) النويرى، نفس المصدر، ص ٩١.

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١٣٧.

وردت بغداد تحث أهل أفريقية على محاربة الداعى الشيعى ونصره زيادة الله ففى (٢٩٢ هـ / ٩٠٤ – ٩٠٥م) حشد زيادة الله جيشاً كبيراً يقدر بحوالى أربعين ألف رجل معهم العدد والعتاد وسيره بقيادة قائده ابراهيم بن حبشى لمقاتلة الشيعى واستعد هذا الأخير يجمع كتامة وتم اللقاء بين العسكرين قرب مدينة قسطنطينة (قسطنطينة الهواء) – لأنها على ربوة عالية مرتفعة – وكان لقاء قاسياً تحطمت فيه الرماح وتقطعت السيوف ولكنه انتهى بانقسام الجيش الأغلبى ولم ينقذ الناجين منه إلا ظلمة الليل وخرجت كتامة من المعركة بالغنيمة والسلاح والسروج وضروب الأمتعة فاغتنوا بعد فقر ولبسوا الحرير وركبوا بسروج الفضة واللجم المذهبة. فكان ذلك قوة لهم وعوناً على مواصلة كفاحهم إلى آخره.

هكذا بينما دب اليأس فى قلوب الجند الأغلبى وخافوا كتامة حتى أنهم كانوا يفرون بعد ذلك عندما يقابلهم عسكر أبى عبد الله ففى السنة التالية سنة ٢٩٣ هـ حاول زيادة الله أن يسير جيشاً إلى مدينة الأريس، القريبة. ولكن قائدى الجيش ثارا وحاولا الاستيلاء على القيروان لولا قيام العامة عليهما واضطر زيادة الله إلى الخروج بنفسه وعمل على اكتساب قواد الجيش واستمالهم بشرائهم بالمال الذى وزعه جزافاً بالصحاف وبعث الحاميات إلى قلاع «باغاية وطبنة» لتحرس الحدود ولم يجد كل ذلك شيئاً ففى نفس هذه السنة استولى الداعى على مدينة «بلزمة» عنوة واتبع ذلك بأخذ مدينة «طبنة» دون قتال بالأمان وذلك فى شهر ذى الحجة فى آخر هذه السنة[1].

---

(١) انظر، القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة.

وعـاد زيادة الله من (الأربس) إلى رقـادة وعـمل على تحـصين المدينة بالأسوار والأبراج وانصرف إلى قضاء الوقت فى اللهو والمجون.

ودخل عبد الله «باغاية» صلحاً فى شعبان سنة ٢٩٤ هـ وتيقن زيادة الله من بداية «النهاية» وفكر جدياً فى الرحيل إلى المشرق لولا تشجيع قائده ابراهيم بن حبشى الذى منعه من ذلك وطلب منه الصبر واستمر الشيعى فى حملته المظفرة فافتتح مجانة (مـجانة العدن) ومن مـجانة سار إلى مسكيانة ثم إلى «تبسة» ودخل إلى حدود بلاد القيـروان أى حدود تونس فى سنة ٢٩٥ هـ ولم يوقفه عن التقدم إلا حلول فصل الشتاء فعاد أدراجه إلى «باغاية» ومنها إلى قاعدته الجبلية «أيكجان» وجعل أبو عبد الله يعد العدة للضربة القاضية وعندما تحسنت الأحـوال الجـوية رحل . لما دخل فـصل الربيع سنة ٢٩٦ هـ. حـشد حـوالى مـائتى ألف فـارس وانطلق على رأسـهم يطوى المراحل فى بلاد «قسطيلية» ولم تستطع قوات أفريقية أن تقف أمامه فأقدمت فى غير نظام إلى مدينة «توزر» وانبسطت خيل كتامة تحرق القرى وتفسد البلاد وبدأت النهاية بالنسبة للأغالبة ففى هذا الوقت اضطرب فيه الجند الأغلبى حتى أمر زيادة الله بقتل قائده المنهزم[1].

بينما كـان أبو عبد الله يسيـر إلى «الأربس» هناك هزم ابراهيم بن أبى الأغلب (ابن عم الأمـير) ودخل الأربس عنوة فى شـهر جـمادى الثـانى ولم يرحم أهل المدينة ولم يحترم قدسية الجامع الذى لجئوا إليه فانتقم منهم انتقاماً هائلاً وفتك بهم فتكاً ذريعاً.

وبلغت أنباء الهزيمة إلى القيروان فساد المدينة الذعر والاضطراب واستعد زيادة الله للرحيل بعد أن فقد كل أمل فى امكانية المقاومة.

---

(٢) نفس المصدر.

وفى يوم ٢٥ من جمادى الآخرة (سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٦م) شد آخر الأغالبة رحاله حاملاً ما خف حمله وغلى ثمنه وودع عاصمته وداعاً عاجلاً يصفه الكتاب وصفاً مؤثراً وترك أهله وولده وحريمه واتخذ الطريق إلى طرابلس متجهاً نحو مصر[١]. هذا بينما فر وزيره فى البحر بأحمال من المال وهو يريد المشرق ولكنه البحر ألقاه فى طرابلس حيث قتله زياةد الله[٢].

وبعد رحيل الأمير زيادة الله بن عبد الله بن الأغلب. أبدى العامة والغوغاء التذمر وساد عاصمة أفريقية الاضطراب والفوضى وفى أول رجب خرج فقهاء القيروان وأعيانها وتجارها إلى موضع بالقرب من المدينة يعرف «بمجسن» حيث استقبلوا أبا عبد الله وسلموا عليه وأعلنوا طاعتهم له وسألوه الأمان فأمنهم ثم ساروا فى ركابة إلى أن دخل «رقادة» وكان قد وليها قبله بيوم واحد قائده عروبة بن يوسف دخل أبو عبد الله المدينة والقارئ يقرأ بين يديه «هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر» إلى آخر الآية[٣].

ويقرأ أيضاً «كم تركوا من جنات عيون» إلى آخر الآية. حسب الرواية التى يرويها ابن عذارى [٤]. ثم فرق دور رقادة على زعماء كتامة وأنزل عساكره ضواحيها. وهكذا قامت دولة الشيعة الفواطم بتأييد قبائل كتامة بعد خمسة عشر عاماً من ذلك اللقاء الذى تم بمكة بين الداعى العلوى وجماعة الحاج الكتامى.

---

(١) انظر، النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٩٦. وهو ينقل عن الرقيق القيروانى (هرب زيادة الله آخر أمراء الأغالبة فى أفريقية إلى المشرق).

(٢) ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ١٤٨ .

(٣) ابن عذارى، نفس المصدر.

(٤) ابن عذارى، البيان، ح ١، ص ١٥٠.

بدأ أبو عبد الله يستعد لإحضار الإمام الذى يدعو إليه وهو عبيد الله المهدى، وكان هذا الأخير معتقلاً فى مدينة «سجلماسة» بعيداً فى الجنوب المراكشى على حافة الصحراء المؤدية إلى بلاد السودان.

٣ - ذكر خروج عبيد الله المهدي إلي المغرب:

أما عن كيفية وصول عبيد الله إلى سجلماسة فالظاهر أنه عندما اشتدت شوكة أبو عبد الله الداعى وانتشرت دعوة الشيعة بين قبائل البربر فوصلت أنباء ذلك إلى الشرق، بدأت الخلافة تشتد فى طلب صاحب هذه الدعوة وحامت الشبهات حول عبيد الله وكان والده قد مات فقرر الرحيل إلى المغرب دون أن يكشف عن شخصيته انتظاراً لتمام نجاح الحركة والمهم هو أن عبيد الله خرج من الشام على أصح الروايات وسار نحو مصر وبصحبته ابنه أبو القاسم نزار وهو مستتر بزى التجار يرافقه عن كثب أبو العباس أخو الداعى.

قلنا أن بغداد عرفت بفراره وأنذرت عامل مصر فى ذلك الوقت وهو عيسى النوشرى. وكان حكم الطولونيين قد انتهى فى مصر فى سنة ٢٩٢ هـ على آخر أيام الطولونيين وهو شعبان بن محمد وبفضل القائد العباسى محمد ابن سليمان الكاتب أى فى سنة ٢٩٢ هـ . عين عيسى النوشرى والياً من (٢٩٢ - ٢٩٧ هـ / ٩٠٤ - ٩١٠م) وطلبت منه القبض على الثائر العلوى وفعلاً تم القبض على المهدى فى مصر ولكن الأمر انتهى بإطلاق سراحه وتضيف الروايات على تلك المغامرة لوناً قصصياً مثيراً فتقول أن عبد الله خرج من مصر ولكن كلباً كان لهم هرب. فرجع المهدى بسبب الكلب وسأل الوالى عن خبره وحقق معه ولم يطلقه إلا عندما قيل له أن الرجل صائد كان قد هرب له كلب فطلبه شهدت البينة لعبيد الله على ذلك.

وهناك روايتان تقول إحداهما أن عبيد الله اشترى الوالى فأعطاه ما كان معه من مال. وتقول الأخرى أن الوالى أى عيسى النوشرى كان يتشيع أى كانت له ميول شيعية وليس ذلك بغريب فقد سبق عامل البريد فى مصر أن ساعد إدريس بن عبد الله العلوى على الفرار إلى المغرب منذ أكثر من مائة

عام ونفهم من النصوص فعلاً أنه عندما طلبت الخلافة من عامل مصر مساعدة زيادة الله ومده بالأموال وبالرجال واستعادة بلاده فماطله النوشرى فهذا قد يؤيد الرواية الأخيرة وهى أن الوالى كانت له ميول شيعية.

ومن مصر اتجه المهدى وابنه وبصحبتهما أبو العباس نحو المغرب نحو برقة وطرابلس ووصل إلى مدينة طرابلس وهناك استقرت الجماعة بعض الوقت وفى طرابلس كاد أن يكتشف أمره بفضل عمال زيادة الله ولكنه لم يقبض إلا على أبو العباس الذى حبس[1].

وهناك رواية لابن الأثير تقول ، إن القبض على أبو العباس تم فى مدينة القيروان نفسها ولكننا لم نأخذ بهذه الرواية فضلنا الرواية السابقة وهى رواية ابن عذارى. ورأى المهدى أنه ليس من الحكمة المرور بالقيروان والمسير مباشرة إلى عبد الله خشية أن يعرف فتابع طريق القوافل ووصل عن طريق الصحراء مع ابنه إلى سجلماسة تلك الواحة الصغيرة التى كانت لأسرة أميرية صغيرة هى المعروفة بأسرة بنى مدرار وبرغم أن بنى مدرار هؤلاء كانوا من الخوارج إلا أنهم كانوا يعترفون بسيادة خلفاء بغداد.

أخذ عبيد الله يتصل سراً بأبو عبد الله الذى كان يطلعه على مجرى الأمور أولاً بأول حتى أنه عندما انتصرت قوات الداعى على قوات زيادة الله أسرع الداعى يكتب إلى عبد الله يعلمه بالفتح وبعث إليه بمال كثير مع قوم من كتامة سراً ورغم هذا التكتم لم تلبث الأنظار أن اتجهت إلى عبيد الله الذى وضع تحت الرقابة ثم أتت الأخبار من القيروان أو من بغداد تؤكد لصاحب سجلماسة وهو اليسع بن مدرار بأن عبيد الله هو الرجل الذى يدعو إليه أبو عبد الله فقبض عليه وحبس فى إحدى الدور كما قبض على ابنه القاسم وحبس فى

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج ١ ، ص.

دار أبنت اليسع[1]. وهناك بعض النصوص التي تقول «إن الذى نص على عبد الله هو أحد يهود مدينة سجلماسة ولم يلبث الخبر أن وصل إلى الداعى. وهكذا فكر عبد الله فى تخليص الإمام من حبسه بمجرد دخوله القيروان. وكان على أبى عبد الله أن يقر الأمور أولاً فى أفريقية فأرسل قائده عروبة بن يوسف إلى سوسة فدخلها بالأمان واستولى على أموال كانت بها لبنى الأغلب كما أرسل جماعة من رجاله إلى طرابلس حيث أخرجوا أخاه أبا العباس من سجنه وكذلك أبى عبيد الله كما تقول بعض النصوص.

وبعد ذلك وزع الولاة والعمال على مختلف المدن ثم عد العدة لغزو سجلماسة فسار على رأس قواته نحو الغرب بعد أن استخلف أخاه أبا العباس على البلاد على أفريقية وذلك فى منتصف شهر رمضان أى بعد حوالى شهرين ونصف من دخوله مدينة رقادة والقيروان وكانت قد مضت مدة طويلة لم تعرف بلاد المغرب أثناءها قوات كبيرة منظمة مثل قوات الداعية هذه وهكذا تقدمت القوات الفاطمية نحو المغرب الأوسط إلى مدينة تاهرت التى فتحت أبوابها مستسلمة مذعنة وأقيم والى شيعى فى عاصمة الرستميين بعد أن قتل آخر الأئمة الأباضية وهو يقظان ابن أبى اليقظان.

وبذلك انتهت دولة الرستميين فى تاهرت بعد أن عاشت حوالى قرن ونصف قرن من الزمان ثم تابعت القوات سيرها نحو الغرب وكانت القبائل تتبدد إمامها على طول الطريق أو تعلن خضوعها للمنتصر المظفر الذى استطاع أن يصرع دولتين فى فترة وجيزة. ووصل أبو عبد الله أمام سجلماسة فى أوائل شهر ذى الحجة ٢٩٦ هـ ولم تستطع المدينة أن تدافع عن نفسها أكثر

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ١٥٣ ، المقريزى، اتعاظ ، ج ١ ، ص ٦٥.

من يوم واحد فانهزم اليسع بن مدرار ولكنه أخذ وقتل بذلك انتهت إمارة المدراريين الصفرية بعد حوالى قرن ونصف قرن هى الأخرى[1].

ودخل أبو عبد الله المدينة واتجه مباشرة إلى سجن سيده وخر أمامه باكياً من فرط التأثر والفرح وبعد أن انتقم أبو عبد الله من أهل سجلماسة بصفتها المدينة البغيضة التى جرؤت على امتحان الإمام فأغرم أهلها مغارم ثقيلة[2].

وولى عليها والياً شيعياً هو ابراهيم بن غالب الميزاتى (نسبة إلى قبائل ميزاتة) ورجع الداعى فى موكب ملوكى عظيم يتقدمه الإمام عبيد الله المهدى وابنه أبو القاسم ويحف به فرسان كتامة يحرسون أحمال التبر والحلى فى اتجاه أفريقية وبعد مسيرة أربعين يوماً وصلوا إلى رقادة فى شهر ربيع الثانى (٢٩٧ هـ / ديسمبر ٧٠٩م) وكان ترحاب القيروانيين بالسيد الجديد ترحاباً حماسياً عظيماً وذلك بعد الدعاية الكبيرة التى قام بها أبو عبد الله ولكنهم لم يلبثوا أن أصيبوا بخيبة الأمل إذ لاحظوا أن الإمام لايشبه تلك الصورة التى صورها لهم أبو عبد الله الذى بشر به ودعا إليه وحتى أبو عبد الله نفسه لم يجد فى عبيد الله ذلك المهدى الذى كان يحلم به فالإمام المعصوم كان مستبداً جشعاً فيما يتعلق بالشئون المادية أو الدنيوية وذلك أن أهل القيروان عندما طلبوا منه الأمان فى أنفسهم وفى أموالهم لم يجيبهم إلا إلى الشطر الأول فقط من مطالبهم وهذا الأمر طبيعى. أما فيما يتعلق بالشئون الدينية فكان عبيد الله متعصباً شديداً يهدد باغتصاب الجميع ويهدد كل ما بناه أبو عبد الله[3].

---

(١) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٦٦.

(٢) نفس المصدر، ص ٦٥.

(٣) ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ١٥٨ ، المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٦٧.

٤ - **التخلص من الداعية وأخيه:**

أخذ المهدى يبعد الداعية من إدارة شئون الدولة شيئاً فشيئاً وبطريقة منظمة وذلك أن نجاح أبى عبد الله وحب الشعب له آثار الحسد والغيرة فى نفس الإمام وإزاء هذه التصرفات التى لم تكن منتظرة وإزاء ذلك النكران للجميع فزع أبو عبد الله ودعا المخلصين له من كتامة إلى التخلص من المهدى وأحس عبيد الله بالمؤامرة التى كانت تدبر فى الخفاء عن طريق تدبير قتل الداعية فى أواخر سنة ٢٩٨ هـ وفعلاً تم إغتيال أبى عبد الله وأخيه أبى العباس قرب القصر برقادة.

وتقول النصوص أن المهدى قتل الرجل الذى هيأ له العرش فقال «رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيراً بجميل صنعك» [١].

أو «رحمك الله أبا عبد الله وجزاك فى الآخرة بقديم سعيك ولا رحمك الله أبا العباس فأنت صددته عن الطريق وأوردته موارد الهلاك» [٢].

وكتب عبيد الله إلى الشيعة فى المشرق فى أمرهما فقال أما بعد : «فقد علمتم فعل أبى عبد الله وأبى العباس من الإسلام فاستذلهما الشيطان فطهرتهما بالسيف والسلام». وتم التخلص أيضاً من زعماء المؤامرة من القواد وغيرهم مثل القائد أبى زاكى تمام بن معارك الذى قتله عامل طرابلس بأمر المهدى وذلك بعد أن قضى أبو زاكى على الثورة التى كانت قد قامت بها قبائل هوارة

---

(١) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٦٨.

(٢) انظر : ابن الأثير، الكامل فى التاريخ، طبع بيروت، ج ٦، ص ١٣٤ - ١٣٥؛ ابن خلدون، العبر، طبع بيروت، ج ٧، ص ٧٦ - ٧٧؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٦٨، وقارن، ابن حماد، أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق فوندرهايدن طبع الجزائر، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، ص ١١، الذهبى، دول الإسلام، ج ١، ص ١٤٣ - ١٤٤، ابن تغرى بردى، النجوم، ج ٣، ص ١٧٤، أحداث سنة ٢٩٨.

وزناتة فى المنطقة. ولم يمر مقتل أبى عبد الله بسلام بل كان له رد فعل سئ فى كتامة رجع كثير منهم بلادهم وأعلنوا العصيان وزعموا أن الداعى لم يمت وهذا ما يمكن أن نشبهه بما حصل فى المشرق.

وأقام الكتاميون طفلاً زعموا أنه المهدى واستدعى الأمر تسيير الجيوش بقيادة أبى القاسم التى أعادت الأمن والنظام إلى أرض كتامة بعد مشقة.

أما الحقيقة فإنه يجب الاعتراف لعبيد الله المهدى بأنه إذا لم يكن قد اتبع السياسة الإنسانية المتزنة التى رسمها الداعى فإنه استطاع أن يتلافى الأخطار التى ترتبت على شدته وحدته وهذه الشدة ربما ترجع إلى مزاجه الخاص أو ربما أنه اتبعها نزولاً على حكم الضرورة والسياسة وذلك أنه عندما وجد عدم تقبل الشعب الدعوة الغريبة لم يكتف بالابتعاد قليلاً عن العاصمة القيروان وذلك كما فعل الأغالبة من قبل عندما بنو العباسية ثم رقادة بل رأى أن يعتصم بالساحل على مسافة تبلغ حوالى مائة كيلومتر من القيروان وذلك فى ذراع فى البحر أو شبه جزيرة بنى عليها عاصمة ملكية جديدة هى التى عرفت بلقبه وهى المهدية ،وربما تم بناء هذه العاصمة حوالى سنة ٣٠٣ هـ وتقول الرواية أنه عندما تم بناء التحصينات والأسوار والأبراج قال المهدى «أمنت على الفاطميات» [١] ولقد حققت المهدية فعلاً ما وضعه فيها الإمام وأدت رسالتها كاملة وذلك أنها حفظت ملك ابنه القائم الذى اعتصم بها بعد حوالى ثمانية وعشرين عاماً من بنائها ونجحت فى مقاومة هجوم أبى يزيد صاحب الحمار الذى استطاع أو الذى تمكن من الاستيلاء على معظم البلاد بما فيها مدينة القيروان وظل القائم يكافح هذه الثورة ويحاول القضاء عليها طوال عهده إلى أن نجح ابنه المنصور فى التخلص من أبى يزيد.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٧٤.

وربما بينت هذه الثورة الخطيرة التى كادت تقضى على ملك الفاطميين طبيعة العلاقة بين أهل البلاد وبين أمراء الأسرة الجديدة. والحقيقة أنه لكى نفهم ما قام به الفاطميون فى المغرب لابد أن نعرف أن هذه الفترة من التاريخ لم تكن إلا مقدمة لأحداث أهم وأكبر هذه الأحداث ستدور فى مكان آخر. فبعد الاستيلاء على سجلماسة لم تكن أفريقية فى نظر الإمام إلا مرحلة أولى من الطريق الذى يؤدى إلى المشرق وذلك أن هؤلاء المطالبين بوراثة تركة النبى كانوا يأملون فى رفع راياتهم على الحرمين (أى على مكة والمدينة) بل وعلى بغداد عاصمة العباسيين ولكى يحققوا أهدافهم الكبيرة هذه كان عليهم أن يستقروا أولاً فى مصر وما كادت تنقضى مدة أربع سنوات على ملك عبيد الله لمملكة الأغالبة حتى أرسل فى سنة ٣٠١ جيش إلى الاسكندرية وإلى جانب الجيش سارت حملة فى البحر لتأييده وكان هذا الجيش على وشك الاستيلاء على مصر وسهل الأمر على عبيد الله أن الطريق إلى مصر كانت ممهدة مهيأة لذلك.

ففى سنة ٣٠٠ هـ قامت الثورة فى إقليم برقة الذى كان يعتبر عملاً من أعمال مصر ومعنى ذلك هو اضطراب نظم الدفاع عن حدود مصر الغربية مما شجع دون شك الفاطميين على محاولة غزوها أى غزو مصر وذلك رغم أن إقليم طرابلس القريب منهم كان قد أعلن الثورة عليهم فى نفس هذه السنة ورغم أن العباسيين استطاعوا القضاء على الثورة التى قامت فى برقة دون رحمة أو شفقة وذلك أنهم انتقموا من الثوار انتقاماً يعبر عن روح الغيظ والتشفى على اعتبار أن الثورة خيانة للدولة ومساعدة لأعدائها الشيعة رغم هذا استطاع المهدى أن يخمد ثورة طرابلس على يدى ابنه أبى القاسم الذى أغرم المدينة نفقات الحملة ثم سيرفى السنة التالية ٣٠١ هـ – قائده حباسة بن يوسف على

رأس قواته نحو الشرق وكانت الحملة الفاطمية عبارة عن نزهة عسكرية -
يقال فدخل حباسة مدينة «سرت في طرابلس» بالأمان بعد أن فرق ما كان بها من الجند العباسى. وأعلن نبأ هذا النصر من أعلى منابر أفريقية وتبع حباسة تقدمه فدخل مدينة «اجدابية» بالأمان أيضاً وهرب من كان بها من الجند العباسى واتبع ذلك بدخوله مدينة «برقة» التى انتقم منها الجيش الفاطمى انتقاماً كبيراً وذلك أن بعض أهلها كانوا قد أساءوا إلى الأمام عندما مر بها فى طريقه إلى المغرب يقال أنهم سرقوا بعض أمواله وكتب كانت له وأغرمهم مغارم ثقيلة بلغت مائة ألف مثقال فى يوم واحد.

وخرجت الجيوش من مصر تحاول إيقاف تقدم القوات الشيعية ولكنها انهزمت أمام حباسة الذى تقدم حتى وصل الاسكندرية ولحق أبو القاسم بحباسة وسار الاثنان معاً نحو الفيوم ولكن الأمر انتهى باختلاف حباسة وأبى القاسم فانسحب الأول دون أمر ثم رحل الأمير الفاطمى تحت ضغط القوات العباسية التى كان يقودها مؤنس الخادم القائد العباسى المشهور. وعند عودة أبى القاسم مر بمدينة «برقة» فأحسن أهلها استقباله واعتذر لهم الأمير بأنه إنما عاد من مصر لينتقم لهم من حباسة لما فعله لمدينته ولكنه ما أن عرفت العامة بما أصاب الجيش الفاطمى فى مصر حتى أعلنوا العصيان وقتلوا الحامية الفاطمية فى المدينة واضطر عبيد الله إلى أن يسير الجيوش من جديد إلى برقة التى دافعت عن نفسها حوالى عام ونصف عام واستسلمت فى سنة ٣٠٤ هـ بعد أن قتل كثير من أهلها فاستصفيت أموالهم وأرسل زعماء المقاومة إلى المهدى الذى أمر بهم فقتلوا واستمرت الحملات ضد مصر كما حدث فى (٣٠٦ ، ٣٠٧هـ) [1] إلا أن الفاطميين لم يحققوا فتح وادى النيل إلا بعد ٦٤ عاماً.

---

(١) انظر، الكندى، كتاب الولاة، ص ٢٧٤ – ٢٧٥، المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٧١ – ٧٢.

وهكذا كان عليهم أن يكتفوا بالمغرب والأقاليم الشرقية من المغرب على رجه أدق وكان عليهم أن يثبتوا أقدامهم فى هذه البلاد وأن يعملوا على زيادة مواردهم من الرجال والأموال وأن يتغلبوا على مقاومة أهل البلاد الذين ثاروا على هذا التعسف المالى وكذلك على البدع الدينية التى أريد فرضها عليهم. وفعلاً بعد خمسة وعشرين عاماً من ظفر المنصور «بأبى يزيد صاحب الحمار» رحل المعز عن أفريقية وهو لاينوى العودة إليها أبداً.

هذه الفترة التى عاشها الفاطميون فى المغرب كانت فترة اضطراب وقلق ولقد أظهرت منذ البداية عدم التوافق أو عدم الانسجام بين أهل البلاد وبين حكامهم العلويين وترتب على ذلك أن اختلفت أحوال البلاد بشكل ستكون له نتائج خطيرة وهذا ما يسميه جورج مارسيه فى كتابه عن بلاد المغرب والمشرق الإسلامى فى العصر الوسيط بالأزمة الفاطمية.

٥ - السياسة الدينية:

أما أهم أسباب الاضطراب الملموسة فهو إدخال المذهب الشيعى فى البلاد وهذا يعنى أن سياسة الفاطميين الدينية كانت العلة الأولى لذلك التباعد الروحى التى كانت تتسع شقته مع مرور الوقت بين الأسرة الحاكمة وبين الشعب المتمسك بسنيته.

والحقيقة أن هذه السياسة الدينية بدأت متزنة متعقلة بفضل أبى عبد الله الشيعى بل أنها ظهرت فى أول أمرها وكأنها حركة إصلاح حقيقى يمهد لعهد العدل والصلاح والإصلاح وهذا برغم ما قامت به الدعاية من اتهام الداعى بلعنة أبى بكر وعمر وزعم أن أصحاب النبى قد ارتدوا بعده ورميه مخالفيه فى المذهب بالكفر.

أظهر أبو عبد الله كفاءة سياسية وفهماً للأمور فعمل على اكتساب الناس شيئاً فشيئاً ولم يشأ أن يقلب الأوضاع رأساً على عقب فتقول النصوص «أنه تبنى تشريعات عمر الخاصة بالإدارة المالية والتى كان يطبقها عمال الأغالبة وذلك فى مدينة «طبنة» حتى أن أهل طبنة سروا أى – فرحوا به ورحبوا أن يستعمل فيهم الكتاب والسنة – هذا يعنى أن الناس كانوا ساخطين على السياسة المالية التى كان يتبعها الأغالبة وكانوا يرون أن هؤلاء خرجوا عن السنة ورحبوا أن يطبقها الداعى.

انتشر فعله فى جميع نواحى أفريقية «تاقت أنفسهم إليه وكاتبوه ودخلوا فى طاعته» ورغم أنه أدخل بعض التعديلات والتغيرات المعروفة والخاصة بشعائر الدين مثل أنه أضاف حى على خير العمل بعد حى على الصلاة فى الآذان «وأسقط» الصلاة خير من النوم من آذان الفجر والصلاة على «على بن أبى طالب» وعلى فاطمة والحسن والحسين.

ورغم هذا فإنه لم يستعمل القهر والعنف فى إملائها على الناس وأنه تغفل عن الذين أهملوا فى تطبيقها. وإذا كانت هذه التعديلات قد أثارت شكوك الناس الذين اعتبروها بدعاً لا تتفق مع ماعرفوه من السنة فإنه أدخل تعديلات أخرى ارتاحوا إليها فهو عند ما ضرب السكة أمر ألا ينقش عليها أى اسم بل جعل مكان الاسم من وجه «بلغت حجة الله» ومن الوجه الآخر «وتفرق أعداء الله». أما عن خاتمه فإنه نقشه «فتوكل على الله إنك على الحق المبين» بينما نقش خاتم السجلات وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلامه وهو السميع العليم، أما السلاح فنقشه «عدة فى سبيل الله» ورسم الخيل على أفخاذه «الملك لله» وحسب الأصول الفنية التى كان يعرفها الدعاة لم يمانع عبد الله فى مناقشة إصلاحاته بل كان يعمل على إثارة المناقشة والجدل حو شرعيتها وتذكر كتب تراجم الصالحين لأبى العباس أيضاً – أخى الداعى مثل هذا الموقف – فى أواخر شعبان سنة ٢٩٦ هـ أى بعد شهرين من دخوله القيروان جلس القاضى الجديد واسمه محمد بن عمر المروزى فى الجامع وأمر بإسقاط صلاة الإشفاع فى شهر رمضان واحتج فى ذلك على الفقهاء وأنكر عليهم الاقتداء بفعل عمر بن الخطاب فى القيام وتركهم الاقتداء بفعل على فى زيادة حى على خير العمل فى الآذان . وقال لهم اعملوا بمذهب أهل البيت واتركوا الفضول أى اتركوا مازاد على ذلك [1].

كان ذلك التصرف اللبق الذى يعرف باستغلال الفرص سبباً فى نجاح جهوده إذ أظهر الكثيرون من أهل القيروان استعدادهم للدخول فى المذهب الشيعى أو فى «التشريق» كما كان يقال – وذلك نسبة إلى أصل المذهب الجديد الذى أتى من الشرق.

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ١٥٢.

أما عن اقتناع فى بعض الأحيان وإما عن انتهازية وذلك فى كثير من الأحيان.

يذكر ابن عذارى عن وفاة أبى الفضل محمد بن عبد الكريم بن إسماعيل الذى كان قد اسندت إليه جباية طرابلس وتونس يقول : «إنه تولى ذلك ليلج مع القوم ويبقى معهم فتوصل بذلك إلى أخذ نعمته ومات فى عذاب الشيعة» (١).

وكان الحنفية أو العراقيون كما كان يسميهم الكتاب أكثر استعداداً لقبول مذهب الشيعة بفضل مرونته وأخذهم بمبدأ الرأى من المالكية المتشددين ولهذا السبب تساهل الشيعة مع الحنفية وسمحوا بوجود مذهبهم ولم يحاربوه.

وتذكر النصوص أن بعض الحنفية الذين دخلوا فى الدعوة الجديدة وتعصبوا لها بشكل غريب من هؤلاء أحمد بن محمد بن شيرين الفقيه بمذهب أهل العراق الذى سار راجلاً مع أبى عبد الله إلى سجلماسة يرى أنه محتسب فى الثواب فى طلب الإمام وكان هذا سبباً فى أن عهد إليه بولاية قضاء مدينة برقة (٢).

ولكنه إذا كان أبو عبد الله قد أظهر اعتدالاً مقبولاً فإن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة لبقية أعوانه من الدعاة الذين أظهروا التعصب للمذهب.

ويشير الكتاب إلى أن أبا العباس أخو الداعى كان أول هؤلاء المتعصبين فابن عذارى يصفه فيقول : «إنه كان عجولاً كثير الكلام ضعيف العقل» وينسب إلى أبو العباس أنه بمجرد وصوله إلى القيروان حيث كان معتقلاً فى طرابلس أراد أن ينفى من المدينة كل من يذهب من الفقهاء مذهب أهل المدينة أى كل المالكية ولكن أبو عبد الله لم يجبه إلى ذلك.

(١) نفس المصدر، ص ١٥٣ .

(٢) نفس المصدر، ص ١٥٣ .

ولى الحسن بن أحمد المعروف بابن أبى خنزير وأمره بقتل كل من خرج نيلاً وشرب مسكراً أو حمله أو وجد عنده.

وعندما سار الداعى إلى سجلماسة ترك أخاه أبو العباس نائباً عنه فى أفريقية فانتهز هذه الفرصة واستمر فى سياسته الخرقاء وذلك أنه استمع لوشاية أو لسعاية قام بها بعض الحنفية ضد فقيهين مالكيين معروفين هما ابراهيم بن محمد الضبى المعروف (بابن البرزون) وأبو بكر بن هذيل - وكانت التهمة التى وجهها الحنفيون لخصميهم هى أنهما يطعنان فى الدولة ويسويان على بن أبى طالب بأبى بكر وعمر وعثمان فما كان من أبى العباس إلا أه حبسهما ثم أمر ابن أبى خنزير بقتلهما وقام هذا الأخير بالتنفيذ بعد أن ضرب ابن البرزون خمسمائة سوط فى شارع القيروان الكبير فى سماط القيروان مجرورين مكشوفين ثم أنهما صلبا بعد ذلك [1] وبطبيعة الحال كان مثل هذا العمل الأحمق يثير سخط أبى عبد الله الذى كتب إلى أخيه عندما علم بنبأ هذا العمل الغريب فقال: «لقد أفسدت علينا من أمر البلد وأهله ماكانت بنا حاجة إلى صلاحه».

هذه السياسة التى أكدت مركز أبى عبد الله لم تلق موافقة عبيد الله الذى انتهج مسلكاً مغايراً فأظهر عبيد الله التشيع القبيح وسب أصحاب النبى وأزواجه.

وبدأت سياسة الضغط على الناس وإرغامهم على اعتناق المذهب فأصدر المروزى أمراً بألا يفتى أحد من الفقهاء إلا بمذهب جعفر بن محمد أى بمذهب الفواطم.

---

(١) ابن عذارى، البيان ، ج ١ ، ص ١٥٥.

لقى الأمر معارضة من المالكية إذ لم يجبهم إلى ذلك إلا القليل كما يؤكد ابن عذارى. ولاشك فى أن من قبلوا دعوة عبد الله رفضوا المذهب كما صوره أبو عبيد الله ولكن الشيعة استعملوا الضغط وقتلوا الكثيرين.

اختلف الداعي والمهدي.

خسر المهدى كثير من الأتباع المخلصين، ولهذا السبب بدأ يغير من سياسته المتطرفة فلاحظ مثلاً أن انتشار المذهب بين عامة الناس كان يؤدى فى بعض الأحيان إلى نتائج عكسية فأمر الدعاة بالكف عن نشر التشيع بين العامة. ولم يكن معنى ذلك إعلان الهدنة بين أهل السنة وأهل المذهب الرسمى إذ استمر هؤلاء فى اضطهادهم وظل أولئك مصرين على عنادهم ومعارضتهم والظاهر أن المهدى لم يكن مسئولاً عن استمرار ذلك الصراع بل كان المتعصبون من أتباعه ولاسيما الشعراء منهم الذين غالوا فى تشيعهم هم المسئولون عن استمرار ذلك النزاع، فهناك نصوص تنسب إلى الشاعر محمد ابن البديل أنه مدح عبيد الله فقال :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح

حل بها أحمد المصطفى حل بها الكبش والذبيح

حل بها الله ذو المعالى وكل شئ سواه ريح [1]

وتقول النصوص أيضاً أن أهل القيروان ردوا على تلك الجرأة شعراً فقالوا:

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ١٦٠ .

الجـــور قــد رضــينا! لا الكفـــر والحمـــاقة

يا مـــدعـــي الغيـــوب من كـاتب البطـــاقـة [١]

كان الرد على مثل هذا الذى أتى من جانب أهل القيروان هو الأخذ بالشدة التى لاتعرف الرحمة. ففى سنة ٣٠٧ هـ / ٩١٩ م قتل بالقيروان مؤذن أحد المساجد واسمه عروس. وتقول النصوص أنه كان رجلاً زاهداً متعبداً بعد أن ضرب بالسياط وقطع لسانه وذلك أن قوماً من المشارقة أى من الشيعة شهدوا عليه بأنه أذن ولم يقل «حى على خير العمل» [٢].

وفى (سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١م) قتل أبى على الحسن بن مفرج الفقيه وكذلك محمد الشذونى الزاهد إذ رفع عليهما إلى عبيد الله تفضيل بعض الصحابة على على بن أبى طالب [٣].

وفى ٣١١ هـ شهد قوم من الشيعة على الفقيه محمد بن العباس الهذيلى بأنه يطعن على السلطان ويفتى بقول مالك فجرد من ملابسه فى المسجد الجامع وضرب بالدرة وصفع قفاه حتى جرى الدم من رأسه وشهر به فى أسواق القيروان [٤].

وبينما كان المهدى يتعسف مع خصومه من رجال العلم والفقهاء ربما حسب ما تقضيه الضرورة السياسية كان لايتسامح مع عامة الناس وأطفالهم الذين أرادوا استغلال تشيعهم فسمحوا لأنفسهم بالقيام بأعمال تسئ إلى المذهب وتشوه مناهجه ففى ٣٠٩ هـ أمر المهدى بحبس نحو مائتى رجل أظهروا التشيع فى القيروان وباجة وتونس وجاهروا بتحليل الحرم فشربوا الخمر فى

---

(١) نفس المصدر، ص ١٦٠ .

(٢) ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٣) نفس المصدر، ص ١٨٧.

(٤) نفس المصدر، ص ١٨٨.

رمضان جهاراً، وظل هؤلاء المستهترون من التعساء فى السجن إلى أن هلك معظمهم ويذكر ابن عذارى من بين هؤلاء رجل اسمه أحمد البلوى النخاس بالرقيق الذى كان يصلى إلى رقادة أيام كون عبيد الله بها وهى منه فى المغرب فلما انتقل عبيد الله إلى المهدية وهى فى الشرق صلى إليها وكان يقول «لست ممن يعبد من لايرى» [1] ، وبذلك كبح عبيد الله جماح أتباعه الغلاة وعمل على عدم الابتعاد تماماً عن قواعد الإسلام الأساسية التى يعرفها أهل السنة.

---

(١) نفس المصدار، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

الفصل الخامس

خلافة القائم

خلافة القائم

ولكنه بعد موت عبيد الله واعتلاء ابنه القائم أبو القاسم تغيرت سياسة المداراة هذه واتخذت الشيعة موقفاً عدائياً صريحاً بالنسبة للسنة ونحن لانعرف بالضبط السبب الذى أدى إلى هذا التحول، ولكن ربما كان راجعاً إلى طبيعة القائم أو إلى أن الإمام الثانى شعر بقوته بعد أن اطمأن إلى استقرار الأسرة فى البلاد. ونجد الكتاب وخاصة المعادون للفاطميين منهم يكيلون التهم لثانى الأئمة فيقول الذهبى : «كان القائم شراً من أبيه المهدى زنديقاً ملعوناً»، وينقل ابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة «أنه أظهر سب الأنبياء عليهم السلام وكان مناديه ينادى العنوا الغار وماحوى». ويضيف ابن عذارى : «وغير ذلك من تكذيب كتاب الله تعالى فمن تكلم عذب وقتل».

اشتد الأمر على المسلمين وكان معنى ذلك ازدياد الهوة اتساعاً بين أهل أفريقية وبين حكامهم الشيعة ولم يبالى هؤلاء بسوء العاقبة فاستمروا فى اضطهادهم ومطاردتهم لرجال الدين حتى ليقال أنهم قتلوا خلقاً من العلماء.

وكان هذا التغير سبباً فى إثارة القلق والسخط فى قلوب الناس بشكل صامت فى أول الأمر ولكنه كان يهدد بالانفجار الشديد فى أى وقت.

والحقيقة لم تكن السياسة الدينية هى الأزمة الوحيدة بل كانت السياسة المالية الجائرة سبباً فى نقمة الناس على العبيديين.

١ - السياسة المالية:

أما عن بداية السياسة المالية وكانت طيبة أيام أبى عبد الله حتى ظن الناس به خيراً فعندما استولى على طبنة سنة ٢٩٣ هـ كما سبق أن أشرنا وأتاه

الجباة بالضرائب أى العشور طلب إليهم أن يردوا الأموال إلى أهلها وأمرهم أن يعلموا الناس أنهم آمنون على مايخرج الله لهم من أرضهم وأن سنة العشور معروفة فى أخذه وتفرقته على ما ينصه كتاب الله عز وجل. وعندما أوتى إليه بمال الخراج قال: «هذا مال لا خير فيه ولا خراج على المسلمين فى أموالهم»[1]. ثم أمر أهل طبنة برده على أهله وأتت هذه الإجراءات المالية التى أعدها الشيعى للدعاية بطبيعة الحال أتت بنتيجتها المرجوة فأقبل الناس عليه وتخلوا عن سادتهم القدماء من بنى الأغلب (الذين كانوا قد أرهقوهم بالضرائب). وهكذا خرج التجار مع أعيان أهل القيروان مرحبين به فوعدهم الإحسان والعدل مما أغضب كتامة الذين كانوا يرجون أن يوكلهم القيروان وأن يعطيهم جميع أموال أهلها. ولكنه تمكن من إقناعهم بقبول سياسته المتعقلة هذه وبمجرد وصول عبيد الله المهدى إلى القيروان اتضح أنه سينتهج غير هذه السياسة فعندما خرج إليه الفقهاء ووجوه أهل المدينة وسألوه تجديد الأمان أى أمان أبى عبد الله قال لهم أنتم آمنون فى أنفسكم وذراريكم ولم يذكر الأموال وعندما سأله البعض أن يأمنهم فى أموالهم أعرض عنهم فخافه أهل العقل من ذلك الوقت كما يقول النص[2].

وبطبيعة الحال لم يكن هم الفاطميين فى أول الأمر من جمع الأموال هو الانفاق على وسائل الترف بل كان هدفهم الأول هو تجهيز القوات العسكرية، ولقد اتضح ذلك منذ البداية عندما فرض أبو عبد الله الجزية العسكرية على أتباعه وجعل لهم ديواناً وبيت مال.

وكان على الفاطميين أن يعدوا الأموال اللازمة للحملات الموجهة ضد

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ج ١، ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٥٨.

مصر ولبناء عاصمتهم المهدية ولإنشاء أسطول قوى يضبط أملاكهم فيما وراء البحر فى صقلية وفى جنوب إيطاليا ويستمر فى الصراع ضد النصارى فى البحر – كل هذا يفسر التعسف المالى والمغارم – الكبيرة التى نزلت بكثير من المدن المفتوحة. ففى سجلماسة اتهم أهل المدينة بامتحان الإمام حتى ليقال أنه تحصل من التبر ومن الحلى مائة وعشرين حملاً عاد بها المهدى إلى رقادة.

أما عن مدينة طرابلس فإنها اغرمت نفقات الحملة التى قضت على ثورتها سنة ٣٠٠ هـ، وكذلك مدينة برقة (١).

أما عن الضرائب فإنها شملت كل شئ وكانت إدارة مالية ضمت المتخصصين فى الجباية الذين انتشروا فى الأقاليم يحددون أنواع الضرائب وطرق جمعها وتقسيمها تحت رقابة الأمير. وإلى جانب الضرائب الشرعية من الزكاة والعشور وهى الضرائب التى كان يدفعها المسلمون بانتظام، ثم ضريبة الرؤوس وهى الجزية والتى كان يدفعها أهل الذمة إلى جانب هذه الضرائب الشرعية عادت الضرائب التى كانت تدفع للأغالبة والتى ألغاها أبو عبد الله وذلك مثل الخراج على الأرض بل وكذلك فرضت ضرائب على أراضى المراعى وذلك رغم دفع العشور على القطعان نفسها.

هذا عن الضرائب المباشرة التى كانت تدفع عند دخول المدن والأسواق أو الخروج عنها أو عند عبور القناطر أو المرور عند تقاطع الطرق الرئيسية ولاسيما فى سجلماسة محطة القوافل وباب التجارة مع بلاد

---

(١) ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ١٦٨ – ١٦٩، ١٧٠.

السودان، وفى مدينة طرابلس حيث الطرق المهمة التى تؤدى إلى المشرق وإلى الجنوب.

وغالى المهدى فى الأمر حتى أنه أمر فى سنة ٣٠٩ هـ بأن يكون سبيل الحاج إجبارياً عن طريق المهدية حتى يدفع الحجاج ما يجب عليهم من الضرائب (المغارم) وكان ذلك الإجراء غريباً فلم يكن الحجاج يقصدون اتخاذ هذا الطريق المعوج بدلاً من السير مباشرة إلى مصر حتى أن أهل القيروان كانوا يتمثلون عند المطالبة بشراء ممتنع بقولهم «إذا أردت الحج فخذ على بندون – (قرية فى طريق المهدية) – فلما صدر هذا الأمر تندروا بذلك فقال صار المثل القديم حقاً [١].

ولم تسلم الأحباس (الأوقاف) من إغارة عبيد الله عليها. فى سنة ٣١٣ هـ عندما ما توفى أبو حفص القلاس دون أن يكون له وارث ورثه عبيد الله وكان للرجل مسجد يجاور داره وفندق فأغلق الناظر فى الموارد باب المسجد ووصله بالدار والفندق [٢].

ولم يقف الأمر عند استبداد الأمير بل زاده فساد العمال من رجال الضرائب. فمحمد بن عمران النفطى الذى كان قاضياً فى طرابلس لم يكن يتورع من جمع الأموال الكثيرة من الرشا والأحباس ودفعها إلى عبيد الله وكانت له وسيلة إليه حتى أنه ولاه قضاء مدينة القيروان سنة ٣١١ هـ بدلاً من «عبيد الله اسحاق بن أبى المنهال» الذى اتهم باللين والضعف [٣]. هذا إلى

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، تحقيق ح س . كولان، ليفى بروفنسال، ج ١، ص ١٨٦ – ١٨٧.

(٢) نفس المصدر، ص ١٩٠.

(٣) نفس المصدر، ص ١٨٨.

جانب ما كان يفرض على الناس من الضرائب. يذكر ابن عذارى أنه فى سنة ٣٠٥ هـ أخذ أهل الضياع (وهى الأملاك الأميرية) بمغرم سمى ضريبة التضييع وزعموا أنه من بقايا التقسيط، والتقسيط هذا كان ضريبة قديمة كان معمولاً بها أيام الأغالبة. وعندما حل الوباء فى سنة ٣٠٧ هـ ظل عمال المهدى فى سياستهم الظالمة فى استيلائهم على أموال الناس فى كل جهة وكان استبداد عمال الأموال نتيجة طبيعية لطريقة فرض الضريبة إذ كان على كل عامل أن يؤدى إلى بيت المال مبلغاً معيناً. فبينما كان له الحق فى الاحتفاظ بما يزيد عن ذلك المبلغ فعمل هؤلاء الجباة على غرس كراهية الفاطميون فى قلوب أفراد الشعب وهكذا تجمعت عوامل السخط من البدع الدينية إلى الضرائب بالإضافة إلى مضايقات جند كتامة إلى أعداد الإنقسام الكبير الذى كاد يودى بالدولة وتمثل فى الثورة التى قام بها أبى يزيد المعروف بصاحب الحمار.

٢ - ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي:

نبدأ بالكلام عن الثورة الخارجية وهى ثورة أبى يزيد صاحب الحمار.

بدأت هذه الثورة فى الأقاليم التى عرفت بعدم خضوعها لسلطان الدولة وذلك فى الجنوب التونسى والأقاليم المتاخمة له فى جنوب طرابلس وكذلك فى الجبال المشهورة فى الجزائر وهى جبال أوراس.

وصاحب الثورة أبو يزيد مخلد بربرى خارجى فأبوه كيداديفونى (ايفرن) من قبائل زناتة، وأبوه من مدينة توزر فى جنوب أفريقية من إقليم قسطيلية أو من إقليم بلاد الجريد أما أمه فتقول بعض النصوص أنها هوارية من قبائل هوارة ولو أنه توجد نصوص أخرى تقول أنها جارية من بلاد السودان اشتراها والده فى إحدى رحلاته التجارية إلى بلاد السودان وأنها ولدت له مخلد فى المدينة الصحراوية المعروفة بتاد مكة وذلك حوالى سنة ٢٦٧ هـ [١]. وعاد الرجل إلى مسقط رأسه فى مدينة توزر، وهناك نشأ الصبى وتعلم القرآن وبدأ يتصل بقبائل الخوارج من الأباضية النكارة ولما بلغ الصبى مرحلة الشباب رأى أن يوسع مداركه وأن يتفقه فى تعاليم المذهب فشد رحاله إلى عاصمة الأباضية وهى مدينة تاهرت وذلك على أواخر أيام الرستميين. وهناك اشتغل إلى جانب الدرس بتعليم الصبيان القرآن [٢] وهذه المهنة ستصبح رمزاً لكثير من دعاة الإصلاح والآمرين بالمعروف.

عندما سقطت تاهرت (تيهرت) بين أيدى الفاطميين وقضى فيها على المذهب الخارجى عاد أبو يزيد إلى موطنه فى بلاد الجريد وهو ينقم على

---

(١) انظر : ابن الأثير الكامل، ج ٦، ص ٣٠٢ – ٣٠٣؛ ابن خلدون : العبر، ج ٧، ص ٨٤.

(٢) المقريزى، اتعاظ ، ج ١، ص ٧٥ .

الشيعة وضمر الثأر منهم واستقر فى بلدة تقيوس (حامة تقيوس – كلمة حامة الموضع الذى تطلع فيه المياه الكبريتية) واستمر يعلم الصبية ويقوم بالدعاية ضد الفاطميين ويدعو إلى السنة وإلى الأمر بالمعروف، وينجح أبو يزيد فى إثارة أهل تقيوس حتى أنهم قاموا ضد واليهم الفاطمى وقتلوه فى سنة ٣٠٦ هـ على أيام المهدى. وهنا خاف الرجل أن يكتشف أمره فقرر الخروج إلى الحج وفعلاً اتخذ طريقه إلى المشرق ولكنه عندما وصل إلى مدينة طرابلس كانت أوامر عبيد الله قد سبقته للتفتيش عن بعض المشتبه فى أمرهم من البربر، وهنا رأى أن يقطع رحلته إلى المشرق وأن يعود مستتراً إلى تقيوس وانتهز فرصة هدأ فيها التفتيش عنهم وقام برحلة إلى المشرق وهناك رجع واتصل بفقهاء المذهب هناك ومنهم الفقيه الأباضى المشهور وهو عمار الأعمى الذى سيسير إلى أبى يزيد ويصبح مستشاره الأول ويقف إلى جانبه فى أوقات الشدة والضيق.

وهكذا عاد أبو يزيد إلى تقيوس سنة ٣٢٥ هـ أى بعد وفاة المهدى ورجع إلى نشاطه السابق ولكن أمره انتهى بأن قبض عليه وألقى فى السجن وطالب أتباعه بالإفراج عنه ومنهم ولداه والفقيه عمار الأعمى، وعندما تأخرا لوالى فى الإفراج عنه لجأ أتباعه إلى العنف فأخرجوه من السجن عنوة – وبطبيعة الحال لم يستطع أبو يزيد أن يبقى فى بلاد الجريد فاتجه نحو الجنوب الغربى واستقر فى مدينة «ورجلة» وكانت هذه المدينة ملجأ لخوارج تاهرت – وهناك استطاع أن ينشر دعوته بين قبائل المنطقة وكذلك بين قبائل جبال أوراس وكان هدفه من دعوته هذه هو قتال الفاطميين الكفار قتال الرافضة وإخراجهم أى الشيعة من بلاد أفريقية والقيروان ثم إقامة حكم سنى أصيل مبنى على المبادئ السياسية التى يدعو إليها المذهب الخارجى أى إلى مبدأ الإجماع الذى

يقوم على الكتاب والسنة - (الشورى - الانتخاب) المبنى على الكتاب والذى يقيم المساواة بين جميع الناس دون أية تفرقة عنصرية وذلك كما كان الحال معمولاً به فى تاهرت (تيهرت) على أيام الرستميين. هذا يفسر كيف أن أبا يزيد لم يتخذ لقب الإمام أو لقب أمير المؤمنين بل أنه اتخذ لقباً جديداً هو شيخ المؤمنين.

وظهر الرجل بمظهر الزاهد الورع المتقشف وكان يلبس جبة صوف قصيرة لاتخفى عرجه ومع مرور الوقت كثر جمعه وازدادت قوته وبدأ يوجه السرايا تغير وتفسد فى الأقاليم المجاورة.

أخيراً قرر أن يقوم بتنفيذ برنامجه الكبير بعد أن أعد العدة للحملة العظمى. واستطاع فعلاً ذلك الرجل القصير الأعرج الذى وصفه الكتاب بقبح الصورة والذى كان قد جاوز الستين من عمره حقق هذا الرجل نجاحاً عسكرياً هائلاً جدير بكبار القواد ورجال الدول هذا النصر الكبير يذكرنا بالحملة المظفرة التى كان قد قام بها أبو عبد الله الشيعى قبل ذلك الوقت بحوالى خمس وثلاثين سنة واستولى أبا يزيد على كل أملاك الفاطميين فلم يبق لهم إلا المهدية بأسوارها فقط، وبدأ حملته هذه من جهة الغرب فحاصر مدينة «باغاية» وهزم القوات الفاطمية وحاصر مدينة قسطيلية واتبع ذلك بفتح مدينة «تبسة» ثم «مجانة المعدن» على الحدود التونسية الجزائرية وسقطت بين يديه مدينة «مرماجنة». وفى هذه المدينة أهدى إليه حمار أشهب مليح اتخذه مطية له وكان سبباً فى أن أطلق عليه لقب صاحب الحمار [١].

---

(١) انظر : ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٣٠٣؛ المقريزى، اتعاظ ، ج ١، ص ٧٥ - ٧٦.

ثم دخل مدينة «سبيبة» على يومين من القيروان واتبع ذلك بالاربس ثم دخلت قواته باجة وتونس واقترب شيئاً فشيئاً من غرب القيروان واستولى على رقادة ثم على مدينة عقبة نفسها أى القيروان نفسها.

ومهما سخط الكتاب على الفاطميين وعلى الإمام الثاني القائم على وجه الخصوص لما كان يقوم به ضد السنة ورغم تعبير هؤلاء الكتاب عن الارتياح على قيام أبى يزيد باسم الكتاب والسنة فإنهم يصفون حملته هذه وكأنها حملة تخريب وتقتيل وأعمال تعسف وشدة مما قد لا يستبيحه أعداء الدين من الكفار أنفسهم ووصفهم لهذه الحملة لايعادله إلا وصفهم لحملة التتار المدمرة المخربة فى أوائل القرن السابع الهجرى. فمدينة الاربس أحرقت وقتل الناس فى جامعها و «باجة» حرقت ونهبت وكذلك القيروان أما مدينة سوسة (ميناء القيروان) وكان مصيرها أشنع وأفظع إذ يقول ابن الأثير : إن البربر أحرقوها وشقوا فروج النساء وبقروا البطون، ويقول البعض أنه كان يعمل أكواماً من رؤوس المسلمين رعية الشيعة ويأمر المؤذنين بالآذان عليها.

واستمرت الحملة المدمرة طوال ثلاث سنوات حتى أن ابن الأثير يجمل تلك الصورة بنفسه فيقول : «إنه لم يبق موضع فى أفريقية معمور ولا سقف مرفوع» [1]. وإلى جانب ذلك ينسب الكتاب إلى أبى يزيد نفسه الكثير من أعمال القسوة والسخرية بالناس فهناك رواية تقول أنه عندما شكى إليه بعض الناس ما فقدوه من أمتعة وأموال رد عليهم بأن الإنسان إذا ما احتفظ بدينه فهو لم يفقد شيئاً ورواية أخرى تقول أنه عندما سأله رجل من أهل المسيلة كيف يكون شيخ المؤمنين ويبنى بابنتيه واختين معاً رد عليه بأنه فعل ذلك حلالاً بملك اليمين وأمر بالرجل فضربت عنقه.

(١) المصدر السابق، ص ٣٠٤.

ولكنه رغم هذا لايمكن أن يكون الرجل مسئولاً عن كل ما حدث من النهب والقتل وإنما حدث ذلك بفعل أتباعه وخاصة من سكان الجبال منهم الذين كانوا يتشوقون دائماً لنهب خيرات المدن والمزارع. وهناك أمثلة كثيرة فى تاريخ المغرب لكل هذا التعذيب والتدمير وأول هذه الأمثلة تاريخ المرأة الأسطورية المعروفة بالكاهنة ثم الأعمال التى تنسب إلى بنى هلال وسليم فى منتصف القرن الخامس الهجرى.

وحقيقة الأمر أن حركة أبى يزيد اعتبرت فى أولها وكأنها حركة تحرير من ظلم الفاطميين ومن استبدادهم الدينى والمالى جميعاً والدليل على ذلك هو انضمام أهل أفريقية وأهل القيروان الذين لم يكونوا يدينون بمذهب أبى يزيد. وكذلك يصور الكتاب تلك الثورة على أنها رد فعل لاستبداد القائم الدينى قابله أهل السنة بالارتياح وهذا ما يفسره قيام المسلمين إلى جانبه عندما اقترب من القيروان وخروج الفقهاء والعباد معه لحرب القائم ولقد اهتم الكتاب بهذا الأمر حتى أنهم يسمون أعلام هؤلاء الرجال الذين انضموا إلى جانب الخارجى رجلاً رجلاً.

أما عن أبى يزيد فإنه عمل من جانبه على اكتساب الناس فعندما دخل القيروان أظهر لأهلها الخير وأعلن الرحمة على أبى بكر وعمر وأمر بالعودة إلى العمل بمذهب مالك [1] واغتبط القيروانيون بطبيعة الحال بعودة السنة وخرج الفقهاء فى الأسواق للصلاة على النبى وأصحابه وأزواجه الذين أهانهم القائم.

وفى يوم الجمعة احتشد الناس فى المسجد الجامع وبعد أن خطبهم الإمام خطبة الجهاد تقدمهم أبو يزيد فى موكب عظيم ومعهم الرايات منها راية

(١) ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ٢١٧.

مكتوبة «نصر من الله وفتح قريب على يد أبى يزيد»، ومنها «اللهم انصر وليك على من يسب أولياءك»، هذا إلى جانب شعارات أخرى مثل هذه الشعارات كان ذلك التحالف الغريب الذى قام بين الخارجى وبين فقهاء القيروان كان تحالف مصلحة مؤقتة، فعندما خرج بهم لقتال الشيعة فى المهدية كان كل من الطرفين يضمر الضرر للطرف الآخر فالقيروانيين لايعتقدون فى خضوعهم لإمام خارجى وكانوا يأملون فى التخلص منه بمجرد انتصارهم على الإسماعيلية الفاطميين وعرف أبو يزيد ذلك فعمل هو على التخلص منهم بالمكر والخديعة وذلك أنه عندما اشتد القتال أمر رجاله بالانكشاف عنهم حتى يفتك بهم الفاطميون وتم له ذلك فهلك عدد كبير مما ترتب عليه قيام الناس ضده. وذلك فى شهر جمادى الثانى سنة ٣٣٣ هـ ودخل عاصمة المهدى الشرقية المعروفة بزويلة والتى ستعطى اسمها هذا إلى أحد أحياء القاهرة الجديدة. ونهب البربر ضاحية زويلة وقتلوا أهلها ثم ضربوا الحصار على مدينة عبيد الله لما يقرب من ثمانية أشهر ودارت خلال ذلك معارك حامية بين جند القائم وبين عسكر أبى يزيد وكان النصر والهزيمة سجالاً بين الجانبين وفى هذه الأثناء وصل زيرى بن مناد الزعيم الصنهاجى – الذى سيخلفه أبناؤه فى ملك المغرب بعد رحيل الفاطميين – وذلك استجابة لطلب القائم وقاتل زيرى ومن معه من صنهاجه المحاصرين وتمكن من إمدادهم بالمياه التى كان قد قطعها الخارجى كما أمدهم بالمؤن.

ولبت كتامة هى الأخرى دعوة الخليفة وتحركت أعداد من قبائلها من المغرب الأوسط فى اتجاه مدينة قسطنطينة وطال الأمر على بربر أبى يزيد الذين كانوا يتحرقون شوقاً لنهب العاصمة الفاطمية ولما لم يصبح أمامهم ما

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٣٠٥ – ٣٠٦.

يسلبون بعد خراب البلاد وبعد هجرة الكثيرين من أهلها إلى طرابلس وإلى مصر بل وإلى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا فترت هممهم ونقضت جماعات منهم عهد أبى يزيد بل وانضمت جماعة أخرى إلى الخليفة الفاطمى فى الوقت الذى زاد فيه تدفق أفراد القبائل من صنهاجة وكتامة، فلم يبق مع الثائر إلا قبائل جبل أوراس وقبائل نفزة وهوارة وبنى كملان [1]. حتى كادت إحدى السرايا الكتامية أن تفتك به لولا أن خلصه أصحابه فى الوقت المناسب وإزاء هذا التغير فى الموقف اضطر أبو يزيد إلى الانسحاب من أمام المهدية تاركاً معسكره نهباً لأهل المهدية ولكن ذلك لم يحبط من همته وظل مستمراً فى الصراع بل وأمر جيوشه بالتنكيل والثأر من أهل البلاد التى خانت كل رجاله بأهل تونس وأهل باجة وضربوا الحصار فى جمادى الثانى سنة ٣٣٤ هـ، وبعد أن فرض الحصار على مدينة سوسة وتوفى القائم فى شهر شوال من هذه السنة ٣٣٤ هـ، وبعد أن صارت مقاليد الأمور إلى المنصور بدأت نهاية أبى يزيد فتوالت عليه الهزائم فى سوسة وفى القيروان كل ذلك وهو يقاوم ويعيد (تنظيم قواته) تجديد قواته فنظمها كما كان يستعيد فى كثير من الأحيان المدن التى خسرها.

وفى أوائل سنة ٣٣٥ هـ ظهر بجلاء أنه خسر المعركة إذ انسحب أمام قوات المنصور عبر باغاية وطبنة . وانتهى به الأمر إلى الإلتجاء إلى جبال كتامة : وعندما انهزمت قواته تماماً واستسلم أولاده وأصحابه لم يفقد الثائر العجيب رباطة جأشه بل استمر على مقاومته مع حفنة صغيرة من رجاله المخلصين فلجأ إلى إحدى القلاع وعندما سقطت القلعة احتمى ببرجها وتمكن من اختراق الحصار وحمله أصحابه وهو مثخن بالجراح وأخيراً سقط

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٣٠٥ – ٣٠٦.

بين يدى المنصور فى أوائل (سنة ٣٣٦ هـالموافقة صيف ٩٤٧م) ووضع فى قفص من حديد حيث مات متأثراً بجراحه. وأمر الخليفة الفاطمى بسلخه وحشاه تبناً وعاد به إلى القيروان حيث شهر بجثته كما انتقم من القيروانيين الذين ناصروه (أى ناصروا الثائر) وأعلن المنصور نبأ موت والده وكان قد كتمه منذ حوالى أربعة أشهر خوفاً من أن يستفيد أبى يزيد من ذلك ومن القيروان سار المنصور إلى عاصمته المهدية [1].

وترتب على القضاء على الثورة الخارجية الكبيرة نتيجتين مختلفتان فى طبيعتهما ومغزاهما : فمن جهة ظفر الفاطميون بأخطر أعدائهم وعملوا على التثبت من سلطانهم وتأكيده فى بلاد المغرب. ومن جهة أخرى تأكد للفاطميين خطر بقائهم فى هذه البلاد.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ٣٠٨ – ٣١١.

٣ - بناء صبرة أو المنصورية :

من الناحية الأولى قرر المنصور أن يترك المهدية التى عاش فيها هو ووالده وعزم على العودة إلى القيروان، وهذا الحدث له مغزاه فالقيروان هى العاصمة الحقيقية لبلاد أفريقية فاختار المنصور موضعاً قريباً من المدينة (القيروان) وبنى فيه مدينة ملكية جديدة هى المعروفة صبرة أو المنصورية [١].

وبدأ ببناء قصر لسكناه ثم زادت القصور وأنشئت مجارى المياه وخططت الحدائق وأصبحت المدينة الجديدة تعبر عن الرفاهية والترف بعد أن كانت المهدية تعبر بقلاعها وحصونها وأبراجها عن الحذر والخوف والترقب فى أيام الشدة وعن الأخطار التى قد تأتى من البلاد.

---

(١) عن صبرة، انظر : البكرى، المغرب، ص ٢٥، الاستبصار، ص ١١٥، وهامش ٢، ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ٢١٩ ، ص ٢٩٣، التجانى، رحلة التجانى، ص ٣٢٨.

الفصل السادس

موت المنصور وخلافة المعز

موت المنصور وخلافة المعز

وعمل المنصور على إقرار الأمور فى أفريقية وكانت آخر جولاته العسكرية التى خرج فيها إلى صفاقس وتونس وقابس والتى أطاعه خلالها أهل جزيرة جربة وعاد من هذه الرحلة ليعتل علته التى مات فيها [1] واستمرت هذه السياسة التى ترمى إلى تأكيد سلطان الفاطميين ببلاد المغرب إلى عهد المعز لدين الله ابن المنصور الذى خلفه على عرش الخلافة الفاطمية والذى ولى سنة ٣٤١ هـ.

ففى سنة ٣٤٦ هـ (٩٥٧ – ٩٥٨م) سار المعز بنفسه إلى جبل أوراس وبعث قواته تجول فيه وتقضى على بقايا ثوار أبى يزيد [2].

وتشير النصوص إلى دخول بعض قبائل البربر فى طاعة الفاطميين خلال هذه الرحلة لأول مرة ولم يكتف المعز بذلك بل أنه أرسل فى السنة التالية سنة ٣٤٧ هـ جيشاً من كتامة ومن صنهاجة وعهد بقيادة هذا الجيش إلى قائده المشهور جوهر الصقلى وبرفقته زيرى بن مناد زعيم صنهاجة وهزم قبائل زناتة وأخذ مدينة فاس وأخضع مدينة سجلماسة التى كان قد استقل بها رجل اسمه محمد بن واسول واتخذ فيها لقب أمير المؤمنين [3].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٤٩٧، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٣٥، ترجمة رقم (٩٨)؛ المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٨٨؛ ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ٢١٨، ابن الخطيب، أعمال الإعلام، ص ٥٤.

(٢) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٩٣.

(٣) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٩٣ – ٩٤.

ووصل جوهر إلى البحر المحيط ولم تقف أمامه إلا قلعة سبتة وهذه الحملة تذكر بالحملة الكبرى التى كان قد قام بها عقبة بن نافع فى بداية الفتوح الإسلامية وتزيد عليها فى أنها لم تكن حملة عابرة بل كانت تهدف إلى تثبيت ملك الفاطميين فى كل المغرب بالقضاء على النفوذ الأموى الأندلسى وفعلاً أصبحت الخطبة فاطمية فى كل مساجد المغرب فيما عدا مساجد سبتة وطنجة ومن البحر المحيط أمر جوهر بصيد السمك ووضعه فى قلال الماء وبعث به إلى المعز فى المنصورية [1] وكان ذلك دليلاً على مدى ما بلغه سلطان المعز من القوة كما كان مظهر من مظاهر العظمة والترف أن يأكل الخليفة فى البلاد التونسية سمكاً وحوتاً من البحر المحيط.

وإلى جانب تأكيد السلطان السياسى عمل المعز على تأكيد المذهب الشيعى أيضاً فى سنة ٣٤٩ هـ أبلغ أئمة المساجد والمؤذنين عن طريق القاضى أن يلتزموا أصول المذهب فى الآذان والصلاة فلا ينسوا عند الآذان «حى على خير العمل» وكذلك البسملة فى أول كل سورة والتسليم تسليمتين. لفت نظرهم أيضاً إلى عدم تأخير صلاة العصر.

كما منع النساء من النواح والصياح وراء الجنائز. هذا يمكن أن يعتبر نوع من الإصلاح الاجتماعى وأمر بألا يسمح للعميان بقراءة القرآن على المقابر إلا عند الدفن ورغم ما تشير إليه النصوص من هذه الشدة إلا أننا نجد هناك نصوصاً أخرى تظهر تسامح المعز فيما يتعلق بالأمور الدينية أيضاً... سمح لأحد الشعراء أن يهجوه بل وأهداه وأنه سمع أحد المؤذنين الذى ضرب أحد الشيعة وحذره من ذلك واتبع ذلك بإعطائه عشرة دنانير.

---

(١) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٩٤.

وهكذا تأكد سلطان المعز فى كل أفريقية الشمالية حتى أنه عندما احتفل بختن أبنائه فى سنة ٣٥١ هـ أمر بتختين جميع الأطفال فى كل البلاد الخاضعة لسلطانه من سجلماسة إلى برقة وكذلك فى جزيرة صقلية التى كان قد قر أمورها بنو أبو الحسن الكلبيين وأمر بهذه المناسبة أن توزع الهدايا والملابس الثمينة على كل الناس فكان احتفالاً شعبياً رائعاً حفظ لنا القاضى النعمان وصفاً له فى كتابه «المجالس و«المسايرات» [١] هذا النص موجود فى المقريزى.

لم يطمئنوا إلى زوال الخطر عنهم فى تلك البلاد التى لاقوا فيها لحظات من الشدة فعمل المعز بجد واجتهاد على الرحيل إلى المشرق بشكل لم يعرفه سابقوه من قبل. وذلك بالاستعداد الأكيد وبطريقة أكثر جدية مما فعل أسلافه وذلك فى الاتجاه نحو مصر.

فتح مصر:

والحقيقة أن مصر فى ذلك الوقت كانت أشبه ما تكون بثمرة ناضجة يمكن أن يقتطفها المعز بسهولة وذلك أن مصر عرفت فترة من الضعف السياسى على أيام الأخشيديين وذلك منذ وفاة محمد بن طغج الأخشيد التى حدثت فى (٣٣٤ هـ الموافقة ٩٤٦م) وكان الأخشيد هذا قد مد سلطانه فى مصر بل وحافظ على وحدتها مع بلاد الشام وناهض فى هذا السبيل قوات الخلافة استطاع دفع الحمدانيين عن بلاد الشام. ولكن خلف الأخشيد ابنه أبو القاسم أنوجور (٣٣٤ – ٣٤٩هـ) وأبو الحسن على أخو أنوجور من (٣٤٩ – ٣٥٥ هـ

---

(١) القاضى النعمان، كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقى، ابراهيم شبوح، محمد اليعلاوى، طبع تونس، ١٩٧٨، ص ٥٥٦، النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٢١، المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٩٤.

/ ٩٦٠ – ٩٦٦م) ونظراً لصغر سن الأميرين فرض عليهما كافور مربيهما الأسود ومملوك والدهما نوعاً من الوصاية فأصبح هو صاحب الأمر الفعلى فى البلاد، ورغم أن كافور أظهر أنه من الحنكة السياسية ونجح فى تدبير شئون البلاد ودفع عنها ما كان يتهددها من الأخطار. ونجح فى دفع الحمدانيين عن دمشق إلا أن هذا النجاح كان سبباً فى إثارة حقد الأمير الشاب أنوجور انتهى الأمر أن انقسمت العساكر المصرية.

مات أنوجور وخلفه أخوه الحسن وظل الأمر بين يدى كافور وإلى وفاة أبى الحسن على وهنا استقل كافور بالأمر تماماً حتى وفاته (سنة ٣٥٧ هـ) (١) وكانت الفترة الأخيرة من حكم كافور عصيبة على وجه الخصوص فإلى جانب الحمدانيين الذين كانوا يطمعون فى الشام كان القرامطة يعيثون فساداً فيما بين الشام والعراق والحجاز وذلك منذ مطلع القرن الرابع الهجرى ويغيرون على بلاد الشام ويقطعون قوافل الحجاج الشامية المصرية ويخرقون كل ما اتفق عليه المسلمون من العرف والمقدسات.

حدث هذا فى الوقت الذى اشتد فيه الخطر الفاطمى الآتى من المغرب بشكل جدى وزاد موت كافور من الاضطراب السياسى إذ أعلن أبو الفوارس بن على بن الأخشيد أميراً وحدث أن جاء إلى مصر أبو محمد الحسن أخو الأخشيد فاراً من الشام أمام القرامطة فاضطرب أمر الجند المصرى واعترف عدد منهم بإمارة الحسن ويستبد الحسن بالأمر وقبض على الوزير أبو مسلم جعفر بن الفرات الذى لم يكن قابضاً على زمام الأمور التى انتهت إلى مايشبه الفوضى السياسية. وإلى جانب عدم الاستقرار السياسى هذا عرفت مصر على أيام

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٧.

الأخشيديين أزمات اقتصادية شديدة تمثلت فى عدد من سنوات القحط والجدب والوباء التى يصفها المقريزى وابن تغرى بردى وصفاً رائعاً.

يقول المقريزى فى كتابه «إغاثة الأمة بكشف الغمة» :

« غلاء فى الدولة الأخشيدية والأمير يومئذ أبو القاسم أنوجور ابن الأخشيد فثارت الرعية ومنعوهم من صلاة العتمة فى الجامع العتيق. وبعد ذلك وقع غلاء فى سنة ٣٤١ هـ وكثر الفأر فى أعمال مصر وتلفت الغلات والكروم ثم قصر النيل أى أن فيضانه لم يكن فى المستوى المطلوب وهو مستوى ستة عشر ذراعاً فنزع السعر [1]. كذلك حدث فى ٣٤٣ هـ إذ عظم الغلاء حتى بيع القمح كل ويبتين ونصف بدينار ثم طلب فلم يوجد فثارت الرعية فكسروا مبنى الجامع بمصر. وبعد ذلك حدث غلاء شنيع استمر حوالى ٩ سنين متتابعة ابتداء من سنة ٣٥٢ هـ أى على أيام الأمير أبو الحسن على بن الأخشيد خلال هذه المدة لم يبلغ مستوى النيل إلى الحد الأدنى المطلوب وهو ستة عشر ذراعاً فى السنة الأولى حوالى ٣٥٢ هـ خمسة عشر ذراعاً وأربعة أصابع وكذلك فى ٣٥٣ هـ أى فى السنوات التالية كان المنسوب أقل من ذلك بلغ أربعة عشر ذراعاً وأصابع».

ويختم المقريزى وصفه فيقول «فعظم الغلاء وانتقصت الأعمال لكثرة الغش ونهبت الضياع والغلات وماج الناس فى مصر بسبب السعر فدخلوا الجامع العتيق بالفسطاط فى يوم جمعة وازدحموا عند المحراب فمات رجل وامرأة فى الزحام ولم تصل الجمعة يومئذ.

---

(١) انظر : المقريزى، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال، طبع القاهرة، طبعة ثانية، ١٩٥٧، ص ١٢، ٢٢.

وفى سنة ٣٥٦ هـ بلغت الأزمة أوجها ولم يبلغ النيل سوى اثنى عشر ذراعاً وأصابع ويقول المقريزى : « ولم يقع مثل ذلك فى الملة الإسلامية وكان على إمارة مصر حينئذ الأستاذ كافور الأخشيدى فعظم الأمر من شدة الغلاء ثم مات كافور فكثر الاضطراب وتعددت الفتن وكانت حروب بين الجند والأمراء ونهبت أسواق البلد وأحرقت مواضع عديدة وارتفع السعر وتعذر القوت ولحق الكثير من العسكر بالأمير عبد الله بن طغج وهو يومئذ بالرملة (قريبة من القدس) وكاتب الكثير منهم المعز لدين الله الفاطمى وعظم الأرجاف بسير القرامطة إلى مصر كما تواترت الأخبار بمجئ عساكر المعز من المغرب [1].

ووسط هذه الفوضى السياسية والمحنة الاقتصادية التى ألمت بالبلاد نجد نصوصاً ربما لم تكن محايدة تماماً نزيهة تماماً إذ هى نصوص تشير إلى الفساد الأخلاقى الذى دب فى الأسرة الأخشيدية حتى بين النساء منها. هذا فى الوقت الذى كان يتطلب وجود رجال أقوياء مادياً ومعنوياً لمواجهة هذه الظروف الاستثنائية هذا يعنى أن مصر كانت مستعدة لتقبل الجيوش الفاطمية الآتية من المغرب وعمل المعز كما سبق أن أشرنا بجد واجتهاد على تحقيق ذلك الأمل الذى كان يراود الأسرة منذ أيام المهدى.

فهناك نصوص تقول : « إنه استدعى مشايخ كتامة فى يوم من أيام البرد الشديد والريح العاصفة وعندما حضر هؤلاء وجدوه مشغول بالكتب التى ترد عليه من الشرق والغرب وكان هدف المعز أن يبين لهؤلاء الزعماء كيف يمضى أوقاته فى العمل من أجل مصلحة الرعية وعلى ذلك فهو ينصحهم أن يعملوا مثله فى خلواتهم فيتركوا اللذات وخاصة ألا يشغلوا أنفسهم بالحريم

---

(١) المقريزى، نفس المصدر، ص ١٢ – ١٣.

والنساء ليحفظوا أبدانهم وعقولهم إذ قال : «ونحن محتاجون إلى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم واعلموا أنكم إذا لزمتم ما أمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر الغرب» [1].

وكان على المعز لكى يعد العدة لافتتاح مصر أن يهيئ الطريق إلى المشرق فاعتنى عناية خاصة بإقليمى طرابلس وبرقة المؤديان إلى مصر وكانت هذه الأقاليم قد انتعشت قبل ذلك بسبب الإفساد والخراب الذى لحق بأفريقية أيام الثورة الخارجية ولقد سبق أن أشرنا إلى أن الناس كانوا قد هاجروا من أفريقية إلى طرابلس ومصر كما هاجروا إلى صقلية وجنوب إيطاليا وفعلاً ازدهرت أحوال مدينة طرابلس وأصبح لها من الأهمية ما لمدينة المهدية نفسها من حيث أنها قاعدة لأسطول صقلية فكان ولاة الجزيرة من بنى أبى الحسن الكلبيين يأتون بأسطول صقلية وبخراجها إلى طرابلس.

كذلك اهتم المعز بإقليم برقة وخاصة موانيه التى استرعت أنظاره لوجودها فى الطريق المؤدى إلى مصر وإلى جانب ذلك نجد أن الظروف سنحت للمعز لكى يتدخل فى شئون جزيرة كريت (أقريطش) وكانت بيزنطة قد بدأت تضغط على المسلمين هناك ضغطاً شديداً يهدد بإجلائهم عن البلاد. وكان هؤلاء المسلمون قد أتوا من الأندلس عقب الثورة التى كانت فى ضاحية قرطبة المعروفة بالربض فى أوائل القرن الثالث الهجرى وركبوا المراكب من موانئ الأندلس الشرقية واتجهوا فى الشرق رسوا فى الاسكندرية واستطاعوا أن يستقروا فيها لمدة حوالى عشر سنوات تقريباً من سنة ٢٠١ هـ ولكن الأمر انتهى بأن خرجوا منها فساروا إلى كريت واستولوا على الجزيرة وهناك كون زعيمهم أبو

---

(١) انظر، المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٩٥ – ٩٦.

حفص عمر البلوطى إمارة إسلامية عاشت زهاء قرن ونصف قرن أى إلى ذلك الوقت الذى نحن نتكلم فيه.

قلنا أن بيزنطة بدأت تضغط على مسلمى كريت ضغطاً شديداً يهدد بإجلائهم عن الجزيرة وعندما ظهر عجز الخلافة العباسية عن حماية مسلمى الجزيرة وبعد أن تباطأ الأخشيديون من تقديم المعونة والمساعدة إليهم اضطروا أن يوجهوا أنظارهم نحو المغرب وهنا رأى المعز أن يستفيد من الموقف إلى أقصى حد وأن يتخذ من تدخله بشئون كريت ذريعة للتدخل فى شئون مصر التى كانت قاب قوسين أو أدنى للوقوع فى يديه وفعلاً دبر المعزخطة للعمل المشترك بينه وبين مسلمى كريت فكتب كتاباً بعث به المعز إلى صاحب مصر ونقله القاضى النعمان بن محمد فى كتابه المعروف بالمجالس والمسايرات وفى هذا الخطاب يحث المعز أبو الحسن على الأخشيدى على الجهاد وإمداد أهل كريت بالمراكب فهذا واجب لأنه وإياهم فى دعوة واحدة ويلفت نظره إلى أن تدخل الأسطول الفاطمى تلبية لدعوتهم لا تخليه عن هذا الواجب بل كان من مصلحته أن يعمل الأسطولان سوياً وهو يطمئن الأمير الأخشيدى على مراكبه ويعطيه المواثيق والعهود ويطلب منه أن يثق به فإذا ما وافق أبو الحسن على الخطة فعليه أن يبعث مراكبه إلى مرسى طبرقة لقريه من أقريطش وحدد المعز موعد الاجتماع اجتماع المراكب المصرية والمراكب الفاطمية فى مرسى طبرق فى أول ربيع الثانى فى سنة ٣٥٠ هـ. وختم المعز خطابه هذا بأن قام بواجبه من إسداء النصيحة لصاحب مصر وأنه سيرسل على كل حال أساطيله لمساعدة المسلمين فى الجزيرة. سواء وافق الأخشيدى أو لم يوافق.

وبدأت الاستعدادات الجدية للمسير نحو مصر فى سنة ٣٥٥ هـ ففى هذه السنة أمر المعز بحفر الآبار فى طريق مصر وببناء القصور والمنازل على طول هذا الطريق وذلك فى المدن والقرى التى سيمر فيها الجيش مثل سرت واجدابيه وبرقة وغيرها [١]. وبدأ المعز فى إعداد الأموال اللازمة لنفقات الحملة وهناك نصوص تشير إلى عظم هذه الأموال التى كانت مكدسة فى ألوف الصناديق التى بلغت حوالى أربعة وعشرين مليون دينار [٢]. ومات كافور وعندما وصلت أنباء وفاة كافور الأخشيدى كان هذا النبأ بمثابة بداية قيام الحملة فالنص يقول أنه كان للمعز دعاة ...

يقولون « إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا مصر » [٣].

أى أن سقوط مصر كان يعتبر مسألة منتهى منها بمجرد وفاة كافور الأخشيدى وفعلاً أرسل المعز إلى دعاته فى مصر الرايات والبنود وجمع المعز جيشاً هائلاً وجعل على قيادة هذا الجيش قائده المشهور جوهر الصقلى بعد أن أحاطه بكل مظاهر التشريف والإجلال والإقدام وذلك بتقبيل حافر فرسه.

وخرج الجيش العظيم فى حملته الكبرى التى أوحت إلى الشاعر شاعر المعز ابن هانئ الأندلسى قصيدته التى يقول فيها :

رأيت بعينى فوق ما كنت أسمع وقد راعنى يوم من الحشر أروع

غداة كأن الأفق سد بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

---

(١) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٩٦.

(٢) نفس المصدر، ٩٧.

(٣) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ١٠٢.

فلـــم أدر إذ سلـمت كيـف أشـــيع ولم أدر إذ شـــــيعـت كـــيف أودع

وكيف أخوض الجيش والجيش لجة وأنى بمـــن قـــد قـاده الدهر مولـع

فلا عسكـــر مـــن قبل عسكر جوهر تخب المطـايا فيه عشـرا وتوضع

تسير الجــبال الجـــامدات بســيرة وتسجد من أدنى الخفـيف وتركع

إذا حل فى أرض بـناها مدائـــنا وان سار عن أرض ثوت وهى بلقع(١)

والحقيقة أن المؤرخين يبالغون كذلك فى وصف الحملة ومعداتها الكبيرة وما حمله معها من الأموال والذخائر فهذه الأموال بلغت كما قلت عند البعض أربعة وعشرون مليون دينار كما أن عدد رجال الحملة بلغ أكثر من مائة ألف فارس حتى أن المقريزى يقول « إنها مثل عرفات كثرة وعدة» (٢).

وسار جوهر بعد أن قبل يدى المعز وحافر فرسه وسار نحو مصر وعندما اقترب من الاسكندرية كان سقوط مصر فى هذه المرة قد أصبح حقيقة واقعة عبر عن ذلك ابن هانئ الأندلسى أيضاً فى بيتيه الذى يقول فيهما :

يقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبنى العباس قد قضى الأمر

وقد جاوز الاسكندريـــــة جوهـــر تصاحبه البشرى ويقدمـــه النصر

ولما قربت عساكر المعز من الاسكندرية. جمع الوزير جعفر بن الفرات الناس وشاورهم واتفقوا على إرسال وفد منهم إلى جوهر، فلقوه بتروجة (٣). فكتب لهم جوهر كتاباً تعهد فيه أن يحترم ملة أهل مصر - يقصد المذهب

---

(١) انظر : ديوان ابن هانئ، تحقيق وشرح كرم البستانى، نشر مكتبة صادر بيروت، ١٩٥٢ .

(٢) المقريزى، اتعاظ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، وهو ينقل عن ابن زولاق.

(٣) المقريزى، اتعاظ، ج ١ ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

السنى وأن لايتعرض لأملاكهم، وأن يعتنى بأحوال البلاد الاقتصادية وذلك بتحويل السكة (العملة)، وأن يجاهد الروم الذين غزوا الشام وبلاد الجزيرة، وأن يؤمن الحج، الذى انقطع بسبب الفوضى [1].

ولكن جماعة الأخشيدية والكافورية صمموا على المقاومة، وانتقضوا الصلح وقالوا: «مابيننا وبين جوهر إلا السيف» واستعدوا للحرب فنزلوا الجزيرة بالرجال والسلاح ووصل جوهر الجيزة، فلما شاهد فعلهم عاد إلى منية شلقان (شرقى القناطر الخيرية). وعبر إلى مصر وعبر البربر إليهم بقيادة جعفر بن فلاح، أحد رجال جوهر، ومن كبار قواد المعز ونستبين من الرواية أن المصريين سهلوا لجيش جوهر التغلب على بقايا الأخشيدية والكافورية ومعظمهم من الترك. فى ناحية الجيزة بحيث اضطرت الأخشيدية والكافورية الهروب إلى الشام ثم دخل جوهر الفسطاط بطبوله وجنوده. وطالب المصريون جوهراً بتجديد الأمان فجدده لهم [2].

وبات المصريون فى أمان، فلما أصبحوا حضروا للتهنئة فى المكان الذى نزل فيه جوهر وجنوده، وهو يعرف بالمناخ، فوجدوه قد وضع أساس حاضره جديدة، بما فيه القصر والجامع، وأنه حفر الخندق، وأدار سوراً سميكاً من اللبن، كما اختطت كل قبيلة من القبائل المغربية التى قدمت معه حارة عرفت باسمها. هذه المدينة التى أنشئت خلف الفسطاط بجوار جبل المقطم، سماها جوهر أول الأمر المنصورية، ربما تقرباً من الخليفة المعز بإحياء اسم والده المنصور. ولما قدم المعز سماها القاهرة تفاؤلاً بأنها ستقهر الأعداء [3].

---

(١) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ١٠٣ – ١٠٦.

(٢) نفس المصدر، ص ١٠٧ – ١١٠.

(٣) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ١١١ – ١١٢.

هذا وقد انتقل بقايا الأخشيديين الذين حاقت بهم الهزيمة إلى الشام بزعامة الحسن بن طغج أخى الأخشيد، فأرسل إليهم جوهر حملة بقيادة جعفر ابن فلاح الذى تمكن من هزيمتهم فى بلدة الرملة. وأسر الحسن بن طغج ودخل جعفر دمشق فى ٣٥٩ هـ / ٩٧٠ م.

أما الخطر الذى حاق بالفواطم فى مصر فقد أتى من القرامطة - الذين تأرجح ولاءهم ما بين الفواطم من الشيعة والخلافة العباسية السنية. إذ نجح الحسن المعروف بالأعصم فى هزيمة جيش الفاطميين وقتل قائده جعفر ابن فلاح الكتامى بدمشق سنة ٣٦٠ هـ. وأمر بلعن المعز وأظهر التشكيك فى النسب الفاطمى ثم تقدم إلى مصر واحتل الفرما ووصل إلى القاهرة فى أوائل سنة ٣٦١ هـ / ٩٧٢ م وأنقذ القاهرة سورها وخندقها الذى كان جوهر حفره حولها.

وأرسل المعز المدد إلى جوهر وكان قد قدم بنفسه إلى مصر فى رمضان سنة ٣٦٢ هـ حاملاً معه توابيت آبائه المهدى والقائم والمنصور. وكان دخوله القاهرة فى ٧ رمضان سنة ٣٦٢ هـ «فصارت مصر دار خلافة بعد أن كانت دار امارة» [1].

وحاول المعز بالدبلوماسية أن يمنع الأعصم من غزو مصر فبعث إليه كتاباً يبين له فيه أن أبا سعيد وأبا طاهر كانا يدينان بالطاعة للأئمة الفاطميين، وأنه ليس من السياسة الانضمام إلى أعداء الفواطم، ودعاه إلى الدخول فى طاعته[2].

---

(٢) انظر المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٨٦ - ١٨٧.

(٣) انظر نص الخطاب فى المقريزى ، اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٥١ - ٢٥٨.

ولكن القرمطى كان مصمماً على القتال فقدم إلى مصر فى جحافل كثيرة سنة ٣٦٣ هـ وبرفقته الكثير من عرب الشام من قبائل طى، فأرسل المعز لحرب القرمطى ابنه عبد الله ومعه المظلة (١)، كما أرسل إلى حسان بن الجراح زعيم طى لاغرائه على ترك القرمطى، مائة ألف دينار فلما نشب القتال ، انسحب حسان حسب الاتفاق. وبذلك قوى جيش المعز على القرمطى الذى انسحب من جديد إلى الشام (٢).

وبذلك توقف خطر القرامطة على مصر وخلصت للفاطميين.

---

(١) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ٢٠٥.

الفصل السابع

السياسة الخارجية للدولة

١ - العلاقات مع الشام

٢ - العلاقات مع العراق

٣ - سياسة الفاطميين نحو بلاد الجزيرة العربية

- العلاقة مع الحجاز

٤ - سياسة الفواطم تجاه المغرب

٥ - صقلية

السياسة الخارجية للدولة

بعد فتح الفواطم لمصر أصبحت دار خلافة، وكان العبيديون يعتقدون أن الله قد اختارهم لحكم «دار الإسلام» يتضح ذلك من شعر شاعرهم ابن هانئ عند مدحه المعز إذ يقول «ونأت معد وارث الأرض كلها» [1].

وفى قول خطيب الجامع العتيق فى الفسطاط عند فتح العلويين لمصر «وورثه مشارق الأرض ومغاربها» [2].

وقد اعتبر الفواطم الجهاد دعامة من دعائم الإسلام وركناً من أركانه.

العلاقات مع الشام:

وبعد أن طرد العلويين القرامطة من مصر اتجهوا إلى فلسطين واستولوا عليها ودخلوا دمشق فى سنة ٣٦٣ هـ وتمكن افتكين التركى - الذى كان فى صراع ضد سادته من البويهيين - من دخول دمشق لمنع الفاطميين من الرجوع إليها وكاتب المعز بأنه فى طاعته.

ثم أن الامبراطور تزيمسكس الذى خلف نقفور أغار على الشام فى عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٣م منتهزاً اضطراب أحواله وكان هدفه الدخول إلى بيت المقدس فاستولى على حمص وبعلبك ولما تقدم إلى دمشق أسرع أفتكين التركى بتقديم خضوعه، وتذلل له، وسلمه دمشق. بينما قاومت مدن أخرى بمساعدة الفواطم مثل طرابلس التى خربها تماماً وجبيل وبيروت وصيدا. ثم توجه إلى فلسطين

---

(١) انظر: ديوان ابن هانئ الأندلسى، طبع بيروت. ١٩٨٠، ص ٣٩ فى قصيدته التى يمدح فيها المعز لدين الله حيث يقول: «وأنت معد وارث الأرض كلها فقد حسم مغدور ولاحظ مكتوب».

(٢) المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ١٣.

حيث يوجد الجيش الفاطمي متحصناً في القدس مدافعاً عنها. ولكن تزيمسكس عاد إلى القسطنطينية ربما بسبب الاضطراب الداخلي. فما كان من العزيز إلا أن أرسل إلى أفتكين يطلب منه الدخول في طاعته ولكنه رفض فأرسل العزيز جوهراً إليه. ولكن أفتكين استعان بالحسن الأعصم زعيم القرامطة وهزما جوهرا في سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤م الذى بقى فى فلسطين وعقد صلحاً مع أفتكين [١]. وبعد موت الأعصم ذهب العزيز بنفسه لقتال أفتكين في سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٦م فهزمه ودخل العزيز دمشق، وتمكن من هزيمة خليفته [٢].

ويرجع الفضل إلى الخليفة العزيز في توطيد سلطان الفواطم في جنوب الشام حتى دمشق.

وكان على العزيز القضاء على الحمدانيين الذين قبلوا حماية بيزنطة. وكان أميرهم سعد الدولة قد دعا للعزيز ودخل في طاعته. ولكن بعد موته خلفه ابنه سعيد الدولة أبو الفضائل ووصيه التركي لؤلؤ الكبير وكانا يحملان الهدايا إلى الروم. فقرر العزيز أن يرسل إليهم قائده التركي منجوتكين في سنة ٣٨٢ هـ / ٩٩٢م [٣] على رأس العسكر المصري، ليثير غلمان الأتراك في حلب، فهاجم حلب، وحاصر الحمدانيين مما أدى إلى استنجاد لؤلؤ بالروم. وقد أخافت هذه الأحوال الروم فقام حاكم أنطاكية الرومي ويسميه العرب البرجي لانقاذ حلب إلا أن منجونكين هزمه واضطر إلى الهروب، وعاد لحصار حلب. ولكن باسيل الثاني – الذى ولي بعد تزيمسكس – قمام بحملة ضد الفاطميين ودخل الشام في جيش كبير يساعده أسطول من الشلنديات، وهي مراكب

---

(١) انظر تفاصيل ذلك في ، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ؛ المقريزي، اتعاظ ، ج ١، ص ٢٣٨ – ٢٤١.

(٢) المقريزي، نفس المصدر، ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٣٤ – ٢٧٦.

حربية كبيرة، واضطر منجونكتين الذى كان يحاصر حلب إلى أن يحرق آلاته ويرسل بأثقاله إلى دمشق . ويسرع باسيل يتبعه فسلمت له حلب وحمص ونزل طرابلس ولم يتمكن من فتحها إذ أرسل العزيز إليها المدد من البحر. ولكن باسيل اضطر بدوره إلى ترك الشام لظروف داخلية وخارجية ألمت بدولته .

ولما سمع العزيز بزحف ملك الروم جهز أسطولاً كبيراً وجمع أعداداً هائلة من الناس لجهاد الروم ولكن العزيز مات فجأة قبل تحرك العساكر فى سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م[١].

وفى عهد الحاكم أحرز انتصارات هائلة على الروم ففى سنة ٣٨٨ هـ أفسد الجيش الفاطمى تدخلاً من باسيل فى صور فقد ثار بها مغامر اسمه علاقة وأرسل إليه باسيل أسطولاً لمساعدته فقبض علاقة على مقاليد الأمور فى صور وضرب العملة ونقش عليها ،عزا بعد فاقه للأمير علاقة، فأرسل برجوان وصى الحاكم جيشاً حاصر صور، كما أرسل الأسطول الذى استطاع هزيمة أسطول الروم، وأخذ علاقة أسيراً وأنفذ إلى مصر فسلخ وصلب بها.[٢]

وفى أواخر أيام العزيز بعث باسيل برسله يطلب منه الصلح وتم عقد هدنة لمدة عشر سنوات فى سنة ٣٩١ هـ[٣]. وكان من شروط الصلح أن ينمتع الروم فى بلاد الفاطميين بالحرية الدينية ويسمح لهم بتجديد كنائسهم. ولكن باسيل لم يحترم شروط الصلح وتذكر الرواية أنه هدم جامع المسلمين فى القسطنطينية فأصدر الحاكم أمره بهدم كنيسة القيامة فى بيت المقدس فى سنة ٤٠٠ هـ /

---

(١) نفس المصدر، ص ٢٩١.

(٢) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١٨ – ١٩.

(٣) المقريزى، نفس المصدر، ص ٣٩ – ٤٠.

١٠١٠م ، كما أرغم جالية الروم فى مصر على الخروج منها، كما هاجر نصارى بيت المقدس من غير العرب إلى بلاد الروم.

وتهيأت الفرصة للحاكم للسيطرة على الشام ولكن يفهم من النصوص أن قبيلة طيئ ثارت بزعامة المفرج بن دغفل بن الجراح ولكن برجوان أرسل إليه جيشاً وأسره وحمله إلى القاهرة ثم أطلق سراحه. وعاد عرب الشام إلى الثورة من جديد كما استولوا على معظم جنوب الشام إلى الفرما. ولكن ما أن استفحل خطرهم بعد دعوتهم عرب الحجاز – وكانوا فى طاعة العلويين الفواطم – إلى التضامن معهم حتى أرسل الحاكم نحوهم جيشاً مغربياً بقيادة على بن جعفر بن فلاح ويبدو أن الحاكم تمكن من قتل المفرج بأن دس له السم. وتمكنت جيوشه من مهاجمة العرب فى كل مكان. وبذلك قضى على أكبر خطر قام به العرب ضد الدولة العلوية. كما تمكن الحاكم أيضاً من أخذ حلب، وبهذه المناسبة أخرج الحاكم لأهل حلب سجلاً يعفيهم فيه من المكوس والخراج.

وبعد موت الحاكم انتقض الشام فجأة، بقصد الاستقلال عن نفوذ الفواطم فى مصر فاتحد ضدهم صالح بن مرداس زعيم كلاب فى حلب، وسنان بن عليان زعيم كلب فى دمشق وحسان بن مفرج زعيم طيئ فى فلسطين . ولكن تمكن أنوشتكين (المعروف باسم الدزيرى) أحد قواد الحاكم (من الديلم) من هزيمة العرب مجتمعين على شاطئ نهر الأردن فى موضع يعرف بالأقحوانة فى ربيع سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م[١]، فقتل صالحا وولده الأصغر، وأرسل رأسيهما إلى القاهرة، وهرب حسان إلى بلاد الروم. أما سنان فمات فى نفس السنة فأسرع ابن صالح وهو أبو كامل نصر وأعلن خضوع حلب للظاهر ولقب بشبل الدولة.

---

(١) المقريزى، اتعاظ، ج ٢، ص ١٧٨ – ص ١٨٠.

وفى هذه الظروف أبقت بيزنطة علاقتها السلمية مع العبيديين. وحدد الظاهر الهدنة مع قسطنطين الثامن، ولكن خليفته رومانوس الثالث أخذ يغير فى أرض الروم ولذلك نادى الظاهر بالنفير العام لصد العدو.

وكان رومانوس يؤيد نصر بن صالح المرداسى، وبقية العرب فى حلب ضد الفواطم، كما رفض رومانوس عقد معاهدة مع الظاهر.

وفى أول عهد المستنصر تمكن الدزبرى من قتل نصر بن صالح عند حماة ودخل حلب فى سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م[١] حيث سكت العملة فيها باسم المستنصر وكافأ الخليفة الدزبرى بتعيينه نائباً له فى حكم الشام. ولكن الجرجرائى وزير الخليفة سعى فى الدس ضده، ونجح فى أن يثير ضده جماعة الأجناد فى دمشق مما اضطره إلى الهروب من دمشق والسير إلى حلب والاعتصام بها وانتهى الأمر بموته فى سنة ٤٣٦ هـ.

ولكن ترتب على ضعف ولاة العبيديين فى دمشق أن طمعت قبائل بنى كلاب فى الاستقلال بحلب بزعامة المرداسيين فحاصرت الدزبرى وتمكن أخو نصر ثمال من الاستيلاء على حلب، بمساعدة بنى كلاب. فحاربه المستنصر وتمكن قواده من هزيمة ثمال ودخول حلب عدة مرات[٢].

وفى سنة ٤٢٩ هـ قرر ثمال أن يتنازل عن حلب ويذهب للعيش فى مصر، فأرسل الخليفة قائده مكين الدولة بن ملهم والياً على حلب.

ولكن المرداسيين بقيادة محمود بن نصر بن صالح (الملقب بعز الدولة) بمساعدة الكلابيين ، ثاروا على ابن ملهم، وأخرجوه من حلب سنة ٤٥٢ هـ /

---

(١) نفس المصدر، ص ١٨٦ – ١٨٧.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٠١ – ٢٠٢.

١٠٦٠م، وأرسل المستنصر ثمالا والياً من قبله وفكر ثمال فى الاستقلال بحلب فأرسل إليه المستنصر داعى الدعاة المؤيد فى الدين الشيرازى وانتهى الأمر بخضوع ثمال للفاطميين حتى وفاته فى سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢م.

ولكن محمودا تمكن من استعادة حلب منتهزاً ضعف الخلافة فى مصر، وقطع الخطبة للمستنصر وخطب للخليفة القائم فى بغداد خوفاً من السلاجقة، وبعد وفاة محمود حاول ابنه نصر اتباع سياسة والده ولكنه سقط فى يد الأتراك السلاجقة سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٦٦ – ١٠٦٧م.

---

(١) عن (الفتن التى حدثت فى بغداد)، انظر : ابن الأثير، الكامل، طبع بيروت، جـ ٧، ص٣٥٥، جـ ٨، ص ٥٩.

٢ - **العلاقات مع العراق :**

كان يسيطر على الخلافة العباسية فى بغداد فى ذلك الوقت الأسرة البويهية منذ سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥م وكانوا شيعة زيدية.

وهناك رسائل متبادلة بين عضو الدولة البويهى والعزيز العلوى وهى تدل على العلاقات الطيبة بين بغداد والقاهرة.

ولكن على أيام الخليفة العباسى القادر بالله (الذى ولى فى سنة ٣٨١ هـ / ٩٣١م) منع الشيعة فى الكرخ والطاق ببغداد من الاحتفال بعاشوراء وحدثت فتنة بين السنة والشيعة وتمكن أحد قواد الترك فى بغداد من جيش بهاء الدولة ابن عضد الدولة وأصبح الخليفة والقواد الأتراك هم أصحاب الحل والعقد فى بغداد.

ثم حدثت بعد ذلك فتنة بين الشيعة والسنة فى بغداد (١).

وضعف البويهيين شجع الخلافة العباسية على مهاجمة الفواطم فى مصر فقام الخليفتين القادر بالله والقائم بالله بالطعن فى نسب الفواطم فى محضر رسمى قرئ على المنابر وأرسل إلى جميع ولايات الخلافة العباسية وذلك ضد الحاكم والمستنصر.

ولما يئس الدعاة الفواطم من ضعف البويهيين وجهوا أنظارهم إلى استمالة الترك فى بغداد. ولقد نجحت الدعوة الفاطمية فى جذب مقدم الترك وعسكره البغدادى واسمه أبو الحارث أرسلان بن عبد الله البساسيرى (نسبة إلى بلدة اسمها بسا) وهو من موالى الديلم الشيعة فوجد الفواطم فى نجاح دعوتهم بين ترك بغداد فرصة للعمل على النيل من العباسيين فكتب البساسيرى إلى

---

(١) عن (الفتن التى حدثت فى بغداد)، انظر : ابن الأثير، الكامل، طبع بيروت، جـ ٧، ص٣٥٥، حـ ٨، ص ٥٩.

المستنصر يعلن طاعته وعزمه على إقامة الدعوة الفاطمية فى العراق. واختير المؤيد فى الدين الشيرازى – الداعية السابق فى العراق – فجهزه يحمل المساعدة إلى البساسيرى بالأموال والخلع فدخلوا فى طاعته، كما خلع على البساسيرى وقرأ عهد المستنصر له فى يوم مشهود وذلك فى صفر سنة ٤٤٨ هـ / ابريل – مايو ١٠٥٦م [١] ووجهت الدعوة الفاطمية نشاطها بين عرب بلاد الجزيرة فى شمال العراق خاصة عرب بنى عقيل الذين استقروا فى بلاد الجزيرة عند الموصل والمدائن.

وقد أعلن أمير عقيل معتمد الدولة الخطبة للحاكم فى الموصل والمدائن والأنبار سنة ٤٠١ هـ / ١٠١١م . كما ضرب اسم الحاكم على السكة والبنود. كذلك عرب نمير فى حران والرقة خطبوا للظاهر ثم قطعوا الخطبة لما تولى المستنصر وخطبوا للقائم العباسى ولكنهم عادوا إلى الخطبة للمستنصر.

أما عرب بنى أسد وخفاجة وأشهرهم بنو مزيد فى الحلة (مدينة كبيرة جنوب الفرات بين الكوفة وبغداد) فإن أميرهم خطب للمستنصر كذلك أعلنت الخطبة للمستنصر فى واسط وأعمالها سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٥٦م.

وفى الكوفة خطب محمود بن الأخرم فى سنة ٤٤٩ هـ للمستنصر ونقش اسمه على الدنانير والدراهم. وأزيل اسم القائم من الجامع وكتب مكانه اسم صاحب مصر.

وهكذا نجحت الدعوة الفاطمية بين ترك بغداد والعرب فى العراق وديار الجزيرة فى قيام ثورة ضد الخلافة العباسية، فنجد البساسيرى الذى اضطر إلى

---

(١) عن البساسيرى وحركته ، انظر : ابن الأثير، جـ ٨، ص ٦٨ ، ص ٨٦ ، ص ٨٧ ، ص ٨٣ ، المقريزى ، الخطط ، جـ ٢ ، ص ٣٥٦.

ترك بغداد واستقر فى بلاد الجزيرة مع العرب منذ سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م حتى عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م يقوم بمساعدة العرب ومعه أكراد وإيرانيون وأتراك من أنصار الدعوة فى مهاجمة بغداد حاضرة الخلافة العباسية فى أواخر سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨م والاستيلاء على بغداد الغربية والشرقية بمساعدة الشيعة من سكان الكرخ والطاق وأضرم النار فى الأسواق، وأسر أم الخليفة وزوجته وقبض البساسيرى على رئيس الرؤساء.

وقد جرت فى بغداد مراسم خلع الخليفة العباسى القائم ومبايعة المستنصر واستكتب البساسيرى الخليفة القائم قبل رحيله كتاباً أشهد عليه العدول – وهم شهود القاضى – أنه لا حق لبنى العباس ولا آله من جملتهم فى الخلافة، وأرسل البساسيرى هذا الإشهاد إلى مصر كذلك جمع البساسيرى قاضى القضاة والخطباء والأشراف من بنى هاشم وأخذ منهم البيعة للمستنصر رغم أنفهم. وقد خطب للمستنصر صاحب مصر – فى يوم الجمعة الثالث من دخول البساسيرى إلى بغداد – فى سائر الجوامع وقطعت الخطبة لبنى العباس وأذنوا «بحى على خير العمل» . ولدينا عملة من بغداد باسم المستنصر فى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ – ١٠٥٩م سميت المستنصرية. وقد أرسل البساسيرى إلى المستنصر البردة والقضيب والمنبر والشباك.

وكان ما حدث للمستنصر هو تمام سعده.

ولكن هذا النجاح فى العراق للخلافة العلوية والذى استمر أربعين أسبوعاً قضى عليه الأتراك الغز، إذ لما أعلن البساسيرى عن نيته فى خلع الخليفة العباسى والدعوة للمستنصر العلوى استنجد القائم بطغرلبك السلجوقى الذى أسرع إلى نجدته وأعلن وهو فى طريقه إلى بغداد عزمه على المسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر. وبعد وصوله إلى بغداد فى سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م هرب البساسيرى إلى الجزيرة.

وقضى طغرلبك على الدولة البويهية كذلك عمل على القضاء على مظاهر المذهب الشيعى، فأمر أهل الكرخ أن يؤذنوا فى مساجدهم «الصلاة خير من النوم» وترك الآذان «بحى على خير العمل» واتخذ طغرلبك لقب السلطان، وخرج خلف البساسيرى فسار وراءه إلى واسط وتمكن من قتله هناك وحمل رأسه إلى بغداد وطيف بها فيها. واعترافاً بجميل طغرلبك على الخلافة العباسية لقبه القائم ركن الدين وزوجه ابنته.

وعمل طغرلبك على الانتقام من العلويين فاتفق مع البيزنطيين ضدهم ولكن خليفته الب أرسلان اتبع سياسة تهدف إلى كسب ثقة المسلمين بمهاجمة البيزنطيين ثم بعد ذلك محاربة العلويين الشيعة، فحارب ملك بيزنطة فى موقعة ملازكرد فى سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠م (بلدة فى أرمينية فى مدخل آسيا الصغرى) وأسر الإمبراطور. وكان هذا النصر الساحق سبباً فى انفتاح أبواب آسيا الصغرى أمام الترك وقضى على خطر بيزنطة على الشرق الإسلامى[١].

وفى عهد ملكشاه خليفة أرسلان، قضى على سيطرة القبائل العربية فى بلاد الجزيرة واستولوا على الموصل من بنى عقيل فوصلوا إلى حدود الشام واستولى اتسز على دمشق لحساب أخى الب ارسلان فى سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦م وخطب فيها للخليفة العباسى وسقط فى يده بيت المقدس سنة ٤٦٩ هـ وحلب سنة ٤٧٩ هـ بمعنى أنه تغلب على أكثر الشام وأصبح على حدود مصر[٢].

---

(١) ابن خلدون، العبر، جـ ٧، ص ٥٢٤ – ٥٢٥.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٠٩ – ١١٠.

٣ - سياسة الفاطميين نحو بلاد الجزيرة العربية:

يرجع نجاح سياسة الفاطميين فى الجزيرة العربية إلى الدعاة فمنذ وقت مبكر انتشر التشيع فى اليمن على يد ابن حوشب الذى عرف بمنصور اليمن. وكان الدعاة يخرجون من اليمن إلى كل مكان. فأبى عبد الله الشيعى الصنعانى خرج من اليمن إلى المغرب. وهذا دليل على أهمية اليمن فى الدعوة الإسماعيلية.

وقد كان لبعد اليمن عن مركز الخلافة العباسية ووعورة مسالكها من أهم الأسباب التى لم تدفع خلافة بغداد إلى إنفاذ الجيوش لاستنقاذها من دعاة العلويين الفواطم.

وعلى أيام الدولة الزيدية التى اتخذت زبيد حاضرة لها، والدولة اليعفرية فى صنعاء – وهما مؤيدتين من الخلافة السنية، قضى على بقايا القرامطة ولكن الدعوة الإسماعيلية تحولت إلى دعوة سرية فى مناطق الجبال. ولما انتقل الفواطم من المغرب إلى مصر قويت الدعوة الإسماعيلية فى اليمن ودعا حكامها للحاكم وابنه الظاهر.

وعلى أيام المستنصر عادت الدعوة الفاطمية فى اليمن إلى أوج مجدها وذلك على يد الداعية أبو الحسن على بن محمد الصليحى الذى استقر بالجبل وكتب إلى المستنصر فوجه إليه المستنصر الرايات والألقاب وأذن له بعلنية الدعوة وقويت دعوة الصليحى بعد قضائه على دولة بنى نجاح السنية.

وفى سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٤م ملك الصليحى اليمن كله واستقر فى صنعاء وكان يخطب فى اليمن للمستنصر خليفة مصر. ومنح المستنصر على الصليحى الألقاب كما يتضح لنا من «السجلات المستنصرية» فهو يلقبه «بالأمير

الأجل الأوحد، أمير الأمراء، تاج الدولة، سيف الإمام، المظفر فى الدين، نظام المؤمنين ثم زاد فى ألقابه «الأمير الأجل عمدة الخلافة ، شرف المعالى»[1].

وقد خرج الصليحى بجيش إلى الحجاز وتمكن من إخضاعها للفواطم إلا أن أعداءه من أتباع دولة بنى نجاح المنهزمة يساعدهم بنو يعفر، تربصوا بالصليحى وقتلوه فى سنة ٤٥٩ هـ / ١٠٦٦م وأسروا زوجته. وقد حزن المستنصر على قتله، وعين ابنه أحمد المكرم مكانه. وتمكن أحمد من قتل قاتل أبيه، وفتح زبيد وخلص أمه من الأسر وهى السيدة الحرة.

ومات أحمد فى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥م فأقام المستنصر على بن المكرم الذى تسمى بعبد المستنصر. وهكذا نجح المستنصر فى حفظ الملك فى بيت الصليحى.

ولكن بعد موت عبد المستنصر ظلت أمه السيدة الحرة[2] تحكم اليمن ثم تزوجت من أبى حمير سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحى الذى ظل يحكم معها حتى سنة ٤٩٢ هـ أما هى فظلت تحكم حتى سنة ٥٣٢ هـ.

ولكن بعد موت زوجها أرسل الخليفة الآمر داعياً ليقف بجانبها يعرف بابن نجيب الدولة ولكنه تكبر على أهل اليمن مما أدى إلى انفصال السيدة الحرة عن الفاطميين حتى وفاتها.

---

(١) انظر السجلات المستنصرية ، تحقيق عبد المنعم ماجد، ص ٥٤ (سجل رقم ١١) ، ص ٥٨ (سجل ١٤).

(٢) انظر السجلات المستنصرية، ص ٢١١ (سجل ٦٦) حيث ترد ألقاب الحرة التقية، الزكية الفاضلة، الكاملة ، الصالحة، كافلة المؤمنين الساعية فى مصالح الدين، أم الأمراء المنتسبين».

وعادت اليمن إلى الفوضى السياسية والدينية نتيجة لضعف الصليحيين وانفصالهم عن مصر.

العلاقة مع الحجاز:

أما فى الحجاز فقد كان هم الفواطم أن يدعى لهم فى الحرمين وحينما تم لجوهر فتح مصر فى سنة ٣٥٨ هـ أعلن أمير مكة الخطبة للمعز على منابرها وأرسل إليه المعز التقليد من المغرب، كما أقيمت الخطبة للمعز فى المدينة. وبعد انتقال المعز إلى مصر عمل على إرسال الكسوة إلى البيت[١].

وفى أيام العزيز استولى أحد قواد المغاربة على الحرمين وأقام الخطبة للعزيز.

ولكن الحجاز خرج عن سلطان الفاطميين أيام الحاكم حوالى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م حين أعلن أمير مكة أبو الفتوح الحسنى الخطبة لنفسه وتلقب بأمير المؤمنين وضرب السكة باسمه كما استولى على المدينة من الحسينيين.

وفى أول عهد المستنصر خطب شكر (ابن أبو الفتوح) للخليفة المستنصر. وكان المستنصر يرسل الكسوة مرتين كل سنة كما اهتم بقافلة الحج كما نستبين من النصوص.

وبعد موت أبى عبد الله شكر قام زوج ابنته بالخطبة للعباسيين، ولكن على الصليحى تمكن من إعادة الخطبة للمستنصر على الحرمين وبمقتل الصليحى قطعت الخطبة للفاطميين وخطب للخليفة العباسى القائم.

ولكن بعد وفاة القائم وتولى المقتدى عادت الخطبة للمستنصر فى الحرمين ثم قطعت فى سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧م وخطب للمقتدى العباسى وللمستظهر العباسى[٢].

---

(١) المقريزى، اتعاظ، ج ١، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٢) المقريزى، اتعاظ، ج ٢، ص ٣١٩.

٤ - سياسة الفواطم تجاه المغرب :

عندما أراد المعز الرحيل إلى مصر فكر فى ترك بلاد المغرب لحكم أسرة من المغاربة فأعطى المغرب لصنهاجة لأنها لم تكن مجرد قبيلة بل كانت شعباً يتألف من بطون كثيرة [١]. وقد أظهرت صنهاجة إخلاصاً للعبيديين العلويين منذ بداية دولتهم، فاختار أبى الفتوح يوسف (بلكين) بن زيرى بن مناد، لأن أباه زيرى أظهر اخلاصه أيام المحنة التى ألمت بالدولة والتى تمثلت فى ثورة خالد بن مخلد بين كيداد. وفوض إليه أمور البلاد ما خلا جزيرة صقلية وطرابلس وأعمالها. وجعل الخليفة القضاء والخراج فى بلاد المغرب تابعين له وأيضاً يولى «الخبر لمن يثق به» كما رسم ليوسف السياسة التى يجب أن ينتهجها فى حكم البلاد فالنص يقول : «وقال (يعنى المعز) إن نسيت ما وصيناك به فلا تنس ثلاثة أشياء إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، ولا ترفع السيف عن البربر (وذلك حتى لايرتدوا عن الطاعة بعد خروجه)، ولا تول أحداً من اخوتك وبنى عمك فإنهم يرون إنهم أحق بهذا الأمر منك، وافعل مع أهل الحاضرة خيراً» [٢].

ونسبتين من الروايات أن يوسف ظل على إخلاصه للمعز ثم للعزيز فيقول الرواية أن بلكين أعلن الطاعة للعزيز ، وأرسل إليه هدايا فى سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦م. كما قام بتنفيذ سياسة المعز، فكان يغزو البتر من زناتة وكانت سجلات العزيز تحضه على ذلك [٣]. فقد التقى يوسف ببني خزر من زناتة يساندهم جعفر بن على بن حمدون – الذى كان قد رشح لأمره المغرب قبله ولجأ هو

---

(١) انظر : ابن خلدون، العبر.

(٢) انظر : المقريزى ، اتعاظ الحنفا، ص ١٠٠ – ١٠١.

(٣) ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٢٢٩.

وأنه وه لبلاط الخليفة الأموى الحكم المستنصر، فقتله بلكين وشرد زناتة وحملاته تلك أدت إلى سيطرته على معظم المغرب ماعدا سبتة التى ظلت تحت نفوذ الأمويين (فى الأندلس) (١).

وبعد موت يوسف أقر العزيز ابنه أبى الفتح المنصور فى أمرة المغرب (٢) كما وصل سجل بولاية العهد لأبى مناد باديس فى سنة ٣٨٢ هـ (٣) / ٩٩٢م وأرسل العزيز للمنصور هدية قيمة، ومعها فيل عظيم، وبعض رؤوس قتلى الروم لتعرض فى بلاده (٤). كما أرسل المنصور بدوره إليه هدية مقدارها مليون دينار.

ولما مات المنصور فى سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م وصل سجل التوليه من الحاكم لأبى مناد باديس ولقبه الحاكم بنصير الدولة (٥). وسجل ثان يخبره فيه بوفاة أبيه العزيز، وآخر لأخذ البيعة للحاكم كما أرسل هدية عظيمة (٦).

ولكن كما نستشف من الروايات ظهر الفتور بين العبيدين والزيديين فى عهد باديس فعندما قدم أهل القيروان لتهنئة المنصور بالولاية قال لهم : «إن أبى يوسف وجدى زيرى كانا يأخذان الناس بالسيف وأنا لا آخذهم إلا بالإحسان ولست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب (٧).

---

(١) ابن عذارى، البيان، جـ ١، ص ٢٣٠ – ٢٣١.
(٢) نفس المصدر، ص ٢٣٩.
(٣) ابن عذارى، نفس المصدر.
(٤) ابن عذارى، حـ ١، ص ٣٤٧.
(٥) ابن عذارى، البيان، حـ ١، ص ٢٤٨ – ٢٤٩.
(٦) نفس المصدر، ص ٢٤٩، ابن الأثير، الكامل، حـ ٧، ص ١٨٢.
(٧) نفس المصدر السابق.

ويفهم من الروايات أن بلكين ومن بعده المنصور كانا قد طمعا فى أمره طرابلس وطلب بلكين من العزيز أن يضيف إليه ولاية طرابلس فى سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م فأجابه العزيز إلى طلبه فولى بلكين فيها نائباً عنه عوصلة بن بكار. وبعد وفاة بلكين وولاية المنصور أقره العزيز على ولايتها هذا ولكن الحاكم أحس برغبة بنى زيرى فى الاستقلال لذلك عمل على الحد من نفوذهم وقد واتته الفرصة وذلك عندما أراد عوصلة بن بكار تسليم طرابلس إلى الحاكم بدون علم باديس فأذن له الحاكم بالإلتجاء إلى مصر وأرسل يانسا العزيزى ليحكم طرابلس باسم الخلافة فحارب باديس يانسا وهزمه فى سنة ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠م فأرسل الحاكم جيشاً آخر بقيادة يحى بن على بن حمدون الأندلسى - من الأسرة المعادية للزيريين - فى سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ - ١٠٠٠٣م هذا الجيس رجع كما شجع الحاكم البتر من زناتة أسرة عرفت ببنى خزرون سادت بقيادة فلفل بن سعيد طرابلس وحاربت باديس ولم تنجح مغراوة خليفة صنهاجة فى استرداد طرابلس لحساب باديس.

أراد باديس الانتقام لما فعله الحاكم فى طرابلس، فشجع أحد الثوار فى برقة، وهو الوليد بن هشام الذى انتسب إلى بنى أمية، وكان ممن هربوا من الأندلس نتيجة لاستبداد المنصور بن أبى عامر. قدم إلى مصر وسمع الحديث بها ثم أقام بمكة، وسار إلى اليمن ثم عاد إلى مصر وانتقل إلى القيروان ومنها إلى برقة. وعرف بأبى ركوة لأنه كان يظهر التنسك ويحتفظ بركوة - وهو وعاء من الجلد - معه للوضوء على عادة الصوفية [1].

جمع أبو ركوة كل العناصر المعادية للفاطميين من البربر والسنة ومن قبائل عربية كانت ببرقة إلى جانب زناتة من البتر أنصار الأمويين بالأندلس

(١) انظر، ابن خلدون، العبر، طبع بيروت، حـ ٧، ص ١٢١.

الذين تسربوا إلى برقة أثناء النزاع بين يانس وباديس وساعد على ذلك أن أبا ركوة قد عمل معلم صبية لأولادهم فأخذ يحرضهم على الحاكم، وأظهر أن غرضه نصرة الإسلام، فانضم إليه أهل برقة فى حرب عامل الحاكم فى سنة ٣٩٥هـ(١).

وحاول الحاكم، استمالة الثائر دون جدوى فجهز لحربه جيشاً من المشارقة والمغاربة بقيادة ينال أحد قواد الترك فى مصر. فلما سمع أبو ركوة بأخبار وصول ينال إلى برقة أضرم النيران فى العرادات، والمنجنيقات ونادى بالرحيل رافعاً الحصار عن برقة قاصداً ينال واستدرجه أبو ركوة بين التلال العالية حيث هاجمه بإلقاء الصخور من على التلال. وأثناء القتال تخاذل مغاربة ينال وفروا فوقع ينال أسيراً فى يد أبى ركوة الذى أمره بلعن الحاكم فرفض وبصق فى وجه أبى ركوة الذى أمر فقطعه ارباً ارباً. ونتيجة لهزيمة ينال سلم أهل برقة المحاصرون لأبى ركوة فى ذى الحجة سنة ٣٩٥ هـ / يوليو ١٠٠٥م كما خرج منها رجال الحاكم، وواليه صندق عن طريق البحر، فقصد بعضهم مصر وبعضهم المغرب. ولما دخل أبو ركوة برقة انتقم من الشيعة فيها وأعلن فى برقة مذهب السنة وتسمى بأمير المؤمنين الناصر للدين ونقش ذلك على السكة واضطر أهل برقة إلى الخروج منها إلى الإسكندرية وأرسل الحاكم جيشاً إلى أبى ركوة معظمه من المشارقة بقيادة فاتك، فأرسل إليه أبو ركوة جيشاً قاتله وهزمه فى الحمام.

بعد ذلك رفض أبو ركوة فى رمضان سنة ٣٩٦ هـ / يونيو ١٠٠٦م إلى مصر التى اعتبرها دار حرب فتوجه لحصار الاسكندرية فخرج إليه عسكر

---

(١) نفس المصدر ص ١٢١، ابن عذارى، حـ ١، ص ٢٥٧، ابن الأثير، الكامل، حـ ٧، ص ٢٣٤ – ٢٣٥.

الحاكم فيها وهزموه واستفحل أمر أبو ركوة بعد أن انضم إليه بنى قرة فى نواحى الاسكندرية والبحيرة – وكان الحاكم قد قتل وحبس جماعة من أعيانهم – وبنى سليم وبنى هلال.

جهز الحاكم جيشاً من عرب الشام والترك والديلم والسودان بقيادة الفضل بن الحسن بن صالح، وهزم جيش الحاكم أبا ركوة فى الفيوم، فانسحب إلى الجيزة ينوى أخذها، ولكن عامل الجيزة هزمه فاضطر أبو ركوة إلى العودة للصعيد وعاود قتال الفضل بعد أن أتاه المدد ولاسيما من عرب الصعيد فكر أبو ركوة بأكثر من سبعين ألفاً مابين فارس وراجل لمقاتلة الفضل بن الحسن الذى كان قد رجع إلى القاهرة فدارت بينهم موقعة فاصلة فى رأس البركة انهزم فيها أبو ركوة ومن معه وقتل أكثر البربر، وهرب أبو ركوة إلى النوبة فسلمه ابن ملكها إلى الفضل.

واحتفل الحاكم بهذا النصر المشهود فشهر أبى ركوة على جمل، وقد ألبس طرطوراً طويلاً، وخلفه قرد وبيده درة. وهناك رواية تقول إن أبا ركوة ضربت عنقه ثم رفع على الأعواد وصلب وأشعل العود الذى صلب عليه[١].

وهكذا تخلص الحاكم من خطر أبى ركوة.

وفى سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م استولى باديس على طرابلس [٢] واستماله الحاكم فأضاف إليه برقة وأعمالها فى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢م[٣].

وبعد وفاة باديس ولى ابنه المعز وفى سنة ٤٠٧ هـ /١٠١٥م كما تقول رواية ابن عذارى وصل المعز سجل من الحاكم خاطبه فيه بشرف الدولة[٤].

(١) انظر: ابن الأثير، الكامل، حـ ٧، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ ، ابن تغزى بردى النجوم الزاهرة، حـ ٤، ص ٢١٦ – ٢١٧.

(٢) ابن عذارى، ص ٢٥٨.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٥٩.

(٤) ابن عذارى، البيان، حـ ١، ص ٢٦٩.

وفى سنة ٤١١ هـ وصل المعز رسولين من الحاكم أولهما معه سجل «فيه من التشريف ما لم يصل لأحد قبله». وخلعه من لباس لم ير الناس مثلها، وسيف مكلل بنفيس الجوهر. وسجل آخر مع ابن أبى كديه يحمل جواباً للمعز عما سبق أن أرسله من أخبار الأندلس وإنقراض الدولة الأموية منها وقيام القاسم بن حمود فيها[1].

وفى سنة ٤١٤ هـ وصل المعز رسول من قبل الخليفة الظاهر ومعه سجل زادة فيه لقبا إلى لقبه «فسماه شرف الدولة وعضدها». ومعه خلعة نفيسة وثلاثة أفراس من خيل ركوب الخليفة ما دخل أفريقية مثلها قط»[2].

فاحتفل شرف الدولة (المعز) بذلك ثم قرئت السجلات بجامع القيروان، وأمر بنسخها وأرسلت النسخ إلى الأفاق وفى نفس السنة وصله سجل آخر بزيادة لقب آخر وأمر أن يكاتب ويخاطب «من الأمير شرف الدولة وعضدها»[3].

هذا ونفهم من النصوص أن المعز بن باديس أبقى سياسة الولاء الاسمية للظاهر بن الحاكم والمستنصر من بعده، وكانت العملة فى أفريقية تسك باسم المستنصر.

ولكن هناك بعض الروايات التى يمكن أن نستشف منها زيادة عوامل القطيعة لتحول المعز ورعيته للمذهب السنى من ذلك رواية ابن عذارى التى تقول أن الصدام وقع بين السنة والشيعة فى سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٣م وكانت السنة تهاجم الشيعة فى أسواق القيروان مركز الإشعاع العلمى للمالكية

---

(١) نفس المصدر والصفحة.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٧١.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٧١ – ٢٧٢.

«فانبسطت أيدى العامة على الشيعة وانتهبت دورهم وأموالهم ، وتفاقم الأمر وانتهى إلى أن قتل منهم خلق كثير [1].

وأخيراً قرر المعز بن باديس القطيعة مع مصر بتحريض من السنة من أهل القيروان – والخلافة العباسية السنية – ولدينا عدة تواريخ لهذه القطيعة فهناك تاريخ سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١م وسنة ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣م وسنة ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠م وسنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١م.

ولكننا نأخذ بتاريخ سنة ٤٤٠ هـ الذى يورده ابن عذارى نقلاً عن ابن شرف وهو شاهد عيان ومعاصر للأحداث التى يرويها وفى موقف اجتماعى يسمح 'ه الإطلاع على بواطن الأمور فى الدولة الزيرية الصنهاجية.

تقول الرواية وفى سنة ٤٤٠ هـ قطعت الخطبة لصاحب مصر (يعنى الخليفة المستنصر) – وأحرقت بنوده، وأمر بأن يدعى على منابر أفريقية للعباس بن عبد المطلب – وللخلفاء الأربعة ، ولبقية العشرة – المبشرين بالجنة من كبار الصحابة[2]. كما أمر المعز أيضاً بلعنهم فى الخطب وسبهم من ذلك قول الخطيب «اللهم والعن الفسقة – الكبار ... أعداء الدين، وأنصار الشيطان، المخالفين لأمرك، والناقضين لعهدك المتبعين غير سبيلك، المبدلين لكتابك»[3]. فكان بالقيروان لذلك كما تقول الرواية سرور عظيم.

ودعا المعز كما تقول رواية ابن الأثير للخليفة العباسى القائم بأمر الله الذى أرسل إليه الخلع. والتقليد وفيه اعترف بشرعية حكم المعز فى أفريقية وما يفتحه وقد ورد فى التقليد ما نصه : «من عبد الله ووليه أبى جعفر القائم بأمر

---

(١) ابن عذارى، نفس المصدر، ص ٢٦٨.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٧٧ – ٢٧٨.

(٣) نفس المصدر، ص ٢٧٧.

الله أمير المؤمنين إلى الملك الأوحد ثقة الإسلام وشرف الإمام، وعمدة الأنام ناصر دين الله، قاهر أعداء الله، ومؤيد سنة رسول الله ﷺ أبى تميم المعز بن باديس ولى أمير المؤمنين، [1].

وأمر المعز بلبس السواد شعار العباسيين وخلع البياض شعار الفواطم كما أحضر جماعة من الصباغين وأخرج لهم ثياباً بيضاً من الكتان وأمرهم أن يصبغوها بالسواد، وجمع الخياطين فقطعوها أثواباً، ثم أجمع الفقهاء والمؤذنين والخطباء فى المساجد والقضاة إلى قصره، وكساهم ذلك السواد[2]. كذلك أمر بحرق أعلام الفاطميين كما أمر بمنع التعامل بالدراهم والدنانير التى عليها أسماء بنى عبيد [3].

ونتيجة للظروف الداخلية التى ألمت بمصر فقد وقفت ساكنة أمام هذا الانفصال ولكن عقب تولى اليازورى الوزارة فى سنة ٤٤٢ هـ استخدم السياسة مع المعز فبعث إليه السفارات وكتب المستنصر إلى المعز يقول : «هلا اقتفيت آثار أبائك فى الطاعة والولاء» ولكن المعز رد عليه قائلاً : «إن آبائى وأجدادى كانوا ملوك المغرب قبل أن يملكه أسلافك» كما عمل على تحذير الوزير ووصفه بالفلاح فما كان من الفواطم إلا أن أرسلوا للمعز بن باديس قبائل عربيه مثل : رياح وزغبة وأثبج وصعصعة وسليم. وتعرف غزوة العرب هذه للمغرب باسم الغزوة الهلالية[4].

وفى سنة ٤٤٢ هـ لما تحركت جموع العرب أرسل اليازورى إلى المعز

---

(١) ابن الأثير، الكامل، حـ ٨، ص ٣٩ أحداث سنة ٣٣٥.

(٢) ابن عذارى، البيان، حـ ١، ص ٢٨٠.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٤) عن الغزوة الهلالية، انظر : ابن خلدون، العبر.

يقول : «وأما بعد، فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً [١] وحملنا عليها رجالاً كهولاً، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً».

فسيطرت هذه القبائل على برقة، ثم استولت على طرابلس، ثم دخلت أفريقية (تونس) حيث أخذت مدنها تسقط الواحدة بعد الأخرى واستولى العرب على القيروان، وقد حاول المعز دون جدوى. فهرب المعز إلى المنصورية فسار العرب إليها وحاصروها وسقطت فى أيديهم فانتقل المعز إلى المهدية فحاصروا فيها سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧م [٢]. ثم مات المعز فى سنة ٤٥٥ هـ[٣]. وتولى بعده ابنه تميم ويبدو أنه اعترف بالفاطميين ولما تولى ابن يحيى سنة ٥٠١ هـ اعترف بهم أيضاً نستشف ذلك من الرواية التى يوردها ابن عذارى والتى تقول : فى سنة ٥٠٥ هـ – وصل سوار رسول صاحب مصر بهدية إلى أمير أفريقية يحيى بن تميم، فتلقاه بغاية الإكرام – والإهتمام»[٤].

وخلفه ابنه على بن يحيى وفى سنة ٥١١ هـ تذكر الرواية وصول رسول صاحب مصر بهدية إلى المهدية [٥] – ثم خلفه ابنه الحسن وعلى أيامه هاجم الفرنج المهدية هاجمها صاحب صقلية النورمندى رجار[٦]. ولكن ما لبث الحسن أن خضع للموحدين الذين سيطروا على المغرب بعد المرابطين وهلك فى رحلته إلى مراكش عاصمتهم وهو آخر من ملك أفريقية من أسرته.

---

(١) ابن الأثير، الكامل، جـ ٨، ص ٥٥.

(٢) انظر : ابن الأثير، الكامل، حـ ٨.

(٣) ابن عذارى، البيان، حـ ١، ص ٢٩٥ ، وعن دخول النصارى المهدية، انظر : ص ٣٠١.

(٤) نفس المصدر، ص ٣٠٥.

(٥) نفس المصدر، ص ٣٠٧.

(٦) ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ٣٠٩ ، ص ٣١٣.

هذا وسار العرب إلى المغرب الأوسط ضد بنى حماد، واستولى العرب على قلعة حماد نفسها. ولكنهم لم يقضوا على الدولة، كذلك انتشر العرب فى المغرب الأقصى حيث حدثت مصادمات عنيفة بين قبائل بنى هلال العربية وزناتة من البربر انعكس صداها فى قصة بنى هلال أو فى ملحمة بنى هلال الشعبية.

صقلية:

أما عن صقلية فتذكر الرواية أنه فى حوالى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥م ولى المنصور الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى الكتامى والياً عليها. وكان لأفراد أسرته مواقف جليلة أثناء فتنة أبى يزيد. هذا وقد تمكن الحسن من إقرار الأمور فى الجزيرة واستطاع الفاطميون أيام حكم أسرة أبى الحسن الكلبية أن يجاهدوا الروم فتذكر الرواية أنهم أرسلوا حملة بقيادة سالم بن راشد عبرت المجاز من مسينى وثبتت سيادة المسلمين فى قلورية وفتحوا جنوة فى سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٥م وأغاروا على قورسقة وسردانية كما غزوا البر الكبير من العدوة الشمالية بل أرسل المنصور من صقلية أسطولاً للمرية الميناء الأندلسى – أحرق جميع ما فيه من المراكب فى سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥م للانتقام من الخلافة الأموية فى الأندلس ورغم نجاح الفواطم فى جهادهم فقد قوى الروم بفضل الأسرة المقدونية التى حكمتهم واستولوا على الجزائر وعلى كريت (اقريطش) فى سنة ٣٥٠ هـ وبعد خمس سنين استولوا على قبرص ولعل الروم أرادوا استعادة صقلية، ولكن المعز ثبت لهم واهتم بالأسطول وبإنشاء المراكب الحربية فى المهدية وشراء حوائج الأسطول، وحمل العدة والسلاح والأطعمة إلى صقلية لنصرة العساكر.

وعندما انتقل الفواطم من المغرب إلى مصر لم يتخلوا عن صقلية للمغاربة وإنما فصلوها عن حكم المغرب وجعلوها خاضعة لهم مباشرة وذلك للاستمرار فى الجهاد فأبقى المعز صقلية لأسرة بنى الحسن الكلبيين فولاها لأحمد بن حسين فى سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣م وكان أفراد هذه الأسرة يخرجون بأنفسهم للجهاد وقتل أبو القاسم بن حسن بن على بن أبى الحسن فى معركة الفرنجة فى سنة ٣٧٢ هـ / ٩٨٣م [١]. وعرف بالشهيد وذلك بعد أن بقى فى ولايتها اثنتى عشر سنة.

ثم وليها من قبل العزيز يوسف بن عبد الله بن محمد بن أبى الحسن فلما أصابه فالج استناب ابنه جعفر فى سنة ٤٨٨ هـ / ٩٩٨م وقد بقيت صقلية خاضعة لحكم الخليفة الحاكم الذى منح يوسف لقب ثقة الدولة وولده جعفر تاج الدولة.

وتمكن جعفر من إقرار الأمور فى صقلية وتغلب على فتنة المغاربة التى قاموا بها فى صقلية عام ٤٠٥ هـ / ١٠١٤م ونفاهم إلى أفريقية ولكن المغاربة أجبروا يوسف على نفى ابنه جعفر إلى مصر فى سنة ٤١٠ هـ فأنفذه يوسف إلى الحاكم ومعه أموال كثيرة وولى بدله ابناً آخر هو أحمد المعروف بالأكحل الذى استمر على ولائه للفواطم.

وفى عصر الظاهر زادت المنازعات فى الجزيرة بين الفواطم وبين المغاربة مما أدى إلى ترك يوسف صقلية وشخص إلى مصر ومات بها وإن بقى الأكحل.

---

(١) ابن عذارى، البيان، حـ ١، ص ٢٣٨.

وقد انتهز الروم هذه المنازعات فنجد الملك يسيل الثانى فى سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥م الذى كان فى عداء مع الظاهر يملك ما كان للمسلمين فى جزيرة قلورية (كلبريا) وتقول الرواية أن المعز بن باديس عامل المغرب جهز أسطولاً ولكن هذا الأسطول لما قرب من جزيرة قوصرة المجاورة لساحل أفريقية هبت عليه ريح شديدة فغرق أكثره.

وعقدت أم المستنصر حلفاً مع ميخائيل الرابع فى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٨م كما عقد الأكحل أمير صقلية حلفاً معه ولكن ساءت أحوال الجزيرة بالنسبة للفاطميين بسبب تدخل المعز بن باديس الذى وشى فيها ضد الفواطم فحدث بين الأكحل نائب الفواطم وأهل صقلية وحشة فأرسلوا إلى المعز بن باديس يستعدونه على الأكحل فأرسل جيشاً عليه ابنه عبد الله فى سنة ٤٢٧ هـ فحصروا الأكحل وقتلوه وحملوا رأسه إلى المعز بن باديس ولكن أهل صقلية كرهوا عسكر المعز بن باديس فقاتلوهم وأرجعوهم بالمراكب وولوا أخا الأكحل الصمام ين يوسف.

وانتهى الأمر باضطراب الأحوال فى الجزيرة نهائياً واختص كل إنسان ببلد وأصبحوا أشبه بملوك الطوائف فى الأندلس ولقد كان أشهرهم ابن الثمنة الذى حكم سرقوسة وغيرها من مدن كثيرة وتلقب بالقادر بالله، وأصبح يعرف بصاحب صقلية وأصبحت علاقاتهم واهية بالفاطميين ولكنهم ظلوا على بعض الولاء للفواطم هذا الولاء الذى تمثل فى إصدارهم عملة باسم المستنصر واستمر ذلك حتى سنة ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م وكذلك كان بعضهم يحمل المال إليه.

ويسبب تنازع أهل صقلية، ودس المعز بن باديس، تشجع أعداء المسلمين بالهجوم على الجزيرة وهدد صقلية النورمان. وقد تطوع ابن الثمنة أن يملك

النورمان صقلية إذ تقول رواية ابن الأثير أنه أرسل يطلب مالاً من المستنصر لم يجبه للأزمة الاقتصادية التى ألمت بمصر فما كان منه إلا أن بعث إلى الفرنج وفتح لهم الأبواب.

حاول المعز بن باديس إنقاذ صقلية ولكن أسطوله غرق، كذلك حاول ابنه تميم أن ينقذ الجزيرة من النورمان فأرسل أسطولاً بقيادة ابنيه أيوب وعلى ولكن الأسطول رجع فى سنة ٤٦١ هـ / ١٠٩٨م وتركت صقلية للنورمان يتوغلون فيها فاستولى ملكهم رجار الأول على الجزيرة بأجمعها فى سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١م وأسكنها الروم الفرنج مع المسلمين ولم يكتف النورمان بأخذ صقلية فاستولوا على طرابلس الغرب فى سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦م ، والمهدية سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م وقد استمرت طرابلس والمهدية فى أيدى النورمان إلى أن طردهم الموحدون ولم يتمكن الفواطم بسبب سوء أحوال دولتهم فى أواخر عصر المستنصر وبعده من حرب النورمان بل إن خلفاء المستنصر أقاموا علاقات سلمية مع النورمان وكذلك تجارية.

وهكذا نرى أن أعمال الخلافة الفاطمية بدأت تنفصل عنها.

الفصل الثامن
مظاهر ضعف الخلافة

مظاهر ضعف الخلافة

فيما سبق تكلمنا عن المجاعات التى ألمت بمصر زمن الأخشيديين والتى كانت من أسباب قدوم الفواطم إليها. وبعد مجئ الفاطميين إلى مصر اتخذوا عدة إجراءات للعمل على تخفيف المجاعات منها حمل الغلال معهم من المغرب ومنع الخليفة المعز من النداء بزيادة النيل وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى جوهر، وحتى يصل إلى الحد المطلوب وذلك حتى لايحدث قلق بين الناس «فيقبضون أيديهم على الغلال، ويمتنعون عن بيعها رجاء ارتفاع السعر، ويجتهد من عنده مال فى خزن الغلة، إما لطلب السعر، وإما لطلب قوت عياله، فيحدث بهذا الغلاء»[1].

كما اهتم الفواطم بنظام الحسبة، وهى كلمة تعنى فى الاصطلاح الإسلامى مراقبة الأسواق، وكان إذا كذب أحد التجار على أحد المشترين، أو باع بأكثر من الثمن، فإنه يدفع بالتاجر على جمل، ويعطى جرساً بيده، ويطوف به فى المدينة، وهو يدق الجرس ويقول : «قد كذبت وها أنا أعاقب ، وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب»[2].

وفى عهد الخليفة الحاكم عادت المجاعات إلى الظهور فاتخذ من الإجراءات مايدل على رجاحة عقله فكان يعمل على تثبيت الأسعار وذلك بتحديد مقادير العملة منعاً لتذبذبها، وإنزال عملة جديدة تفرق على الصيارفة، وحدد سعراً لكل شئ خاصة الحبوب. وعمد إلى منع الناس من تخزين الغلال، وضرب جماعة بالسوط وشهرهم وأمر ألا يباع القمح إلا للطحانين، كما كان

---

(١) انظر : المقريزى ، اتعاظ الحنفا، جـ ١، ص ١٩١.

(٢) انظر : ناصرى خسرو، سفرنامة.

يكبس الحواصل والبيوت للبحث عن القمح ويفرقه على الطحانين بالسعر الرسمي[1].

وفي عهد الظاهر كثرت المجاعات بسبب تزايد الفئران التي أتت على كل شئ وإنهماكه في اللهو، حتى أن كبار رجال الدولة فكروا في خلعه وقد تظاهر الناس وتصايحوا «الجوع الجوع يا أمير المؤمنين، ولم يصنع بنا هذا أبوك ولا جدك، فالله فالله الله في أمرنا» .[2]

واتخذت الدولة عدداً من الإجراءات لعلاج هذه المجاعة منها منع ذبح الماشية لاستكثارها [3].

ولكن المجاعات عادت إلى الظهور في عهد المستنصر فوقعت عدة مجاعات وذلك في وزارة اليازوري وكان المستنصر يقوم في كل سنة بشراء الغلة وتخزينها ويتاجر فيها، ويبيعها بالسعر الذي يريده، ولكن الوزير حث المستنصر على ألا يخزن الغلال، وأن يخزن مواد أخرى أكثر ربحاً مثل : الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما إلى ذلك[4]. مما ترتب عليه أنه عندما حدثت المجاعات لم يكن هناك مخزون من الغلال، كما تلاعب التجار بأسعار الغلال وكانوا يخفونها لبيعها بالسعر الذي يريدونه. و«عمل اليازوري على مصادرة ما يوجد في مخازن التجار [5]. كما أرسل بعض ملوك الطوائف بالأندلس إلى المصريين سفناً مملوءة بالطعام.

(١) المقريزي، إغاثة الأمة، ١٤ – ١٨، ومن الإجراءات التي اتخذها والتي يوردها المقريزي قوله : «لئن عدت فوجدت في الطريق موضعاً يطؤه حماري مكشوفاً من الغلة لآخرين رقبة كل من يقال لي أن عنده شيئاً منها، ولأحرقن داره وأنهبن ماله». فما بقي أحد من أهل مصر والقاهرة وعنده غلة حتى حملها من بيته وشونها في الطرقات».

(٢) المقريزي، الخطط، جـ ١.

(٣) المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٢٠.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر، ص ٢٠ – ٢٢.

أما أشد المجاعات التى حدثت زمن المستنصر فقد امتدت سبع سنين وبلغت ذروتها فى سنة ٤٦٢ هـ/ ١٠٦٩م وهذه المجاعة عرفت بالشدة المستنصرية وترجع فى أساسها إلى تقصير النيل(١).

وعانى الأهالى وتعذر وجود الأقوات، وارتفع السعر فبلغ رغيف العيش ١٥ ديناراً. وهاجر كثير من أهل مصر وتشتتوا فى البلاد وصاحب تلك المجاعات انتشار الأوبئة ولاسيما الجدرى الذى مات بسببه كثيرون. وتذكر الروايات أن خراب الفسطاط بدأ منذ الشدة المستنصرية.

وزاد من تفاقم الموقف حدوث نزاع بين طوائف الجيش الفاطمى وقيامها بعديد من الفتن. وقد اعتمد الفاطميون على المغاربة وكتامة بصفة خاصة. ولكن المعز كون جيش خاص من عناصر المماليك المشترون أو من سبى الفرنجة وغيرهم وأفرد لهم ثكنات فى مقره عرفت بالحجر ولذلك سموا بغلمان الحجر كما أدخل العزيز عناصر من الديلم والأتراك فى الجيش. وعرفت لهم بعض الحارات كحارة الديلم وحارة الأتراك. وقد قرب العزيز هؤلاء المشارقة مما أثار المغاربة.

ولما تولى الحاكم، طمحت المغاربة إلى استعادة نفوذها فدخل عليه مقدمو كتامة وطالبوه بإبعاد المشارقة وأجبروه على تولى شيخهم أبى محمد بن عمار الوساطة. وعمد ابن عمار إلى تفرقة الأموال على المغاربة وقرب كتامة وولى شيوخها الوظائف الرئيسية فى الدواوين والولايات، وأساء معاملة المشارقة فهرب أكثرهم إلى الشام. وظهر لابن عمار منافس هو برجوان وهو خصى من الصقالية من رجال القصر استعان به المشارقة فقاتل المغاربة وانتصر عليهم وعاد نفوذهم إلى ماكان عليه. ولكن الحاكم عمل على قتل برجوان وابن عمار

---

(٢) نفس المصدر.

وأضعف كتامة حتى جاءوا إلى قصر الحاكم طالبين العفو والأمان، فقبل الحاكم توبتهم. ولما حدثت فتنة أبى ركوة أضعف الحاكم مرة ثانية نفوذ المغاربة وقوى مركز المشارقة.

كذلك استخدم الفاطميون فى جيشهم السودان وكثر عددهم زمن الحاكم وزاد عدد السودان زيادة كبيرة فى عهد المستنصر لأن أمه منهم.

وفى عهد المستنصر استفحل النزاع بين طوائف الجيش ويرجع السبب فى ذلك إلى سوء سياسة الوزراء. وتذكر الرواية أن المستنصر ترك مقاليد الأمور فى يد أمه التى كانت تتحكم فى الوزراء وتغيرهم مما دفع الوزير الفلاحى بأن يغرى طائفة الأتراك بطائفة السودان التى كانت أم المستنصر تعتمد عليهم فأنقص عطاء الأتراك وزاد رواتب السودان والمغاربة وادعى أن أم المستنصر ورئيس ديوانها الخاص التسترى فعلا ذلك. مما دفع الأتراك إلى قتل التسترى والخروج إلى الصحراء. ولما قتل الفلاحى بتحريض من أم المستنصر وعزلت من أتى بعده وولت اليازورى وكان رئيساً لديوانها فأوقف العداء نسبياً بين الطائفتين واستمر تقريب السودان.

وبعد موت اليازورى عاد النزاع بين الطائفتين واستمرت الفتنة بين الترك والمغاربة أربع سنوات، كان من نتائجها الخراب والدمار الذى حل بالبلاد.

ومن أسباب ثورة طوائف الجيش على الدولة عدم انتظام دفع الرواتب أو المطالبة بزيادتها. ونفهم من الروايات أن الأتراك كانوا أكثر الطوائف ثورة على الدولة بسبب أرزاقهم وأنهم انتهزوا أيام الشدة المستنصرية وطالبوا بزيادتها وانتهى بهم الأمر بأنهم دفعوا المستنصر إلى بيع ما فى خزائنه[1].

(١) انظر ، المقريزى، اتعاظ، ج ٢، ص ٣٠٥ – ٣٠٧، ص ٣١١.

وترتب على ذلك زيادة شوكة الأتراك وكثرة أموالهم. وعندما وجد المستنصر أنه لايستطيع القضاء على الفوضى والاضطراب فى البلاد طلب العون من بدر بن عبد الله الذى كان مملوكاً لجمال الدولة بن عمار أحد ولاة طرابلس الشام ولذلك عرف بالجمالى، وكان من أصل أرمنى ثم أسلم وكان والياً على عكا فى سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩م عندما طلب المستنصر معونته.

أسرع بدر إلى تلبية نداء الخليفة الفاطمى واستكثر من الأرمن من بنى جنسه الذين أصبحوا يكونون طائفة جديدة فى الجيش.

قدم بدر لانقاذ الخليفة سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤م فى مائة مركب ووصل إلى دمياط وتنيس وقاومته قبيلة لواته واشتد فى قتالهم وقتل مقدمهم وغرق منهم الألوف، واستصفى أموالهم ثم اتجه إلى القاهرة وبعد وصوله تشجع أنصار المستنصر. وكان أول عمل قام به بدر بعد دخوله القاهرة هو تدبير مذبحة كبرى لأمراء الأتراك بحيث قويت شوكته(١).

ثم قام بدر بالقضاء على العناصر المعادية للخليفة الفاطمى، وأعاد سلطانه فى البلاد فذهب إلى البحيرة وقضى على العرب من قيس(٢)، وذهب إلى الإسكندرية وقضى على العناصر المعادية فيها ثم رحل إلى الصعيد وحارب عرب جهينة والثعالبة وسار إلى أقصى الصعيد وهزم كنز الدولة محمدا الذى كان حاكماً عليه وقتله(٣).

وفى أثناء الاضطراب الداخلى الذى شهدته مصر إنهار نفوذ الفاطميين فى الشام فقد هاجمها السلاجقة، كما استقل بمدنها عديد من الولاة.

---

(١) انظر، المقريزى، اتعاظ، ج ٢، ص ٣١١ - ٣١٣، ص ٣١٤.

(٢) المقريزى، ج ١، ص ٣١٤.

(٣) المقريزى، نفس المصدر، ص ٣١٦.

وبعد أن هدن بدر الأمور فى مصر تاقت نفسه لاستعادة الشام ورغم حصاره، دمشق عدة مرات لم يتمكن من استردادها ولكنه استولى على صور وعسقلان.

وهكذا استطاع بدر الجمالى أن يعيد الأمن إلى مصر وأعاد لها بعض النفوذ فى الشام.

وعمل بدر على تنظيم الدولة التى انتابتها ثورات الجند والمجاعات فأطلق الخراج للمزارعين ثلاث سنوات حتى تتحسن أحوالهم وبفضل سياسته تحسنت ميزانية البلاد. وأدى انتظام الزراعة إلى تراجع الأسعار.

وأعيد بناء أسوار القاهرة كذلك تنسب الرواية إلى بدر أنه بنى ثلاثة أبواب هامة تعتبر من أهم اثار الفاطميين الباقية إلى الآن. فقد بنى باب الفتوح وباب النصر[1]وباب زويلة الكبير وفى ذلك تقول رواية المقريزى : «فلما كان فى سنة خمس وثمانية وأربعمائة بنى أمير الجيوش بدر الجمالى. وزير المستنصر بالله باب زويلة الكبير. وعلى أبراجه ولم يعمل له باشورة كما هى عادة أبواب الحصون من أن يكون فى كل باب عطف حتى لاتهجم عليه العساكر فى وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة لكنه عمل فى باب زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيم بحيث إذا هجم عسكر على القاهرة لاتثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تزل هذه الزلاقة باقية إلى أيام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل...»[2].

وسمح بدر للناس وللعسكر بنقل حجارة القطائع والعسكر للتعمير فى القاهرة.

---

(١) عن باب الفتوح وباب النصر، انظر : المقريزى، الخطط، جـ ١، ص ٣٨٢ ، ٣٨١.

(٢) المقريزى، نفس المصدر، ص ٣٨٠.

كذلك بنى جامع العطارين بالإسكندرية. وبنى فى القاهرة مشهداً على قمة المقطم فى سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م يعرف بالجيوشى نسبة إلى أنه أمير الجيوش.

كما أمر بدر بإصلاح وترميم عديد من الجوامع، فزاد فى جامع الحاكم وجدد باب مسجد ابن طولون، وأمر بعمارة ضريح السيدة نفيسة الذى انتهى منه فى سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٦م.

وأعاد بدر تنظيم الجيش الفاطمى وأوجد عنصراً جديداً فى الجيش وهو العنصر الأرمنى. وقد عمل بدر وابنه على تشجيع هجرة الأرمن إلى مصر. وكافأه المستنصر على أعماله بأن ولاه الوزارة ولكن ليس كوزير تنفيذ مثل الوزراء السابقين ولكن كوزير تفويض فوضت إليه جميع أمور الدولة. فكان أول وزير تفويض فى الدولة ولدينا سجل تولية بدر الوزارة وهو سجل لم يكتب مثله من قبل ومما ورد فيه «وقد قلدك أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره، وناط بك النظر فى كل ما وراء سريره، فباشر ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك مدبراً للبلاد، ومصلحاً للفساد ، ومدمراً أهل العناد». وأرسلت نسخ من السجل إلى ولاية اليمن، مع مندوب حيث كانت هى التى تخضع للمستنصر.

ومنح المستنصر بدر خلع الوزارة وتتكون من عمامة لها ذؤابة والحنك، وثوب مطرز بالذهب اسمه «دراعة» مشقوق من أمام. كما خلع عليه العقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق - رمز الوزارة السابقة وزارة التنفيذ - والطيلسان المقور - رمز قاضى القضاة.

وأصبح لبدر مقر خاص عرف بدار الوزارة الكبرى.

وقد كان المستنصر مع بدر محجوراً عليه فلم يبق له معه أموالاً لقيامه «برسوم الدولة والركوب فى العيدين».

وقد بدأ استبداد وزراء التفويض بالنص (مثل الخليفة) منذ الخليفة المستنصر، الذى كفل وزارة التفويض لأبى القاسم شاهنشاه ابن بدر، الملقب بالأفضل، فى أثناء مرض أبيه، فى سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م فقرئ للأفضل سجل فى الإيوان بحضور المستنصر، وسائر كبار رجال الدولة، وأشرافها وجنودها وعساكرها وضيوفها، وعامة الناس. وبمقتضى هذا السجل قلد الأفضل تدبير المملكة وسائر أمور الدولة وقضاياها وشرائعها وأحكامها، كذلك منح الأفضل خلع الوزارة من ثياب ودعى له بألقابه على المنابر بعد الخليفة وبدر، فى القاهرة ومصر وسائر الأعمال فى أيام الجمع والأعياد، وهى : «السيد الأفضل سيف الإمام، جلال الإسلام، شرف الأنام، ناصر الدين، خليل أمير المؤمنين ، أبو القاسم شاهنشاه، كما كون فرقة خاصة من الجيش من المماليك الأرمن، عرفت بالأفضلية.

ونفهم ممن الروايات أن الأفضل يتدخل فى تعيين ولى العهد قبل وفاة المستنصر وبعدها. وقد كان المستنصر قد رشح ابنه الأكبر نزاراً ليخلفه وسك اسمه على العملة. ولكن الأفضل كان يغار من نزار فوقف موقف العداء من هذه المبايعة، وكان يحط من قيمة نزار، وحذر رجال الدولة من قبول مبايعته، وخوفهم منه.

ونستبين من الرواية أن خلافاً وقع بين نزار والأفضل فقد خرج نزار ذات يوم من بعض أماكن القصر فوجد الأفضل قد دخل من أحد الأبواب وهو راكب، فصاح به : انزل يا أرمنى الجنس، فحقدها الأفضل عليه، وظهرت كراهة أحدهما للآخر.

فلما علم الأفضل بوفاة المستنصر فى ١٨ ذى الحجة سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠ فبراير ١٠٩٥م سار إلى القصر واختار أحمد أصغر أولاد المستنصر دون بقية

أمـ.ته خليفة للمستنصر فألبسه ثياب الخلافة ولقبه بالمستعلى بالله أمير المؤمنين.

فلما حضر أولاد المستنصر وأبصروا أخاهم الصغير بزى الخلافة أنكروا ذلك فقال لهم الأفضل : قبلوا الأرض لمولانا المستعلى بالله وبايعوه، فهو الذى وصى عليه مولانا قبل وفاته، إنه الخليفة بعده، ولكنهم امتنعوا عن مبايعته ثم قال نزار : وهو الأكبر - لو قطعت ما بايعت من هو أصغر منى وخط والدى عندى بأنى ولى عهده وأنا أحضره. وفر نزار ليلاً مع غلمانه، وأرسل الأفضل وراءه جماعة من الفرسان ليقبضوا عليه فلم يلحقوه، ووصل نزار إلى الاسكندرية ، وأعلن أنه الإمام، وتلقب بالمصطفى لدين الله، وانضم إليه افتكين والى الاسكندرية وكذلك انضم إليه أهلها. وقدم إلى الإسكندرية محمود بن مصال اللكى لمعاونته، وانضم إلى نزار كل الأجناد التى حاربها بدر من عربان وسودان ومغاربة فاستولى نزار على معظم الدلتا وهزموا جيشاً للأفضل. ولكن الأفضل جمع عسكراً كبيراً كما أخرج من خزائنه كساوى وخلعاً وسلاحاً وعدة وآلات ودار القتال ما بين الأفضل من ناحية وبين نزار وافتكين من ناحية أخرى وقد اضطر نزار وافتكين إلى التقهقر للاسكندرية، فقام الأفضل بحصار الاسكندرية براً وبحراً وضربها بالأحجار والمنجنيقات وقد استمر القتال حولها حوالى عشرة شهور. ولما فرغت المؤن طلب افتكين الأمان له ولنزار ولأهل البلد، فأمنهم الأفضل، ثم فتحت المدينة بعد ذلك أبوابها للأفضل، الذى أمر بمسير نزار وافتكين إلى القاهرة، فأما نزار فإنه قتل فى القصر بأن أقيم بين حائطين بنيا عليه فمات بينهما وأما افتكين فإنه قتله الأفضل بعد قدومه، وكذلك قتل الأفضل كل من كان مع نزار، وبنى على رؤسهم مسجداً سمى بمسجد النصر[١].

---

(١) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٦٠ - ٦١، سنة ٤٨٧ هـ ، ص ٦٢ - ٦٣، =

وظل الأفضل قابضاً على زمام السلطة طول خلافة المستعلى.

وبعد موت المستعلى فى ١٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ/ ١٢ ديسمبر ١١٠١م[١] ولى الأفضل ابنه أبو على وكان طفلاً يبلغ من العمر خمس سنين وأشهر ولقبه بالآمر بأحكام الله. وقد كتب سجل بتوليه الآمر ذكر فيه تمسكه بالأفضل كما أرسلت سجلات أخرى إلى ولاة الأقاليم يبدو فيها تأييد الوزير.

وقد قام الأفضل بنقل الدواوين من القصر إلى بيته وذلك لكى يزيد من تسلطه على الدولة.

وقد أدى تولى المستعلى الخلافة إلى قيام انقسام فى المذهب الفاطمى لايزال موجوداً حتى اليوم فقد أثار غضب بعض الدعاة فى مصر وفى خارج مصر. استطاع أحد الدعاة الذين زاروا مصر زمن المستنصر أن يثير المعارضة هذا الداعى هو الحسن بن الصباح الذى ظل مقيماً فى مصر حوالى ثمانية عشر شهراً كان فيها موضع إكرام المستنصر فى أثناء ذلك أخبره المستنصر بولاية عهده لنزار.

ترك الحسن مصر إلى الشام فى طريقه إلى بلاد العجم. وكان هدف الحسن منذ وصوله بلاده تأسيس دولة إسماعيلية تدعو للمستنصر فقام بنشر الدعوة بين الإيرانيين الذين كرهوا حكم الأتراك السلاجقة، واستولى على قلاع بحر قزوين، ولاسيما قلعة الموت (ومعناها عش العقاب).

ولما أقصى نزار عن الخلافة فى مصر، خطب الحسن بن الصباح لنزار وعمل على تكوين فرقة تدعو له، عرفت بالنزارية وهم الذين يعرفون

= سنة ٤٨٨ هـ، النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٤٥ – ٢٤٦، المقريزى، اتعاظ، ج ٣.

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٧٣ – ٢٧٤.

الآن بالأغاخانية. وذلك على عكس الفرقة التى أيدت إمامة المستعلى والتى عرفت بالمستعلية. وتقول الرواية أن نزاراً تمكن من الفرار من الإسكندرية - أثناء الحصار واتجه إلى بلاد فارس، ومضى إلى بيت الصباح فى قلعة الموت وتزوج من ابنة الحسن وأولدها ولد أسماه محمدا ولقبه بالمصطفى وأنه نص عليه.

وأخطر ما جد فى دعوة الحسن تكوينها للفداوية، الذين يفتدون مبادئهم بأرواحهم، وقد أرهبوا الدولة السلجوقية ومن أشهر ضحاياهم الوزير الشهير نظام الملك الذى وزر لألب أرسلان وملكشاه. وعرفت هذه الفرقة أيضاً باسم الحشيشية.

وقد حاول الآمر بعد أن بلغ رشده أن يقضى على الوزير الأفضل ونجح فى ذلك فقتله فى سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١م وصادر أمواله وأملاكه كما سجن ابنه واسمه أبو على أحمد(١).

واتخذ الآمر بعده وزيراً اسمه المأمون البطائحى ولكن الآمر قبض عليه فى سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥م وصادر أمواله وقتله(٢). ولم يطل تمتعه بنفوذه إذ كان عليه أن يقاتل جماعة النزارية فقام بغلق دار الحكمة خوفاً من الاجتماع على المذهب النزارى كما لجأ إلى الدفاع عن خلافة أبيه عن طريق كتابته السجلات أو الرسائل التى كانت ترسل إلى ولاة الأقاليم ليذيعوها بين الناس نذكر منها الرسالة الموسومة باسم الهداية الآمرية فى إبطال الدعوة النزارية، ورسالة صواعق الأرغام فى إدحاض حجج أولئك اللئام.

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) النويرى، نفس المصدر، ص ٢٨٥ - ٢٨٧.

ورغم ذلك تمكن أتباع الفرقة النزارية من قتل الآمر فى سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٣٠م[١].

وأدى مصرع الآمر إلى تعقد الأمور للخلافة الفاطمية إذ تغلب شخصان على السلطة هما : هزار الملوك وبرغش وقد اختاروا حفيد المستنصر ليحكم وهو عبد المجيد وأعلنا قصة مؤداها أن تولية عبد المجيد كنائب لانتظار حمل لإحدى جهات الآمر أى زوجاته فهو لم يبايع بالخلافة وإنما أصبح الكفيل لطفل مرتقب[٢].

فى ظل تلك الظروف ظهر أحد الوزراء المستبدين وهو كتيفات أبى على أحمد ابن الأفضل الذى قتل كل من عارضه من رجال الدولة إذ تذكر الرواية أنه قتل هزارا وحبس عبد المجيد، ونقل أموال القصر الفاطمى إلى داره، ونهب القاهرة. وكان دائم التفتيش على أهل القصر للبحث عن حمل الآمر ولم يوفق فى ذلك، ولم يقدر على قتل عبد المجيد. وكادت الدولة الفاطمية تضيع على يده. ولكن تمكن أحد رجال القصر واسمه يانس من القيام بانقلاب ضده وقتله[٣] وأخرجوا عبد المجيد من سجنه، وأعلن خليفة بعد ذلك وتلقب باسم الحافظ لدين الله . وفى ذلك يقول المقريزى فى حوادث سنة ٥٢٦ هـ «وفيها استقرت حال الحافظ لدين الله وبويع له بيعة ثانية لما عدم الحمل»[٤].

وقد استبعد يانس الذى ولى الوزارة للحافظ وكون لنفسه طائفة من الجند عرفت باسم «اليانسية» فتخلص الحافظ منه فى سنة ٥٢٦ هـ / ١١٣٢م.

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٩٤ - ٢٩٦.

(٢)نفس المصدر، ص ٢٩٦ - ٢٩٨.

(٣) النويرى، نفس المصدر، ص ٢٩٦ - ٢٩٨.

(٤) المقريزى، اتعاظ ، ج ٣.

واعتمد عبد المجيد على نفسه فى تصريف الأمور. ولكن ابنا من أبنائه ويدعى حسن تطلع إلى السلطة ونجح فى السيطرة على الجيش والدولة وكون له طائفة خاصة عرفت بصبيان الزرد أى لابسى الدروع. وقتل أمراء الدولة وصادر أموالهم، وأوقع بين طوائف العسكر. واعتبر المقريزى ذلك أول مصائب الدولة الفاطمية، واجتمع العسكر أمام قصر الخليفة. وطالبوا برأس حسن، فاضطر أبوه إلى التخلص منه[1].

واستوزر عبد المجيد أرمينياً نصرانياً اسمه بهرام ولقبه : سيف الإسلام، تاج الدولة وذلك فى سنة ٥٢٩ هـ / ١١٣٥م ولكن بهرام تعصب للأرمن وكون جيشاً منهم، وتمكن عبد المجيد من عزل بهرام بمساعدة رضوان بن ولخشى[2]، فحارب رضوان بهرام فى الدلتا، ولما قرب جيشه من جيش بهرام أمر رضوان برفع المصاحف على رؤوس الرماح فخرج الجند المسلمون من جيش بهرام واعتزلوه مما تسبب فى هزيمته، وطرده حتى الصعيد. ولكن الخليفة الحافظ عفا عن بهرام وأقام معه فى مقره وكان يستشيره فى أمور السياسة إلى أن مات فى سنة ٥٣٥ هـ / ١١٤٠م.[3]

واستوزر عبد المجيد رضوان فى سنة ٥٣١ هـ / ١١٣٦م ولكنه استبد وتلقب بالملك فدس عليه عبد المجيد من قتله فى سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م[4].

وبعد موت عبد المجيد ظهر عدد من الوزراء أصحاب المطامع أحدهم يعرف باسم على بن السلار وهو من أصل كردى وتلقب بالملك العادل فى سنة

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٠؛ المقريزى، اتعاظ، ج ٣.

(٢) النويرى، المصدر السابق، ص ٣٠٠ - ٣٠٤.

(٣) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٣٣، النويرى، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

(٤) النويرى، المصدر السابق، ص ٣٠٢ - ٣٠٦.

٥٤٤ هـ/ ١١٥٠م وذلك فى خلافة إسماعيل بن عبد المجيد الذى لقب بالظافر لدين الله، وانتهى الأمر بمقتل ابن السلار[١]، فى سنة ٥٤٨ هـ/ ١١٥٠م. وبعد مقتل الظافر فى سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م[٢] أعلن ابنه خليفته باسم الفائز لنصر الله.

ثم ظهر طامع فى الوزارة هو طلائع بن رزيك الذى أظهر حزنه لموت الظافر وكان كما تقول رواية المقريزى : « لما بلغ أهل القصر ما عمله نصر بن عباس من قتل الظافر، فكاتبوا طلائع بن رزيك وكان على الأشمونين وبعثوا إليه بشعور النساء يستصرخون به على عباس وابنه، فقدم بالجموع، وفر عباس وأسامه ونصر، ودخل طلائع وعليه ثياب سود، وأعلامه وبنوده كلها سود، وشعور النساء التى أرسلت إليه من القصر على الرماح، » وأقام نفسه وزيراً للفائز وتلقب بالملك الصالح فارس المسلمين[٣].

واستبد طلائع بن رزيك بدوره وكون لنفسه فرقة خاصة جلب أفرادها من برقة عرفت باسم البرقية وقد أخذ فى قتل كبار قواد مصر، حتى فر عدد كبير من أهل البلاد إلى الحجاز واليمن[٤].

ولما مات الفائز ادعى طلائع أنه نص على ابن عمه العاضد، الذى تولى الخلافة فى سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م [٥]وعمره لايتجاوز الحادية عشرة، وقد زوجه ابنته لتبقى السلطة فى يديه، ولكن انتهى الأمر بمقتله. ولكن ابنه واسمه رزيك أجبر العاضد على تفويضه الوزارة مثل أبيه ولقب نفسه بالعادل[٦]،

---

(١) النويرى، ص ٣١١ – ٣١٤.
(٢) النويرى، ج ٣١ ، ص ٣١١ – ٣١٤.
(٣) النويرى، ص ٣١١ – ٣١٦.
(٤) المقريزى، اتعاظ، ج ٣.
(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣١٩ – ٣٢٠.
(٦) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٢٢ – ٣٢٣.

ولكن ظهر منافس هو والى قوص واسمه أبو شجاع شاور، الذى ذهب إلى القاهرة سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٣م[١]، فهرب منها رزيك إلى حيث أسر وحمل إلى مصر وانتهى الأمر بمقتله.

ولكن أحد أتباع رزيك واسمه ضرغام أتى إلى القاهرة من الصعيد ليثأر لمقتل رزيك ويتمكن من قتل ولد شاور الأكبر، ويهرب شاور إلى الشام، ليستعين بالسلاجقة (أو الغز) ويتولى ضرغام وزارة العاضد ويتلقب بالملك المنصور[٢].

كل هذه العوامل من مجاعات وثورات جند واستبداد وزراء تفويض بالسلطة عجلت بسقوط الدولة الفاطمية.

---

(١) النويرى، ص ٣٣١.

(٢) النويرى، ، نفس المصدر، ص ٣٣١.

الفصل التاسع

إنهيار الدولة الفاطمية



إنهيار الدولة الفاطمية

أضعفت الكوارث التى حلت بالخلافة الفاطمية فى الداخل من كيان الدولة، لدرجة أنها لم تستطع الصمود أمام الخطر الخارجى الذى كان يتربص بها وأدى فى النهاية إلى سقوطها. هذا الخطر الذى داهم الشام أتى من قبل الفرنج الذين اتخذوا شكوى الحجاج إلى بيت المقدس ذريعة لحرب المسلمين فى الشرق. حيث نرى البابا أريانوس الثانى (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) يكلف بطرس الراهب بالدعوة إلى حرب المسلمين لتخليص الأماكن المقدسة وهكذا خرجت الدعوة من فرنسا لحرب المسلمين.

وقد اشترك فى تلك الحملة الصليبية رجال ونساء وأطفال قدموا من كل أنحاء أوربا، بقيادة بطرس الراهب. فلما وصلوا إلى أسوار القسطنطينية فى سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٦م قام ملكها الكسيوس كومنينوس بترحيلهم إلى آسيا الصغرى ، لخوض غمار الحرب ضد الأتراك السلاجقة وقد انتصر الترك السلاجقة على أفراد هذه الموجة الصليبية، وأحرقوا من هرب معهم فى الغابات أو ألقوا بهم فى البحر، واضطر قائدهم بطرس الراهب إلى النجاة بنفسه.

ثم قامت تجمعات أخرى، معظمها من فرسان الفرنجة مثل جودفروادى بويون، وبودوان أو بغدوين والنورمانى بوهمند أو بيمند لدى ابن الأثير، وقد أقبل الجزء الأكبر من هذه الحملة نحو الشرق من طرق متعددة ، عن طريق وسط أوروبا، وعن طريق سهول إيطاليا الشمالية. فلما وصل الجزء الأكبر إلى القسطنطينية فى سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧م ليعبروا بحر مرمرة إلى بلاد الترك السلاجقة أرسل الكسيوس جيشه معهم ليشارك فى قتال المسلمين. وأحرز

الفرنجة والروم أول نصر لهم على الترك السلاجقة فى موقعة نيقية ثم أقبلوا على حصار أنطاكية فى جمادى الأولى ٤٩١ هـ/ مارس ١٠٩٨م[١] وقد دافع السلاجقة والعرب عن المدينة ولكنهم دخلوها وذبحوا معظم أهلها وسلم الصليبيون أنطاكية لبوهمند النورمانى مما أدى إلى غضب الكسيوس الذى انفصل عنهم ولم يشاركهم بقية حملتهم. ثم تمكن الصليبيون من الاستيلاء على الرها[٢] وتقدم فريق منهم إلى شمال الشام. وكانت موانئ الشام ومدنها تسلم إليهم بدون مقاومة.

كانت هذه الانتصارات على حساب السلاجقة الذين انغسمت دولتهم بعد وفاة ملكشاه حيث يتقاسم السلطة أولاده الأربعة ومعهم أتابكتهم فى العراق والجزيرة وإيران وخراسان. وفى أعالى الشام كان أبناء تتش أخى ملكشاه وأتابكتهم يتنافسون فى السيطرة عليه وهو الآمر الذى سهل على الصليبيين دخول الشام.

وقد وجهت الضربة التالية ضد أملاك الفاطميين فى الشام خاصة بيت المقدس التى تمكن الصليبيون من دخولها فى شعبان سنة ٤٩٢ هـ/ يونية ١٠٩٩م وذبحوا كل من وجدوه فيها من المسلمين من شيوخ ونساء وأطفال، وأحرقوا منهم من هرب إلى مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى[٣].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٨٥ – ١٨٧، سنة ٤٩١ هـ؛ النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٤٨.

(٢) ابن الأثير، ج ٨، ص ٢٠٤.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ١٨٩ – ١٩٠، سنة ٤٩٢ هـ، النويرى، ص ٢٥٦ – ٢٥٨.

وقد حاول الوزير الأفضل لما بلغه وصول الفرنجة إلى بيت المقدس «استنقاذه بعساكره ولكنه ما أن قرب من القدس حتى كان الفرنج قد فتحوه وهجموه عليه وهزموه».

وحاول الفاطميون استنقاذ مدن الساحل الشامى الباقية التى كانوا قد استردوها من السلاجقة أيام بدر الجمالى. وقد حاول الأفضل أن يكون حلفاً بين مصر وأتابك دمشق طغتكين وآقسنقر حاكم حلب لاستنقاذ بقية فلسطين ولكن ذلك لم يتم.

واستمر الصليبيون فى زحفهم فحاصر جودفرى عكا فى سنة ٤٩٤ هـ/ ١١٠١م[١] إلا أنه قتل فاختار رجال الدين أخاه بردويل أو بغدوين ملكاً على بيت المقدس واستولى الصليبيون على طرابلس فى سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م[٢] وبيروت فى سنة ٥٠٣ هـ/ ١١١٠م[٣] وصيدا فى ٥٠٤ هـ/ ١١٢٤م[٤] ، وسيطروا على كل فلسطين باستثناء عسقلان التى سقطت فيما بعد.

وقد طمع الصليبيون أيضاً فى مصر لضعفها وقد قام بالغزو بردويل ولكن انتهى الأمر بموته فى طريق عودته قبل وصوله إلى العريش[٥].

وقد أوقف أطماع الصليبيين أتابكية تركية قوية فى الشام أصبح هدفها الاتحاد مع مصر لصد خطر الصليبيين هذه الأتابكية مؤسسها مملوك اسمه آقسنقر الذى قتل فى سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م ولكن ابنه عماد الدين زنكى تمكن

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٢١.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٨ ، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ، ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٦٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ ؛ النويرى، ص ٢٦٤ - ٢٦٦.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٢٦٠ ؛ النويرى، ح ٢٨، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(٥) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة، ص ٩٠، النويرى، ج ٢٨، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

من استرجاع أملاك أبيه، وتولى الموصل وبعد فتحه بعلبك سلمها إلى أيوب وجعله أميراً عليها اعترافاً بجميل أسرته عليه.

وكانت أهم انتصارات عماد الدين على الصليبيين هو فتحه مدينة الرها فى سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م ولكن اغتيل فى سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦م واستولى ابناه غازى، ونور الدين على أهم أملاكه فأخذ الأول الموصل وبلاد الجزيرة، والثانى حلب وانتقل أيوب الذى كان زنكى قد أعطاه بعلبك مع ابنه صلاح الدين إلى أتابكية دمشق التى عملت على ضم بعلبك إليها، هذا وإن بقى شيركوه أخو أيوب فى خدمة نور الدين فى حلب.

والحملة الصليبية الثانية جعلت نور الدين يفكر جدياً فى الاستيلاء على أتابكية دمشق، ومنحه الخليفة العباسى المقتضى لأمر الله تقليداً على البلاد الشامية، وحتى على البلاد المصرية التى كانت تعانى من الفوضى بعد قتل الخليفة الظافر فى سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م[١] وطمع فيها الصليبيون من جديد.

وقد عمل أيوب على أخذ دمشق لنور الدين الذى نقل إليها مركز حكمه وعين أيوباً حاكماً عليها، وشيركوه نائباً له، وصلاح الدين رئيساً لشرطته.

وفى الوقت الذى كان نور الدين يوطد دعائم ملكه قدم إليه الوزير الفاطمى شاور سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م طالباً النجدة ضد ضرغام الذى طرده من الوزارة، وأطمعه فى الديار المصرية. وقد قبل نور الدين تحت إلحاح شيركوه الذى كان يرغب فى الذهاب على رأس الحملة إلى مصر[٢].

---

(١) النويرى، ج ٢٨، ص ٣١٥ – ٣١٧.

(٢) النويرى، ج ٢٨ ، ص ٣٣٢.

وما أن وصلت العساكر بقيادة شيركوه إلى بلبيس شرقى القاهرة حتى خرجت عساكر البرقية من قبل ضرغام بقيادة أخيه ناصر الدين، لقتال شيركوه الذى تقهقر تجاه القاهرة، ولما دخل جيش شيركوه القاهرة، خرج ضرغام لملاقاة شاور وحدث قتال عنيف انتصر فيه. ولكن كره الجند الفاطمى لضرغام أدى إلى تخلى الخليفة العاضد عن تأييده له فاستطاع شاور بمماليكه وعربانه أن يهزم ضرغام ويقتل أخويه وعقب ذلك تولى شاور الوزارة ثانية للخليفة العاضد، وتلقب بالملك المنصور، وكتب العاضد سجلاً له بتفويض الوزارة[١].

وما أن تقلد شاور الوزارة حتى ظهرت منه علامات الغدر بجيش الترك الذى كان يقيم بظاهر القاهرة. فأرسل إلى شيركوه يطلب منه الرجوع إلى الشام فامتنع شيركوه وأسرع إلى بلبيس للتحصن بها. واتصل شاور بالفرنج ودعاهم إلى إخراج جند شيركوه ووعدهم بمال كثير إذا رحل عساكر نور الدين فاغتنم الفرنج الفرصة واجتمعت جيوشهم بقيادة ملك بيت المقدس المسمى زملريك ويسميه العرب مرى (أو عمورى) وحاصروا شيركوه وصلاح الدين فى بلبيس ، يساعدهم عسكر شاور ومن العربان والسودان فقاومهم جيش شيركوه انتهى الأمر بعقد اتفاق بمقتضاه خرج شيركوه والصليبيون من مصر خاصة بعد أن أغار نور الدين على أطراف أملاكهم ليخلص جيوشه من هذا الحصار. مما جعل عمورى يسرع بالعودة إلى بلاده[٢].

وهكذا انتهت حملة شيركوه وصلاح الدين الأولى على مصر. ولكن

---

(١) نفس المصدر، ص ٣٣٥.

(٢) نفس المصدر، ص ٣٣٩ - ٣٤٣.

شيركوه الذى شاهد ضعف مصر أخذ يحث نور الدين على إرسال حملة ثانية إلى مصر وقبل نور الدين وخرج شيركوه فى سنة ٥٦٢ هـ/ ١١٦٧م ومعه ابن أخيه صلاح الدين ودخل مصر عن طريق ساحل البحر الأحمر من ناحية الصعيد ثم نزل الجيزة. فلما وصل جيش شيركوه أرسل شاور إلى الفرنج يستنجد بهم فأتاه عمورى إلى الجيزة، وأرسل رسله إلى الخليفة العاضد للاتفاق على المبلغ الذى يدفع له لقاء إخراجه من شيركوه. فحاربهم شيركوه وهزمهم حين حاولوا عبور النيل على جسر أقاموه، ولكن اتجه إلى الصعيد ولما تتبعوه هزمهم فى البابين جنوب المنيا الحالية ونجا عمورى بمعجزة، ثم سار شيركوه إلى الاسكندرية التى رفض أهلها أن يسلموها إلى شاور وسلموها لشيركوه، فتركها شيركوه لابن أخيه صلاح الدين ، وعاد هو بقسم من جيشه إلى الصعيد، وقد سأل شاور أهل الاسكندرية أن يسلموه صلاح الدين ويرفع عنهم الضرائب وبخاصة المكوس إلا أنهم رفضوا وهنا سعى شاور إلى الصلح وقبله شيركوه لسوء موقف جيشه فاتفق على أن يتركها لقاء مبلغ من المال، على أن يخرج الصليبيون أيضاً وألا يتسلموا أى قرية وأن تعاد الاسكندرية إلى المصريين ووافق الصليبيون على خروجه من مصر على أن يكون لهم بأبواب القاهرة شحنة (حامية) وأن يدفع لهم شاور بعض المال، فوافق شاور على ذلك[1].

ولكن عمورى سرعان ما عاد على رأس حملة لفتح مصر وأسرع بالدخول إلى الحوف الشرقى فى سنة ٥٦٤ هـ. وارتكبت جيوشه فى بلبيس فظائع.

---

(١) النويرى، ج ٢٨، ص ٣٤٠.

وإزاء ذلك الموقف قتل شاور من الفرنج جماعة كبيرة، وحفر خندقاً وبنى حصناً، وجعل الفقهاء يحضون الأهالى على القتال، ثم أحرق الفسطاط وأمر أهلها بالهجرة إلى القاهرة، بهدف عرقلة زحف الفرنج.

وفى نفس الوقت أرسل نور الدين شيركوه ومعه صلاح الدين إلى مصر[١]. فلما سمع الصليبيون بتحرك عسكر نور الدين قبلوا الصلح مع شاور وما أن قرب جيش نور الدين من القاهرة، رحل الفرنج عنها وأراد شاور تدبير مؤامرة لقتل شيركوه ومن معه وإخراج جيشه من مصر ولكن محاولته باءت بالفشل إذ كان ابنه الكامل يميل إلى محالفة نور الدين ويؤيده فى ذلك الخليفة العاضد الذى كتب سجل لاستنابة الكامل فى الوزارة عن أبيه.

وانتهى الأمر بأن قضى صلاح الدين وشيركوه على شاور فقبض صلاح الدين على شاور وكتفه، وأخذه ليقتله[٢]، ثم لما دخل ولد شاور وأخوته إلى القصر الفاطمى معتصمين قتلوا.

وأخذ شيركوه مكان شاور وتقلد الوزارة للخليفة العاضد وتلقب بالملك المنصور. ولكن انتهى الأمر بموت شيركوه بالسم بعد توليه الوزارة بأكثر من شهرين. فتقلدها بعده ابن أخيه صلاح الدين وتلقب بالملك الناصر.

ونستبين من الروايات أن نور الدين كتب إلى صلاح الدين يطلب منه إسقاط اسم العاضد من الخطبة، وجعلها للخليفة العباسى المستنجد بالله. ولكن صلاح الدين تريث بعض الوقت إذ عمل على محاربة الدعوة الفاطمية فعزل قضاة مصر الشيعة وقطع أرزاقهم وشرد الدعاة، وألغى مجالس دعوتهم وأزال أصول المذهب الشيعى مثل : الأذان بحى على خير العمل، بدلاً من الآذان

---

(١) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٤١ – ٣٤٢.

(٢) النويرى، نفس المصدر، ص ٢٤٢ – ٢٤٣.

بحى على الفلاح. وحذف من العملة عبارة «على ولى الله» ومنع صلاة الجمع بالجامع الأزهر وبجامع الحاكم كما أنه كان يخطب لنور الدين بعد العاضد فى الجوامع الأخرى. وعمل صلاح الدين على عودة المذهب السنى فهدم كما تقول رواية المقريزى دار المعونة بمصر وعمرها مدرسة للشافعية وأنشأ مدرسة أخرى للمالكية[1].

كما أضعف صلاح الدين من نفوذ حاشية القصر واغتال كبيرهم وهو مؤتمن الخلافة وكان خصياً أسود من الأستاذين المحنكين وعين بدله خصياً أبيض اللون من أتباعه يدعى قراقوش وصادر مخصصات العاضد ومنعه من المال والخيل والرقيق، ومنع رسوم الخلافة من ركوب فى المواكب، وجلوس عام فى القصر الكبير، واعتقل الخليفة ولم يعد يظهره للناس البتة.

كما اتخذ إجراءات لإضعاف الجيش الفاطمى فبدأ بطائفة السودان الذين كانوا يسيطرون على الجيش والدولة والقصر أيام العاضد فأرسل إليهم صلاح الدين أخاه توران شاه على رأس الترك لقتالهم. وانتهى الأمر بهزيمتهم وأحرق حاراتهم بما فيها مساكنهم ونساؤهم وصبيانهم فانهزموا إلى الصعيد.

وعمل على إضعاف الأمراء المصريين فانقص إقطاعهم ثم قبض عليهم فى ليلة واحدة، وأنزل أصحابه فى دورهم وفرق اقطاعاتهم عليهم.

وأخيراً ألغيت الخلافة من مصر وأرجع الخطبة للخليفة العباسى السنى المستضئ بنور الله فى المحرم سنة ٥٦٧ هـ/ سبتمبر ١١٧١م[2]. ويقال إن صلاح الدين لما خطب لبنى العباس اغتم الخليفة العاضد ومات.

---

(١) المقريزى، المواعظ والاعتبار، ح ٢.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ح ٢٨، ص ٣٤٤ – ٣٤٦.

الفصل العاشر

مصادر النويري

في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب

الجزء السادس والعشرون



التعريف بالمؤلف:

هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم بن عبادة بن على بن طراد بن خطاب بن نصير بن اسماعيل بن إبراهيم .. بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عبد بن عتيق ... بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. كما يقول فى ترجمته لنفسه فى كتابه «**نهاية الأرب**»[1]. ،عرف بالنويرى، وكان مولده بمدينة اخميم من صعيد مصر، فى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وسبعين وستمائة[2].

أما معاصره وصاحبه الادفوى صاحب «**الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**»، فيسميه فى ترجمته له أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم البكرى ينعت بالشهاب، أصله من نويرة وولد بقوص كما يقول الادفوى ونشأ بها، وسمع الحديث على عدد من العلماء منهم الشريف موسى بن على بن أبى طالب، ومحمد بن إبراهيم بن جماعة وغيرهم..[3]. ونال حظوة عند الملك الناصر (محمد بن قلاوون) الذى وكله فى بعض أموره وتقلد عددا من الأعمال، منها مباشرة ديوان الشام للسلطان الملك الناصر كما يقول فى «نهاية الأرب»[4]، ونظر الجيش بطرابلس، ونظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية .. مات سنة ٧٣٣ هـ فى الحادى والعشرين من شهر رمضان. وجمع تاريخا حافلاً وهو فى ثلاثين مجلدا، سماه كما يقول **ابن تغري بردي** «**نهاية الأرب في علم الأدب**» (يقصد فى فنون الأدب) وكان يشتغل بنسخ الكتب. ويذكر ابن حجر

---

(١) انظر، النويرى، نهاية الأرب، تحقيق محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة محمد مصطفى زيادة، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، القاهرة؛ ١٩٩٠، ج٣٠، ص ٣٨٦.

(٢) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٨٦.

(٣) الادفوى، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة (مجموعة تراثنا)، ص ٩٦ - ٩٧.

(٤) انظر، النويرى، نهاية الأرب، تحقيق محمد محمد أمين، محمد حلمى محمد أحمد، طبع مركز تحقيق التراث، القاهرة ١٩٩٢، ج٢٨، ص ٣٨٩ - ٣٩٠.

أنه نسخ من البخارى بخطه ثمانى نسخ وكان يكتب النسخة ويقابلها ... ويبيعها بألف درهم ..»[1].

الكتاب أهميته ومصادره:

كتاب «نهاية الأرب فى فنون الأدب» للنويرى، عبارة عن موسوعة عامة فى الأدب والجغرافية والتاريخ والاجتماع.

الجزء السادس والعشرون (من مخطوطة الكتاب التى توجد منها نسخة مصورة بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم (٥٤٩) معارف عامة، (يعادل الجزء «٢٨» من الكتاب المطبوع).

ويشتمل هذا الجزء على «الباب الثانى عشر من القسم الخامس من الفن الخامس». وهو يتناول «تكملة» «أخبار الديار المصرية»

والنويرى يبدأ هذا الجزء - بالكلام عن مسير أحمد بن طولون إلى الشام فى سنة أربع وستين (ومائتين) أى من السنة الحادية عشرة من ولاية أحمد بن طولون على مصر.

وتتوالى أخبار الدولة الطولونية حتى انقراضها «فى يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين» وبعد ذلك يتكلم عمن «ولى مصر بعد انقراض الدولة الطولونية وإلى قيام الدولة الاخشيدية من العمال (الولاة) وملخص ما وقع فى أيامهم من الحوادث». ثم يتكلم بعد ذلك عن «ذكر أخبار الدولة الاخشيدية وابتداء أمر من قام بها وكيف كان سبب ملكه وقيامه ومن ملك بعده إلى أن انقرضت أيامهم».

(١) انظر ترجمته فى الادفوى، الطالع السعيد، ص ٩٦ - ٩٧، الصفدى، الوافى بالوفيات، تحقيق احسان عباس، طبع بيروت ١٩٦٩، ح٧، ص ١٦٥ ترجمة (٧٠٩٧)، ابن حجر، الدرر الكامنة، طبع حيدر آباد الدكن - الهند، ح٢، ص ١٩٧ ترجمة رقم (٥٦١)، ابن تغرى بردى، المنهل الصافى، تحقيق يوسف نجاتى، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٣٦١ - ٣٦٢ .ترجمة (١٩٩)، النجوم الزاهرة، طبع دار الكتب، القاهرة، ح٩، ص ٢٩٩. وفيات سنة ٧٣٣هـ، ويلاحظ أن بن تغرى بردى فى النجوم يلخص معلوماته عن الصفدى.

ثم يحدثنا عن «ذكر أخبار الدولة العبيدية التى انتسب ملوكها إلى الشرف وألحقوا نسبهم بالحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما» .

وتتوالى أخبار الدولة حتى سقوطها سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م.

ثم يذكر «أخبار الدولة الأيوبية» حتى قدوم الملك العادل سيف الدين أبى بكر ابن أيوب ودخوله القاهرة فى ربيع الآخر سنة ٥٩٦هـ / ١١٨٠ م، وتسلمها من الملك الأفضل.

وسوف أقتصر فى الدراسة التحليلية حتى انقراض دولة الفواطم سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م.

وتتلخص أهمية الجزء السادس والعشرين من كتاب «**نهاية الأرب**» للنويرى فى أنه احتفظ لنا بقطع نادرة من بعض الكتب التى لم تصل إلينا وخاصة كتب المغاربة مثل كتاب «**تاريخ افريقية والمغرب**» **للرقيق القيرواني**، وكتاب «**الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان**» **للأمير عبد العزيز ابن شداد بن تميم بن المعز بن باديس الزيري الصنهاجي**، وكتاب «**تاريخ مصر**» **لابن ميسر**، الذى لم يصلنا فى صورته الأصلية، وإنما وصلنا منه روايات منتقاه (انتقاها مؤرخ مصر الشهير المقريزى سنة ٨١٤هـ) من الجزء الثانى تبدأ بحوليات سنة ٥٣٩هـ (من خلافة المستنصر) وتنتهى بسنة ٥٥٣هـ (من خلافة الفائز بنعمة الله) .

أما عن مصادر النويرى فى تلك الفترة التى تمتد زمنيا من سنة ٢٦٤هـ/ ٨٧٧ م إلى سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م. أى حوالى ثلاثمائة وثلاث سنوات فهو ينص على **التنوخي، وابن زولاق، والفرغاني، والشريف أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين المعروف بأخي محسن، والمسبحي. والرقيق القيرواني. وابن القلانسي، وابن المأمون، والشريف محمد بن أسعد الجواني. والأمير ابن شداد الزيري الصنهاجي، وابن ظافر. وابن الأثير، وابن جلب راغب**. فى مواضع وينقل عنهم ويغفل الإشارة إليهم فى كثير من المواضع، ويقول «قال» أو «قال المؤرخ» أو قال «بعض المؤرخين» .

ولقد تتبعته فى المصادر الموجودة تحت أيدينا، ورجحت نقوله عنها، ثم تتبعته ثانية فى المصادر المفقودة، والكثير من نصوص هذه المصادر (الخاصة بالعصر الفاطمى) قد نقلها **المقريزي** فى كتابيه «**اتعاظ الحنفا**»، و «**المواعظ والاعتبار**»، وغير المقريزى من المؤرخين السابقين له.

وإذا كان النويرى قد أغفل الإشارة إلى مصادره فى معظم الأحيان فقد كان من أهم أغراض دراستنا هو معرفة الأصول التى ينقل عنها وقد توصلت فى البحث وبالمقارنة نرجح أنه ينقل عن «**تاريخ الموصل**» **للأزدي**، و «**سيرة أحمد بن طولون**» للبلوى، وكتاب «**الولاة**» أو «**أخبار أمراء مصر**» للكندى، وكتاب «**رسالة افتتاح الدعوة**»، وكتاب «**المجالس والمسايرات**» للقاضى النعمان بن محمد، **والقضاعي، وابن الصيرفي، والمرتضي المحنك، وعمارة اليمني، وابن الحباب، وابن الطوير**، إما بشكل حرفى أو مع شئ من التصرف.

والتساؤل هو هل نقل عنهم النويرى مباشرة أو أخذ عن طريق وسيط. هذا ما سنحاول اثباته أثناء الدراسة.

أول خبر يورده النويرى من أخبار الدولة الطولونية هو مسير أحمد بن طولون إلى الشام فى شوال سنة ٢٦٤هـ يقول النص: «واستخلف على مصر ابنه العباس، وعضده بأحمد بن محمد الواسطى. وكتب إلى على بن أماجور ... يذكر أن الخليفة أقطعه الشام والثغور مضافا إلى ما بيده ...»[(١)].

وبالمقارنة يتضح أن النويرى ينقل عن كتاب «سيرة أحمد بن طولون» للبلوى باللفظ فى مواضع وبالمعنى والاختصار فى مواضع أخرى.

فرواية البلوى تقول: «واستخلف ابنه العباس على مصر ... وأيد ابنه بكاتبه أحمد بن محمد الواسطى، ووصى العباس بالاقتداء برأيه ... وسار فى

(١) النويرى، نهاية الأرب، المخطوط، ح٢٦، ورقة ٧، الكتاب المطبوع، تحقيق محمد محمد أمين، ح٢٨، ص ١١.

شوال من سنة أربع وستين ومائتين .. وقدم كتابه إلى ابن ماجور يعزيه بأبيه .. ويذكر أحمد ابن طولون فى كتابه إليه أن أمير المؤمنين قد قلده الشام كله، مضافا إلى الثغور الشامية»[١].

ثم يحدثنا النويرى عن مسيره إلى دمشق وحمص، وملك حماة وحلب، وارساله إلى سيما الطويل بانطاكية يدعوه إلى الطاعة فامتنع فحاربه وقتله «وملك البلد عنوة، ورحل منها إلى طرطوس «وانهزم عنهم»[٢].

وبعث أحمد بن جبغويه فى جيش إلى حران، فاخرج محمد بن أتامش منها، فاتصل خبره بأخيه موسى «فجمع عسكرا وسار بهم إلى حران»، وما كان من تدبير ابن طولون عليه وأسره «ورفع إلى مصر وكان وصوله إليها سنة ست وستين»[٣].

وبالمقارنة نرجح أن أصل رواية النويرى المختصرة هذه هو البلوى[٤].

والاختلاف فى عدد الرجال الذين انضموا إلى الأعرابى (أبو الأعز) الذى سيأتى بموسى بن أتامش أسيرا فنص النويرى يقول أنهم عشرين بينما يقول البلوى أنهم عشرة[٥].

بعد ذلك يحدثنا النويرى عن «عصيان العباس بن أحمد بن طولون على أبيه وما كان من أمره»[٦].

وبالمقارنة يتضح أن النويرى ينقل عن البلوى مع بعض التعديل والاختصار[٧] **والبلوي** ينقل عن **ابن الداية** دون أن يكلف نفسه مشقة الإشارة

---

(١) البلوى، سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،و ص ٩١ - ٩٢.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١١ - ١٢.

(٣) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ١٣ - ١٤.

(٤) البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ٩٤ - ٩٨، ص ١٠٣ - ١٠٦.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ح ٢٨، ص ١٣، البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ١٠٤.

(٦) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ١٤ - ١٦.

(٧) البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ح ص ٢٤٨ - ٢٦٨.

إليه[1]. وابن الداية كان «أحد خواص دولتهم» كما يقول **ابن سعيد** فى كتابه «**المغرب في حلي المغرب**»، وفى موقف يسمح له بالاطلاع على بواطن الأمور فى الدولة وهو يستقى معلوماته عن خروج العباس على أبيه أحمد بن طولون من أحمد بن أبى يعقوب وكان يتولى خراج برقة من قبل أحمد بن طولون فى الوقت الذى خرج فيه العباس، وهو شاهد عيان ثقة ومعاصر للأحداث. ومن نسيم الخادم وكان أخص الناس بأحمد بن طولون[2].

وتتوالى أخبار ابن طولون فيحدثنا **النويري** عن «ذكر خلاف لؤلؤ على أحمد» ولؤلؤ هذا غلام أحمد بن طولون «وكان فى يده حلب وحمص وقنسرين وديار مضر»، وما كان من استئمانه للموفق والدخول فى طاعته، فكتب إليه ابن طولون يتوعده وكتب ابن طولون إلى الخليفة المعتمد يطلب منه المجئ إلى مصر وذلك سنة ٢٦٨هـ/ ٨٨١ م. وتجهز أحمد إلى الشام فوصل دمشق، «وانتهى إلى أحمد عود المعتمد، وأنه ضيق عليه» فأحضر أحمد قضاة أعماله «وخلع الموفق فكلهم وافقه على ذلك إلا بكار» ثم يتحدث **النويري** عن اسقاط أحمد دعوة الموفق، وأمر بمحو اسمه عن الطرز، فأمر الموفق بلعن ابن طولون على المنابر، ثم رجع عن ذلك وكاتبه واستماله. ولما مات ابن طولون، أقام لؤلؤ فى خدمة الموفق إلى سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م فقبضه الموفق وصادره، وافتقر لؤلؤ وعاد إلى مصر فى آخر أيام هارون بن خمارويه[3].

وبالمقارنة يمكن أن نرجح أن أصل رواية **النويري** المختصرة هو **البلوي**[4] والبلوى به العديد من التفصيلات وهو يسند بعض أخباره إلى ابن

---

(١) ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، ص ١١٨ – ١٢٣.

(٢) ابن سعيد، نفس المصدر، ص ١١٨ – ١٢٣.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٦ – ١٩.

(٤) انظر تفصيل ذلك فى البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ٢٧٢ – ٢٧٣، ٢٧٦ – ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٠٦ – ٣٠٩.

الداية صاحب كتاب «سيرة أحمد بن طولون» فيقول: «حدثنا عبد الله بن الفتح عن ابن الداية، وكانت له من أبى أحمد الموفق منزلة قال ....»[1].

وأصل هذه الرواية المطولة فى **البلوي** هو **ابن الداية**، الذى يسند أخباره عما انتواه ابن طولون من الخروج بجيشه لتخليص الخليفة المعتمد من أخيه ونقل كرسى الخلافة إلى مصر إلى عمه اسحاق بن إبراهيم وأحمد بن محمد الواسطى[2].

ويتكلم النويرى بعد ذلك عن «ذكر وفاة أحمد بن طولون وشئ من أخباره وسيرته».

يقول أن وفاته كانت «فى نصف الليل من ليلة الأحد لعشر ليال خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين»[3].

ويحدثنا عن سبب وفاته ويتبع ذلك بقوله: «**هكذا ذكر ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل في سبب وفاته**»[4]. وهو ينقل أخباره هذه عن ابن الأثير باللفظ[5].

وبالمقارنة يتضح لنا أن **ابن الأثير** ينقل عن **البلوي**، والبلوى، يسند رواياته إلى رواة ابن الداية ويغفل الإشارة إليه. فهى يحدّث هنا عن: نسيم الخادم، واسحاق بن إبراهيم (عم ابن الداية)، وجريج بن الطباخ المتطبب ونعت أم أبى العشائر ابن أحمد بن طولون[6].

وبعد ذلك يورد رواية «**صاحب الدول المنقطعة**» – (ويعنى به ابن ظافر) – «فإنه قال: أنه رجع إلى مصر، واعتل بزلق المعدة. واشتدت به العلة وطالت، فعهد إلى ابنه أبى الجيش خمارويه، وأطلق ابنه العباس من قيده،

(١) البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٠٢.

(٢) انظر ابن الداية، سيرة أحمد بن طولون، فى المغرب، لابن سعيد، ص ١٢٦ – ١٢٧.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٩.

(٤) النويرى، نهاية نفس المصدر، ج٢٨، ص ٢٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٥٥ – ٥٦ سنة ٢٧٠ هـ.

(٦) قارن البلوى، ص ٣١٠ – ٣١٣، ٣١٤، ٣١٩ – ٣٢٩، ٣٤٣.

وذلك فى ذى القعدة سنة سبعين ومائتين، وخلع عليه وقلده جميع الأعمال الخارجة عن أعمال مصر من الشامات والثغور، وأوصاه بتقوى الله وطاعة أخيه»[1].

وبالمقارنة يتضح أن صاحب «**الدول المنقطعة**» ينقل بدوره عن **البلوي** بالاختصار فى مواضع وباللفظ وحرفيا فى مواضع أخرى. والبلوى يحدث عنه نسيم الخادم (راوى ابن الداية؟). من ذلك قوله: «فلما دخل ذو القعدة من سنة سبعين ومائتين دعا بابنه العباس، فأطلقه من قيده وخلع عليه، وقلده جميع الأعمال الخارجة عن أعمال مصر من الشامات والثغور. وقال له: أنا أوصيك يا بنى بتقوى الله عز وجل ومكافأة أخيك والامساك عن الاستطالة عليه»[2].

بعد ذلك يحدثنا النويرى عن سيرته وأولاده الذكور والإناث، وما خلفه من الأموال والعين والغلمان والخيل والجمال والمراكب. وما أنفقه فى بناء الميدان «وعلى مرمات الثغور وحصن يافا» وصدقاته[3].

وبالمقارنة يتضح أن النويرى ينقل عن البلوى حرفيا مع الاختصار فى بعض المواضع دون أن يشير إليه.

والتساؤل هو هل نقل النويرى عنه مباشرة أم عن طريق وسيط أغلب الظن هو ابن ظافر صاحب «**الدول المنطقعة**»؟.

والتطاول وصل بالبلوى، الذى استحل لنفسه النقل عن ابن الداية دون الاشارة إليه إلى حد قوله وهو غير معاصر لتلك الأحداث؟ قال مؤلف هذا الكتاب، مات أحمد بن طولون، وعمره ... لأنى صرت إلى نعت أم ولده يوما للسلام عليها، فأصبت بين يديها رقاعا، قد أخرجتها لشئ أطلبه فيها ...

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٠.
(٢) قارن البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٣٨ – ٣٤٢، النص، ص ٣٤٢ (س ٥ – ٨).
(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢١، ٢٢.

ويقول: «فبكيت وبكت ... وجلست عندها طويلا، فلما أردت الانصراف قالت لى: أنا آنس بمحادثتك، لعلمى بغمك على الماضى ... فأحب ألا تغبنى، فكنت أصير إليها فى كل وقت»[1] .

ثم يحدثنا النويرى عن «ولاية أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وهو الثانى من ملوك الطولونية»[2] .

ويتحدث عن أهم أحداث عصره، فيحدثنا عن «مسير اسحاق بن كنداجق ومحمد بن أبى الساج إلى الشام»[3] .

وبالمقارنة يتضح أن النويرى ينقل أخباره هذه باللفظ وحرفيا من كتاب «**الكامل في التاريخ» لابن الأثير** دون أن يشير إليه وإنما يقول فى بداية حديثه «قال المؤرخ»[4] .

ثم يتكلم عن «وقعة الطواحين» يقول: «وفى سنة إحدى وسبعين ومائتين كانت وقعة الطواحين بين أبى العباس أحمد بن الموفق، وهو المعتضد، وبين أبى الجيش خمارويه بن أحمد»[5] .

ويحدثنا عن سبب الوقعة ... ثم يقول: «قال: ورحل خمارويه ونزل على الماء الذى عليه الطواحين (عند الرملة) وملكه، فنسبت الوقعة إليه»[6] .

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل حرفيا عن ابن الأثير أيضا ويكتفى بكلمة قال[7] .

وتتوالى أحداث عصر خمارويه فيحدثنا عن «ذكر اختلاف محمد بن أبى

---

(١) البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .
(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٢ .
(٣) النويرى، نفس المصدر، ج ٢٨، ص ٢٣ - ٢٤ .
(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٥٦ (ذكر مسير اسحق بن كنداجيق بالشام) .
(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٤ .
(٦) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٢٤ .
(٧) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٥٨ (ذكر وقعة الطواحين) سنة ٢٧١هـ.

الساج واسحاق بن كنداجق والخطبة لخمارويه بالجزيرة.

وذلك فى سنة ثلاث وسبعين ومائتين[1].

وبالمقارنة يتضح لنا أن النويرى ينقل عن ابن الأثير باللفظ[2].

وفيها يذكر ثورة السودان بمصر، وحصرهم صاحب الشرطة. «فركب خمارويه بنفسه، ... وقصد دار صاحب الشرطة، فقتل من لقيه من السودان، فهزموا، وكثر القتل فيهم وسكنت مصر»[3].

وفى سنة ٢٧٤هـ/ ٨٨٧م يتحدث النويرى عن «الاختلاف بين خمارويه ومحمد بن أبى الساج والحرب بينهما».

يحدثنا عن لقاء خمارويه وابن أبى الساج عند ثنية العقاب، على مرحلة من دمشق وقتالهم فى المحرم سنة خمس وسبعين، وهزيمة ميمنة خمارويه «وأحاط عسكر خمارويه بابن أبى الساج، فانهزم واستبيح عسكره».

وما كان من تتبع خمارويه لابن أبى الساج ومسيره فى أثره، «فوصل إلى مدينة بلد، وسبقه ابن أبى الساج إلى الموصل، ثم فارقها إلى الحديثة، وأقام خمارويه ببلد، وعمل له سريرا طويل الأرجل، وكان يجلس عليه فى دجلة»[4].

وبالمقارنة يتضح لنا أن النويرى ينقل باللفظ عن ابن الأثير، ما عدا قول ابن الأثير بعد ذكره للسرير الطويل الأرجل الذى كان يجلس عليه خمارويه فى دجلة «هكذا ذكر أبو زكريا يزيد بن اياس الأزدى الموصلى صاحب تاريخ

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٦ - ٢٧.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٦١، سنة ٢٧٣هـ (ذكر الاختلاف بين أبن أبى الساج وابن كنداج والخطبة بالجزيرة لابن طولون).

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٧.

(٤) النويرى، نفس المصدر، ص ٢٧ - ٢٨.

الموصل أن خمارويه وصل إلى بلد وكان إماما فاضلا عالما بما يقول وهو يشاهد الحال»[1] .

وابن الأثير مؤرخ ثقة، وصاحب الدار أخبر بما فيه كما يقال، وأهل كل بلد أعرف بماجرياته، وهو أعلم بأحوال الموصل عن غيره من المؤرخين.

ويحدثنا النويرى عن «الدعاء لخمارويه بطرسوس» يقول: «وفى سنة سبع ومائتين (صحتها سبع وسبعين كما فى رواية ابن الأثير التى يتضح بالمقارنة أن النويرى ينقل عنه باللفظ)[2] وهو ما فات المحقق تصحيحه - دعا يا زمان بطرسوس لخمارويه»[3] .

وفى سنة ٢٧٨هـ/ ٨٩١ م يتحدث عن «الفتنة بطرسوس»[4] .

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل باللفظ والمعنى عن ابن الأثير[5] . ويختم أحداث عصر خمارويه بالكلام عن «ذكر زواج المعتضد بالله بابنة خمارويه بن أحمد بن طولون» و «حملت إليه فى سنة إحدى وثمانين ومائتين»[6] .

ثم يتكلم عن «مقتل أبى الجيش خمارويه» «فى ليلة الأحد لثلاث بقين من ذى القعدة سنة اثنين وثمانين ومائتين، وقيل فى ذى الحجة منها بدمشق»[7] . ثم يورد سبب قتله[8] .

وتاريخ مقتله فى ذى الحجة وسببه ينقله النويرى باللفظ وحرفيا عن ابن الأثير[9] .

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٦٣ سنة ٢٧٥ هـ.
(٢) ابن الأثير، نفس المصدر، ج٦، ص ٦٧ سنة ٢٧٧هـ.
(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٨.
(٤) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٢٨.
(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٧١ سنة ٢٧٨هـ (ذكر الفتنة بطرسوس).
(٦) النويرى، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٩ - ٣٠.
(٧) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٣٠.
(٨) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٣١.
(٩) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ٨٠ - ٨١ (سنة ٢٨٢هـ).

ويحدثنا عن «ولاية أبى العشائر جيش ابن أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وهو الثالث من الملوك الطولونية».

«ملك بعد وفاة أبيه فى يوم الأحد لثلاث بقين من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين»[1].

ثم يتكلم عن «ذكر عصيان دمشق على جيش وخلاف جنده وقتله» فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين[2].

وبالمقارنة يتضح لنا أنه ينقل باللفظ والمعنى عن ابن الأثير[3].

وتتوالى أخبار الدولة الطولونية فيحدثنا عن «ذكر ولاية أبى موسى هارون بن أبى الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون وهو الرابع من ملوك الدولة الطولونية» ملك بعد مقتل أخيه فى سنة ثلاث وثمانين ومائتين»[4].

ثم يحدثنا عن «انقراض الدولة الطولونية» فى يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر، سنة اثنتين وتسعين ومائتين»[5].

«وانقرضت الدولة الطولونية، وكانت مدتها من لدن ولاية أحمد بن طولون وإلى آخر أيام أبى المقانب (عم شيبان بن أحمد بن طولون) سبعا وثلاثين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام، وملك منهم خمسة نفر»[6].

ثم يحدثنا عن «ذكر أخبار من ولى مصر بعد انقراض الدولة الطولونية وإلى قيام الدولة الاخشيدية من الأعمال وملخص ما وقع فى أيامهم من الحوادث».

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٣١.

(٢) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٣٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ح٦، ص ٨٢ (سنة ٢٨٣هـ).

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٣٣.

(٥) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٣٤ وما بعدها.

(٦) النويرى،نفس المصدر، ص ٣٦.

ثم يتكلم عن خروج «إبراهيم الخليجى وماكان من أمره»[1].

وبالمقارنة نرجح أن صاحب «**نهاية الأرب**» ينقل روايته عن إبراهيم الخليجى (الخلنجى فى ابن الأثير) عن **ابن الأثير** باللفظ[2].

ويتكلم عن توليه المقتدر تكين الخاصة أمره مصر فى منتصف شهر رمضان من سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩ م. وأهم أحداث عصره[3].

ثم يحدثنا عن «استيلاء حباسة على الاسكندرية»

وما كان من قدوم مؤنس الخادم من العراق فى منتصف شهر رمضان من السنة (سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م). وصرف تكين عن ولاية مصر لأربع عشرة ليلة خلت من ذى القعدة.

وفى سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م قدم أبو الحسن ذكا الأعور أميرا على مصر.

وخرج مؤنس بجيوشه إلى العراق. وخرج ذكا إلى الاسكندرية لاصلاحها «وتتبع من كان يذكر بمكاتبة المهدى، فحبس جماعة منهم، وقطع أيدى جماعة وأرجلهم»[4].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن **الكندي**، فى كتابه «**أخبار أمراء مصر**» أو كتاب «**الولاة**»[5].

ثم يحدثنا عن «وصول أبى القاسم بن المهدى إلى الديار المصرية واستيلائه على الإسكندرية والفيوم والاشمونيين»[6].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣٧ – ٣٨.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٦، ص ١٢.
(٣) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣٨ – ٣٩.
(٤) النويرى، نفس المصدر، ص ٤٠.
(٥) الكندى، الولاة، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ (ذكا الأعور).
(٦) النويرى، نهاية الأرب، ص ٤٠.

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن الكندى[1] .

يتكلم عن تقلد هلال بن بدر أمرة مصر، ودخلها فى ٦ ربيع الآخر سنة ٣٠٩ هـ/ ٩١٢م وشغب الجند عليه فصرف فى شهر ربيع الآخر سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م[2] .

وتولى امرة مصر أحمد بن كيغلغ فقدمها فى شهر رجب ،وأقام بها إلى أن قدم رسول تكين الخاصة بولاية مصر، وذلك فى ذى القعدة من السنة[3] .

وقدم تكين من العراق لعشر مضين من المحرم سنة ٣١٢هـ، وظل إلى أن توفى فى السادس من شهر ربيع الآخر سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م. واستخلف ابنه محمد، فوقع بينه وبين محمد بن على الماذرائى صاحب خراج مصر فتنة أدت إلى خروج محمد بن تكين هاربا من مصر[4] .

،ودعى بمصر لمحمد بن طغج بن جف الاخشيدى فى يوم الجمعة لاثنتى عشر ليلة خلت من شهر رمضان سنة ٣٢١هـ. ثم دعى لأحمد بن كيغلغ فى شوال من السنة ثم رجع محمد بن تكين، ودخل دار الامارة بمصر ودعى له بالامارة لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٣٢٢هـ. وقامت بينه وبين ابن كيغلغ حرب انجلت عن انهزام ابن تكين ونفى إلى الصعيد وظل به إلى أن جاء محمد بن طغج[5] . وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن **الكندي**.

ثم يتحدث عن ،ذكر أخبار الدولة الاخشيدية وابتداء أمر من قام بها وكيف كان سبب ملكه وقيامه ومن ملك بعده إلى أن انقرضت أيامهم،[6] .

---

(١) الكندى، كتاب الولاة، ٢٧٦ – ٢٧٨ .

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨ ، ص ٤١ – ٤٢ .

(٣) النويرى، نفس المصدر، ص ٤١ – ٤٢ .

(٤) النويرى، نفس المصدر، ص ٤٢ – ٤٣ .

(٥) النويرى، نفس المصدر، ص ٤٣ .

(٦) النويرى، نفس المصدر، ص ٤٤ .

وكانت بمصر والشام وأول ملوكها أبو محمد بن طغج (الاخشيد) «وكان ابتداء ولايته مصر والدعاء له بها فى يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، ولم تثبت ولايته ... ثم ولى مصر فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة فى خلافة الراضى بالله»[1].

ويتفق النويرى مع **ابن خلكان** صاحب كتاب «**وفيات الأعيان**» الذى يقول: «... إلى أن ولاه القاهر بالله ولاية مصر فى شهر رمضان سنة إحدى وعشرين وثلثمائة. ودعى له بها مدة اثنتين وثلاثين يوما ولم يدخلها»[2].

ثم ولى مصر فى سنة ٣٢٣هـ فى خلافة الراضى بالله[3].

أما ابن خلكان فيقول «... ودخل مصر يوم الأربعاء لسبع بقين من رمضان سنة ٣٢٣هـ»[4].

يقول النويرى «وفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة نعت الخليفة الراضى بالله محمد بن طغج بالاخشيد بسؤال منه فى ذلك. ومعنى الاخشيد ملك الملوك»[5].

وتاريخ تلقبه بالاخشيد الذى يورده النويرى غير صحيح. وابن زولاق فى كتابه «سيرة محمد بن طغج» يقول: «وفى شهر رمضان من سنة سبع وعشرين ورد كتاب الراضى مع رسول .. يلقبه الاخشيد»[6].

ويتفق فى هذا التاريخ مع ابن زولاق ابن خلكان الذى يقول: «ثم أن الراضى لقبه بالاخشيد فى شهر رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وثلثمائة

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ص ٤٤.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٥، ص ٥٨، ترجمة (٦٨٩)، أبو بكر الاخشيد.
(٣) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٤٤.
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٥، ص ٥٨.
(٥) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٤٦.
(٦) انظر، ابن زولاق، سيرة محمد بن طغج، فى ابن سعيد، المغرب، ص ١٧٤.

... وتفسيره بالعربى ملك الملوك»[1].

وفى سنة ٣٣١هـ/ ٩٤٢م خرج الاخشيد (كما يقول النويرى) إلى الشام واجتمع بالخليفة المتقى بالله وسأله المسير معه إلى مصر وخوّفه من توزون التركى، فلم يقبل منه ... وولاه المتقى مصر والشام والحرمين وعقد لولديه من بعده أنوجور وعلى. على أن يكفلهما كافور الخصى[2].

ثم يحدثنا النويرى بعد ذلك عن «مسير الاخشيد إلى الشام ووفاته وشئ من أخباره وسيرته».

يقول التقى بأصحاب ابن حمدان على لد وهزمهم، ثم سار إلى حمص وقاتل سيف الدولة ثم وقع الصلح بينهما، وتسلم الاخشيد من سيف الدولة حلب وحمص وانطاكية وتوفى الاخشيد بدمشق فى يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة[3].

ويتفق النويرى فى التاريخ الذى حدده لوفاة الاخشيد مع **الكندي** صاحب كتاب «**الولاة**»[4] وابن **خلكان** صاحب «**وفيات الأعيان**»[5].

ويختم النويرى كلامه عن عصر الاخشيد برواية التنوخى التى تقول: وكان الاخشيد حازما شديدا، يتيقظ فى حروبه، حسن التدبير، مكرما للأجناد .. حسن السيرة فى رعيته، وكان جيشه يحتوى على أربعة آلاف رجل، وله ثمانية آلاف مملوك، حرسه فى كل ليلة منهم ألفا مملوك، وكان إذا سافر يتنقل فى الخيام عند النوم حتى كان ينام فى خيمة الفراشين»[6].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٥، ص ٥٨ ترجمة (٦٨٩) (أبو بكر الاخشيد).

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٤٦ – ٤٧.

(٣) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٤٨.

(٤) الكندى، كتاب الولاة، نشرة رفن جست، بيروت ١٩٠٨، ص ٢٩٣.

(٥) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٥، ص

(٦) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٤٨ – ٤٩.

وابن خلكان يورد نفس النص مع بعض الاختلاف نقلا عن **محمد بن عبد الملك الهمداني** صاحب «**عيون السير**» وفي ذلك يقول: «وكان ملكا حازما كثير التيقظ في حروبه ومصالح دولته». حسن التدبير، مكرما للجنود ...

وذكر **محمد بن عبد الملك الهمداني في تاريخه الصغير** الذى سماه «**عيون السير**» أن جيشه كان يحتوى على أربعمائة ألف رجل (أربعة آلاف في رواية التنوخي التي ينقلها النويرى؟)، وأنه كان جبانا، وكان له ثمانية آلاف مملوك يحرسه في كل ليلة ألفان منهم، ويوكل بجانب خيمته الخدم إذا سافر، ثم لايثق حتى يمضى إلى خيم الفراشين فينام فيها»[1].

ثم يتكلم عن أولاده وكتابه.

ثم يحدثنا عن «ولاية أبى القاسم أنوجور»[2].

ثم يتكلم عن «قيام أبى نصر غلبون بن سعيد المغربى وما كان من أمره»[3].

ثم يحدثنا عن «وفاة الوزير أبى بكر محمد الماذرائى وشئ من أخباره ومآثره».

وهو ينقل عن **المسبحي** في تاريخه كما ينص على ذلك[4].

ثم يتكلم عن «وفاة أبى القاسم أنوجور وولاية أخيه أبى الحسن على بن الاخشيد» ولى يوم الأحد لثمان خلون من ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وتوفى إحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين[5].

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٥،، ص ٥٩ ترجمة (٦٨٩) أبو بكر الاخشيد.
(٢) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٤٩ - ٥٠.
(٣) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٥٠ - ٥٢.
(٤) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٥٢ - ٥٣.
(٥) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٥٣ - ٥٤.

وابن خلكان فى «وفيات الأعيان» يذكر رواية تقول أنه توفى فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة، ورواية أخرى تقول: «وقيل بل توفى لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة أربع وخمسين»[1].

الرواية الأولى تتفق مع ما ورد فى النويرى.

ثم يحدثنا النويرى عن «ولاية أبى المسك كافور الخصى الاخشيدى واستقلاله بملك مصر دون شريك ولامنازع».

«كانت ولايته بعد وفاة أبى الحسن على ابن سيده لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، وقيل فى هذا التاريخ من سنة أربع وخمسين»[2].

والنويرى يتفق فى ذلك مع ابن خلكان[3].

ثم يورد النويرى رواية الفرغاني المؤرخ المعاصر للأحداث والتى يقول فيها إن كافور استدعاه واستشاره فيما يفعل فأشار عليه بتولية أحمد بن الأمير على مكان أبيه «وتدير أنت الدولة كما كنت» فاعتذر بصغر سنه فقال له «قد عقد لأبيه ولم يبلغ سنة وأجاز ذلك ثلاثة أئمة» ولكنه لم يأخذ بنصيحته وقال: «أبو محمد لايشك فى ولائه لكنه يميل إلى الفرغانية»[4]. واستقل بالأمر وأقام كذلك إلى أن توفى فى يوم الثلاثاء لعشرين بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة[5].

ويورد النويرى أيضا رواية الحسن بن زولاق المؤرخ المصرى وفيها يقول: «كان الشريف عبد الله بن أحمد الحسينى وهو ابن طباطبا، يرسل إلى كافور فى كل يوم جامين حلوى ورغيفا فى منديل مختوم...»[6].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٤، ص ٩٩ ترجمة (٥٤٥) كافور الاخشيد.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٥٤.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٤، ص ١٠٠ ترجمة (٥٤٥) كافور الاخشيد.

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٥٤ – ٥٥.

(٥) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٥٥.

(٦) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٥٧ – ٥٨.

ويروى النويرى أن كافور كان معه فى موكبه يسايره الشريف أبو جعفر نقيب الطالبيين، فوقعت مقرعته فناوله الشريف إياها «فتأوه» كافور، فلما وصل داره أرسل إلى الشريف جميع ما كان يملكه فى موكبه. ثم يتبع ذلك بقوله «**قال التنوخي في نشوار المحاضرة**: وكان قيمة ما سيره إليه خمسة عشر ألف دينار»[1].

يقول النويرى «ولما مات كافور قام بالأمر بعده أبو الفوارس أحمد بن على بن الاخشيد .. كانت ولايته بعد ... كافور لعشر بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وثلاثمائة»[2].

واشترك معه ابن عم أبيه الحسن بن عبد الله بن طغج.

ويحدثنا عن الغلاء الشديد الذى حل بمصر «وكثر الوباء» «ثم تواترت الأخبار فى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة أن المعز صاحب افريقية قد جهز عساكره مع غلامه جوهر إلى مصر. ووصل الخبر بوصول جوهر إلى برقة واجتمع الرأى على بعث «الشريف أبا جعفر مسلما الحسنى وأبا اسماعيل بن أحمد الزينى وأبا الطيب العباسى بن أحمد العباسى والقاضى أبا طاهر .. لتقرير الصلح بينهم وبين جوهر على تسليم البلاد له، ثم نكثهم الصلح وتجهزوا للحرب والقتال الذى دار بينهم وبين جوهر» وانهزم الاخشيديون، ودخل جوهر مصر بعد العصر من يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شعبان، وانهزم الحسن بن عبيد الله على الرملة من جعفر بن فلاح المعزى فى شهر رجب سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .. «وملك جعفر الشام أجمع»[3].

وانقرضت الدولة الاخشيدية.

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٥٨.

(٢) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٥٩.

(٣) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٥٩ – ٦٢.

وبالمقارنة يتضح أن أصل رواية مؤرخنا المختصرة هذه هو **ابن زولاق** صاحب كتاب « **اتمام أخبار أمراء مصر للكندي** »[1] ، وهو ثقة ومعاصر للأحداث وشاهد عيان لها.

وسوف يتكلم النويرى عن هذه الأحداث بتفصيل فيما بعد، عند كلامه عن الدولة العبيدية أو الدولة الفاطمية.

بعد ذلك يحدثنا النويرى عن « **أخبار الدولة العبيدية التي انتسب ملوكها إلي الشرف وألحقوا نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما** » فيقول: «هذه الدولة من الدول التى امتدت أيامها واتسعت ممالكها ..

وكان ابتداء ظهور هذه الدولة ببلاد المغرب وإنما أوردناها فى أخبار ملوك الديار المصرية، وألحقنا ملوكها بملوك هذا الوادى لأن الديار المصرية قاعدة ملكهم وبها قام أكثر ملوكهم.

ثم يتبع ذلك بقوله: ولنبدأ بذكر أخبار ملوك هذه الدولة وابتداء أمرهم وما قيل فى نسبهم وإلى من ينتسبون، وكيف تنقلت بهم الحال إلى أن ملكوا البلاد، واستولوا على الأقاليم»[2] .

ويقول: «لابد لنا أن نبتدئ بذكر أخبارهم، وما فتحوه واستولوا عليه قبل ظهور المهدى الذى هو أول ملوك هذه الدولة، ثم نذكر عاقبة أمر من قرر لهم الملك معهم، ونذكر من ملك من ملوك هذه الدولة واحدا بعد واحد إلى أن انقرضت دولتهم وبادت أيامهم»[3] .

ثم يتكلم عن أول من ملك منهم وهو عبيد الله المنعوت بالمهدى ونسبه. فيقول: «وقال القاضى أبو بكر بن الطيب فى كتابه المسمى **بكشف الأسرار وهتك الأستار**: إن سعيداً (يعنى عبيد الله) هذا كان رباه عمه محمد بن

---

(١) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ١٠٢ - ١٠٩.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٦٣.

(٣) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٦٤.

أحمد المكنى بأبى الشلغلغ وكانوا دعاة لمحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، يأكلون البلاد باسمه ويدّعون أنه حى يرزق إلى زمانهم، وفيه عمل المنجم قصيدته التى يقول فيها:

فإنك فى دعواك أنك منهـــم   كمن يدعى أن النحاس من الذهب

متى كان مولى الباهليين ملحقا   بآل رسول الله يوما إذا انتسب[1]

وبالمقارنة يتضح لنا أن النويرى ينقل روايته هذه عن **ابن ظافر** صاحب كتاب «**الدول المنقطعة**» باسنادها إلى القاضى **الباقلاني** (أبو بكر محمد بن الطيب) ولكنه يغفل ذكره ويذكر مصدره. ورواية ابن ظافر تقول: «... وقد ذكر ... القاضى أمام الأمة وحبر الأئمة (أبو بكر بن الطيب) فى كتابه المسمى **بكشف الأسرار وهتك الأستار**.

وكان سعيد قد رباه عمه محمد بن أحمد المكنى بأبى الشلعلع .. وأنهم – (يعنى أحمد أو سعيد المنعوت بالمهدى) – كانوا دعاة لمحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق يأكلون الناس باسمه ويذكرون أنه حى يرزق إلى زمانهم ... فمن قصيدة ابن المنجم المقدمة الذكر جوابا عنها يخاطب سعيدا.

وأورد ابن ظافر أبيات القصيدة على الوجه التالى:

ألست قريبا كنت تدعو إلى امرئ   سواك إمام كان عندك مرتقب

فصرت الذى قد كنت تزعم أنه   إمامك يا مخذول ذا أعجب العجب

متى صار مولى الباهليين ملحقا   بآل رسول الله يوما إذا انتسب

فإنك فى دعواك إنك منهم   كمن يدعى أنالنحاس من الذهب[2]

وابن ظافر وزير الأشرف موسى الأيوبى، عباسى الهوى، ومن مؤرخى السنة الذين يطعنون فى نسب الفواطم.

أما القاضى محمد بن الطيب الأشعرى المعروف بابن الباقلانى (مات

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٦٤ – ٦٥.
(٢) انظر، ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٢ – ٣.

سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) فكان يعيش فى بغداد فى كنف الخلفاء العباسيين، ونال حظوة لدى الخليفة القادر، كما نستبين من رواية ابن الأثير التى تقول أن الخليفة القادر لما بلغته الأبيات التى قالها الشريف الرضى، أحضره وأرسله إلى الشريف أبى أحمد الموسوى والد الشريف الرضى، يعرفه منزلته من الدولة (وهو ناظرا فى النقابة والحج) فياليت شعرى على أى مقام ذل أقام، وطلب منه أن يثنى ابنه عن موقفه وأن يكتب خطه ويذكر أن نسب المصرى مدخل وأنه مدع فى نسبه فيرفض[1].

وكانت له مكانته لدى عضد الدولة بن بويه، الذى أرسله فى سنة ٣٧١هـ/ ٩٨١م ،إلى ملك الروم فى جواب رسالة، حسبما تقول رواية ابن الأثير[2].

ومن الطبيعى أن يعتنق الباقلانى وجهة النظر العباسية، وينكر ويقدح فى نسب الفواطم الأعداء التقليديين للعباسيين.

أما عضد الدولة بن بويه الديلمى فموقفه من الفواطم معروف.

ورواية ابن ظافر صاحب «**الدولة المنقطعة**» تقول أنه لما ملك العراق وجميع الديار إلى حمص أنفذ رسولا إلى العزيز يسأله عن نسبه ويتهدده بالمسير إليه، ولم يتمكن من ذلك لاشتغاله بأمر أخيه فخر الدولة ومسيره إليه[3].

ثم يتكلم النويرى عن المحضر الذى كتب ببغداد يتضمن القدح فى نسب خلفاء مصر، «بأمر القادر بالله العباسى». ويؤرخ لذلك فى سنة اثنين وثمانين وثلاثمائة[4] والصحيح أن هذا المحضر كتب ببغداد سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م كما تقول رواية ابن الأثير[5].

(١) ابن الأثير، الكامل، ح٦، ص ١٢٤ – ١٢٥.

(٢) ابن الأثير، نفس المصدر، ح٧، ص ١١٠ – ١١١.

(٣) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٣٤ – ٣٥.

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٦٢ – ٦٦.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ح٧، ص ٢٦٣، حوادث سنة ٤٠٢هـ، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح١، ص ٤٣ – ٤٤ وهو يورد نص المحضر.

بعد ذلك يحدثنا النويرى عن «ذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم».

وهو ينقل كما ينص على ذلك من كتاب «**الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان**» **لعبد العزيز بن شداد** بن الأمير تميم بن المعز بن باديس (الزيرى الصنهاجى)[1] . وعن **الشريف أبي الحسين محمد بن علي الحسين المعروف بأخي محسن**[2] .

والشريف محمد بن الحسين المعروف بأخى محسن، وكذلك ابن شداد الصنهاجى، من غلاة الطاعنين فى نسب الخلفاء الفاطميين، وينفونهم عن الانتساب إلى الحسين بن على رضى الله عنهما.

وبعد ذلك يذكر النويرى «أخبار أبى عبد الله الشيعى داعى المغرب وما كان من أمره وكيف ظهر وما فتحه من بلاد المغرب».

وهو ينقل أخباره عن الداعى الشيعى من كتاب «**تاريخ افريقية**» **لأبي اسحاق ابراهيم بن القاسم الكاتب المعروف بابن الرقيق**[3] . تقول الرواية «كان أبو عبد الله الشيعى من أهل الكوفة، وقيل من أهل صنعاء، واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا .. فأرسله (أى الإمام) إلى أبى القاسم الحسن بن حوشب الكوفى النجار، وهو المعروف بالصناديقى، داعيتهم باليمن وكتب إليه أن ينصره ويرشده، وقال لأبى عبد الله: امتثل مسيرته، وانظر إلى مخارج أفعاله فاعمل بها، ثم اذهب إلى المغرب. فخرج حتى انتهى إلى أبى القاسم، فانزله وأكرمه، وأقام عنده من وقت إنصراف الحاج من مكة إلى اليمن إلى وقت خروجهم فى العام المقبل. فخرج أبو عبد الله مع الحاج إلى مكة»[4] .

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ٦٦ – ٦٩، ص ٧٠ – ٧٢، ص ٧٣ – ٧٦.

(٢) النويرى، نفس المصدر، جـ٢٨، ص ٧٠، ص ٧٢ – ٧٣.

(٣) النويرى، نفس المصدر، جـ٢٨، ص ٧٧.

(٤) النويرى، نفس المصدر، جـ٢٨، ص ٧٧ – ٧٨.

وبالمقارنة يتضح لنا أن **الرقيق القيرواني** ينقل عن القاضى النعمان فى كتابه «ابتداء الدعوة للعبيديين»[1] الذى نشر بعنوان «**رسالة افتتاح الدعوة**» يقول القاضى النعمان، تحت عنوان «ذكر وصول أبى عبد الله داعى المغرب إلى صاحب دعوة اليمن وخروجه من عنده».

كان أبو عبد الله هذا من الكوفة واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ... فلما تمكنت الدعوة باليمن وظهر أمرها أرسل الإمام أبا عبد الله إلى أبى القاسم داعى اليمن فكتب إليه فى أن يبصره (ينصره فى النويرى والأصح يبصره) ويرشده ... وقيل لأبى عبد الله امتثل مسيرته وانظر إلى مخارج أعماله ومجارى أفعاله فاحتذها وامتثلها واعمل عليها ثم اذهب إلى حيث شئت فادع، وقيل بل حد له المغرب وأرسل إلى بلد كتامة وهذا أثبت الأمرين.

فانتهى أبو عبد الله إلى أبى القاسم صاحب دعوة اليمن، فانزله عنده وقرب مجلسه ... وأقام عنده من وقت انصراف الحاج من مكة إلى اليمن إلى وقت خروجهم إلى الحج فى العام المقبل ... فلما حضر وقت خروج أهل اليمن إلى مكة للحج خرج أبو عبد الله معهم إلى مكة ...»[2].

أما ما يقال بأنه صنعانى فنص «**افتتاح الدعوة**» يقول: «ولما قدم أبو عبد الله من اليمن قبل افريقية أظهر أمره بكتامه أنه صنعانى، وكان يدعى عليه على منابر بنى الأغلب بذلك»[3].

وتستمر رواية النويرى الذى ينقل عن الرقيق فيقول: «فلما قضى الناس حجهم واستقروا بمنى جعل الشيعى يمشى بمنى وينظر إلى الناس، فمر بجماعة من كتامة وهم فى رحالهم، وكانوا من الشيعة الذين تشيعوا بسبب

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص ٤١٥ – ٤١٦ ترجمة (٧٦٦) القاضى النعمان.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٥٩ – ٦٠.

(٣) القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٦١.

الحلواني وفيهم حريث الجيملي وموسى بن وجاد فسمعهما الشيعي يذكران لأصحابهما فضائل على بن أبي طالب رضى الله عنه[1] ، فجلس إليهما وذكر من ذلك شيئا، وأقبل على القوم وحدثهم طويلا، ثم نهض ليقوم فقاموا معه، ومشوا بمشيه، وعرفوا مكانه ثم أتوا من الغد فاوسع لهم في الحديث، فزادهم ذلك فيه رغبة، وعليه اقبالا»[2] .

وبالمقارنة يتضح أن أصل رواية الرقيق الذي ينقله النويري هو القاضى النعمان الذي يقول: تحت عنوان «ذكر اجتماع أبي عبد الله مع الرجال الكتاميين بمكة ووصوله معهم إلى بلد كتامة».

ووصل عبد الله مع جملة الحجيج من أهل اليمن إلى مكة فلما قضى الناس حجهم واستقروا بمنى جعل أبو عبد الله يمشى بمنى، فمر على جماعة من رجال كتامة ممن حج تلك السنة، وهم في رحالهم، وفيهم من الشيعة الذين كانوا تشيعوا بأسباب الحلواني رجلان: حريث الجيملي وموسى بن مكارمة (وجاد في النويري) فسمعهما أبو عبد الله يذكران لأصحابهما فضائل على عليه السلام، فجلس إليهما يذكر شيئا من ذلك معهما، فاقبل عليه جميعهم، وحدثهم طويلا ثم نهض ليقوم فقاموا معه ومشوا بمشيه وقالوا: نحب أن نعرف مكان رحلك فجاء بهم إليه، فلما كان من غد أتوه فحدثهم وأوسع في الحديث، وازدادوا فيه رغبة وعليه اقبالا»[3] .

ثم يتبع النويري (الذي ينقل الرقيق) ذلك بقوله: «ثم سار القوم فدخلوا حد

---

(١) قوله على بن أبي طالب رضى الله عنه، تدل على أنه ينقل عن مؤرخ سنى وليس من شيعة الدولة. أما مؤرخ وفقيه العبيديين القاضى النعمان فيقول: «فسمعهما أبو عبد الله يذكران لأصحابهما فضائل على عليه السلام». مما يدحض ما يقوله المحقق في المقدمة، ص٧، هـ٣، ص من أن النويري يعتمد ابتداء من هذا الجزء من الكتاب على كتاب «افتتاح الدعوة» للقاضى النعمان متجاهلا أن النويري نص على أنه ينقل عن الرقيق؟.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٧٨.

(٣) القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٦٢ - ٦٣.

كتامة يوم الخميس النصف من شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين، ومعهم أبو عبد الله الأندلسى وأبو القاسم الورفجومى فأراد كل واحد من الكتاميين نزول الشيعى عنده، وتنازعوا فى ذلك حتى حيّروه فى النزول، فقال أى موضع عندكم فج الأخيار؟ فقالوا: عند بنى سكتان فقال: فاياه نقصد، ثم نأتى كل قوم منكم فى موضعهم ونزورهم فى بيوتهم، ولانجعل لأحد منكم حظا من نفسى دون أحد إن شاء الله تعالى، فأرضاهم كلهم بذلك، وسار كل قوم إلى جهتهم وسار الشيعى مع موسى بن حريث وأبى القاسم الورفجومى وأبى عبد الله الأندلسى إلى ايجان موضع موسى من بنى سكتان. قال ولما نزل عبد الله بايكجان ومضى كل معه من الحجيج إلى مرافقهم أخبروا من قدموا عليه من أصحابهم بخبره، ووصفوه لهم مع الناس، فتسامع الناس به، وأقبلوا إليه من كل ناحية، فكان يجلس لهم ويحدثهم (بظاهر) فضائل على رضى الله عنه»[1].

وبالمقارنة نرجح أن الرقيق (الذى ينقله النويرى) ينقل عن القاضى النعمان فالقاضى النعمان يقول عند كلامه عن: (ذكر وصول أبى عبد الله إلى بلد كتامه وابتداء أمره فيه) «وسار القوم فدخلوا حد بلد كتامة يوم الخميس للنصف من شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين ومعهم أبو عبد الله الأندلسى وأبو القاسم الورفجومى، فتنازع أبا عبد الله كل واحد من الكتاميين ليذهب به إلى موضعه رغبة فيه ... ثم آل أمره إلى أن يخيروه فى حيث يحب أن يقصد منهم وتراضوا فى ذلك فقال فى أى موضع عندكم فج الأخيار، ... قالوا: هو عند بنى سكتان .. قال فإليه نقصد ثم نأتى كل قوم منكم إن شاء الله فى مواضعهم ونزورهم فى بيوتهم ولانجعل لأحد منكم من نفسى حظا دون أحد، فأرضاهم ذلك وسار كل قوم منهم إلى جهتهم، وسار أبو عبد الله مع حريث وموسى وأبى القاسم الورفجومى وأبى عبد الله الأندلسى إلى ايكجان موضع موسى وحريث من بنى سكتان.

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٧٩ – ٨٠.

... ونزل أبو عبد الله بايكجان فأقام به، وصدر عنه كل من كان معه من الحجيج من كتامة إلى مواضعهم، فأخبروا من قدموا عليه من أصحابهم بأخباره ...، فأقبل الناس إليه من كل ناحية وتسامعوا به، وكان يجلس لهم ويحدثهم بظاهر فضائل على بن أبى طالب صلوات الله عليه[1].

ويواصل النويرى الذى ينقل الرقيق روايته عن أبى عبد الله الداعى الشيعى وما كان من اتصال أخباره بإبراهيم بن أحمد صاحب افريقية فكتب يسأل عنه صاحب ميلة فضعف له أمره[2].

وينفرد النويرى - الذى ينقل عن الرقيق - بايراد نص رسالة أمير افريقية إلى الداعى الشيعى ورد الداعى عليها[3].

وحدثت فتنة بين المغاربة بسبب الداعى خاصة وأنهم «لم يروا فى إبراهيم بن أحمد نهضة فى أمر، فتعاقد صاحب ميلة وسطيف وبلزمه وعملوا على اخراجه عن بنى سكتان[4].

ثم يتكلم النويرى عن «انتقال أبى عبد الله الشيعى عن بنى سكتان إلى بنى عصمة بتازرارت»[5]، (تازروت فى القاضى النعمان)[6].

ثم تتوالى أخبار الداعى الشيعى لدى النويرى فيحدثنا نقلا عن ابن الرقيق - كما ينص على ذلك عن «تغلب أبى عبد الله الشيعى علــى مدينة ميلة»[7].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٧١ - ٧٢، ص ٧٣.

(٢) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٨٠.

(٣) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٨٠ - ٨١.

(٤) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٨٢ - ٨٣.

(٥) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٨٥ - ٩١.

(٦) القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضى، طبع بيروت سنة ١٩٧٠، ص ٩٩ (ذكر خروج أبى عبد الله من ايكجان ومسيره إلى تازروت).

(٧) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٩١.

وعن «الحرب بين أبى عبد الله الشيعى وبين أبى حوال محمد بن أبى العباس».

يقول النويرى «قال (يعنى الرقيق)[1] ... وقصد إلى سطيف، فلم يصل إليها حتى زاد فى عسكره مثله. وتلقاهم بنو عسلوجة أصحاب سطيف، وبنو تميم أصحاب بلزمه، ومن حولهم ممن لم يدخل فى طاعة الشيعى، فقتل من وجوههم قتلا ذريعا، وانتهب أموالهم، وسبى نساءهم وذراريهم، وقصد الشيعى بتازرارت، واتصل به الخبر، فبرز إليه بمن معه، والتقوا ببلد بلزمة»[2].

وبالرجوع إلى أصل رواية الرقيق وهو القاضى النعمان فى كتابه «رسالة افتتاح الدعوة» نجده يقول عند كلامه عن «ذكر خروج أبى حوال بالعساكر إلى كتامة وما كان من أمره فى ذلك وانصرافه منه» ... وصار إلى سطيف فلم يصل إليها حتى زاد فى عسكره مثله، وتلقاه بنو عسلوجة أصحاب سطيف وبنو تميم أصحاب بلزمة فى من معهم ومن حولهم ممن لم يدخل مع أبى عبد الله فصاروا فى عساكر عظيمة، ومال بهم على من قد دخل فى حزب أبى عبد الله من كتامه أهل مجرس فقتلهم قتلا ذريعا وانتهب أموالهم وسبى نساءهم وذراريهم ثم قصد أبى عبدالله إلى تازروت»[3].

ومن وقوله: «ومال بهم على من قد دخل فى حزب أبى عبد الله من كتامه أهل مجرس» هذه الجمل ناقصة فى نص النويرى، ومعنى النص فى النويرى أن القتل كان فيمن لم يدخل فى دعوة الشيعى؟؟ وقد فات المحقق الذى يصر على نقل النويرى عن القاضى النعمان مباشرة تصحيح ذلك؟ فهل هذه الجمل لاتوجد فى كتاب «افتتاح الدعوة» فى النشرة التى رجع إليها وهى من تحقيق فرحات الدشراوى؟؟.

(١) يقول المحقق هـ١، ص ٩٢ (مازال النويرى يأخذ عن القاضى النعمان فى كتاب افتتاح الدعوة؟.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٩٢.

(٣) انظر، القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ١٣٧.

بعد ذلك يحدثنا النويرى عن «تغلب أبى عبد الله الشيعى على مدينة سطيف»[1].

و «خروج إبراهيم بن حنبش (حبشى فى القاضى النعمان)[2] – إلى بلد كتامه»[3].

ثم يحدثنا النويرى (**الذي لازال ينقل عن إبراهيم الرقيق**) عن «هرب زيادة الله آخر أمراء الأغالبة فى افريقية) – إلى المشرق»[4]. وعن رجوع «أبى عبد الله الشيعى إلى افريقية»[5].

وبعد ذلك يذكر النويرى: «خروج أبى عبد الله الشيعى إلى سجلماسة»[6]. ثم يتبع ذلك بقوله: «فهذه أسباب ظهور هذه الدولة وقيامها وخبر شيعتها. فلنذكر أخبار المهدى وما كان من أمره، وخروجه من بلاد الشام، وما اتفق له فى مسيره إلى أن تسلم الملك من أبى عبيد الله الشيعى، بعد أن مهد له القواعد وفتح البلاد ...»[7].

وهو ينقل أخباره عن الرقيق كما ينص على ذلك بقوله «**هذا ما حكاه إبراهيم بن الرقيق في تاريخه**»[8].

ثم يقول: «وقال غيره أن اليسع بن مدرار لما أراد الخروج من سجلماسة أحضر الشخص الذى اعتقله وقتله قبل هروبه، وأن الشيعى لما دخل وعلم بقتل عبيد الله خاف من كتامة لأنه كان يعدهم بخروج المهدى ... فاخرج

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٩٣ – ٩٤.

(٢) القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ١٥٦ (ذكر اخراج زيادة الله إبراهيم بن حبشى لحرب أبى عبد الله إلى بلد كتامه وانهزامه).

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٩٤ – ٩٦.

(٤) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٩٦.

(٥) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٩٧ – ٩٨.

(٦) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٩٨.

(٧) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٩٩ – ١٠٠.

(٨) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١٠٤.

لهم رجلا يهوديا كان يخدم الشخص المقتول، وقال هذا إمامكم وإمام الاسماعيلية»[1].

ويعلق النويرى – الذى يؤرخ للدولة العبيدية أو الفاطمية فى سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثالثة قبل سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م، وفى وجود الخلافة العباسية السنية بالقاهرة – على ذلك بقوله «وهذا فيه بعد، وأراه من التغالى فى نفيهم عن النسب، **والذي حكاه ابن الرقيق أشبه فلنرجع إلي ماحكاه إبراهيم بن الرقيق**»[2].

وبالمقارنة يتضح أن أصل هذه الرواية هو **ابن ظافر** صاحب «**أخبار الدول المنقطعة**» الذى يقول: «... فلما استقام أمر الشيعى برقادة والقيروان سار فى خلق من كتامة إلى سجلماسة فى شهر رمضان سنة ست وتسعين (ومائتين) ولقيه اليسع ابن مدرار فانهزم ... ويقال إنه (يعنى اليسع) قتل الشخص المحبوس عنده وأن الشيعى لما دخل وعلم خبر مقتله تخوف من كتامة لأنه كان يعدهم بخروج المهدى على زعمه وملكه الأرض، وخشى أن يفتضح فيهلك ويزول ما حصل فى يده .. فاخرج لهم رجلا يهوديا كان يخدم الشخص المقتول وقال لهم: هذا إمامكم وإمام الاسماعيلية ..»[3].

ثم يحدثنا النويرى عن «أخبار أبى عبيد الله الشيعى وأخيه أبى العباس وما كان من أمرهما بعد قيام عبيد الله المهدى إلى أن قتلهما»[4].

والنويرى لازال ينقل عن **إبراهيم الرقيق** (يكنى عنه بكلمة قال)، الذى ينقل بدوره عن **القاضي النعمان** من كتابه «**رسالة افتتاح الدعوة**» باللفظ وحرفيا فى مواضع وبالاختصار فى مواضع[5].

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٠٤.
(٢) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١٠٤.
(٣) ابن ظافر، أخبار الدولة المنقطعة، ص ٧ – ٨.
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٠٦ – ١١٠.
(٥) انظر، القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢٥٩ – ٢٦٩. (ذكر أخبار المنافقين على المهدى عليه السلام وما آلت أمورهم إليه).

ثم يتكلم النويرى عن «أخبار من خالف على عبيد الله وما كان من أمرهم» ويقصد بهم منافقى كتامة وأهل طرابلس[1].

والنويرى ينقل أخباره عن **الرقيق** الذى ينقل بدوره عن **القاضي النعمان**[2].

ثم يتابع النويرى حديثه عن عصر المهدى فيتكلم عن «بناء مدينة المهدية»، و «خروج أبى القاسم إلى بلاده المغرب وبنائه مدينة المسيلة»، ثم يذكر «وفاة عبيد الله المهدى وشئ من أخباره»[3].

وهو ينقل أخباره تلك عن **الرقيق** وإن لم يصرح بذكر اسمه بل يقول: «قال»، وأصل الرواية كما نرجح هو **القاضي النعمان** صاحب كتاب «**رسالة افتتاح الدعوة**»[4].

ثم تتوالى أخبار الخلفاء الفاطميين فى المغرب، فيتكلم النويرى عن خلافة القائم، وابنه المنصور[5].

والنويرى فى خلافة القائم يقول: «قال»[6] ويعنى الرقيق، وأصل الرواية **القاضي النعمان** فى كتابه «**رسالة افتتاح الدعوة**»[7].

وينص عليه صراحة عند كلامه عن المنصور بقوله: «قال **أبو الرقيق**»

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١١٠ - ١١١.
(٢) القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢٦٩ - ٢٧٢. (ذكر أخبار المنافقين على المهدى عليه السلام وما آلت أمورهم إليه).
(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١١١ - ١١٥.
(٤) انظر، القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢٧٣ - ٢٧٦. (ذكر جمل من أخبار المهدى عليه الصلاة والسلام إلى أن أكرمه الله عز وجل بقبضه إليه).
(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١١٥ - ١١٩.
(٦) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١١٥.
(٧) وقارن القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢٧٧ - ٢٨٠ (ذكر جمل من القول بعد المهدى عليه الصلاة والسلام إلى حين الوقت الذى ألف هذا الكتاب فيه)، وانظر، ص ٢٨٢ حيث يقول: «وكان بسطى إياه فى المحرم سنة ست وأربعين وثلاثمائة».

(صحتها ابن)[1] ، وفى موضع آخر يقول: «قال ابن الرقيق»[2] .

ثم يحدثنا عن «المعز لدين الله» ، «وهو الرابع من ملوك الدولة العبيدية . وأول من ملك مصر والشام منهم»[3] .

يقول النويرى: «وفى سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة بعث المعز لدين الله عماله من برقة إلى سجلماسة ، إلى جزيرة صقلية ، وأمرهم أن يكتبوا جميع الأطفال الذين فى أعمالهم من الخاصة والعامة ليختنوا مع أولاده ، فبلغوا عدة لاتحصى . فلما كان فى أول يوم من شهر ربيع الأول من هذه السنة ابتدأ بطهور أولاده وأهل بيته وأولاد خاصته من الكتاب ورجال الدولة وغيرهم ، وأعطاهم الصلات والكساوى»[4] .

هذه الرواية المختصرة بالمقارنة يتضح أنها ترجع فى أصلها إلى **القاضي النعمان** فى كتابه «**المجالس والمسايرات**» الذى ألفه للخليفة المعز .

ورواية **القاضي النعمان** تحوى العديد من التفصيلات عن هذه الحادثة . فهو شاهد عيان ومعاصر وملازم للإمام المعز يتضح ذلك من قوله : «فكان الذى رأيناه حمل إلى صقلية من المال خمسين حملا سوى الخلع ومثل ذلك ونحوه إلى كل عامل ليفرقه على أهل عمله»[5] .

وفى موضع آخر يقول: «وكنت ممن تعاظم ذلك وتداخله الاشفاق منه ، وعرّضت يوما بذكر ذلك ، فقال لى: يانعمان ، طب نفسا ، فقد عزلنا لهذا ما لانرى أنا نأتى على نفقته فيه بأسره ... وكثير ممن تقدمنا من ملوك الدنيا أنفق مثل هذا وأضعافه فى معاصى الله ... وهذا شئ أردنا به وجه الله ..

---

(١) النويرى ، نهاية الأرب ، ح٢٨ ، ص ٢١٨ .

(٢) النويرى ، نفس المصدر ، ح٢٨ ، ص ١١٩ .

(٣) النويرى ، نفس المصدر ، ح٢٨ ، ص ١١٩ .

(٤) النويرى ، نفس المصدر ، ح٢٨ ، ص ١٢١ .

(٥) انظر ، القاضى النعمان ، كتاب المجالس والمسايرات ، تحقيق الحبيب الفقيى ، إبراهيم شبوح ، محمد اليعلاوى ، طبع تونس ١٩٧٨ ، ص ٥٥٦ .

بإقامة فرضه وإحياء سنة جدنا رسوله (ﷺ) وملة خليله إبراهيم (ﷺ)، وما أردنا بذلك إلا الله .. والقربة بذلك إليه، وما من هؤلاء من يريد بذلك التحبب إليه ولا التزين بذلك عنده»[1].

والتساؤل هو هل نقل النويرى عنه مباشرة أم عن طريق وسيط. أغلب الظن أنه نقله عن طريق **الرقيق** صاحب «**تاريخ افريقية والمغرب**».

وبعد ذلك يورد النويرى (وفى سنة خمس وثلاثمائة صحتها «خمس وخمسين» (وهو ما لم يلتفت إليه المحقق رغم أنه قبل ذلك يتكلم عن حادثة فى سنة ٣٥١هـ) –، أمر المعز لدين الله بحفر الآبار فى طريق مصر ... وفى يوم الجمعة لليلة بقيت من جمادى الآخرة، سنة سبع وخمسين، وردت النجب من مصر بوفاة كافور الاخشيدى (لأن الرواية هنا لمؤرخ مغربى)[2].

بعد ذلك يذكر النويرى «خبر ارسال القائد جوهر الكاتب بالعساكر إلى الديار المصرية»[3].

ثم يتكلم عن «خبر وصول جوهر القائد بالعساكر إلى الديار المصرية وما كان بينه وبين الاخشيدية والكافورية من المراسلة فى طلب الأمان وتقريره الصلح وقتاله إياهم إلى أن ملك الديار المصرية واختط القاهرة»[4].

يقول: «**قال ابن جلب راغب في تاريخ مصر**: وفى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وردت الأخبار إلى مصر بقدوم القائد جوهر، فاضطرب المصريون لذلك ...»[5].

وبالمقارنة يتضح أن أصل رواية **ابن جلب راغب** أو ابن ميسر **هو ابن**

---

(١) القاضى النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٥٥٧ – ٥٥٨.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٢١، وانظر المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٩٦ يقول «فى يوم الجمعة لثلاث بقين من جمادى الأولى».

(٣) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١٢٢.

(٤) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١٢٢.

(٥) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١٢٣.

زولاق صاحب كتاب «اتمام أخبار أمراء مصر للكندي»، وهو مؤرخ ثقة ومعاصر للأحداث وشاهد عيان لها[1].

ثم يورد النويرى نقلا عن ابن ميسر نص خطاب جوهر إلى أهل مصر يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من جوهر الكاتب، عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله صلوات الله عليه، لجماعة أهل مصر من الساكنين بها وبغيرها...»[2].

والنص فى كتاب «اتعاظ الحنفا» للمقريزى نقلا عن ابن زولاق فى كتاب «اتمام أخبار أمراء مصر للكندي» يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من جوهر الكاتب – عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله – صلوات الله عليه – لجماعة أهل مصر الساكنين بها، من أهلها ومن غيرهم (والمعنى هنا أدق) وبعد أن أورد النويرى فقرات من الكتاب قال: «وأطال جوهر فى كتابه وحضهم على الطاعة، وأشهد عليه الشهود فيه، وخلع على الجماعة وحملهم»[3].

التساؤل هل نص كتاب الأمان بأكمله كان موجوداً فى كتاب ابن ميسر وأن النويرى اكتفى بإيراد هذا الجزء منه ولخص الباقى بقوله هذا؟ أم أن هذا هو قول ابن ميسر؟

هذا ويقول النويرى نقلا عن ابن ميسر «... ويعمل الشريف أيده الله، على لقائى فى يوم الأحد لأربع عشرة ليلة تخلو من شعبان بجماعة الأشراف والعلماء والثناء، وأهل البلدان إن شاء الله تعالى»[4].

وأصل رواية ابن ميسر هذه هو ابن زولاق الذى ينقله المقريزى فى «اتعاظ

---

(١) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ١٠٢ – ١٠٩.
(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٢٣ – ١٢٦.
(٣) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١٢٦.
(٤) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١٢٩.

الحنفا» فيقول: «... ويعمل الشريف – أيده الله تعالى – على لقائى فى يوم الثلاثاء لسبع عشرة تخلو من شعبان»[1].

وبعدها يقول النويرى «وأصبح المصريون حضروا إليه للهناء، فوجدوه قد حفر أساس القصر فى تلك الليلة قال (يعنى ابن ميسر) ولم يكن فى المكان عمارة البته إلا بستان كافور..

قال صاحب كتاب **خطط مصر**: لما دخل جوهر القائد واختط القاهرة قرر كل جانب منها على أمير من أمراء عسكره وأرصده لبناء تلك الحارة حسبما أمره المعز لدين الله فسميت كل حارة باسم مقدمها أو الطائفة التى نزلت بها»[2].

ويعرف المحقق بصاحب كتاب خطط مصر فيقول (هامش ٢، ص١٣٠) هو أحمد بن على بن عبد القادر، تقى الدين المقريزى، المتوفى سنة ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م، وصاحب كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار».

أقول كيف يتسنى للنويرى الذى مات فى سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م النقل عمن أتى بعده كما يقول المحقق؟؟.

صاحب «**خطط مصر**» هذا هو **ابن زولاق** – وليس المقريزى كما يقول المحقق – **فابن خلكان** صاحب كتاب «**وفيات الأعيان**»، يقول فى ترجمته له: «وله كتاب فى «**خطط مصر**» استقصى فيه»[3].

ويؤيد ما نقول أن النويرى بعد ايراده تلك الرواية يقول: «قال المؤرخ (يعنى ابن ميسر) ودخل القائد جوهر مصر، وبين يديه ألف ومائتا صندوق مالا»[4].

---

(١) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح١، ص ١١٠ (والمقريزى يقول الثلاثاء لسبع عشرة وليس الأحد لأربع عشرة كما فى النويرى).

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٣٠.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٢، ص ٩١ ترجمة (١٦٧) ابن زولاق.

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٣٠.

وهذا النص أورده الداعي ادريس عماد الدين (توفى سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٨٨م) فى كتابه الموسوم باسم «**عيون الأخبار**» نقلا عن ابن زولاق، ونص روايته يقول: «قال الحسن بن زولاق فى «**سيرة جوهر**» فخرج جوهر فى أكثر من مائة ألف، وبين يديه أكثر من ألف ومائتى صندوق من المال»[1].

بعد ذلك يحدثنا النويرى عن «ذكر إقامة الخطبة، وضرب السكة بمصر، للمعز لدين الله وما قيل فى الدعاء له على المنبر، وما نقش على السكة»[2].

ثم يتكلم النويرى عن «خروج المعز لدين الله من بلاد الغرب إلى الديار المصرية وما رتبه ببلاد المغرب قبل مسيره»[3].

ومما يورده النويرى من أخبار المعز قوله: «**قال ابن زولاق في تاريخ مصر**: ولما انقضى شهر رمضان ركب المعز لصلاة العيد وصلى بالناس، وكان القاضى ابن النعمان يبلغ عنه فى التكبير، وقرأ فى الأولى بعد الفاتحة «هل أتاك حديث الغاشية» وفى الثانية بعد الفاتحة بسورة الضحى»[4].

ونفس الرواية ينقلها المقريزى فى كتابه «**اتعاظ الحنفا**» عن **ابن زولاق** وبها تفصيلات أكثر يقول: «وأقبل المعز فى زيه وبنوده وقبابه، وصلى بالناس صلاة العيد صلاة تامة طويلة، قرأ فى الأولى بأم الكتاب، «وهل أتاك حديث الغاشية»، ثم كبر بعد القراءة وركع فأطال وسجد فأطال.

قال **ابن زولاق**: «أنا سبحت خلفه فى كل ركعة وفى كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة، وكان القاضى النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير، وقرأ فى الثانية بأم الكتاب وسورة «الضحى» ثم كبر أيضا بعد القراءة، وهى صلاة جده

(١) ادريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار)، تحقيق محمد اليعلاوى، طبع دار الغرب الإسلامى، بيروت، طبعة أولى ١٩٨٥، ص ٦٦٦.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٣١ - ١٣٣.

(٣) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١٣٩ - ١٤١.

(٤) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١٤٤.

علی بن أبی طالب»[1].

الرواية واضحة فی نص **المقريزي** نقلا عن **ابن زولاق** فالذی كان يبلغ عن المعز التكبير **هو القاضي النعمان بن محمد** وليس **ابن النعمان** كما ورد في النويری وهو ما فات المحقق تصحيحه؟ وعرف فی الهامش بابن النعمان وقال: هو علی بن النعمان بن محمد بن حيون، اشركه الخليفة الفاطمی المعز لدين الله فی قضاء مصر مع أبی طاهر الذهلی...»[2].

والقاضی علی بن النعمان اشترك فی القضاء مع أبی طاهر محمد بن أحمد بن عبد الله الذهلی البغدادی، فی سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م ، كما تقول رواية المقريزی الذی ينقل أغلب الظن عن ابن زولاق، «فكان كل منهما ينظر فی داره»[3].

وهذه الأحداث التی يوردها النويری والمقريزی، نقلا عن ابن زولاق، فی سنة ٣٦٢هـ/٩٧٢م، وهی السنة التی قدم فيها المعز لدين الله إلی مصر.

ويختم النويری كلامه عن المعز لدين الله بذكر وفاته وشئ من أخباره[4].

ثم يحدثنا النويری عن «بيعة العزيز بالله» ثم يورد رواية **ابن القلانسي** فی «**تاريخ الشام**» (نشر باسم «**ذيل تاريخ دمشق**» فی سبب بيعة العزيز بالله الأولی، وأن أباه المعز لدين الله كان مغرما بعلم النجوم «فحكم له بقطع» وأنه توارى فی سرداب تحت الأرض وأنه «أخذ البيعة له» ونزل السرداب[5].

وهذه الرواية يذكرها المقريزی فی كتابه «**اتعاظ الحنفا**» نقلا عن ابن

(١) المقريزی، اتعاظ الحنفا، ج١ ، ص ١٣٧ - ١٣٨.
(٢) النويری، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٤٤.
(٣) المقريزی، اتعاظ الحنفا، ج١ ، ص ٢٢٥ ، سنة ٣٦٥ سنة.
(٤) النويری، نهاية الأرب، ج٢٨ ، ص
(٥) النويری، نفس المصدر، ج٢٨ ، ص ١٥٣ - ١٥٤.

الأثير ويعلق عليها بقوله: «ليس الأمر كما قال ابن الأثير، فقد حكى الفقيه الفاضل المؤرخ أبو الحسن بن إبراهيم[1] بن زولاق المصرى فى كتاب «سيرة المعز» - وقد وقفت عليها بخطه - رحمه الله أخبار المعز منذ دخل مصر إلى أن مات يوما يوما، وأن المعز عهد لابنه يوم الخميس لأربع عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر قبل موته بيومين، وذكر أن سبب العهد إليه، اجتماع الناس بباب القصر وكثرة الرقاع، وأنه سئل فيمن ينظر فى ذلك، فأمر ابنه نزار العزيز أن ينظر فيه فاستخلفه. وأن **ابن زولاق** أعرف بأحوال مصر من **ابن الأثير** خصوصا المعز، فإنه كان حاضرا ذلك ومشاهداً له .. ويروى فى هذه السيرة أشياء بالمشاهدة، وأشياء مدته بها ثقات الدولة وأكابرها .. إلا أن ابن الأثير تبع مؤرخى العراق والشام فيما نقلوه، وغير خاف على من تبحر فى علم الأخبار كثرة تحاملهم على الخلفاء الفاطميين ... ومع ذلك فمعرفتهم بأحوال مصر قاصرة عن الرتبة العلية ... وأهل كل قطر أعرف بأخباره، ومؤرخو مصر أدرى بماجرياته»[2].

ثم يتكلم النويرى عن «الحرب بين افتكين التركى وعساكر العزيز بالله»[3].

وبالمقارنة نرجح أن أصل رواية النويرى المختصرة هذه هو ابن القلانسى وهو ينقله باللفظ فى مواضع، وبالمعنى فى مواضع مع الاختصار والتعديل[4].

ثم يحدثنا عن «حرب أفتكين وأسره»[5] وبالمقارنة أيضا يتضح أن

---

(١) صحة الاسم هو أبو محمد الحسن بن إبراهيم، كما سبق أن ذكره المقريزى عند كلامه عن «ذكر بناء القاهرة» وفى ذلك يقول: «قال أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق المصرى فى كتاب «اتمام أخبار أمراء مصر للكندى» - رحمهما الله - (انظر، اتعاظ الحنفا، ح١، ص١٠٢.

(٢) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح١، ص ٢٣٢.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٥٤ -١٥٧.

(٤) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص١١، ص ١٢، ص١٦، ص ١٧.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٥٧.

مؤرخنا ينقل عن ابن القلانسي صاحب «**ذيل تاريخ دمشق**» حرفيا في مواضع ومع الاختصار دون أن يشير إلى ذلك[1].

ويقول في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة استجد العزيز بالله في جامع مصر العين الفوارة[2].

وهذه الرواية ترجع في أصلها **للمسبحي** صاحب «**تاريخ مصر**»[3] ثم يتبع ذلك بقوله: «وفي سنة ثمانين وثلاثمائة اختط العزيز الجامع بالقاهرة وهو الجامع المعروف بالحاكم بباب الفتوح»[4].

والرواية ترجع في أصلها للمسبحي أيضا، وقد احتفظ لنا بها المقريزى في كتابه «**المواعظ والاعتبار**» وفي ذلك يقول: «قال الأمير مختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد **المسبحي** في **تاريخ مصر** وفيه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة خط أساس الجامع الجديد بالقاهرة مما يلي باب الفتوح من خارجه»[5].

وفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة يذكر خبر خروج منير والي دمشق على العزيز بالله[6].

وهذه الأخبار توجد بتفصيل في كتاب «**ذيل تاريخ دمشق**» لابن **القلانسي**[7]. وينقل عن المسبحي خبر الحرب بين منجوتكتين والروم[8].

وفي سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م، في يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة

---

(١) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٨ - ١٩.

(٢) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٦٠.

(٣) انظر، المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٢٥٠ (الجامع العتيق)، ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص٣٧.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٧٧.

(٥) المقريزي، الخطط، ج٢، ص ٢٧٧.

(٦) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٦٠ - ١٦١.

(٧) انظر، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٠ - ٤١.

(٨) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٦١ - ١٦٢.

يذكر احتراق صناعة الإنشاء فى مصر بما فيها من المراكب الحربية ...»[1].

والتاريخ الذى ذكره النويرى لاحتراق صناعة الانشاء غير صحيح والصحيح هو ما أورده **المقريزي** نقلا عن **المسبحي** يقول: وقال فى حوادث سنة ست وثمانين وثلثمائة ووقعت نار فى الأسطول وقت صلاة الجمعة لست بقين من شهر ربيع الآخر ...»[2].

ثم يحدثنا عن «وفاة العزيز بالله وشئ من أخباره وأخبار وزيره يعقوب ابن كلس ومن ولى بعده»[3].

والرواية عن موت العزيز بالله نزار وسببه ترجع فى أصلها إلى المسبحى، كما نستبين من ترجمته التى أوردها ابن خلكان فى كتابه «وفيات الأعيان»[4].

ثم يحدثنا عن «أخبار الوزير يعقوب بن كلس»[5].

وروايته عن ابن كلس ترجع فى أصلها إلى ابن الصيرفى[6]، الذى ينقل عن ابن زولاق دون أن يشير إلى ذلك.

وبعد ذلك يتكلم عن «ذكر بيعة الحاكم بأمر الله»[7].

ويحدثنا عن أهم أحداث عصره ومنها «مخالفة منجوتكين بدمشق وحربه وأسره وسبب ذلك»[8].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن **ابن القلانسي** باللفظ وبالمعنى مع بعض

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٦٣.

(٢) انظر تفصيل ذلك فى المقريزى، الخطط، ح١، ص ١٩٥ - ١٩٦ (صناعة المقس).

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، ح٥، ص ٣٧٤. ترجمة (٧٥٩) نزار العبيدى.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٦٥ - ١٦٦.

(٦) ابن الصيرفى، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٤٧ - ٥٢، المقريزى، الخطط، ح٢، ص ٥ - ٨ (حارة الوزيرية).

(٧) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٨) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ١٦٩ - ١٧١.

الاختصار والتعديل[1] .

ويحدثنا عن «الفتنة بين المشارقة والمغاربة وهرب ابن عمار وماكان من أمره»[2] .

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن ابن القلانسى أيضا[3] .

وفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة يذكر عصيان أهل صدر على الحاكم بسبب فتنة برجوان وابن عمار[4] .

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن ابن القلانسى صاحب **ذيل تاريخ دمشق**[5] .

ثم يحدثنا عن «قتل برجوان الخصى»[6] .

ومن قوله: «وكان من جملة ما وجد له ألف سروال دبيقى بالف تكة حرير وناهيك بموجود يكون هذا من جملته». فى **ابن الصيرفي**، صاحب كتاب «**الإشارة إلى من نال الوزارة**»[7] .

ثم يحدثنا عن «بناء الجامع المعروف بجامع راشدة»[8] .

وروايته عن بناء الجامع ترجع فى أصلها **للمسبحي** وهو كما يقول **المقريزي** فى «**المواعظ والاعتبار**» مشاهد ما نقله من بناء الجامع المذكور فى موضع الكنيسة»[9] .

---

(١) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٤ – ٤٨ .
(٢) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨ ، ص ١٧١ – ١٧٣ .
(٣) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٨ – ٤٩ ، ص ٥٠ – ٥١ .
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨ ، ص ١٧٣ .
(٥) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٥٠ – ٥١ .
(٦) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨ ، ص ١٧٤ – ١٧٥ .
(٧) ابن الصيرفى، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٥٨ .
(٨) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨ ، ص ١٧٦ – ١٧٧ .
(٩) المقريزى، الخطط، ح٢ ، ص ٢٨٢ (جامع راشدة) .

ثم يحدثنا عن «بناء الجامع المعروف بالحاكم الذى هو بين باب النصر وباب الفتوح بالقاهرة»[1].

والرواية فى أصلها أيضا ترجع للمسبحى صاحب «**تاريخ مصر**»[2].

ويحدثنا النويرى عن فتح «دار الحكمة» بالقاهرة[3].

والنويرى ينقل أخباره هذه بالنص عن المسبحى وإن لم يشر إلى ذلك[4].

ويحدثنا أيضا عن «أبى ركوة وظهوره وما كان من أمره إلى أن قتل»[5].

والرواية ترجع فى أصلها **للمسبحي**[6].

أما قوله: «ونقل بعض المؤرخين أنه اعتبرت الأكياس التى خرجت مع القائد فضل لما خرج للقاء أبى ركوة، وكان زنتها فوارغ خمسة وعشرين قنطاراً»[7].

هذه الرواية توجد فى كتاب «**أخبار الدول المنقطعة**» لابن ظافر[8].

ويتكلم أيضا عن «خروج آل الجراح على الحاكم ومتابعتهم لأبى الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى وما كان من أمرهم»[9].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل أخباره هذه عن ابن ظافر صاحب كتاب. «**أخبار الدول المنقطعة**»[10].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٧٧.

(٢) المقريزى، الخطط، ح٢، ص ٣٩٣.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٧٩.

(٤) المقريزى، الخطط، ح١، ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٨٠ - ١٨٤.

(٦) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٢، ص ٦٠ - ٦٦.

(٧) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٨٤.

(٨) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٤٨.

(٩) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ١٨٥ - ١٨٨.

(١٠) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ٤٨ - ٥٠.

ويحدثنا عن «احراق مصر وقتال أهلها، بسبب «صورة امرأة ... عملت من قراطيس، وفى يدها جريدة عليها ورقة فيها سب الحاكم وأسلافه وذكره بقبيح الفعال»[1].

وبالمقارنة يتضح أن أصل هذه الرواية هو ابن الصابي[2] (توفى سنة ٤٤٨هـ) وهو مؤرخ له ميول عباسية.

ثم يحدثنا عن غيبة الحاكم بأمر الله وعدمه والسبب الذى نقل فى اعدامه وشئ من أخباره وسيرته»[3].

والرواية عن مقتله بالمقارنة يتضح أنها ترجع إلى القضاعي (توفى سنة ٤٥٤هـ)[4].

أما قصة الفرغاني الأخرم فينقلها حرفيا عن ابن ظافر وإن لم يشر إليه[5]. وكذلك أخبار أنوشتكين النجارى الدرزى[6].

ويختم كلامه عن عصر الحاكم بالحديث عن «مولد الحاكم ومدة عمره وملكه وأولاده وكتابه ووسائطه وقضاته ونقش خاتمة»[7].

ثم يتبع ذلك بالكلام عن «بيعة الظاهر لاعزاز دين الله»[8].

ويتحدث عن أهم حوادث عصره فمما يقول: «وفى شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وأربعمائة ورد الخبر باقامة الدعوة الظاهرية بالموصل والبصرة

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص١٩٣.

(٢) انظر، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٨١.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٩٤ - ١٩٥.

(٤) قارن ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، ص ١٩٠ - ١٩١.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ١٩٧، ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٥٢.

(٦) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ١٩٨، ابن ظافر، ص ٥٣ - ٥٤ ويسميه البخارى.

(٧) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٨) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٢٠٢.

والكوفة وأعمال الشرق»[1].

والرواية فى أصلها ترجع إلى **المسبحي** المؤرخ الثقة المعاصر للأحداث[2].

ويحدثنا عن سنان بن صمصام الدولة وصالح بن مرادس وحصارهم لدمشق[3].

وأصل الرواية أيضا هو **المسبحي** صاحب «**تاريخ مصر**»[4].

وفيها يقول أيضا «ووصل الخبر من جهة بنى قرة، عرب البحيرة، أنهم أقاموا عليهم إنسانا ببرقة ولقبوه بأمير المؤمنين»[5].

والرواية ترجع فى أصلها **للمسبحي**[6].

ثم يحدثنا عن «وفاة الظاهر لاعزاز دين الله على بن الحاكم بأمر الله وشئ من أخباره»[7].

وبعدها يتكلم عن «بيعة المستنصر بالله»[8].

ويورد أهم حوادث عصره ومنها «ذكر الوحشة الواقعة بين الوزير أبى القاسم الجرجرائى وأمير الجيوش انوشتكين الدزبرى»[9].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢٠٥.

(٢) المسبحى، أخبار مصر، تحقيق وليم ج ميلورد، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠، ح٤٠ ص ٢٠٥ (ذو الحجة سنة ٤١٤هـ).

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢٠٥، المسبحى، أخبار مصر، ح٤٠، ص. ١٧٢

(٤) المسبحى، أخبار مصر، ح٤٠، ص ١٧٢ .

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

(٦) المسبحى، أخبار مصر، ص ١٧٤.

(٧) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢٠٧ – ٢٠٩.

(٨) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٢٠٩ – ٢١٠.

(٩) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٢١٢ – ٢١٣.

وبالمقارنة نرجح أن أصل رواية النويرى المختصرة هو **ابن القلانسي** صاحب كتاب **«ذيل تاريخ دمشق»**[1].

ويحدثنا عن «وفاة الوزير صفى الدين أبى القاسم أحمد بن على الجرجرائى وشئ من أخباره»[2].

بعض أخبار الوزير الجرجرائى تتفق مع ما ورد فى كتاب **«أخبار الدول المنقطعة» لابن ظافر**[3].

ثم يتكلم عن: ذكر مقتل أبى سعيد التسترى اليهودى، وكان يتولى ديوان والدة المستنصر، وعزل الوزير الفلاحى المدبر لقتله، ووزارة ابن الجرجرائى (وهو ابن أخى الوزير صفى الدين الجرجرائى)[4].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل بالنص عن ابن ميسر[5].

ثم يحدثنا عن وزارة الحسين بن على بن عبد الرحمن اليازورى[6].

وفى سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م يتكلم عن خلاف المعز بن باديس صاحب افريقية على المستنصر بالله.

وعن عصيان بنى قرة عرب البحيرة[7].

وعن خطبة البساسيرى للمستنصر ببغداد[8].

---

(١) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٧٥ – ٧٩.
(٢) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢١٤ – ٢١٥.
(٣) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٦٥، ٧٧.
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢١٦ – ٢١٨.
(٥) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٣ – ٤، ص٦.
(٦) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢١٨ – ٢١٩.
(٧) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٢١٩ – ٢٢٠.
(٨) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٢٢٠ – ٢٢١.

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن ابن ميسر والرواية فى أصلها ترجع إلى ابن الصيرفى[١].

ثم يحدثنا عن «القبض على الوزير أبى محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى وشئ من أخباره»[٢].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن ابن ميسر[٣].

ثم يتكلم عن «الفتنة الواقعة التى أوجبت خراب الديار المصرية»[٤].

يقول: «ثم اجتمع العبيد وخرجوا إلى شبرا دمنهور فى جمع كثير. وكان سبب كسرتهم[٥] (صحتها كثرتهم أى تزايد عددهم).

ويتكلم عن «الوحشة الواقعة بين ناصر الدولة والأتراك»[٦].

وعن «الحرب بين ناصر الدولة والأتراك»[٧].

وعن «الصلح بين ناصر الدولة والأتراك»[٨].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل باللفظ وحرفيا عن ابن ميسر[٩].

ثم يحدثنا عن «الحرب بين ناصر الدولة وتاج الملوك شادى وما كان من أمر ناصر الدولة إلى أن قتل».

---

(١) ابن الصيرفى، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص ٨١.
(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٢١ - ٢٢٢.
(٣) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٦ - ١٧.
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٢٤ - ٢٢٧.
(٥) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٢٢٥.
(٦) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٢٢٧ - ٢٢٩.
(٧) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٢٣٠.
(٨) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٢٣٠.
(٩) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٣٧، سنة ٤٦٣هـ.

يقول: «وفى أربع وستين وأربعمائة جمع ناصر الدولة جموعه من العربان وجاء إلى الجيزة، واستدعى إليه تاج الملوك شادى وبعض المقدمين، فخرجوا للقائه، فقبض عليهم ونهب مصر وأحرقها».

«فلما قبض عليهم، سير إليه المستنصر عسكراً كثيفا، فهزموه، فهرب إلى البحيرة وجمع جموعه ... وقطع خطبة المستنصر..، ثم قدم فى شعبان فدخل إلى مصر وحكم بها»، «وحكم فى القاهرة، وبالغ فى اهانة المستنصر، وقبض على والدته وعاقبها، وأخذ منها الأموال».

«وعمل ناصر الدولة على إقامة الدولة العباسية»، فقام الدكز ويلدكوز بمن بقى من الأتراك واتفقوا على قتله. وفى شهر رجب سنة خمس وستين وأربعمائة، دخلوا عليه وقتلوه «وكان الذى تولى قتله الدكز، وانقطع ذكر آل حمدان، ولم يبق بمصر لهم ذكر»[1].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن ابن ميسر باللفظ والمعنى والاختصار فى بعض المواضع فابن ميسر يقول عن ناصر الدولة: «وأخذ فى إقامة الدعوة العباسية بمصر وإزالة خلافة الفاطميين، فلم يتمكن من ذلك لكثرة اتباعهم»[2].

والرواية فى أصلها ترجع إلى **ابن الأثير** صاحب كتاب **«الكامل في التاريخ»**[3].

بعد ذلك يقول النويرى «نرجع إلى حوادث الدولة المستنصرية».

يقول: وفى سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م، ندب أمير الجيوش بدر الجمالى لولاية دمشق على حربها، وفوض إليه فى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٥ م، ولاية الشام بأسرها[4].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٣٨ - ٣٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ١١٥ - ١١٨، سنة ٤٦٥هـ (ذكر قتل ناصر الدولة بن حمدان).

(٤) النويرى، ص ٢٣٢ - ٢٣٣.

وهو ينقل عن ابن ميسر حرفيا وبالنص دون أن يشير[1] . وأصل هذه الرواية المختصرة هو **ابن القلانسي**[2] .

ثم يحدثنا عن الغلاء الكائن بالديار المصرية، فيقول: «كان ابتداؤه فى سنة سبع وخمسين وأربعمائة واشتد من سنة إحدى وستين .. وتزايد فى سنة اثنين وستين» .

ثم يقول قال **ابن الهمذاني في تاريخه**: وفى سنة اثنين وستين وأربعمائة ورد إلى بغداد من مصر الرجال والنساء هربا من الجوع والفتنة ... وورد التجار ومعهم ثياب صاحب مصر وآلاته وذخائره ..

ثم يذكر ما خرج من خزانة المستنصر .. »[3] .

وابن الهمذاني هو محمد بن عبد الملك صاحب «**ذيل تاريخ الطبري**» (توفى سنة إحدى وعشرين وخمسمائة «وكان فاضلا حسن المعرفة بالتواريخ وأخبار الدول والملوك والحوادث»[4] .

وبالمقارنة يتضح لنا أن النويرى ينقل عن ابن ميسر باللفظ وحرفيا، ولكن كتاب «**المنتقي من أخبار مصر**» لايوجد به ذكر لتاريخ ابن الهمدانيوإنما أورد روايته دون اسناد[5] . وأصل رواية النويرى هذه، هو ابن ظافر صاحب كتاب «**أخبار الدول المنقطعة**»[6] .

والرواية موجودة أيضا بالنص مع بغض التفصيل فى كتاب «**الكامل**» **لابن الأثير**، ولكنه لايذكر تاريخ ابن الهمذانى ويورد الرواية دون اسناد[7] .

(١) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٢٨، ٣٠ .

(٢) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٩١، ٩٣ .

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢٣٣ .

(٤) الصفدى، الوافى بالوفيات، اعتناء س. ديدرينغ، طبع ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ح٤، ص ٣٧ - ٣٨، ترجمة رقم (١٤٩٤) .

(٥) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٦) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٧٥ .

(٧) ابن الأثير، الكامل، ح٨، ص ١٠٨، سنة ٤٦٢هـ .

ثم يضيف **النويري** قوله: «قالوا: ولم يكن هذا الغلاء عن نقص النيل، وإنما كان لاختلاف الكلمة وحروب الأجناد، وتغلب المتغلبين على الأعمال. وكان النيل يزيد ويهبط في كل سنة، ولم يجد من يزرع الأراضي .. وابيع الرغيف الخبز بأربعة عشر دينارا أو درهما. قال الحواني (صحتها الجّواني) وأبيع الأردب القمح بمائتي دينار»[1].

والجواني هو الشريف محمد بن أسعد الجّواني صاحب كتاب «**النقط بعجم ما أشكل من الخطط**»[2].

ثم يحدثنا عن «ذكر قدوم أمير الجيوش بدر الجمالي إلى مصر واستيلائه على الدولة»[3].

يقول: «كان تقدمه في سنة ست وستين وأربعمائة».

ثم يتكلم عن سبب استقدامه، وما فعله لاقرار الأمور.

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن ابن ميسر باللفظ دون أن يشير[4]، وفي ابن ميسر تفصيلات أكثر فالنويري يكتفي بقوله: «وقتل أمير الجيوش من أماثل المصريين ووزرائهم وحكامهم جماعة، وشرع في اصلاح الأعمال وقتل المفسدين»[5].

بينما يقول **ابن ميسر**: «وقتل من أماثل المصريين وحكامهم جماعة منهم الوزير الحسن بن ثقة الدولة مجلي بن أسد المعروف بابن أبي كدينة .. وقتل أيضا الوزير أبا المكارم أسعد بن عقيل والوزير أبا شجاع محمد بن الأشرف .. والوزير أبا العلاء عبد الغني بن نصر بن سعيد الضيف، وجماعة كثيرة»[6].

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣٤.

(٢) انظر، المقريزي، الخطط، ج١، ص٥.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣٤ - ٢٣٦.

(٤) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٣٩ - ٤١.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣٦.

(٦) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٤٠ - ٤١.

ثم يذكر الخطبة للمستنصر بمكة والمدينة سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م. وفيها حاصر أتسيز (اتسز[١] فى ابن ميسر وابن الأثير[٢]) دمشق وملكها ... وانقطعت خطبة المستنصر من الشام[٣].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل أيضا عن ابن ميسر[٤]، وابن ميسر ينقل عن صاحب «ذيل تاريخ دمشق» وإن لم يشر إليه[٥].

ثم يحدثنا عن «ذكر هلاك عرب الصعيد وقتل كنز الدولة» ويقول: «وكانت هذه الوقعة آخر اصلاح حال مصر وعربانها»[٦].

بينما يقول نص ابن ميسر «وكانت هذه الوقعة آخر الوقائع التى انصلح بها حال الديار المصرية بقتل المفسدين من غرماتها وعساكرها»[٧].

ويتكلم عن هجوم أتسيز على الديار المصرية سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٦م، وخروج عرب قيس وسليم وفزارة[٨].

والنويري ينقل باللفظ والمعنى عن ابن ميسر دون أن يشير إليه[٩].

وفى سنة ٤٧٧هـ/١٠٨٤م يذكر مخالفة الأوحد ابن أمير الجيوش لوالده ومسيره إلى الاسكندرية، وتتبع بدر له وقبض عليه، وبنائه جامع العطارين «وكانت عمارته فى شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين»[١٠].

---

(١) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٤٢ - ٤٣.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ١٢٣، سنة ٤٦٩هـ.
(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣٦.
(٤) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٤٢ - ٤٣.
(٥) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٠٨ - ١٠٩.
(٦) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣٧.
(٧) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٤٣.
(٨) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣٨.
(٩) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٤٣ - ٤٤.
(١٠) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣٨.

بينما يقول نص ابن ظافر صاحب «الدول المنقطعة» «وفرغ منه فى شهر ربيع الأول من سنة تسع وسبعين»[1] . ويتبعه فى ذلك ابن ميسر الذى ينقله باللفظ دون أن يشير[2] .

يقول **النويري** وفى سنة ٤٨٢ هـ/ ١٠٨٩م ندب بدر عسكرا إلى الساحل ففتح صور وصيدا. ثم سار وفتح جبيل وعكا. وكان ذلك فى تاج الدولة تتش صاحب دمشق[3] .

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل باللفظ عن ابن ميسر[4] .

ثم يحدثنا عن «بناء باب زويلة بالقاهرة»[5] فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة.

وهو ينقل باللفظ أيضا عن ابن ميسر كما يتضح لنا بالمقارنة[6] .

ثم يتبع ذلك بالكلام عن «ذكر وفاة أمير الجيوش بدر الجمالى وولاية ولده الأفضل»[7] .

وبالمقارنة يتضح أن أصل رواية النويرى المختصرة هو ابن ميسر[8] .

وفى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤م يذكر «وفاة المستنصر بالله وشئ من أخباره»[9] .

وأورد تحت عنوان «وفاة المستنصر» معلومات خاصة ببدر الجمالى يقول:

---

(١) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٧٧.

(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٤٦ - ٤٧.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣٨.

(٤) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٥٠.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٦) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٥١.

(٧) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٨) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٥٢ - ٥٣.

(٩) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٤٠ - ٢٤٣.

«قال المؤرخ ولما ولى مصر أطلق الخراج للمزارعين ثلاث سنين إلى أن تمت أحوالهم واتسعت أموالهم. وكانت امارته بمصر إحدى وعشرين سنة»[1].

وهو ينقل عن ابن ميسر بالمعنى فنص ابن ميسر يقول: «وأطلق الخراج للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفعت أحوال الفلاحين واستغنوا فى أيامه .... وكانت أيامه بمصر إحدى وعشرين سنة»[2].

ثم يتكلم عن «ذكر بيعة المستعلى بالله»[3].

فيقول: «بويع له فى بكرة نهار الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة»[4].

وهو ينقل حرفيا وبالنص عن ابن ميسر كما يتضح لنا بالمقارنة[5].

ويحدثنا فى سنة ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م، عن بداية حركة نزار. ويقول بعنوان: ذكر ما اتفق لنزار ومن معه، وقال: (أغلب الظن أنه يعنى ابن ميسر) وفى المحرم سنة ثمان وثمانين وأربعمائة خرج الأفضل أمير الجيوش بعساكره إلى الاسكندرية لقتال نزار وأفتكين وابن مصال، وما كان من هزيمته وخروجه إليهم ثانيا «وحاصر الاسكندرية، وهزيمته لهما «وقبض على نزار وأفتكين»[6].

وبالمقارنة يتضح لنا أن أصل هذه الرواية المختصرة هو ابن ميسر[7].

وفى سنة تسعين وأربعمائة خطب الملك رضوان صاحب حلب للمستعلى

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٤٠.
(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٥٣ سنة ٤٨٧هـ.
(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٤٣.
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٤٣.
(٥) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٦٠.
(٦) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٤٥ – ٢٤٦.
(٧) ابن ميسر،المنتقى من أخبار مصر، ص ٦٠ – ٦١، سنة ٤٨٧هـ، ص ٦٢ – ٦٣، سنة ٤٨٨هـ.

بالله أربع جمع، ثم قطع خطبته[1].

وبالمقارنة يمكن أن نرجح أن أصل رواية النويرى المختصرة هذه هو ابن ميسر[2]، الذى ينقل بدوره عن ابن القلانسى[3] دون أن يشير.

ثم يذكر «استيلاء أمير الجيوش على البيت المقدس» سنة إحدى وتسعين وأربعمائة»

وهول ينقل باللفظ عن ابن ميسر كما يتضح بالمقارنة[4]، والرواية ترجع فى أصلها إلى ابن القلانسى[5].

ثم يورد خبر مرور الأفضل بعسقلان وإخراجه رأس الحسين بن على رضى الله عنهما «وعمر المشهد» وهو ينص على النقل عن ابن ميسر يقول: «قال محمد بن على بن يوسف بن جلب راغب فى تاريخ مصر»[6].

ثم يحدثنا عن «ذكر استيلاء الفرنج على ما نذكره من البلاد الإسلامية» يقول: «لم يكن جميع ما استولوا عليه مما نذكره داخلا فى ملك الدولة العبيدية بل كان منه ما هو فى أيدى نواب المستعلى وما هو بيد الملوك الذين تغلبوا على الأطراف، ولم يكن فى أيام المستعلى خاصة. وإنما وردناه بجملته فى هذا الوضع لتكون الأخبار متتابعة ولاتنقطع بالسنين والدول ...»[7].

والذى نذكره الآن فى هذا الموضع هو ما استولوا عليه من ساحل الشام سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وما بعدها»[8].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٤٦.
(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٦٤، سنة ٤٩٠هـ.
(٣) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٣، سنة ٤٩٠هـ.
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٤٦ - ٢٤٧.
(٥) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٦٥ - ٦٦.
(٦) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٥، سنة ٤٩١هـ.
(٧) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٤٧.
(٨) النويرى، نفس المصدر، ج٢٨، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

ثم يورد مؤرخنا نصا هاما يبين وجهة نظره - وقد سبقه إليها **ابن الأثير** صاحب كتاب «**الكامل في التاريخ**»[1]. فى وصل أحداث الأندلس وما حدث فيها فى عصر ملوك الطوائف (أو ملوك الفتن) وتغلب الأفرنج عليها، بما يحدث الآن فى بلاد الشام وفى ذلك يقول: «وكان ابتداء ظهورهم وامتدادهم وتطرقهم إلى البلاد الإسلامية فى سنة ثمان وسبعين واربعمائة، وذلك أن بلاد الأندلس لما تقسم ملوكها بعد بنى أمية وصارت كل جهة بيد ملك. وأنفت نفس كل واحد أن ينقاد إلى الآخر، ويدخل تحت طاعته، فكانوا كملوك الطوائف فى زمن الفرس، وعجز كل واحد عن مقاومة من يليه أو يقصده من الفرنج، أدى ذلك إلى اختلال الأحوال، وتغلب الأعداء على البلاد الإسلامية فأول ما استولوا عليه مدينة طليطلة من الأندلس، على ما ذكرناه فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ثم ملكوا جزيرة صقلية فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وتطرّقوا إلى أطراف افريقية فملكوا منها شيئا ثم استرجع منهم..»[2].

ثم يحدثنا عن «ملكهم مدينة انطاكية»[3] وكان استيلاء، الفرنج عليها فى «جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وأربعمائة»[4].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل باللفظ عن ابن الأثير[5].

ثم يحدثنا عن «ملكهم معرة النعمان»[6].

و«ذكر استيلائهم خدلهم الله على البيت المقدس»[7].

---

(١) انظر، ابن الأثير، الكامل، ح٢٨، ص ١٣٨، سنة ٤٧٨هـ.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢٤٨.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢٤٨ - ٢٥٠.

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢٤٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ح٨، ص ١٨٥ - ١٨٧، سنة ٤٩١هـ.

(٦) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٧) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٢٥٦ - ٢٥٨.

ومن ذلك قوله: «فاتفق ما ذكرناه من الاختلاف الذى وقع بين الملوك السلجقية، فتمكن الفرنج من البلاد»[1].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن ابن الأثير بالنص[2].

ثم يحدثنا عن «ذكر ظفر المسلمين بالفرنج» فى سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة[3].

وينص على النقل عن الأثير وفى ذلك يقول: «قال ابن الأثير الجزرى: وكانت هذه الوقائع فى شهود قريبة»[4].

ثم يحدثنا عن «قتل كندفرى وملك أخيه بغدوين وما استولى عليه الفرنج من البلاد وهى: حيفا وأرسوف وقيسارية والرها وسروج»[5].

وهو ينقل عن ابن الأثير كما يتضح بالمقارنة[6].

ثم يتبع ذلك بالكلام عن «ذكر أخبار صنجيل الفرنجى وما كان منه فى حروبه وحصار طرابلس وألطوبان وملك انطرسوس»[7].

وبالمقارنة يتضح أنه لازال ينقل عن ابن الأثير صاحب كتاب «الكامل فى التاريخ»[8].

ثم يتحدث عن «ملك الفرنج جبيل وعكا»[9].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، حـ٢٨، ص ٢٥٨.
(٢) ابن الأثير، الكامل، حـ٨، ص ١٨٩ - ١٩٠، سنة ٤٩٢هـ.
(٣) النويرى، نهاية الأرب، حـ٢٨، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.
(٤) النويرى، نفس المصدر، حـ٢٨، ص ٢٥٩.
(٥) النويرى، نفس المصدر، حـ٢٨، ص ٢٦٠ - ٢٦١.
(٦) ابن الأثير، الكامل، حـ٨، ص ٢٠٤، سنة ٤٩٤هـ.
(٧) النويرى، نهاية الأرب، حـ٢٨، ص ٢٦١ - ٢٦٣.
(٨) ابن الأثير، الكامل، حـ٨، ص ٢١١ - ٢١٢، سنة ٤٩٥ هـ.
(٩) النويرى، نهاية الأرب، حـ٢٨، ص ٢٦٣.

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن ابن الأثير[١].

ثم يقول مؤرخنا «وفى سنة تسع وتسعين وأربعمائة ملك الفرنج حصن أفامية وسرمين من أعمال حلب»[٢].

والصحيح هو ما قاله **ابن القلانسي**، المؤرخ الثقة القريب من الأحداث فى سنة ٤٩٩هـ «ووصل طنكرى إلى أفامية عقيب هذه الكائنة - (يعنى مقتل خلف بن ملاعب صاحب أفامية قتله الباطنية) - طامعا فيها ومعه أخ لأبى الفتح الداعى السرمينى، كان مأسورا فى يده فقرر له شيئا دفعه إليه فرحل عنه» ثم يتبع ذلك بقوله: «وأن مصبح بن ملاعب الذى أفلت من نوبة أفامية التجأ إلى طنكرى صاحب أنطاكية وحرضه على العود إلى أفاميه وأطمعه فى أخذها لقلة القوت بها فنهض إليها ... وضايقها إلى أن تسلمها بالأمان فى الثالث عشر من المحرم سنة ٥٠٠ هـ»[٣] (وليس ٤٩٩هـ كما تقول رواية مؤرخنا التى لانعرف مصدرها) ؟

ثم يقول: «وفى سنة اثنين وخمسمائة فتح السردانى عرقة»[٤].

والصحيح هو ما ورد فى كتاب «**ذيل تاريخ دمشق**» **لابن القلانسي** المؤرخ الثقة، المعاصر للأحداث، والذى كان فى موقف يسمح له بالتعرف عن قرب بجلية الأمور. يقول فى حوادث سنة ٥٠٢ هـ «وفيها أنفذ صاحب عرقة إلى ظهير الدين أتابك رسوله يلتمس منه المعونة على دفع الافرنج عنها وانفاذ من يتسلمها فندب بعض ثقاته فتسلمها».. ثم يبين كيف عاقت الثلوج والأمطار المسير إليها وانقطعت الميرة عنها، فنهض الفرنج إليها فملكوها بالأمان.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٢٢١، سنة ٤٩٧هـ.
(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٦٤.
(٣) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٥٠.
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٦٤.

ثم يتبع ذلك بقوله: «وعاد السرداني إلى عرقة ووجد بعض الافرنج فى زرعها فأراد ضربه فضربه الافرنجى فقتله ولما بلغ ريمند بن صنجيل وجه من تسلم عرقة من أصحابه»[1].

ثم يحدثنا النويرى عن «ذكر ملك الفرنج طرابلس وبيروت»[2].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل باللفظ عن ابن الأثير[3].

وبعد ذلك يتحدث عن «ملك الفرنج جبلة وبلنياس»[4].

فى ابن الأثير جبيل؟ وبانياس؟[5].

وفى ابن القلانسى أيضا جبيل وبانياس[6].

ثم يحدثنا عن «ملكهم مدينة صيدا»[7].

وهو ينقل باللفظ عن ابن الأثير كما يتضح بالمقارنة[8].

ثم يتكلم عن «استيلائهم على حصن الأثارب وحصن زردنا» فى سنة أربع وخمسمائة[9].

وهو ينقل حرفيا وبالنص عن ابن الأثير دون أن يشير[10].

وعن «حصر مدينة صور وفتحها»[11].

---

(١) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٦٢، سنة ٥٠٢ هـ.

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٦٤ – ٢٦٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٢٥٨ – ٢٥٩، سنة ٥٠٣هـ.

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٦٧ – ٢٦٨.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٢٠٩، سنة ٥٠٣هـ.

(٦) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٦٣ – ١٦٤، سنة ٥٠٢هـ.

(٧) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٦٨ – ٢٦٩.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٢٦٠، سنة ٥٠٤هـ.

(٩) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٦٩ – ٢٧٠.

(١٠) ابن الأثير، الكاملة، ج٨، ص ٢٦١، سنة ٥٠٤هـ.

(١١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٠ – ٢٧٢.

وكان استيلاء الفرنج عليها فى الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثماني عشرة وخمسمائة»[1].

وبالمقارنة يتضح أن مؤرخنا ينقل عن **ابن الأثير**[2].

وبعدها يقول: «هذا ما استولى عليه الفرنج من البلاد الإسلامية فلنرجع إلى أخبار الدولة العبيدية»[3].

ثم يحدثنا عن «وفاة المستعلى» و «ذكر بيعة الآمر بأحكام الله»[4].

يتكلم عن أهم أحداث عصره فحدثنا عن «إنشاء ديوان التحقيق»[5].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن **ابن ميسر**[6]، الذى ينقل بدوره عن ابن المأمون[7].

ثم يتكلم عن «حل الاقطاعات وتحويل السنة»[8].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن الأمير **جمال الدين والملك موسي بن المأمون البطائحي**[9].

ثم يتكلم عن «ذكر أخذ الفرما وهلاك بغدوين الفرنجى صاحب القدس»[10]. فى سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م. وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٢٦٣ - ٢٦٤، سنة ٥٠٥هـ (ذكر ملك الفرنج مدينة صور، ص ٣١٥ - ٣١٦، سنة ٥١٨ هـ (ذكر ملك الفرنج مدينة صور).

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٣.

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٦) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٧٧ - ٧٨.

(٧) المقريزى، الخطط، ج١، ص ٤٠١ (ديوان التحقيق).

(٨) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٩) المقريزى، الخطط، ج١، ص ٨٣ س ٣ - ٢١.

(١٠) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٧ - ٢٧٨.

صاحب «أخبار الدول المنقطعة»، والاختلاف فى السنة فابن ظافر يؤرخ ذلك بسنة ٥١٤هـ[١].

وفى سنة ٥١١هـ رتب ذخيرة الملك جعفر فى ولاية القاهرة والحسبة وهو الذى بنى المسجد بسوق الخيل المعروف بالذخيرة[٢].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل عن **ابن المأمون**، الاختلاف أن ابن المأمون أرّخ فى تاريخه هذا الحدث بسنة ٥١٦هـ[٣].

ثم يتحدث عن «ذكر نهب ثغر عيذاب» فى سنة ثنتى عشرة وخمسمائة[٤].

ثم يذكر بعدها خبر «مقتل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش ابن أمير الجيوش بدر الجمالى وشئ من أخباره»[٥].

بالمقارنة يتضح أن النويرى ينقل الجزء من روايته عن مقتل الأفضل وسببه من كتاب «**ذيل تاريخ دمشق**» **لابن القلانسي**[٦].

والكلام عن الذخائر والتحف[٧].

بالمقارنة يتضح أنه ينقل أخباره عن **ابن ميسر**[٨].

ومما عمره من المساجد يذكر جامع الفيلة فيقول: «وحكى الشريف محمد بن أسعد الجوانى[٩]. وعن «خيمة القاتول» يقول: «قال **ناظم سيرة المأمون**

(١) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٩٠.
(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٨.
(٣) المقريزى، الخطط، ج٢، ص ٤١١ (مسجد الذخيرة).
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٨ – ٢٧٩.
(٥) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٧٩ – ٢٨٠.
(٦) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٣ – ٢٠٤، سنة ٥١٥ هـ.
(٧) النويرى، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٢٨١ – ٢٨٤.
(٩) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٧٩ – ٨٣.

(يعنى ابن المأمون البطائحى)[1].

ثم يحدثنا عن «ذكر تفويض أمور الدولة وأمرة الجيوش للمأمون البطائحى»[2].

وبالمقارنة يتضح لنا أنه ينقل عن **ابن ميسر** والرواية فى أصلها ترجع إلى **ابن المأمون البطائحي**[3].

ثم يتكلم عن «القبض على المأمون» فى سنة تسع عشرة وخمسمائة فى يوم السبت لأربع خلون من شهر رمضان»[4].

وبالمقارنة يتضح لنا أنه ينقل باللفظ عن ابن ميسر[5].

ثم يورد رواية **ابن الأثير** عن والد المأمون ونقد ابن ميسر لها[6].

وينقل أيضا رواية صاحب كتاب «**البستان في حوادث الزمان**» عن المأمون وهى تقول: «إن المأمون كان يرش بين القصرين» وجده من غلمان المستنصر بالله والله أعلم[7].

ويتبع ذلك بالكلام عن «أخبار أبى نجاح بن قنا النصرانى الراهب وقتله»[8].

وهو ينقل أخبار الراهب عن ابن ميسر كما يتضح لنا بالمقارنة[9].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص٢٨٥ – ٢٨٧.

(٢) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٢٨٨ – ٢٩٠.

(٣) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٨٧ – ٩١، المقريزى، الخطط، ح١، ص٤٤٠ – ٤٤٢. (نقلا عن ابن المأمون).

(٤) النويرى، نهاية الأرب، ص ٢٩١.

(٥) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٠٣، سنة ٥١٩هـ.

(٦) النويرى، نهاية الأرب، ح٢٨، ص ٢٩١ – ٢٩٢.

(٧) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٢٩٢، وقارن ابن ميسر، ص ١٠٥.

(٨) النويرى، نفس المصدر، ح٢٨، ص ٢٩٢ – ٢٩٤.

(٩) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٠٧ – ١٠٩.

أما قوله: «ولما قتل الراهب وجدوا له مقطعاً فيه ثلاثمائة طراحة سامان محشوة جدداً، لم تستعمل. هذا من هذا النوع، وخلا ما وجد من الذهب والفضة والأقمشة والديباج»[1].

وهو ينقل عن **ابن ميسر** دون أن يشير[2]. وأصل الرواية هو **المرتضي المحنك** (توفى سنة ٥٤٩هـ) كما نص على ذلك ابن ظافر[3].

ثم يحدثنا عن «مقتل الآمر بأحكام الله وشئ من أخباره»[4].

وهو ينقل عن **ابن ميسر** دون أن يشير إليه[5].

ثم يتبع ذلك بالكلام عن «ذكر بيعة الحافظ لدين الله»[6].

«وذكر قيام أحمد بن الأفضل وما كان من أمر أحمد إلى أن قتل»[7].

وبالمقارنة يتضح لنا أنه ينقل عن **ابن ميسر**[8].

ثم يتكلم عن «بيعة الحافظ لدين الله الثانية»[9].

ويورد خبر «الخلف بين ابني الحافظ لدين الله»[10].

ثم يتكلم عن «مقتل حسن بن الحافظ»[11].

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ص ٢٩٤.
(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٠٩.
(٣) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٨٩.
(٤) النويري، نهاية الأرب، ص٢٩٤ - ٢٩٦.
(٥) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١١٠ - ١١٢.
(٦) النويري، نهاية الأرب، ص٢٩٦.
(٧) النويري، نفس المصدر، ص ٢٩٦ - ٢٩٨.
(٨) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص١١٣ - ١١٦.
(٩) النويري، نهاية الأرب، ص٢٩٨.
(١٠) النويري، نفس المصدر، ص ٢٩٩.
(١١) النويري، نفس المصدر، ص ٣٠٠.

وبالمقارنة يتضح لنا أن مؤرخنا ينقل عن **ابن ميسر**[1] ، والرواية في أصلها ترجع إلى **ابن الطوير** صاحب كتاب «**نزهة المقلتين**» ، كما نستبين من الرواية الخاصة بمقتله التى احتفظ لنا بها **ابن تغري بردي** في كتابه «**النجوم الزاهرة**»[2] .

ثم يحدثنا عن «وزارة بهرام الأرمنى»[3] .

وعن طريق المقارنة نرجح أن صاحب «**نهاية الأرب**» ينقل عن ابن ميسر باللفظ[4] .

وعن «خروج بهرام من الوزارة ووزارة رضوان بن الولخشى»[5] .

وهو ينقل حرفيا وبالنص عن **ابن ميسر** دون أن يشير[6] .

ويتكلم عن بناء رضوان فى سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م «المدرسة المعروفة به بالإسكندرية ، واستدعى الفقيه أبا طاهر بن عوف إلى حضرته وأسند إليه تدريسها»[7] .

وهو ينقل عن **ابن ميسر**[8] .

ثم يتبع ذلك بالكلام عن «خروج رضوان من الوزارة وما كان من أمره إلى أن قتل»[9] .

وبالمقارنة يتضح لنا أنه ينقل عن **ابن ميسر**[10] .

---

(١) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٢١ - ١٢٢ .
(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .
(٣) النويرى ، نهاية الأرب ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢ .
(٤) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .
(٥) النويرى ، نهاية الأرب ، ص ٣٠٢ - ٣٠٤ .
(٦) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٢٤ - ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .
(٧) النويرى ، نهاية الأرب ، ص ٣٠٤ .
(٨) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٣٠ .
(٩) النويرى ، نهاية الأرب ، ص ٣٠٤ - ٣٠٦ .
(١٠) ابن ميسر ، المنتقى من أخبار مصر ، ص ١٣٠ - ١٣٢ .

والجزء من الرواية الخاص بلجوء رضوان بن ولخشى إلى صرخد، الأصل الأول لها هو **ابن القلانسي** صاحب «**ذيل تاريخ دمشق**»[١].

ويحدثنا عن «وفاة بهرام الأرمنى»[٢].

وبالمقارنة نرجح أن مؤرخنا ينقل عن **ابن ميسر**[٣].

وعن «وفاة الحافظ لدين الله وشئ من أخباره»[٤].

وكانت وفاته فى ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة»[٥].

وهو ينقل باللفظ وحرفيا عن **ابن ميسر**[٦].

ثم يتكلم عن «بيعة الظافر بأعداء الله» ابن الحافظ لدين الله، «بويع له بعد وفاة أبيه لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة»[٧].

وهو ينقل عن **ابن ميسر** دون أن يشير[٨].

ويحدثنا عن «قيام العادل بن السلار ووزارته ومقتل ابن مصال»[٩].

وهو ينقل عن **ابن ميسر** أيضا[١٠].

---

(١) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٧٠، سنة ٥٣٤هـ.
(٢) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.
(٣) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٣٣، سنة ٥٣٥هـ.
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣٠٧ - ٣١٠.
(٥) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٠٧.
(٦) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤٠ - ١٤١.
(٧) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣١٠ - ٣١١.
(٨) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤١.
(٩) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣١١ - ٣١٣.
(١٠) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤٢ - ١٤٣.

ويتكلم عن قتل العادل للموفق محمد بن معصوم التنيسى ناظر الدواوين[1].

وبالمقارنة يتضح أن مؤرخنا ينقل باللفظ عن **ابن ميسر**[2].

وعن «ذكر ما فعله الفرنج بالفرما وماجهزه العادل من الأسطول إلى بلادهم»[3].

وهو ينقل أخباره حرفيا عن **ابن ميسر** دون أن يشير[4].

وأصل رواية النويرى الذى ينقل **ابن ميسر** هو **ابن القلانسي**، المؤرخ الثقة المعاصر الذى يورده فى صورة الخبر من ذلك قوله ... «ووعد نور الدين بمسيره إلى ناحية الأسطول المذكور لاعانته على تدويخ الافرنجية واتفق اشتغاله بأمر دمشق وعوده إليها لمضايقتها»[5].

ويتكلم عن «مقتل العادل بن السلار وسلطنة ربيبه عباس»[6].

وهو ينقل عن **ابن ميسر** كما يتضح لنا بالمقارنة[7].

ثم يتبع مؤرخنا ذلك الحدث بالكلام عن «مقتل الظافر بأعداء الله وأخويه»[8].

وهو ينقل عن **ابن ميسر**، وبالمقارنة يتضح أن أصل الرواية هو **ابن الطوير** كما نستبين من النقول التى احتفظ لنا بها صاحب «**النجوم الزاهرة**» نقلا عن كتاب «**نزهة المقلتين**»[9].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣١٢ – ٣١٣.

(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤٣ – ١٤٤، وقارن ابن ظافر، الدول المنقطعة، ص١٠٤.

(٣) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣١٣ – ٣١٤.

(٤) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤٥، سنة ٥٤٦هـ.

(٥) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣١٥، سنة ٥٤٦هـ.

(٦) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣١٤ – ٣١٥.

(٧) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤٧.

(٨) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣١٥ – ٣١٧.

(٩) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٩٥ – ٢٩٦، ص ٣٠٧ – ٣٠٨.

ثم يتحدث عن «ذكر بيعة الفائز بنصر الله»[١].

وهو ينقل عن **ابن ميسر** كما يتضح لنا بالمقارنة[٢].

والرواية ترجع فى أصلها إلى **ابن الطوير**، كما نستبين من نقول صاحب كتاب «**النجوم الزاهرة**»[٣].

ثم يتكلم عن «ذكر خروج عباس من الوزارة وما آل إليه أمره»[٤].

وهو ينقل عن **ابن ميسر** أيضا[٥].

ثم «ذكر وزارة الصالح أبى الغارات طلائع بن رزيك»[٦].

«وفى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة انفسخت الهدنة بين الصالح بن رزيك والفرنج»[٧].

وهو ينقل عن **ابن ميسر**[٨].

والقبض «فى يوم الثلاثاء تاسع عشر ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين (وخمسمائة) على الأمير ناصر الدولة ياقوت وأولاده واعتقلهم»[٩].

وهو ينقل باللفظ عن **ابن ميسر** كما يتضح بالمقارنة[١٠].

وفى سنة أربع وخمسين ثار على الصالح طرخان بن سليط بن ظريف

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣١٨.
(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤٩ - ١٥١.
(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص.
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣١٨ - ٣١٩.
(٥) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص.
(٦) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣١٩ - ٣٢٠.
(٧) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٢٠.
(٨) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٥٥، سنة ٥٥٢هـ.
(٩) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣٢١.
(١٠) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٥٥، سنة ٥٥٢هـ.

متولى الاسكندرية[1].

وفى «المحرم سنة خمس وخمسين ثار أخوه اسماعيل طلبا لثأره» وانتهى الأمر بصلب طرخان «على باب زويلة، وصلب إلى جانبه أخوه اسماعيل «بعد ضرب عنقه»[2].

ثم يحدثنا عن «وفاة الفائز بنصر الله» فى ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة»[3].

ويتفق معه فى هذا التاريخ **ابن ظافر** صاحب «**أخبار الدول المنقطعة**»[4].

ويتكلم بعد ذلك عن «بيعة العاضد لدين الله»[5].

وفى سنة ست وخمسين يتكلم عن زواج العاضد لدين الله بابنة الملك الصالح بن رزيك[6].

ويتبع ذلك بالكلام عن «ذكر مقتل الملك الصالح طلائع بن رزيك وقيام ولده الملك العادل رزيك»[7].

يقول: «وقال **ابن الحباب في سيرته**: إنه من ولد جبلة بن الأيهم الغسانى»[8].

وابن الحباب هو الجليس المكين أبو المعالى عبد العزيز بن الحسين، توفى سنة إحدى وستين وخمسمائة).

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣٢١.
(٢) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٢١.
(٣) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٢٢.
(٤) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ١٠٩.
(٥) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣٢٢ – ٣٢٣.
(٦) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٢٣.
(٧) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٢٤ – ٣٢٥.
(٨) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٢٥.

وقال القاضي الأرشد **عمارة اليمني**، دخلت على الصالح قبل وفاته بليلتين فناولني رقعة وقال: قد عملت هذين البيتين في هذه الساعة.[1].

ثم يقول: «قال المؤرخ (قال المؤرخ هل تعني **ابن الحبّاب** صاحب سيرة **الصالح طلائع بن رزيك** أو من ينقل عن ابن الحباب وهو أغلب الظن ابن ميسر).

وكان الصالح يقطع الليل أثلاثا فالثلث الأول مع أمراء دولته... والثلث الثاني مع جلسائه وندمائه وشعرائه، والثلث الثالث مع خواص نسائه ...»[2].
ثم يتكلم عن «ظهور حسين بن نزار وقتله» في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة[3].

وبالمقارنة يتضح أنه ينقل باللفظ عن **ابن ظافر**[4]. أغلب الظن عن طريق **ابن ميسر**.

ثم يحدثنا عن «انقراض دولة بني رزيك»[5].

وعن «وزارة شاور الأولى وخروجه منها»[6].

وعن «وزارة الضرغام بن سوار»[7].

وعن «ذكر قدوم شاور من الشام وعوده إلى الوزارة ثانيا وقتل الضرغام»[8]. كان قدومه في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

---

(١) النويري، نهاية الأرب، ص ٣٢٥.
(٢) النويري، نفس المصدر، ص ٣٢٥.
(٣) النويري، نفس المصدر، ص ٣٢٨.
(٤) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ١١١.
(٥) النويري، نهاية الأرب، ص ٣٢٨ - ٣٣٠.
(٦) النويري، نفس المصدر، ص ٣٣١.
(٧) النويري، نفس المصدر، ص ٣٣١.
(٨) النويري، نفس المصدر، ص ٣٣٢.

وعن غدر شاور بشيركوه»[1] .

«وكان دخول شاور إلى القاهرة لست بقين من ذى الحجة، واستمر بمصر من غير منازع إلى سنة اثنين وستين وخمسمائة»[2] .

ثم يتبع ذلك بالكلام عن «ذكر عود أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية بالعساكر الشامية وانفصاله»[3] .

يقول: «**هكذا حكي ابن جلب راغب في تاريخه قال ...**»[4] .

وهذا يؤكد أن روايته عن ابن ميسر مستمرة.

وفى سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م يذكر «خروج يحيى بن الخياط على شاور وطلب الوزارة فندب شاور عسكرا لحربه فانهزم ومضى إلى بلاد الفرنج»[5] . ثم يواصل كلامه فيذكر «وصول الفرنج إلى القاهرة وحصارها وحريق مصر»[6] . يقول قال المؤرخ وترددت كلمة قال عند كل خبر[7] .

وقال هنا تعنى أغلب الظن ابن ميسر.

ثم يتكلم عن «ذكر قدوم أسد الدين شيركوه إلى الديار المصرية ورحيل الفرنج عنها»[8] .

وعن «مقتل شاور»[9] .

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣٣٤.
(٢) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٣٥.
(٣) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٣٥ – ٣٣٨.
(٤) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٣٨.
(٥) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٣٨.
(٦) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٣٩ – ٣٤١.
(٧) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٤٠.
(٨) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٤١ – ٣٤٢.
(٩) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٤٢ – ٣٤٣.

ثم يتحدث عن «انقراض الدولة العبيدية والخطبة للمستضئ بنور الله العباسي»[1].

ثم يتكلم عن «جامع أخبار الدولة العبيدية ومدتها ومن ملك من ملوكها»[2].

النويرى لم يهتم بالتاريخ السياسى فقط، بل أهتم بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، واهتم بالنظم والتراتيب الإدارية، وبالخطط: يكلم عن الوزراء والقضاة والدعاة وأصحاب الدواوين، واهتم بالخِطط أو بما يسميه **ابن خلدون العمران**.

كما اهتم بالجهاد ضد الأفرنج بالساحل والشام.

اقتضى المنهج تتبع روايات النويرى عن الدولة الطولونية (تكملة عصر ابن طولون)، والدولة الاخشيدية، ودولة الفواطم حيث تنساب المادة التاريخية على طول أكثر من ثلاثة قرون، فى المصادر الخاصة بتاريخ «مصر والمغرب السابقة على مؤرخنا. وهو جهد ندعو الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا فيه.

وبعد أن عرضنا لتاريخ مصر – منذ شهر شوال سنة ٢٦٤هـ وإلى انقراض الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م.

يتضح لنا أن **النويري** مؤرخ ثقة مدقق، يتحرى الأمانة فيما يكتب، ويعتنى بصحة معلوماته. ولكن فى بعض الأحيان كان يكتفى بمجرد نقل الروايات كما هى دون أن يعرضها للنقد والتمحيص. وهناك بعض الأخطاء التى وقع فيها من ذلك قوله: «وحكى بعض المؤرخين أنه لما وصل المعز وخرج الأشراف للقائه قال له أبو محمد عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسينى ... إلى من ننتسب؟ فقال المعز: سنعقد لكم ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا ..»[3].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ص ٣٤٤ – ٣٤٦.

(٢) النويرى، نفس المصدر، ص ٣٤٦ – ٣٥٠.

(٣) النويرى، نفس المصدر، ص ١٤٢.

وبالمقارنة يتضح أن أصل هذه الرواية هو **ابن ظافر** صاحب «**أخبار الدول المنقطعة**». والرواية غير صحيحة لأن الشريف ابن طباطبا توفى سنة ٣٤٨هـ/٩٥٩م (فى عصر أنوجور بن الاخشيد) وزار المعز قبره كما تقول رواية **ابن زولاق** المؤرخ الثقة المعاصر للأحداث صاحب «**سيرة المعز لدين الله**»[١].

وقد شك المؤرخ الثقة **ابن خلكان**، صاحب «**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**»، قاضى قضاة الشافعية بدمشق زمن السلطان الظاهر بيبرس[٢] وتلميذ ابن الأثير -[٣]، فى الرواية فى ترجمته لابن طباطبا قال: «وهذه الحكاية التى جرت له مع المعز عند قدومه ذكرها فى كتاب «**الدول المنقطعة**» لكنها تناقض تاريخ الوفاة، فإن المعز دخل مصر فى شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة. وابن طباطبا المذكور توفى سنة ثمان وأربعين. فكيف يتصور الجمع بينهما؟

يقول: «ثم رأيت فى **تاريخ ابن زولاق** أن الشريف الذى التقى بالمعز هو أبو جعفر مسلم بن عبد الله الحسينى والشريف أبو اسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسينى الرسى، ولعل أحدهما صاحب هذه الواقعة والله أعلم»[٤].

أقول ابن زولاق فقيه مصر ومؤرخها الثقة المعاصر للأحداث لايرد به أى ذكر لذلك. لأن هذه الرواية يرددها الكتاب أصحاب الميول العباسية وهدفهم من ذلك القول بأن كبار أشراف العلويين الحسينيين أنفسهم بيناتهم الشك فى صحة نسب الفواطم؟

---

(١) انظر، المقريزى، الخطط، ج١، ص ٤٧. حيث يقول: «ومر ... وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسينى وعرّفه به».

(٢) النويرى، نهاية الأرب، ج٣٠، ص ١٢٢.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص ٢١١.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٨٢ - ٨٣، ترجمة (٣٤٢) ابن طباطبا.

منهجه في الكتابة:

النويرى يجمع ما بين منهج الحوليات والمنهج الموضوعى، فهو يذكر أهم الأحداث الخاصة بعصر كل أمير أو خليفة على السنين والشهور والأيام. يتضح ذلك من قوله عن الحاكم «**وأما سيرته وأفعاله وأخباره فقد قدمنا منها علي حكم السنين ما قدمنا فلنذكر خلاف ذلك**»[1] .

وكل الأحداث الخاصة بموضوع واحد يجملها ولايفرقها على السنين أى أنه يلتزم بمبدأ استيفاء الأخبار على الجملة بحيث تظهر مترابطة فى سياق متصل حتى يتلافى أهم عيوب الحوليات وهو تقطيع أوصال الخبر.

يتضح ذلك من قوله عند كلامه عن «**ذكر استيلاء الفرنج علي ما نذكره من البلاد الإسلامية والشام والبيت المقدس**»، **لم يكن جميع م: استولوا عليه مما نذكره داخلا في ملك الدولة العبيدية ... ولم تكن أيضا في أيام المستعلي** خاصة. **وإنما وردناه بجملته في هذا الوضع لتكون الأخبار متتابعة ولاتنقطع بالسنين والدول**»[2] .

وهو منهج **ابن الأثير** صاحب كتاب «**الكامل في التاريخ**».

ولاشك أن عمله فى نسخ الكتب، كما يقول **ابن حجر** فى ترجمته له فى كتابه «**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**»[3]، مثله فى ذلك مثل فقيه الشيعة الأشهر القاضى النعمان[4]، قد أتاح له الاطلاع على أمهات مصادر تاريخ مصر.

المصادر التي نص النويري عليها:

يأتى فى مقدمتها كتاب «**نشوار المحاضرة**» للتنوخى.

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ص ١٩٦.

(٢) النويرى، نفس المصدر، ص ٢٤٧ – ٢٤٨.

(٣) انظر فيما سبق، ص ٥ – ٦.

(٤) القاضى النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٨٠.

أبو على المحسن بن أبى القاسم على بن محمد بن أبى الفهم داود بن إبراهيم بن تميم.

قال عنه الثعالبى فى «**يتيمة الدهر**»، «هلال ذلك القمر ... والشاهد العدل بمجد أبيه وفضله ... والنائب عنه فى حياته، والقائم مقامه بعد وفاته»[١].

ولد بالبصرة فى شهر ربيع الأول سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م. وممن سمع منهم بالبصرة، أبى بكر الصولى، والحسين بن محمد بن يحيى بن عثمان النسوى وطبقتهم، ثم رحل إلى بغداد وأقام بها وحدّث إلى حين وفاته.

وكان، كما يقول **ابن خلكان** فى ترجمته له فى كتابه «**وفيات الأعيان**» أديبا شاعرا أخباريا. تقلد العديد من الخطط، كان على العيار فى دار الضرب بسوق الأهواز سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧ م. «ثم ولاه الإمام المطيع لله القضاء بعسكر مكرم.

وكانت وفاته ليلة الاثنين، لخمس بقين من المحرم سنة أربع وثمانين وثلثمائة ببغداد[٢].

بعد التنوخى يأتى **ابن زولاق**

وهو أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق، الفقيه الفاضل المؤرخ.

ولد فى شعبان سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م، ومات سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م[٣].

وروى ابن زولاق عن القاضى محمد بن أحمد بن الحداد، وهو من أقرانه، وكتب عنه غالب مصنفاته «كما يقول ابن حجر فى كتابه «**رفع الأصر**»[٤]، وعن الطحاوى[٥]، وابن الداية[٦].

(١) الثعالبى، يتيمة الدهر، ج٢، ص ٣٤٦.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، ج٤، ص ١٥٩ - ١٦٢، ترجمة رقم (٥٥٧) أبو على التنوخى.

(٣) ابن خلكان، نفس المصدر، ج٢، ص ٩١ - ٩٢ ترجمة (١٦٧).

(٤) انظر، الكندى، ملحق كتاب القضاة، ص ٥٥١.

(٥) السيوطى، حسن المحاضرة، ج١، ص ٢٠٠.

(٦) انظر، ابن زولاق، سيرة محمد طغج، فى ابن سعيد، المغرب، ص ١٤٩ س ٥ - ٨.

ولابن زولاق العديد من المؤلفات، يهمنا منها «**تتمة أخبار أمراء مصر**»، و «**سيرة المعز**».

وقد نقل عنه النويرى فى «**نهاية الأرب**» دون أن يسمى كتابه[1] (عن ابن طباطبا وكافور، وهى من كتاب «**تتمة أخبار أمراء مصر**» الذى ذيل فيه على كتاب «**أخبار أمراء مصر**» للكندى.

وسمى كتابه فى موضع آخر «**تاريخ مصر**»[2] ويقصد به «**سيرة المعز لدين الله**».

ولقد احتفظ لنا المقريزى فى «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا»[3]، و «**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**»[4] بنقول هامة منها.

وابن زولاق مؤرخ ثقة صدوق، يتصف بالأمانة والنزاهة والعدالة، وتحرى الحقيقة. وكان معاصرا لتلك الأحداث التى يرويها وشاهد عيان لها، كما كان فى موضع يسمح له بالاطلاع على بواطن الأمور، وهو يستمد رواياته من ثقات الدولة وأكابرها.

وقد شهد له المقريزى فى «**اتعاظ الحنفا**» بقوله: «أن ابن زولاق أعرف بأحوال مصر من ابن الأثير خصوصا المعز، فإنه كان حاضرا ذلك ومشاهدا له، وممن يدخل إليه ويسلم مع الفقهاء عليه، ويروى فى هذه السيرة (يعنى سيرة المعز) أشياء بالمشاهدة، وأشياء حدثه بها ثقات الدولة وأكابرها... وأهل كل قطر أعرف بأخباره، ومؤرخو مصر أدرى بماجرياته»[5].

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، ص ٥٧ - ٥٨.
(٢) النويرى، نفس المصدر، ص ١٤٤.
(٣) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ١٠٢ - ١٠٧.
(٤) المقريزى، الخطط، ج، ص.
(٥) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج١، ص ٢٣٢.

سنة ٤٤ . وقال ابن خلكان مات فى المحرم سنة٤٥،وابن زولاق أعرف به .. وهو تلميذه وبلديه بخلاف ابن خلكان»[١] .

وفى موضع آخر يقول ابن حجر فى «**رفع الإصر**» فى ترجمة (عبد الله بن أحمد بن شعيب) «هكذا قال ابن زولاق وهو المعتمد فى أهل مصر»[٢] .

ثم يأتى **الفرغاني**

وهو أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغانى، يكنى بأبى منصور. كان أبوه صاحب محمد بن جرير الطبرى.

روى عن أبيه تصانيف محمد بن جرير. وصنف هو عدة تصانيف منها «**كتاب التاريخ**» وصل به تاريخ والده . وكتب «**سيرة كافور الاخشيدي**» ، وهى التى نقل عنها أغلب الظن النويرى فى كتابه «**نهاية الأرب**» ، وكتب «**سيرة العزيز**» صاحب مصر.

ولد سنة سبع وعشرين وثلثمائة . وكان مقيما بمصر، وبها مات سنة ثمان وتسعين وثلثمائة[٣] .

والفرغاني مؤرخ ثقة صدوق، وكان معاصرا لتلك الأحداث التى يرويها وفى موقف يسمح له بالتعرف عن قرب ببواطن الأمور، كما نستبين من تلك الرواية التى أوردها النويرى، فقد استدعاه كافور كما يقول واستشاره فيما يفعل بعد وفاة على ابن الاخشيد فأشار عليه بتولية أحمد بن الأمير على فتعلّل بصغر سنه فرد عليه الفرغانى بأنه «عقد لأبيه ولم يبلغ سنه وأجاز ذلك ثلاثة أئمة ... فقال ننظر فى ذلك ..»[٤] .

---

(١) الكندى، ملحق كتاب القضاة، ص ٥٥٧.
(٢) الكندى، المصدر السابق، ص ٥٦٤.
(٣) الصفدى، الوافى بالوفيات، اعتناء احسان عباس، الطبعة الثانية، ترجمة (٣٠٢٩)، ص ٨٦ – ٨٧.
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ص ٥٥.

وقد احتفظ لنا بروايات من تاريخ الفرغاني، ابن خلكان في كتابه «**وفيات الأعيان**»[1].

أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين المعروف بأخي محسن

الشريف العابد وهو محمد بن على بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق[2] الحسينى الدمشقى[3].

يقول المقريزى فى كتابه «**اتعاظ الحنفا**» عند «ذكر ما قيل فى أنساب خلفاء الفاطميين، وقد وقفت على مجلد يشتمل على بضع وعشرين كراسة فى الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين تأليف الشريف العابد المعروف بأخى محسن .. وهو كتاب مفيد[4].

ويضيف المقريزى «وقد غبرت زمانى أظن أنه قائل ما أنا حاكيه حتى رأيت محمد بن اسحق **النديم** فى كتاب «**الفهرست**» ذكر هذا الكلام بنصه وعزاه إلى أبى عبد الله بن رزّام، وأنه ذكره فى كتابه الذى رد فيه على الاسماعيلية[5].

والشريف العابد رجع إلى كتابه قبل النويرى، **ابن ظافر**، صاحب «**أخبار الدول المنقطعة**» عند كلامه عن نسب المهدى (أول خلفاء الفواطم بالمغرب) فقال: «وأما النسب فقد ذكر الشريف العابد الحسينى الدمشقى فى كتابه أن المنعوت بالمهدى منهم الذى هو أولهم كان اسمه بسلمية سعيدا وأنه سعيد بن الحسين بن عبد الله ابن ميمون القداح الأهوازى، وأنه من ولد ديصان الثنوى»[6].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٥، ص ٦٢، ترجمة (٦٨٩) أبو بكر الاخشيد، ح٤، ص ١٠٥، ترجمة (٥٤٥) كافور الاخشيد.

(٢) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح١، ص ٢٢.

(٣) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ١.

(٤) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح١، ص ٢٢.

(٥) المقريزى، نفس المصدر، ح١، ص٢٣.

(٦) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص١.

والشريف العابد مات بدمشق فى ٢٣ جمادى الأولى سنة ٣٩٨هـ/ فبراير ١٠٠٨م[1]. أى أنه عمر حتى دولة الحاكم بأمر الله.

ثم يأتى **المسبحي**

وهو الأمير المختار عز الملك محمد بن أبى القاسم عبيد الله بن أحمد بن اسماعيل بن عبد العزيز المعروف بالمسبحى.

ولد كما يقول ابن خلكان فى ترجمته له التى ينقلها عن المسبحى فى «**تاريخه الكبير**» يوم الأحد عاشر رجب سنة ٣٦٦هـ/ ٢٤ فبراير سنة ٩٣٦م[2]. (وهى السنة الأولى من عصر العزيز بالله نزار).

وهو ينتمى إلى أسرة لها مكانتها فى مجتمع الفسطاط فى ذلك الوقت يستشف ذلك من ترجمة والده عبيد الله بن أحمد الذى ذكر المسبحى وفاته فى كتابه «**أخبار مصر**» فى سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م. ورواها عن ابن العديم الذى نقلها عن المسبحى، ابن سعيد المغربى (يكتب فى سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) فى كتابه «**المغرب في حلي المغرب**»[3].

ويورد ابن خلكان فى ترجمته للمسبحى أنه دخل فى خدمة الحاكم فى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة (١٠٠٧ – ١٠٠٨م)، وتقلد القيس والبهنسا من أعمال الصعيد، ثم تقلد ديوان الترتيب[4].

ومتولى الترتيب هذا كما نستبين من رواية المقريزى فى «**اتعاظ الحنفا**» يقال له فى غير هذه الدولة صاحب البريد. فكان يكاتب متولى هذا الديوان بالأخبار بمطالعات تصل له مترجمة بمقام الخليفة فيعرضها من

---

(١) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ١ هـ١، نقلا عن مخطوط تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٤، ص ٣٧٧، ترجمة رقم (٦٥٣).

(٣) ابن سعيد، المغرب، ص ٢٦٤ – ٢٦٥.

يده ويجاوب عنها بخطه»[1] .

ومما احتفظ لنا به المقريزى من نقول عن كتاب المسبحى المفقود - الذى لم يصلنا منه سوى سنة ٤١٤هـ، ٤١٥هـ (الجزء الأربعون) من عصر الظاهر - يتضح لنا المكانة التى حظى بها فى دولة الحاكم[2] .

ومن خلال الجزء الذى وصلنا من تاريخ المسبحى يتضح لنا أنه ظل يتمتع بهذه المكانة لدى الخليفة الظاهر ابن الحاكم بأمر الله[3] .

والمسبحى كما يقول عنه ابن خلكان «كانت فيه فضائل، ولديه معارف، ورزق حظوة فى التصانيف»[4] .

وأشهر مؤلفاته هو كتاب «**أخبار مصر**» أو «**تاريخه الكبير**» كما يسميه ابن خلكان.

والجزء الأربعون من «**أخبار مصر**» الذى يتضمن حوادث سنتين فقط من حكم الخليفة الظاهر (سنة ٤١٤هـ - ٤١٥هـ) - وبه خروم - يعتبر وثيقة معاصرة للأحداث، وهو عبارة عن «مياومات» كتبها المسبحى، شاهد العيان، المعاصر، الذى كان فى موضع يسمح له بالتعرف على جلية الأمور فى الدولة عن قرب، فوضعه الاجتماعى، والخطط التى تقلدها، وصداقاته بكبار رجال الدولة وأدبائها وكتابها كل هذا ظهر بوضوح فى كتاباته.

وهو لايهتم فقط بالحوادث السياسية، وإنما وجه اهتماما بالغا إلى الحياة الاجتماعية[5] ، والاقتصادية[6] ،

---

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٤، ص ٣٧٧ .

(١) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٣، ص ١٩٤ - ١٩٥ س ١ - ٤ .

(٢) المقريزى، نفس المصدر، ح٢، ص ٦٦ - ٦٧، ص ٧٢ .

(٣) المسبحى، أخبار مصر، ص ٥٨، ص ٦٠، ص ١٨٠، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ح٤، ص ٣٧٧ .

(٥) المسبحى، أخبار مصر، ص ١٨٤ (شهر رمضان) .

(٦) المسبحى، نفس المصدر، ص ٣٢، جمادى الآخرة سنة ٤١٤هـ. ص ٣٥ (يقول: اشتد تعذر الأخباز بمصر وكثرت الزحمة فى الدكاكين، وأمر ببله فى الماء فى القصارى، قيل وبيع ثلاثة أرطال بدرهم) .

والدينية[1] ، والثقافية وهو يتضمن وصفا ينبض بالحياة عن المواكب[2] ، والأعياد[3] .

كما اهتم بأخبار الشامات: دمشق وحلب وفلسطين[4] .

أما منهج المسبحي في الكتابة ، فهو طريقة الحوليات أو السنوات. ففى عصر كل خليفة يذكر لنا أهم الحوادث التى وقعت فى عهده مرتبة على السنين والشهور والأيام.

وفى نهاية كل سنة يتكلم عن ذكر من مات فى هذه السنة ومن قتل من الأولياء والشيوخ والرؤساء المشهورين والكتاب وغيرهم[5] .

أى أنه يجمع ما بين الأخبار والتراجم، وقد نهج نهجه المقريزى فى كتابه «**السلوك لمعرفة دول الملوك**».

والمسبحى يتصف بالعلم، والعدالة، والصدق، ثقة مأمون، وكان ورعا تقيا. وهو لايكتفى بايراد الأحداث كما هى، بل يعلق عليها ويورد رأيه الشخصى فيها.

الرقيق القيرواني

الرقيق هو أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق، وهو كما يضبطه الصفدى فى «**الوافي بالوفيات**» «بقافين بينهما ياء آخر الحروف

---

(١) المسبحى، أخبار مصر، ص ٣٤.

(٢) المسبحى، نفس المصدر، ص ١٨٠ (شهر رمضان)، ص ١٨٢ - ١٨٣، ص ١٨٥ - ١٨٦ (شهر شوال)، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) انظر، المسبحى، نفس المصدر، ص ١٨٨ (عما يفعله الناس فى ليلة الميلاد) ص١٩٠ (ليلة الغطاس)، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ (يوم غدير خم).

(٤) انظر، المسبحى، نفس المصدر، ص ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٣، ١٨٤، ص ١٨٧، ص ١٨٨، ص ٢٠٤ - ٢٠٥، ص ٢٠٦، ص ٢١٠، ص ٢١١.

(٥) انظر، المسبحى، نفس المصدر، ص ٢١١ - ٢٣٥.

فعيل من الرقة»[1] . القيروانى.

وبالرجوع إلى كتب الطبقات المغربية، لانجد ترجمة للرقيق، اللهم إلا تلك الترجمة التى خصه بها **ابن رشيق** - معاصره - فى كتابه المعروف باسم «**انموذج الشعراء**» - الذى لم يصلنا - وعنه نقل ياقوت فى كتابه «**ارشاد الأريب لمعرفة الأديب**»[2] ، وعنه ينقل الصفدى فى «الوافى بالوفيات»[3] وإن لم يشر إلى ذلك.

ولانستبين من ترجمة ابن رشيق للرقيق شيئا عن مولده ولانشأته ولامركزه الاجتماعى، وكذلك تكوينه العلمى والثقافى، لأن ابن رشيق يترجم للرقيق بعد أن شهر وبعد صيته. وأغلب الظن أنه درس علوم القرآن والفرائض، وعلوم اللسان العربى وهى اللغة والنحو والبيان والأدب، وأنواع الخطوط، والشعر «وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها»[4] وغيرها من العلوم النقلية والعقلية المعروفة فى القرن الرابع الهجرى.

وابن رشيق يقول عن الرقيق: «هو شاعر سهل الكلام محكمه ... تلوح الكتابة على ألفاظه قليل صنعة الشعر غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار وهو بذلك أحذق الناس.

ويفهم من رواية ابن رشيق - معاصر الرقيق - الذى رحل من مسقط رأسه المحمدية «المسيلة» إلى القيروان سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م، ودخل فى خدمة المعز بن باديس - ، أن الرقيق تقلد خطة الكتابة لنصير الدولة باديس بن أبى الفتح المنصور (٣٨٦ - ٤٠٦هـ/ ٩٩٦ - ١٠١٥م)، ثم لابنه المعز

---

(١) الصفدى، الوافى بالوفيات، تحقيق س. ديدرينغ، طبع بيروت، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ج٦، ص ٩٢ - ٩٣ ترجمة رقم (٢٥٢٢) الرقيق الكاتب القيروانى.

(٢) ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق أحمد فريد الرفاعى، طبع مصر، سنة ١٩٣٦م، ج١، ص ٢١٦، ترجمة (٢٨).

(٣) الصفدى، الوافى بالوفيات، ج٦، ص ٩٢.

(٤) انظر، ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

بن باديس (٤٠٦ - ٤٥٣هـ/ ١٠١٥ - ١٠٦٢م) فى الدولة الزيرية الصنهاجية أكثر من عشرين عاماً[(١)] .

وخطة الكتابة هذه كان صاحبها كما يقول **ابن خلدون** : «يتخير من أرفع طبقات الناس وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم، وعارضة البلاغة، فإنه معرض للنظر فى أصول العلم لما يعرض فى مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل...»[(٢)] .

وفى سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م قدم الرقيق القاهرة، أوفده إليها نصير الدولة باديس ابن أبى الفتح بن أبى الفتوح يوسف بن زيرى بن مناد، بهدية منه إلى الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله[(٣)] .

ولاشك أن خطة الكتابة التى تقلدها الرقيق، جعلته فى موقف يسمح له بالكتابة والتدوين فى التاريخ، والاطلاع على أهم مراجع تاريخ المغرب، ومعظم مصادره لم تصل إلينا.

وللرقيق عدد من الكتب المؤلفة فى التاريخ وفى غيره من الفنون.

أما أهم مؤلفاته بالنسبة لنا فهو كتاب «**تاريخ افريقية والمغرب**» وهو فى عدة مجلدات[(٤)] . وقد وجدت لحسن الحظ قطعة منه، نشرت فى تونس سنة ١٩٦٨م، وهى تبدأ من أواسط القرن الأول الهجرى إلى أواخر القرن الثانى الهجرى، أو على وجه الدقة من ولاية عقبة بن نافع الفهرى الثانية للمغرب وتنتهى بولاية إبراهيم بن الأغلب (مات سنة ١٩٦هـ/ ٨١٢م) وبداية حكم

---

(١) ياقوت، معجم الأدباء، ج١، ص ٢١٨.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص ٢٤٧ (ديوان الرسائل والكتابة).

(٣) ياقوت، معجم الأدباء، ج١، ص ٢١٨.

(٤) ياقوت، نفس المصدر، ج١، ص ٢١٨.

ابنه عبد الله بن إبراهيم (١٩٦ - ٢٠١هـ / ٨١٢ - ٨١٧م).

هذا وقد احتفظ لنا بروايات من كتاب الرقيق ابن عذاري في «**البيان المغرب**»، **والنويري** في «**نهاية الأرب**» (الجزء الخاص بالأندلس والمغرب والجزء الخاص بمصر في عصر دولة الفواطم)، **والتجاني في رحلته، وابن خلدون في عبره.**

وآخر رواية ينقلها ابن عذارى عن الرقيق خاصة بزواج السيدة أم العلو، بنت نصير الدولة فى سنة ٤١٥هـ/ ١٠٤٢م[١]. وكذلك **المقريزي** فى «**اتعاظ الحنفا**» احتفظ لنا برواية نقلا عن الرقيق (أو ابن الرقيق كما يقول) عن الغلاء والشدة وعدم الأقوات فى عصر الخليفة الظاهر (شهر ذى الحجة سنة ٤١٥هـ)[٢].

لكن هل استمر «تاريخ افريقية والمغرب» للرقيق بعد ذلك التاريخ لاندرى؟

أما عن تاريخ وفاة الرقيق فهو غير معروف. ولكن العلامة التونسى الشهير الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب - وهو أعلم بتاريخ بلاده - يقول أنه توفى حوالى سنة ٤٢٥هـ/ ١٠٣٤م. ولايذكر مصدره[٣].

والنويرى ينقل عن الرقيق أخبار أبى عبد الله الشيعى داعى المغرب وما كان من أمره وكيف ظهر وما فتحه من بلاد المغرب.

ونقل عنه أيضا بعض أخبار خلفاء الفواطم بالمغرب، ونص عليه بصفة خاصة فى عصر المنصور بنصر الله.

التساؤل هو هل نقل النويرى عن الرقيق مباشرة أم عن طريق ابن شداد

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب، ح١، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٢) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٢، ص١٧١ - ١٧٢ سنة ٤١٥هـ.

(٣) حسن حسنى عبد الوهاب، مجمل تاريخ الأدب التونسى من فجر العصر العربى إلى العصر الحاضر، نشر مكتبة المنار، تونس، ص ١٢١ (الكاتب الرقيق).

خاصة وأن النويرى كان ينقل عن ابن شداد كلامه عن «ابتداء أمرهم (يعنى أمر الفواطم أو العبيديين كما يسميهم النويرى) وأول من قام منهم». أغلب الظن أنه ينقل عن ابن شداد، وابن شداد يسند رواياته عن الداعى الشيعى الصنعانى إلى إبراهيم الرقيق الكاتب. لأن الرقيق كان كاتبا لنصير الدولة باديس ولأبنه المعز - كما سبق القول - فى الدولة الزيرية الصنهاجية التى تربطها بالخلافة الفاطمية رابطة الولاء والتبعية، فهم نوابهم فى افريقية، وبالتالى فهو لاينكر نسب الأئمة الفواطم، خاصة وأنه ألف «**تاريخ افريقية والمغرب**» على أيامهم. وليس مثل ابن شداد الذى نرجح أنه يكتب على أيام السلطان الناصر صلاح الدين، وهو عباسى الهوى، ومن غلاة النكار الذين ينفون انتساب الفواطم إلى الحسين بن على رضى الله عنه. نستشف ذلك من الرواية التى يوردها النويرى نقلا عن الرقيق وفيها يقول: «كان أبو عبد الله الشيعى من أهل الكوفة ... فاتصل بالذى يدعى أنه الإمام، وهو ابن القدّاح الذى ذكرناه المختلف فى نسبه، فأرسله إلى أبى القاسم الحسن بن حوشب الكوفى النجار، وهو المعروف بالصناديقى داعيتهم باليمن»[(1)].

قوله: «فاتصل بالذى يدعى أنه الإمام، وهو ابن القداح الذى ذكرناه المختلف فى نسبه» هذه العبارة الملفقة لايقولها الرقيق؟. خاصة وأن النويرى ذكر من قبل، نقلا عن ابن شداد، كما نص على ذلك قوله: «وكان أبو عبد الله قد شاهد أفعال ابن حوشب وعرف تدبيره، فسار إلى مكة، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى»[(2)].

بعد ذلك نتكلم عن كتاب «**ذيل تاريخ دمشق**» لابن القلانسى وهو حمزة بن أسد بن محمد التميمى العميد.

قال **الصفدي** فى ترجمته له فى كتابه «**الوافي بالوفيات**» نقلا عن الحافظ ابن عساكر فى كتابه «**تاريخ مدينة دمشق**»، «سمع منه بعض أصحابنا ولم أسمع منه»[(3)].

---

(1) النويرى، نهاية الأرب، ص ٧٧.

(2) النويرى، نفس المصدر، ص ٧٥.

(3) الصفدى، الوافى بالوفيات، ج٥، ص ٧٦.

وكان أديبا كاتبا شاعرا مؤرخا، تولى رياسة ديوان دمشق مرتين كما يقول ياقوت فى «**معجم الأدباء**»[١].

وقد صنف تاريخا للحوادث ابتدأ به من سنة ٤٤١هـ إلى حين وفاته[٢]. مات بدمشق ٧ ربيع الأول سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م[٣].

وابن القلانسي مؤرخ ثقة صدوق يتصف بالأمانة والنزاهة والعدالة والورع والتقوى، والدقة فى تحرى الأخبار ويتمثل ذلك فى قوله: «قد انتهيت فى شرح ما شرحته من هذا التاريخ. ورتبته وتحفظت من الخطأ والخطل والزلل فما علقته من أفواه الثقات نقلته، وأكدت الحال فيه بالاستقصا والبحث إلى أن صححته إلى هذه السنة المباركة وهى سنة ٥٤٠. وكنت قد منيت من سنة ٥٣٥ وإلى هذه الغاية بما شغل الخاطر والبحث عن الصحيح منها وجميع الأحوال فتركت بين كل سنين من السنين بياضا فى الأوراق ليثبت فيه ما يعرف صحته من الأخبار وتعلم حقيقته عن الحوادث والآثار»[٤].

ولاشك أن توليه رئاسة ديوان دمشق جعله فى موقف يسمح له بمعرفة بواطن وخفايا الأمور عن قرب، وهو ما يظهر بوضوح فى تاريخه.

والنويرى نص على النقل عنه فى موضع واحد فى سبب بيعة العزيز الأولى سنة ٣٦٥هـ، أى فى الجزء السابق لعصر ابن القلانسى وفيه يقول: أن

---

(١) ياقوت، معجم الأدباء، ج١٠، ص ٢٧٨ ترجمة رقم (٣٨).

(٢) ياقوت، نفس المصدر، ج١٠، ص ٢٧٨. هذا وإن كانت هناك رواية فى ابن القلانسى نستبين منها أن بداية «المذيل» كما يسميه كان من سنة ٤٤٨ وذلك عند كلامه عن ولاية الأمير المؤيد عدة الإمام (ص ٨٦) يقول: «واستمرت عليه الأيام فى الولاية إلى سنة ٤٤٨ التى بنى هذا المذيل عليها وعادت سياقة الحوادث منها وإيراد ما فيها وتجدد بعدها».

أما الطبعة التى رجعت إليها وهى تحقيق آمدروز فيقول فيها فى ص ٣ «ذكر الحرب بين المعز لدين الله صاحب مصر والقرامطة فى سنة ثلاث وستين وثلثمائة وهذا أول ما وجد من تاريخ ابن القلانسى».

(٣) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٣٣٢، سنة ٥٥٥هـ.

(٤) ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٨٣ (س٣ – س ٩).

المعز كان مغرما بعلم النجوم فحكم له بقطع ...»[1].

وما يورده القاضي النعمان بن محمد، المؤرخ الثقة المعاصر، وهو أعرف بالمعز من غيره، ينفي ذلك، وأن المعز لم يكن يستشير المنجمين في أموره. قال القاضي النعمان بن محمد في كتابه الموسوم باسم «المجالس والمسايرات» «ذكر الإمام المعز لدين الله (ﷺ) – وأنا بين يديه – النجامة والمنجمين فقال: من نظر في النجامة ليعلم عدة السنين والحساب ومواقيت الليل والنهار، ليعتبر بذلك عظيم قدرة الله جل ذكره فقد أحسن وأصاب. ومن تعاط بذلك علم غيب الله والقضاء بما يكون فقد أساء وأخطأ»[2].

بعد ذلك نتكلم عن ابن **المأمون البطائحي**. وهو الأمير نجم الدين جمال الملك أبا علي موسى بن الأجل المأمون[3].

لانعرف تاريخ مولده ولكن وفاته كما يقول المقريزي في «السلوك» كانت بالقاهرة في سادس عشر جمادى الأولى سنة ٥٨٨هـ[4].

ويعتبر كتاب **ابن المأمون** من أهم المصادر التي اعتمد عليها النويري في كتابه «نهاية الأرب» في تأريخه لعصر الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥هـ – ٥٢٤هـ) وأيضا للفترة التي تقلد فيها الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي خطة الوزارة.

وابن المأمون، مؤرخ ثقة، وهو بفضل مكانته الاجتماعية كان في موقف يسمح له بالتعرف عن قرب بجلية الأمور في الدولة خاصة في الفترة التي تقلد فيها والده الوزارة (٥١٥هـ – ٥١٩هـ) للإمام الآمر بأحكام الله.

(١) انظر فيما سبق، ص٤١، وقارن، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ١٤ – ١٥.

(٢) القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٤٣٩.

(٣) انظر، عمارة اليمني، النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، تحقيق هرتويغ درنبرغ، باريز ١٨٩٧م، (مختار من ديوان العلامة الأديب، ص ٢١٠ (القصيدة رقم ٧٦، رقم ٧٧).

(٤) المقريزي، السلوك، ج١ قسم ١، ص ١١١.

ومن خلال النقول التى احتفظ لنا بها **المقريزي** فى كتابه «**الخطط**» من **تاريخ ابن المأمون**» يتضح لنا معرفته بالعصر وخبرته وحنكته بحقيقة الأمور. وتأريخه للفترة التى عاصر فيها الأحداث عبارة عن مياومات شاهد العيان الثقة.

هذا وقد حاولت استبيان العصر الذى بدأ فيه ابن المأمون تصنيف كتابه هذا وتوصلت إلى أنه بدأ تدوينه فى عصر السلطان الناصر صلاح الدين (٥٦٧هـ - ٥٨٩هـ) كما نستشف من تلك الإشارة التى أوردها فى ثنايا كلامه عما .. صار يستعمل فى الطراز .. للولائم، وعن القوارات الشرب الاسكندرانى التى اشتراها التجار العراقيون .. «وعادوا بالبقية إلى الديار المصرية فى سنة ست وثمانين وخمسمائة»[1].

وأيضا عند كلامه عن «الحبس الجيوشى»، وما آل إليه يقول: «ولما انقرض عقب أمير الجيوش ولم يبق منه سوى امرأة كبيرة افتى فقهاء ذلك العصر ببطلان الحبس فقبضت النواحى وصارت من جملة الأموال السلطانية فمنها ما هو اليوم فى الديوان السلطانى ومنها ما صار رزقا احباسية وغير ذلك»[2].

وللكتاب مختصر عمله محيى الدين ابن عبد الظاهر (توفى سنة ٦٩٢هـ) حسبما يقول المقريزى[3].

ثم كتاب «**النقط بعجم ما أشكل من الخطط**» **لمحمد بن أسعد الجوّاني** محمد بن أسعد بن على بن معمر بن عمر بن على بن الحسين بن أحمد بن

---

(١) انظر، المقريزى، الخطط، طبعة بولاق، ج١، ص ٤٧٢، س ١٦ - ١٧، س ١٩ - ٢٣ (ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج).

(٢) انظر، المقريزى، نفس المصدر، ج١، ص ١١٠ س ٧ - ١٤، (الحبس الجيوشى)، وقارن، ابن مماتى، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، ص ٣٣٩ (الحبس الجيوشى) حيث يقول: «وهذه النواحى حبسها أمير الجيوش بدر المستنصرى على عقبة لما كان وزيراً بالديار المصرية، ثم أفتى الفقهاء بأن الحبس باطل، فصار مالها يحمل إلى بيت المال فينفق فى مصالح المسلمين».

(٣) المقريزى، نفس المصدر، ج٢، ص ١٤٤.

على بن إبراهيم بن محمد بن الحسن بن محمد الجوّانى الشريف النسابة، ولى نقابة الأشراف مدة بمصر، وكان شيعيا، توفى سنة ثمان وثمانين وخمس مائة كما يقول **الصفدي** فى كتابه «**الوافي بالوفيات**»[1].

وللجوّانى العديد من المؤلفات منها كتاب «النقط» هذا الذى قال عنه **المقريزي** فى مقدمة كتابه «**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**» «نبه فيه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت»[2].

وقد احتفظ لنا المقريزى فى كتابه «**الخطط**» بالعديد من النقول من كتاب «**النقط**» **للشريف الجوّاني**.

ومنهج الجوّانى فى الكتابة كما نستبين من بعض الروايات التى احتفظ لنا بها المقريزى فى خططه هو طريقه المحدثين، فهو يهتم بالاسناد فيقول سمعت فلان الذى حدث عن فلان عن ...[3].

وابن شداد، وهو أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن الأمير تميم بن المعز بن باديس الزيرى الصنهاجى. ويعرف كتابه باسم «**الجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان**».

ولانعرف شيئا عن تاريخ مولده أو نشأته الأولى، وأغلب الظن أن ابن شداد نشأ بالمهدية حاضرة الدولة الزيرية الصنهاجية، وظل مقيما لها حتى دولة الحسن بن على بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، كما يفهم من

---

(١) الصفدى، الوافى بالوفيات، الطبعة الثانية، ح٢، ص ٢٠٢، ترجمة (٥٧٩)، السخاوى، الاعلان بالتوبيخ، ص ٢٧٩، وانظر المقريزى، الخطط، ح٢، ص ١٤ عند كلامه عن (الحارة الجَوانية) يقول: تنسب للأشراف الجوانيين، منهم الشريف النسابة الجوّانى.

(٢) المقريزى، الخطط، ح١، ص ٥ س ١٦ - ١٧.

وللشريف الجوّانى مؤلفات أخرى منها كتاب «الروضة الأنيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة كما يسميه المقريزى، انظر، الخطط، ح٢، ص ٤٤٠، أو «الزورة الأنيسة فى فضل السيدة نفيسة» كما ورد فى الاعلان بالتوبيخ للسخاوى، ص ٣٨١. وله كتاب عن الأشراف الطالبيين، السخاوى، الاعلان، ص ٢١٥، وكتاب «الجوهر المكنون فى ذكر القبائل والبطون» انظر، المقريزى، الخطط، ح٢، ص ٤٣٦.

(٣) المقريزى، نفس المصدر، ح٢، ص٣٣٠.

رواية ابن خلكان الذى يقول فى ترجمته ليحيى بن تميم بن المعز: «قال عبد العزيز المذكور أدركت هذا الكتاب المشار إليه عند السلطان الحسن رحمه الله تعالى»، (وهو كتاب ملحمة كان يتضمن أموراً وقضايا ذكر أنها ستكون – بالنسبة لبيت الامارة الصنهاجي – وكانت كما ذكر الكتاب)[1].

وربما ظل ابن شداد مقيما بالمهدية حتى استيلاء رجار (أولجار) صاحب صقلية النورمندى عليها سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م. ونستبين من احدى الروايات التى نقلها النويرى فى كتابه الموسوم باسم «**نهاية الأرب**» عن ابن شداد أن محمد بن عبد العزيز بن شداد كان بمدينة صقلية سنة احدى وخمسين وخمسمائة[2].

وبعد صقلية رحل ابن شداد إلى دمشق فى تاريخ لانستطيع تحديده. ولو أنه اعتمادا على رواية **العماد الكاتب**، فى «**خريدة القصر وجريدة العصر**» فى ترجمة أبى يحيى تميم بن المعز بن باديس، يقول: «لقيت بدمشق ولد ولده وهو الأمير عبد العزيز بن شداد بن تميم وبها مقيم وأعارنى فى سنة احدى وسبعين ديوان جده ...»[3]. يمكن القول أنه ربما رحل إلى دمشق فى أوائل سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

ويفهم من النصوص أنه كان على علاقة وثيقة بالقاضى الفاضل عبد الرحيم ابن على البيسانى حيث يذكر **أبو شامة وابن واصل** فى حوادث سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م روايات نقلا عن **العماد الأصفهاني**، حدثه بها الأمير ابن

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٥٧ س ١٩ – ٢٠ ترجمة رقم (٧٧٦).

(٢) النويرى، نهاية الأرب، المخطوط، ج٢٢، ص (ذكر ابتداء دولة الملثمين وأخبارهم ومن ملك منهم).

(٣) العماد الأصفهانى، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق عمر الدسوقى وعلى عبد العظيم، طبع القاهرة، ١٩٦٩، القسم الرابع، الجزء الأول، ص ١٦٧.

شداد مسندة للقاضي الفاضل(١) .

وكتاب ابن شداد مفقود . وقد احتفظ لنا بروايات منه **ابن الأثير** في **«الكامل في التاريخ»**(٢) ، **وابن خلكان** في **«وفيات الأعيان»**(٣) ، **والنويري** في **«نهاية الأرب»**(٤) .

وكتاب ابن شداد مهم لتاريخ المغرب على وجه العموم، ولتاريخ الفترة المعاصرة، فهو يرجع إلى كثير من الكتب التي لم تصل إلينا، كما كان في موقف يسمح له بالاطلاع على وثائق وسجلات ديوان المهدية والقيروان. ولذلك فهو يعتبر من أهم المصادر عن الدولة الزيرية الصنهاجية في عهدها الأخير. وبعد رحيله إلى دمشق كان يستقي أخباره ومعلوماته عن المغرب من العلماء الذين كانوا يفدون إلى دمشق(٥) .

وكتاب ابن شداد كان يتناول تاريخ افريقية والمغرب حتى سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م كما ينص على ذلك النويري حيث يقول: **«وذلك كله في سنة خمس وتسعين وخمسمائة انتهي تاريخ ابن شداد وابن الأثير من أخبار المغرب إلي هذه الغاية»**(٦) .

والملاحظ فعلا أن حولیات ابن الأثير عن المغرب والأندلس تنتهي بسنة ٥٩٥هـ، رغم أن حولياته عن المشرق تستمر حتى نهاية سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م أي قبل وفاته بسنتين.

---

(١) أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، طبع بيروت، ج١، ص ٨٠، ابن واصل، مفرج الكروب، تحقيق جمال الدين الشيال، طبع القاهرة، سنة ١٩٥٧، ج٢، ص ١٩٧ .

(٢) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص ٢٤ - ٢٨ .

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان،

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص ٦٧ - ٦٨ .

(٥) التجاني، رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، طبع تونس ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص١٤ .

(٦) النويري، نهاية الأرب، المخطوط، ج٢٢، ص ٢٤٩ب.

بعد ابن شداد نتكلم عن **ابن ظافر** صاحب كتاب «**أخبار الدول المنقطعة**» هو علي بن ظافر بن حسين، جمال الدين، أبو الحسن الأزدى المصرى. ولد سنة سبع وستين وخمسمائة[١] ، وهى السنة التى شهدت انهيار الخلافة الفاطمية، فى عصر الخليفة العاضد لدين الله[٢] .

وتفقه على والده الفقيه الإمام أبو المنصور ظافر بن حسين الأزدى الاسكندرانى المولد، وقرأ عليه الأصول. وقد انتفع بأبى المنصور الفقيه المالكى، «خلق كثير ونشر الله تعالى به علما جما وتخرج به جماعة من الشافعية والمالكية[٣] .

وقد خلف ابن ظافر، والده، بعد وفاته، فى التدريس بمدرسة المالكية (المدرسة القمحية) بمصر سنة ٥٩٧هـ[٥] .

أما أهم الخطط التى تقلدها فهى توليه وزارة الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب[٦] . وتاريخ تولى ابن ظافر وزارة الأشرف موسى غير معروف ولكنه بعد سنة ٥٩٨هـ.

وتقول رواية **ياقوت الحموي** (مات سنة ٦٢٨هـ) صاحب كتاب «**معجم الأدباء**» أن ابن ظافر، ترك الوزارة وعاد إلى مصر ثم يذكر وفاته فى

---

(١) انظر، ابن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق احسان عباس، طبع دار الثقافة، بيروت، ح٣، ص ٢٦ - ٢٧ ترجمة رقم (٣٤٠).

(٢) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ١١٧.

(٣) المنذرى، التكملة لوفيات النقلة، المخطوط المصور بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، رقم ، ح٢، ص ٥٥.

(٤) عن مدرسة المالكية (المدرسة القمحية)، انظر، المقريزى، الخطط، ح٢، ص ٤٦٤.

(٥) ابن شاكر، فوات الوفيات، ح٣، ص ٣٧.

(٦) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبع بيروت، ح٥، ص ٣٣٠ ترجمة (٧٤٩). تقول الرواية وقد سيره والده فى سنة ٥٩٨هـ إلى مدينة الرها فملكها ثم أضيفت إليه حرّان، وملك نصيبين فى سنة ٦٠٦هـ ولما توفى أخوه الملك الأوحد نجم الدين أيوب فى سنة ٦٠٩هـ، صاحب خلاط وميافارقين أخذ الملك الأشرف مملكته مضافة إلى ملكه.

منتصف شعبان سنة ٦١٣هـ وهو فى الثامنة والأربعين من عمره[١].

أما **ابن شاكر الكتبي** فيقول أنه بعد تركه وزارة الأشرف، ورحيله إلى مصر ،ولى وكالة بيت المال مدة، وأنه أقبل فى آخر عمره على مطالعة الأحاديث النبوية ثم يذكر وفاته فى سنة ٦٢٣هـ[٢]. ونرجح بالنسبة لوفاته التاريخ الذى أورده ياقوت الحموى فهو معاصر لتلك الأحداث التى يرويها.

وصنف ابن ظافر العديد من المؤلفات منها كتاب «**أخبار الدول المنقطعة**» وهو كتاب مفيد جدا فى بابه كما يقول ابن شاكر[٣].

وابن ظافر أرخ لدولة الفواطم بعد أن أفل نجمها وانهارت. وهو يستقى معلوماته من أمهات الكتب الموجودة آنذاك على أيامه.

وقد تبع صاحب «**أخبار الدول المنقطعة**» مؤرخى السنة ذوى الميول العباسية فى الطعن فى نسب الفاطميين ونفيهم عن الانتساب لآل بيت الرسول ﷺ[٤].

وأهمية الكتاب تتمثل فى أنه احتفظ لنا بروايات من كتب ضاعت ولم تصل إلينا، والمثل لذلك كتاب «**سيرة الأفضل**»[٥]، وكتاب «**تاريخ خلفاء مصر**» **للمرتضي المحنك**[٦].

ثم يأتى بعد ذلك كتاب «**الكامل في التاريخ**» **لابن الأثير**.

وهو أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى الملقب عز الدين.

توفى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م. ويعتبر كتابه «**الكامل**» من أهم مصادر

---

(١) ياقوت، معجم الأدباء، ج١٣، ص ٢٦٥.

(٢) ابن شاكر، فوات الوفيات، ج٣، ص ٢٧.

(٣) ابن شاكر، المصدر السابق، ص٢٧.

(٤) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ١.

(٥) ابن ظافر، نفس المصدر، ص٩٢.

(٦) ابن ظافر، نفس المصدر، ص ٨٩.

التاريخ وذلك لأن مؤلفه يمتلك ملكة المؤرخ الموهوب فهو يعتنى بالنقد من ذلك قوله عند كلامه عن حصر أقسيس مصر وعوده عنها (سنة ٤٦٩هـ) .. «هكذا يذكر الشاميون هذا الاسم أقسيس والصحيح أنها اتسز وهو اسم تركى، وقد ذكر بعض مؤرخى الشام ...»[١].

ويقول فى موضع آخر (سنة ٥٤٤هـ) «وذكر بعض المؤرخين هذه الحادثة سنة أربع وأربعين، وذكر أيضا مثلها سنة ثلاث وأربعين فظنهما حادثتين وأنا أظنهما واحدة، ولكنا تبعناه فى ذلك ونبهنا عليه»[٢].

أما عن **منهج ابن الأثير** فهو يسرد الأحداث على طريقة الحوليات - مثل خليفة ابن خياط والطبرى - إلا أنه لكى يتلافى عيوب هذه الطريقة يحاول أن يعطى صورة عامة للموضوع ككل فى بداية ذكره أول سنواته ثم يفصله بعد ذلك على السنين. والمثل لذلك قوله عند كلامه عن «دخول العرب افريقية سنة ٤٤٢هـ» «وفى سنة ثلاث وخمسين وقعت الحرب بين العرب وهوارة ... وكان ينبغى أن يأتى كل شئ من ذلك فى السنة التى حدث فيها وإنما أوردناه متتابعا ليكون أحسن لسياقته فإذا انقطع وتخللته الحوادث فى السنين لم يفهم»[٣].

وعند كلامه عن «ذكر وفاة علاء الدولة بن سبكتكين وملك ابنه ... «وكان قتله فى جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وإنما ذكرناه ههنا لتتصل الحادثة»[٤].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، طبع دار الفكر، بيروت، ج٨، ص ١٢٣.

(٢) ابن الأثير، نفس المصدر، ج٩، ص ٢٥.

(٣) ابن الأثير، نفس المصدر، ج٨، ص ٥٥ - ٥٦.

(٤) ابن الأثير، نفس المصدر، ج٨، ص ٢٧١، سنة ٥٠٨ هـ.

متي صنف ابن الأثير كتابه؛

هذا وقد حاولت أن استبين العصر الذى بدأ فيه ابن الأثير تصنيف كتابه عن طريق تتبع بعض الروايات التى يذكرها فى ثنايا الكتاب يشير فيها إلى الزمن الذى كان يؤرخ فيه. وقد توصلت إلى أنه بدأ تدوينه «**للكامل**» فى سنة ٦١٦هـ. والإشارة الأولى التى يمكن أن نستشف منها ذلك يوردها المؤلف عند كلامه عن «ذكر حال طرابلس الشام مع الفرنج» سنة ٤٩٩هـ يقول: «.... فأرسل ملك الروم رسولا إلى القائم بأمر الله فسأله الصلح فأرسل إلى ألب أرسلان فى ذلك فصالح الروم على مائة ألف دينار ... فشتان بين الحالتين وأقول شتان بين حال أولئك المرذولين الذى استعجزهم وبين حال الناس فى زماننا هذا وهو **سنة ست عشرة وستمائة** مع الفرنج أيضا والتتر وسترى ذلك مشروحا إن شاء الله تعالى لتعلم الفرق»[1].

وفى موضع آخر يقول عند كلامه عن «ذكر وفاة كربوقا وملك موسى التركمانى الموصل وجكرمش بعده وملك سقمان الحصن» سنة ٤٩٥هـ. «... ورجع الأمير سقمان إلى الحصن فملكها وهى بيد أولاده إلى يومنا هذا **سنة عشرين وستمائة**»[2].

وابن الأثير مؤرخ ثقة صدوق يعتنى بصحة معلوماته، وهو وإن كان يغفل ذكر مصادره فى معظم الأحيان إلا أنه يهتم بصحة أخباره، وينقل عن كتب أهل الثقة من كل مصر وهم أخبر ببلادهم»[3].

---

(١) انظر، ابن الأثير، الكامل، طبعة دار الفكر، بيروت، ج٨، ص ٢٣٥.

(٢) ابن الأثير، نفس المصدر، ج٨، ص ٢١١.

(٣) انظر على سبيل المثال قوله عند «ذكر حصر أقسيس مصر وعوده عنها» سنة ٤٦٩هـ «وحكى لى من أثق به عن جماعة من فضلا مصر...» ج٨، ص ١٢٣، ج٩، ص ٨٥ سنة ٥٥٩ هـ إذ يقول: «فحدثنى من رأى أسد الدين حين خرج من بلبيس»، وفى موضع آخر يقول عند كلامه عن «ذكر ملك صلاح الدين مصر» سنة ٥٦٤هـ «حكى لى عنه بعض أصدقائنا ممن كان قريبا إليه خصيصا به». انظر، ج٩، ص ١٠٢.

«تاريخ مصر» أو «أخبار مصر» لابن ميسر

وهو محمد بن على بن يوسف بن شاهنشاه بن غسيان بن محمد بن جلب راغب المعروف بابن ميسر المصرى.

ولد فى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وستمائة بمصر[1]. ولانعرف شيئا عن نشأته، ولا العلوم التى درسها، ولا الخطط التى تقلدها.

وصنف ابن ميسر تاريخا لمصر[1]، وصنف أيضا «**تاريخ القضاة**» كما يقول الصفدى فى ترجمته له فى كتابه «الوافى بالوفيات»[2]، أو «**قضاة مصر**» كما يسميه **السخاوي** فى كتابه الموسوم باسم «**الاعلان بالتوبيخ**»[3].

ومات بمصر فى يوم السبت ثانى عشر المحرم سنة ٦٧٧هـ، ودفن بسفح المقطم[4].

تاريخ تصنيف ابن ميسر لكتابه:

وقد حاولت أن أتبين العصر الذى بدأ فيه ابن ميسر تصنيف كتابه عن طريق تتبع بعض الروايات التى يذكرها فى الكتاب يشير فيها إلى الوقت الذى كان يؤرخ فيه.

وقد توصلت إلى أنه بدأ تدوينه «لتاريخ مصر» فى عصر السلطان الظاهر بيبرس (ولى من سنة ٦٥٨هـ إلى سنة ٦٧٦هـ) والإشارة الأولى التى يمكن أن نستشف منها ذلك يوردها عند كلامه عن «دار الملك» وفى ذلك يقول: «بنى الأفضل دار الملك ... وصارت هذه الدار دار متجر فى أيام الكامل

(١) النويرى، نهاية الأرب، ج٣٠، ص ٣٩١ سنة ٦٧٧هـ.
(٢) الصفدى، الوافى بالوفيات، ج٤، ص ١٨٨، ترجمة (١٧٢٩).
(٣) السخاوى، الاعلان بالتوبيخ، ص ٢٠٥.
(٤) النويرى، نهاية الأرب، ج٣٠، ص ٣٩١.

محمد، ثم عملت دار وكالة فى أيام الظاهر بيبرس»[1].

وفى موضع آخر عند كلامه عن وفاة الحسن بن صبّاح رئيس الاسماعيلية سنة ٥١٨هـ يقول: «... امتدت مملكته بعد وفاته، فصار لهم عدة بلاد .. وكان رئيسهم فى سنة ست وخمسين وستمائة رضى الدين أبو المعالى، وقدم إلى مصر رسولا منهم قبل أن يرأس عليهم فى شوال سنة خمس وستين ...»[2].

هذا ولانجد أية إشارة فى المصادر التى نقلت عن ابن ميسر إلى أحداث خاصة بتاريخ مصر فيما بعد الدولة الفاطمية.

ولم يصلنا الكتاب فى صورته الأصلية، وإنما أخبار انتقاها مؤرخ مصر الشهير المقريزى من الجزء الثانى تبدأ بحوليات سنة ٤٣٩هـ من خلافة المستنصر بالله (ولى الخلافة سنة ٤٢٧هـ)، ويتضمن تكملة عصر المستنصر، وعصر المستعلى بالله، والآمر بأحكام الله، والفائز بنعمة الله (٥٤٩هـ - ٥٥٣هـ).

أى يتناول زمنيا الحوليات من سنة ٤٣٩هـ إلى سنة ٥٥٣هـ.

واهتم المقريزى بانتقاء روايات ذات طابع خاص، ونلاحظ عدم وجود سنوات، وسقوط أخبار خاصة بسنوات والمثل لذلك سقوط الأخبار الخاصة بسنوات ٤٧٣هـ، ٤٧٤هـ، ٤٧٥هـ، ٤٨١هـ، وكذلك السنوات من ٥٠٢ - ٥١٤هـ.

ولاحظنا استهلاله لسنة ٥٠٠هـ بقوله: «أهلت والخليفة ببغداد المستظهر بالله. ومدبر العراق السلطان غياث الدين محمد بن ملك شاه، والخليفة بمصر الآمر بأحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى ...»[3].

---

(١) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ١٠٢.

(٣) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ٧٦.

مما يجعلنا نقول أنه أنه كان يعالج تاريخ مصر فى إطار التاريخ الإسلامى العام.

وابن ميسر – كما سبق القول –، كتب مؤلفه هذا، الذى تناول فيه تاريخ الدولة الفاطمية فى عصر السلطان الظاهر بيبرس، أى أنه شاهد قيام الخلافة العباسية فى القاهرة سنة ٦٥٩هـ، وهو حدث له مغزاه.

ومن تلك الرواية التى يوردها **النويري** فى «**نهاية الأرب**» نقلا عن **ابن جلب راغب** (ابن ميسر) فى تاريخه والتى تقول أن المعز لما قدم مصر صعد المنبر وخطب خطبة بليغة وذكر نسبه إلى على بن أبى طالب فكتب إليه بعض المصريين ورقة ولصقها بالمنبر فيها:

إنا سمعنا نسبا منكرا　　　يتلى على المنبر فى الجامع

.... وقوله: وكان يتظاهر بذكر الماجريات قبل وقوعها لإطلاعه على علم النجامة ولكتب كانت عنده يستدل، فكتب إليه بعض المصريين ورقة وطرحها فى مجلسه فيها:

بالظلم والجور قد رضينا　　　وليس بالكفر والحماقة

إن كنت أوتيت علم غيب　　　فقل لنا كاتب البطاقة[1]

أقول نستشف من ذلك أنه كانت له ميول عباسية، وتبع مؤرخى العراق والشام فيما نقلوه، ويظهر كثرة تحاملهم على الخلفاء الفاطميين وشنيع قولهم فيهم.

هذا ويعتبر كتاب «**تاريخ مصر**» لابن ميسر من أهم المصادر التى أرخت لتاريخ مصر فى العصر الفاطمى.

وابن ميسر مؤرخ ثقة، يتصف بالأمانة والنزاهة والعدالة والورع والتقوى.

أما عن منهجه فى الكتابة فهو يذكر أهم الأحداث الخاصة بعصر كل

---

(١) النويرى، نهاية الأرب، جـ٢٨، ص ١٤٢ – ١٤٣.

خليفة على السنين والشهور والأيام.

وهو يورد الروايات التاريخية مسبوقة باسنادها فى بعض الأحيان، ويغفل ذلك فى أحيان كثيرة، كما يتضح لنا من هذا «**المنتقي**».

ويلاحظ أنه يعطى للحدث الواحد أكثر من رواية، ويظهر فى معظم الأحيان بمظهر المحايد الذى لايرجح رواية على أخرى.

وهو يكتفى فى بعض الأحيان بمجرد نقل الروايات كما هى دون أن يعرضها للنقد والتمحيص.

وفى بعض الأحيان لايكتفى بايراد الروايات كما هى وإنما يرجح رواية على الأخرى.

وأهم المصادر التى نص ابن ميسر على النقل عنها هى: «**معجم السلفي**»، وكتاب «**البستان بحوادث الزمان**»، و «**الكامل في التاريخ**» لابن الأثير.

المصادر التى نرجح أن **النويري** ينقل عنها:

يأتى فى مقدمتها «تاريخ الموصل» لأبي زكريا يزيد بن محمد بن اياس الأزدي الموصلي[1] . «كان إماما فاضلا عالمًا، كما يقول ابن الأثير، الذى رجع إليه، كما سبق القول[2]، وهو ثقة ومعاصر وشاهد عيان للأحداث التى يرويها توفى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥ - ٩٤٦م[3] .

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ح٦، ص ٦٣، وانظر السخاوى، الاعلان بالتوبيخ، ص٢٨٣، عند كلامه عن الموصل يقول: «ولأبى زكريا يزيد بن محمد بن اياس الأزدى، محدثوها وحفاظها (وشرع العز ابن الأثير صاحب «الكامل» فى تاريخ. لها، فمات قبل أن يكمله».

وقد أشار إليه ياقوت فى «معجم البلدان» عند كلامه عن الموصل بقوله: «وقال أبو زكريا يزيد بن محمد بن اياس الأزدى فى كتاب «طبقات محدثى أهل الموصل» انظر، ياقوت، معجم البلدان، طبع دار صادر بيروت، سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م

(٢) انظر، فيما سبق، ص ١٤ - ١٥.

(٣) انظر، السخاوى، الاعلان، ص ٢٨٣، هـ٣.

أبو محمد عبد الله بن محمد، وهو من بلى «قبيلة من أهل مصر»، وكان «واعظا فقيها عالماً، كما يقول ابن النديم في كتابه «الفهرست»[١] . أما السبب الذى دعا البلوى إلى تصنيف كتاب فى «سيرة أحمد بن طولون» فهو كما يقول فى المقدمة: «فهمت ما ذكرت جعلنى الله فداك فى سيرة آل طولون، وأنك قرأت كتاب أحمد بن يوسف فى ذلك ... وأنك تريد ما هو أكبر منه شرحا، وأكمل وصفا»[٢] .

ثم يبين منهاجه فى التأليف فيقول: «وأردت أن يكون ذلك مستقصى جميعه، وعلى ترتيب فى شرحه، ولايذكر آخرا قبل أول، ولايقدم سالفاً على آنف، وقد امتثلت أمرك فيما أردت ... ولم أدع من أخبار جماعتهم شيئا مثله يؤرخ به ويتأدب وله يستحسن إلا ذكرته.

وجعلت ذلك أبوابا، ولم أذكر فى الباب ما ليس فى شكله، ولاخلطت به ما خرج عن أصله ...»[٣] .

وابن الداية كان «أحد خواص دولتهم» كما يقول ابن سعيد فى «**المغرب في حلي المغرب**» ، وفى موقف يسمح له بالاطلاع على بواطن الأمور فى الدولة، وهو شاهد عيان، ويروى عن عدد من كبار رجال دولة ابن طولون، قواده، وكتابه، وأصحاب دواوينه، وغلمانه، وغيرهم من ثقات دولته، ومن هنا جاءت أهمية كتابه كما سبق القول[٤] .

والبلوى ينقل روايات ابن الداية باسنادها إلى الرواة الذين نقل عنهم دون

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٧٣ .

(٢) انظر، البلوى، سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، ص ٣١ - ٣٢.

(٣) البلوى، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٢.

(٤) انظر فيما سبق، ص١٠ .

الإشارة إليه والتصريح بالنقل عنه. وهو بهذا يفتقد الأمانة والنزاهة والعدالة، وهى أهم صفات المؤرخ.

وبمقارنة العديد من الروايات التى وردت فى كتاب البلوى، بما ورد فى كتاب ابن الداية، نجده ينقل روايات ابن الداية باللفظ والمعنى.

أما طريقته فى التأريخ، فهو يورد الخبر أو الحدث، ويحاول تحليله وتعليله وأحياناً يصرح برأيه، وهو يهتم بالاسناد على طريقة المحدثين.

أما متى صنف **البلوي** كتابه هذا عن «**سيرة أحمد بن طولون**» أغلب الظن أنه ألفه بعد سنة ٣٣٠ هـ.

ثم يأتى كتاب «**الولاة**» أو «**أخبار أمراء مصر**» **للكندي**

والكندى هو أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص، أحد أعلام علماء مصر ومؤرخيها فى القرن الرابع الهجرى (توفى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م) «حدّث فى آخر عمره وسمع منه»، «وكان أعلم الناس بالبلد وأهله وأعماله وثغوره»[١].

والكندي يمثل نفس المدرسة التاريخية الأولى فى مصر. فهو يحدثنا عمن ولى أمرة مصر، ومن ولى الصلاة ومن ولى الحرب والشرطة ومن جمع له الصلاة والخراج منذ فتح عمرو بن العاص لمصر على أيام الخليفة عمر بن الخطاب «إلى زماننا هذا»[٢].

وكثير من روايات **الكندي** تروى منسوبة إلى رواتها الأوائل. ومن أهم من نقل عنهم: سعيد بن عفير (توفى سنة ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م) وابن لهيعة، ويحيى بن عبد الله بن بكير، وفقيه مصر الأشهر يزيد بن أبى حبيب (توفى سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٦م)، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المؤرخ

---

(١) انظر، الكندى، كتاب الولاة، تحقيق جست، طبع بيروت ١٩٠٨، ص٥.

(٢) الكندى، نفس المصدر، ص ٦.

المشهور، وهؤلاء بدورهم يذهبون بسلسلة المسندين حتى شهود العيان الأوائل للأحداث.

وإلى جانب ذلك هناك ذكر «**أشياخ مصر**»[1].

ثم القاضى **النعمان بن محمد** صاحب «**رسالة افتتاح الدعوة**» وكتاب «**المجالس والمسايرات**».

هو أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمى المغربى (توفى سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م).

وقد دخل فى خدمة الخلفاء الفواطم الأوائل منذ المهدى وحتى المعز لدين الله وفى ذلك يقول: «وخدمت المهدى بالله صلوات الله عليه من آخر عمره تسع سنين وشهورا وأياما، والإمام القائم بأمر الله من بعده (ﷺ) فى انهاء أخبار الحضرة إليهما فى كل يوم طول تلك المدة إلا أقل الأيام. وكان لهما صلوات الله عليهما من النعم والفضل على فى ذلك ما لاأحصيه عدداً ولا أقوم ببعض شكره أبداً»[2].

ونستبين من هذا النص أنه تقلد خطة «صاحب الخبر» أو «صاحب البريد» لدى الخليفتين المهدي بالله والقائم بأمر الله.

ويقول: «وكنت أخدم المنصور بالله صلوات الله عليه بعض أيام المهدى بالله صلوات الله عليه وأيام القائم (ﷺ) كلها، وكانت له علىّ من النعم والآلاء ما لاأحصى عددها. وكانت خدمتى إياه فى جمع الكتب له وانتساخها»[3].

وتقلد منصب القضاء فى مدينة طرابلس، على أيام المنصور، ثم ولى

---

(١) انظر، الكندى، كتاب الولاة، ص ٢٧ حيث يقول: «فذكر بعض أشياخ مصر»، ص ١٠٧ «حدثنى أشياخنا»، ص ١٠٨ «وذكر أشياخ مصر».

(٢) القاضى النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٧٩.

(٣) القاضى النعمان، نفس المصدر، ص ٨٠.

خطة القضاء (أيام المنصور أيضا) بمدينة المنصورية والمهدية والقيروان وسائر مدن افريقية وأعمالها، كما يقول فى كتابه «**المجالس والمسايرات**»[1]، مما جعله فى موقف يسمح له بالكتابة عن التشريع الفاطمى.

ويظهر **القاضي النعمان** فى كتاب «**افتتاح الدعوة**» كمؤرخ محقق، وقد صنف كتابه هذا بناء على طلب الخليفة المعز لدين الله وقد بدأ تدوينه فى سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م[2].

وفى «**افتتاح الدعوة**» يحدثنا **القاضي النعمان** عن تنظيم الدعوة الفاطمية فى المغرب منذ بداياتها الأولى على أيام الإمام جعفر الصادق، وبين علاقتها باليمن، وذلك قبل أن يعرفنا بأبى عبد الله الداعى الشيعى، وكيف عهد إليه بالقيام بأمر الدعوة فى قبائل كتامة، وتنظيم أنصار مذهب المهدى هناك، كما ينفرد الكتاب بتقديم أخبار تفصيلية عن الصراع الداخلى بين القبائل، والحرب بين الداعى والأغالبة تلك الحرب الدامية التى انتهت بدخول القيروان، وتاهرت وسجلماسة حيث تم انقاذ المهدى. وعن **القاضي النعمان** نقل المتأخرون أمثال **ابن الأثير**، **والنويري** (الذى احتفظ لنا كما نرجح برواية ابن شداد عن الرقيق الكاتب القيروانى عن القاضى النعمان) -، **وابن خلدون** وغيرهما.

والقاضى النعمان، مؤرخ ثقة صدوق، وكان فى موقف يمكنه من الاطلاع على كنه الأمور، وكتب عن الدعوة بعد وقت قليل من قيام الدولة الفاطمية وهو ينقل أخباره عن الثقات من أصحاب أبى القاسم (منصور اليمن) وغيرهم[3].

أما كتاب «**المجالس والمسايرات**» فيقول فى مقدمته: «نقل عن خير

---

(١) انظر، القاضى النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٨١، ص ٣٤٨.

(٢) انظر، القاضى النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، ص ٢٨٢، المجالس والمسايرات، ص ١١٧.

(٣) القاضى النعمان، نفس المصدر، ص ٤٧.

الأسلاف وصالحى الأخوان أخبار ما فضل به الأئمة من أهل بيت النبى ﷺ ،دعتنا الرغبة فى ثواب ذلك إلى نقل ما سمعناه، وتأدى إلينا ورويناه، وأثرناه عمن شاهدناه وأدركناه منهم، صلوات الله عليهم، إلى غيرنا ممن غاب عن ذلك من أهل عصرنا، لينقلوا ذلك عنا إلى من يأتى من بعدنا»[1].

ثم يضيف إلى ذلك قوله: «ولقد كنت جمعت عن المهدى بالله، والقائم بأمر الله، والمنصور بالله صلوات الله عليهم ورحمته وبركاته، وفيهم وفى فضائلهم ما يطول ذكرها. وألفت سيرة المعز لدين الله صلوات الله عليه، من الوقت الذى أفضى الله عز وجل بأمر الإمامة إليه إلى اليوم»[2].

ثم يبين منهجه فى الكتاب فيقول إنه يذكر «فى هذا الكتاب ما سمعته من المعز صلوات الله عليه من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة، عن مذاكرة فى مجلس أو مقام أو مسايرة، وما تأدى إلىّ من ذلك من بلاغ أو توقيع أو مكاتبة على تأدية المعنى دون اللفظ حقيقة بلا زيادة ولانقص»[3].

ويقول «غير أنى صنعت فى ذلك صنيعا ... وهو أنى جعلت كلما أثرت شيئا عن الإمام ... كتبته وأريته إياه وعرفته عليه بعد أن قدمت فى ذلك العذر عنده»[4].

ثم يأتى **القضاعي** صاحب كتاب «**تاريخ مصر**».

وهو محمد بن سلامة بن جعفر بن على بن حكمون بن إبراهيم بن محمد ابن مسلم القضاعى الفقيه الشافعى.

روى عنه أبو عبد الله الحميدى[5]. وولى القضاء بمصر «نيابة من جهة

---

(١) القاضى النعمان، المجالس والمسايرات، ص ٤٥.

(٢) القاضى النعمان، المصدر السابق، ص ٤٦.

(٣) القاضى النعمان، نفس المصدر، ص٤٧.

(٤) القاضى النعمان، نفس المصدر، ص ٣٠١.

(٥) الصفدى، الوافى بالوفيات، اعتناء س ديدرينغ، فيسبادن، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، الطبعة الثانية غير المنقحة، ج٣، ص ١١٦، ترجمة (١٠٥٣).

المصريين، كما يقول الصفدى فى ترجمته له فى كتابه الموسوم باسم كتاب «**الوافي بالوفيات**»[1] ووجه الخليفة المستنصر من مصر برسالة إلى القسطنطينية كما يقول ابن ميسر فى كتابه «**المنتقي من أخبار مصر**»[2].

وله كتاب «**تاريخ مصر**» من مبدأ الخلق إلى زمانه فى خمسة كراريس. و «**كتاب الشهاب**»، وكتاب «**مناقب الشافعي**»[3]، وكتاب «**الأنباء عن الأنبياء والخلفاء**»[4].

ومن أشهر مؤلفاته أيضا كتابه فى «**خطط مصر**» المعروف باسم «**المختار في ذكر الخطط والآثار**»[5]. وقد نقل عنه المقريزى العديد من رواياته فى كتاب «**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**»[6].

توفى فى سابع عشر ذى القعدة بمصر سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م[7].

---

(١) الصفدى، الوافى بالوفيات، ج٣، ص ١١٦، وانظر، ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٦٥ حيث يقول عن الوزير الجرجرائى: «وكان القاضى أبو عبد الله القضاعى يعلم عنه: الحمد لله شكرا لنعمته».

(٢) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٤، سنة ٤٤٧هـ.

(٣) الصفدى، الوافى بالوفيات، ص ١١٦.

(٤) انظر، السخاوى، الاعلان بالتوبيخ، ص ٤٠ حيث يقول: «وقال أبو عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر القضاعى الشافعى قاضى مصر أنه جمع جملا من أنباء الأنبياء وتواريخ الخلفاء وولايات الملوك والأمراء إلى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة (١٠٣١م) على وجه الاختصار ليقرب حفظه على من أراده، ففيه يعلى من فائدته مع حفظه كفاية المحاضرة وبلغة منيعة للمذاكرة».

(٥) انظر، المقريزى، الخطط، ح١، ص٥، والسخاوى، الاعلان بالتوبيخ، ص ٢٧٩ حيث يقول: «وجمع خططها وشيئا من أخبار من دخلها من الصحابة ومن مات منهم بها وأسماء الصالحين وأماكن قبورهم وآثارهم وعجائبها وما ينسب إليها القضاعى ...».

(٦) انظر على سبيل المثال، المقريزى، الخطط، ح١، ص ٣٣٠ (ذكر ما كانت عليه مدينة مصر من كثرة العمارة)، ح٢، ص ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥١ (الجامع العتيق)، ح٢، ص ٢٨٢، ٢٨٣ (جامع راشدة) حيث يدحض رواية ابن المتوج صاحب كتاب «إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل» فيقول: «وقد عدّ القضاعى والكندى فى كتابيهما المذكور فيهما خطط مصر وما كان بمصر من مساجد الخطبة القديمة والمحدثة ولم يذكرا فيها جامعا اختطته راشدة ... وناهيك بهما معرفة لآثار مصر».

(٧) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٢٦.

وابن الصيرفى، صاحب كتاب «**الاشارة إلي من نال الوزارة**» هو على بن منجب بن سليمان، الكاتب المعروف بابن الصيرفى لأن والده كان صيرفيا وجده كاتبا. أخذ صناعة الترسل عن ثقة الملك أبى العلاء صاعد بن مفرج، صاحب ديوان الجيش، ثم انتقل إلى ديوان الإنشاء، ثم صار فيه بمفرده. ولد بمصر فى ٢٢ شعبان سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، وتوفى فى شهر صفر سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م[١].

وقد خصه الحافظ السلفى بترجمة فى كتابه الموسوم باسم «**معجم السفر**» قال فيها عنه «... من أجل الكتاب وأعيان أهل الأدب رأيته بمصر سنة خمس عشرة وخمسمائة»[٢].

وله العديد من المؤلفات منها «**قانون ديوان الرسائل**» نشره على بهجت، القاهرة، ١٩٠٥، وكتاب «**الإشارة إلي من نال الوزارة**» حققه عبد الله مخلص، القاهرة، ١٩٢٥م.

و «تاريخ خلفاء مصر» للمرتضي المحنك

أبو عبد الله محمد بن الحسن الأنصارى الطرابلسى.

بدأ نجمه فى الظهور فى عصر الخليفة الحافظ لدين الله. حيث استخدمه الوزير رضوان بن ولخشى فى «ديوان النظر» سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م[٣].

وعزل فى سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م بالقاضى الموفق أبى الكرم محمد بن معصوم التنسى[٤]. ثم أعيد إليه نظر الدواوين فى سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧ م[٥].

---

(١) ياقوت، معجم الأدباء، ج١٥، ص ٧٩ – ٨٠ ترجمة رقم (١٩)، ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٣٨.

(٢) السلفى، معجم السفر، المخطوط المصور المحفوظ بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية، رقم ٩١٢، ج١، ص ١٠٥.

(٣) المقريزى، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص ١٦٥ سنة ٥٣٢هـ.

(٤) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٣٦، سنة ٥٤٠هـ.

(٥) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ١٣٧.

وعلى أيام الحافظ أيضا وبعد مقتل الوزير رضوان بن ولخشى (فى ليلة الثلاثاء لسبع بقين من ذى القعدة سنة ٥٤٢هـ حسبما تقول رواية ابن ظافر ويتبعه فى ذلك ابن ميسر والمقريزى)[١] «لم يستوزر بعده أحدا، بل كانوا كتابا على سنة الوزراء أرباب العمائم كأبى عبد الله محمد بن الأنصارى، «وخلع عليه بالحنك – (ومن هنا جاء لقبه المحنك)–، والدواة فتصرف تصرف وزراء الأقلام»[٢].

وتوفى **المرتضى المحنك** سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م فى عصر الخليفة الفائز بنصر الله[٢].

وصنف كتاب «**تاريخ خلفاء مصر**»[٣]. والكتاب كما يبدو من عنوانه أرخ فيه لمصر بعد أن أصبحت دار خلافة – على أيام الفاطميين – أى منذ قدوم المعز لدين الله الفاطمى ودخوله القاهرة ٥ رمضان سنة ٣٦٢هـ[٤]، متضمنا أغلب الظن الكلام عن عصر جوهر الكاتب.

وتتمثل أهمية الكتاب فى الفترة التى عاصرها **المرتضى المحنك**، وعاش أحداثها، بل لانجاوز الصواب إذا قلنا وشارك فيها. وهو بحكم تقلده «ديوان النظر» كان فى موقف يسمح له بالتعرف عن قرب ببواطن الأمور فى الدولة.

ولاشك أن توليه خطة الوزارة انعكس أثره فى كتابته عن تلك الفترة التى اشترك فى نسج أحداثها. والكتاب للأسف مفقود ولم يصل إلينا، حتى يمكننا التعرف عما كان يحويه من أخبار فى تلك الفترة الهامة من حياته. ويرجع

---

(١) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٦٦؛ ابن ميسر، ص ١٣٨، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٣، ص ١٨٣.

(٢) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٩٩، ابن ميسر، ص ١٤٠، المقريزى، اتعاظ الحنفا، ح٣، ص ١٨٩.

(٣) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٥٣، المقريزى، ح٣، ص ٢٢٣.

(٤) ابن ميسر، نفس المصدر، ص ١٥٣، المقريزى، ح٣، ص ٢٢٣.

(٥) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص ٢٥، النويرى، نهاية الأرب، المخطوط، ح٢٦، ورقة ٤٣.

الفضل لابن ظافر، صاحب «أخبار الدول المنقطعة» في الاحتفاظ بنقول منه.

وعمارة اليمني صاحب كتاب «النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية».

وهو كما يترجم لنفسه أصله من قحطان، ثم الحكم بن سعد العشيرة المذحجى (ومن هنا يعرف بالحكمى)، وهو من تهامة باليمن من مدينة قحطان من وادى وساع (وتبعد من مكة فى الجنوب أحد عشر يوما) ولد بها وتربى[1].

وهو من بيت علم وفضل أجداده كانت لهم الرياسة[2].

وفى سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م، رحل إلى زبيد وأنزله الوزير (مسلم بن سخت) فى داره مع أولاده يقول: «ولازمت الطلب وأقمت أربع سنين لا أخرج من المدرسة إلا لصلاة يوم الجمعة»[3].

يذكر حجه مع الملكة الحرة أم فاتك ملك زبيد، وما كان من تقدمه عندها «حصل لى منها جانب قوى وصورة جميلة وشفاعة مقبولة»، وعن طريقها تعرف على الوزير القائد أبى محمد سرور الفاتكى «وهو القائم بدولتها ودولة فاتك صاحب زبيد»[4].

ثم يتكلم عن اشتغاله بالتجارة من عدن إلى زبيد[5] «وامتد هذا الشوط من سنة ثمان وثلاثين إلى سنة ثمان وأربعين ما من أهل دولتى زبيد وعدن إلا من يغار على نصيبه من مجالستى ومؤانستى ويطلقون ما وصل من البضائع باسمى من الهند ومن عدن ومن زبيد ومن مكة ومن عيذاب برا وبحرا»[6].

---

(١) انظر، عمارة اليمنى، النكت العصرية، ص ٧.

(٢) عمارة اليمنى، نفس المصدر، ص ٨.

(٣) عمارة اليمنى، نفس المصدر، ص ٢١.

(٤) عمارة اليمنى، نفس المصدر، ص ٢٤، ٢٦.

(٥) عمارة اليمنى، نفس المصدر، ص ٢٦ - ٢٧.

(٦) عمارة اليمنى، نفس المصدر، ص ٢٧ س ١١ - ١٣، ص ٢٨.

وأصبح يعد من أكابر التجار ومن أعيان الفقهاء الذين افتوا ودرسوا غيرهم ومن أفضل أهل الأدب منزله.

خرج «حاجا بل هاجا إلى مكة سنة تسع وأربعين وخمس ماية وفى موسم هذه السنة مات أمير الحرمين هاشم بن فليته وولى الحرمين ولده قاسم بن هاشم فالزمنى السفارة عنه والرسالة منه إلى الدولة المصرية، فقدمتها فى شهر ربيع الأول سنة خمسين وخمس مائة والخليفة بها يومئذ الإمام الفائز بن الظافر والوزير له الملك الصالح طلائع بن رزيك «واستحضرنى الصالح للمجالسة ونظمنى فى سلك أهل المؤانسة»[1].

واستوطن مصر وبعد انقراض دولة الفاطميين، اتفق عمارة مع جماعة من الرؤساء على إعادة الدولة الفاطمية، فعلم بهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فقتله صلاح الدين مع الجماعة المذكورة فى سنة تسع وستين وخمسمائة[2].

يقول فى مقدمة كتاب «النكت العصرية»، وبعد فهذا مجموع لم أقصد به شيئا مخصوصا، ولاقفنا منصوصا، بل ذكرت فيه نبذا من الأخبار مختلفة المقاصد، متباينة المراصد، ولم أورد فيه إلا ما أملاه الخاطر، أو رواه من أقيمه فى الصدق مقام الناظر ... وأشرت فيه إلى النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية»[3]، وأشرت فيه إلى ما شاهدته من العجائب العصرية، فى أخبار الوزراء المصرية، من غير افراط فى أوصافهم، ولاتفريط فى انصافهم،

---

(١) عمارة اليمنى، النكت العصرية، ص ٣١، ص ٣٤.

(٢) انظر، ابن الأثير، الكامل، طبع دار الفكر، بيروت، ح٩، ص ١٢٣، سنة ٥٦٩هـ حيث يقول عند كلامه عن «ذكر قتل جماعة من المصريين أرادوا الوثوب بصلاح الدين» فى هذه السنة ثانى رمضان صلب صلاح الدين يوسف بن أيوب جماعة ممن أراد الوثوب بمصر من أصحاب الخلفاء العلويين .. منهم عمارة بن أبى الحسن اليمنى الشاعر، وابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص ١٨٩ (وهو ينقل عن ابن الأثير، السيوطى، حسن المحاضرة، ح٢، ص ٢٢٨) (ذكر من كان بمصر من الفقهاء الشافعية).

(٣) عمارة اليمنى، النكت العصرية، ص ٥، ص ٦ (س١ – ٤).

وأن تخلل ذلك شئ ليس منه فبالعرض لا بالغرض ..»[1].

وابن الحباب صاحب «سيرة الصالح طلائع بن رزيك»

وهو القاضى المكين أبو المعالى عبد العزيز بن الحسين ابن الحباب، (الشيخ الشريف الجليس)، كما يسميه معاصره عمارة اليمنى فى كتابه «**النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية**»[2].

وهو كما يقول **ابن سعيد** فى كتابه «**النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة**» «من ذرية بنى الأغلب التميميين سلاطين (أمراء) افريقية، ولهذا البيت مجد مؤثل إلى الآن فى مصر (أى على أيام ابن سعيد كان بمصر فى سنة ٦٤٦هـ) . وتعالى قدر أبى المعالى حتى صار جليس الخليفة الفاطمى الفائز بنعمة الله»[3] ومجلس الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك وهو من جلسائه «من أهل الأقلام»، ومن «أعيان أهل الأدب» حسبما تقول رواية عمارة اليمنى[4].

ومن إحدى روايات عمارة نستبين أنه كان يومئذ (أى فى عصر وزارة الصالح) «ناظر مع ابن دخان فى الديوان»[5] (نستشف من الرواية أنه ديوان رواتب) ؟

بينما يقول ابن سعيد «وذكر **عمارة** فى كتاب «**تاريخ اليمن**» أنه تولى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق أبى الحجاج. وذكره صاحب «**الجنان**»

---

(١) عمارة اليمنى، النكت العصرية، ص ٦ (س ١٢ - ١٥).

(٢) عمارة اليمنى، نفس المصدر، ص ١٠٧، ص ١١٦، ص ١٢٠.

(٣) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص ٢٥٤.

(٤) عمارة اليمنى، النكت العصرية، ص ٣٤، وانظر، ص ٨٦، وفيها يذكر عمارة أنه طلب من شاور اعفائه من عمل الشعر «وينقل الجارى على الخدمة راتبا على حكم الضيافة، ولما سأله ما منعك أن تستعفى أيام الصالح وابنه قال: «كانت لى أسوة وسلوة بالشيخ الجليس ابن الحباب وبابنى الزبير، الرشيد والمهذب وقد انقرض الجيل والنظراء».

(٥) عمارة اليمنى، النكت العصرية، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(الرشيد بن الزبير)، «وأطنب في الثناء عليه»[1]، وكذلك **العماد الأصفهاني** في «**خريدة القصر وجريدة العصر**»[2].

توفي في سنة إحدى وستين وخمس مائة[3].

وابن الحباب كان في موقف اجتماعي يسمح له بالكتابة عن الصالح وعصره.

والكتاب الأخير الذي نرجح أن النويري نقل عنه هو «**نزهة المقلتين في أخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية**» **لعبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير الفهري القيسراني الكاتب المصري**[4].

ولد سنة ٥٢٥ هـ/ ١١٣٠م، وتوفي سنة ٦١٧هـ/ ١١٢٠م[5].

وتتمثل أهمية الكتاب في الفترة التي عاصرها **ابن الطوير**، وكان شاهد عيان للأحداث فيها. وهو عصر الخلفاء الفاطميين الأواخر.

وخطة الكتابة هذه التي وليها كان صاحبها كما يقول **ابن خلدون** في «**المقدمة**» يتخير من أرفع طبقات الناس، وأهل المروءة والحشمة منهم، وزيادة العلم، وعارضة البلاغة، فإنه معرض النظر في أصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك ما تدعو إليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل ...»[6].

---

(١) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص ٢٥٥.

(٢) العماد الاصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر، نشر أحمد أمين وشوقي ضيف واحسان عباس، طبع مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٢، ج١، ترجمة (١٨) ص ١٩٨ س ١-٢ يقول: «جليس صاحب مصر. فضله مشهور وشعره مأثور، وكان أوحد عصره في مصر نظما ونثرا وترسل وشعراء»

(٣) العماد الاصفهاني، نفس المصدر، ص ١٨٩، ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص ٢٥٦، السيوطي، حسن المحاضرة، ج١، ص ٣٢٤ (ذكر من كان بمصر من الشعراء والأدباء).

(٤) المقريزي، الخطط، ج١، ص ٣٨٦.

(٥) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، مقدمة الكتاب بالفرنسية لاندريه فريه، ص ١٧.

(٦) ابن خلدون، المقدمة، طبعة التجارية، ص ٢٤٧ (ديوان الرسائل والكتابة).

وابن الطوير بحكم تقلده خطة الكتابة، كان فى موقف يسمح له بمعرفة بواطن الأمور، وعمله هذا مكنه من الاطلاع على الوثائق والسجلات الموجودة فى الدواوين.

ومن ذلك قوله (عن مدينة القلزم) «ورأيت شيئا من حسابه من جهة مستخدميه فى حواصل القصر وما ينفق على واليه وقاضيه وداعيه وخطيبه، والأجناد المركزين لحفظه ... وجامعه ومساجده»[1].

وابن الطوير صنف كتابه هذا على أيام الناصر صلاح الدين سنة ٥٧٢هـ أو بعدها، كما نستشف من روايته عن الوزير المأمون بن البطائحى. وفيها يقول: «وكان بالدار التى بالسيوفيين بالقاهرة وهى اليوم مدرسة للحنفية»[2].

وكتاب «**نزهة المقلتين**» **لابن الطوير** لم يهتم بالأحداث السياسية فقط، وإنما اهتم بصفة خاصة بالنظم والتراتيب الإدارية والرسوم المتبعة فى الدولة الفاطمية، كما يتضح لنا من النقول التى احتفظ بها **القلقشندي** فى «**صبح الأعشي**»، **والمقريزي** فى «**المواعظ والاعتبار**».

(١) انظر، المقريزى، الخطط، حـ١، ص ٢١٣.

(٢) وعن المدرسة السيوفية وهى أول مدرسة وقفت على الحنفية بمصر، أنظر، المقريزى، الخطط، حـ٢، ص ٣٦٥ – ٣٦٦.

نصوص ووثائق

١ - ذكر بعض فضائل مصر

٢ - ذكر فتح مصر «من كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم»

٣ - ذكر بناء القاهرة وأمان جوهر لأهل مصر «من كتاب اتعاظ الحنفا للمقريزي»

٤ - الرسالة أو السجل المعروف باسم الهداية الآمرية في إبطال الدعوى النزارية



ذكر بعض فضائل مصر

حدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة وبكر بن عمرو الخولانى يرفعان الحديث إلى عبد الله بن عمرو قال قبط مصر أكرم الأعاجم كلها وأسمحهم يداً وأفضلهم عنصراً وأقربهم رحماً بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها فى الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين تخضر زروعها وتنور ثمارها. حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافرى عن كعب الأحبار قال من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة فلينظر إلى مصر إذا أخرفت وقال غير أبى الأسود إلى أرض مصر إذا أزهرت. وقال غير ابن لهيعة وكان منهم السحرة فآمنوا جميعاً فى ساعة واحدة ولا نعلم جماعة أسلمت فى ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط. قال وكانوا كما حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة السباى وبكر بن عمرو الخولانى ويزيد بن أبى حبيب المالكى يزيد بعضهم على بعض فى الحديث اثنى عشر ساحراً رؤساء تحت يدى كل ساحر منهم عشرون عريفاً تحت يدى كل عريف منهم ألف من السحرة فكان جميع السحرة مائتى ألف وأربعين ألفاً ومائتين واثنين وخمسين إنساناً بالرؤساء والعرفاء. فلما عاينوا ما عاينوا أيقنوا أن ذلك من السماء وأن السحر لايقوم لأمر الله فخر الرؤساء الاثنى عشر عند ذلك سجداً فاتبعهم العرفاء واتبع العرفاء من بقى وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون. حدثنا هانئ ابن المتوكل حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب. أن تبيعا قال فكانوا من أصحاب موسى صلوات الله عليه ولم يفتتن منهم أحد مع من افتتن من بنى إسرائيل فى عبادة العجل. حدثنا هانئ بن المتوكل حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى

حبيب أن تبيعا كان يقول ما آمن جماعة قط فى ساعة واحدة مثل جماعة القبط. حدثنا أبو صالح حدثنا الليث عن يزيد بن أبى حبيب أنه بلغه أن كعب الأحبار كان يقول مثل قبط مصر كالغيضة كلما قطعت نبتت حتى يخرب الله بهم وبصناعتهم جزائر الروم.

قال وكانت مصر كما حدثنا عبد الله بن صالح وعثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عبد الرحمن شماسة المهرى عن أبى رهم السماعى قناطر وجسوراً، بتقدير وتدبير حتى أن الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها فيحبسونه كيف شاءوا ويرسلونه كيف شاءوا فذلك قول الله عز وجل فيما حكى من قول فرعون أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون، ولم يكن فى الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر. وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله إلى آخره فى الجانبين جميعاً مابين أسوان إلى رشيد، وسبع خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهي وخليج سردوس، جنات متصلة لاينقطع منها شئ عن شئ والزرع مابين الجبلين من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء وكان جميع أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعاً لما قدروا ودبروا من قناطرها وخلجها وجسورها فذلك قوله عز وجل كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم. قال والمقام الكريم المنابر كان بها ألف منبر. قال وأما خليج الفيوم والمنهى حفرهما يوسف صلعم وسأذكر كيف كان ذلك فى موضعه إن شاء الله. وأما خليج سردوس فإن الذى حفره هامان. حدثنا عبد اله بن صالح وعثمان بن صالح قالا حدثنا ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتدأ حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت

قريتهم ويعطونه مالاً قال وكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو المشرق ثم يرده إلى قرية من نحو دبر القبلة ثم يرده إلى قرية فى الغرب ثم يرده إلى أهل قرية فى القبلة ويأخذ من أهل كل قرية مالاً حتى اجتمع له فى ذلك مائة ألف دينار فأتى بذلك يحمله إلى فرعون فسأله فرعون عن ذلك فأخبره بما فعل فى حفره فقال له فرعون ويحك إنه ينبغى للسيد أن يعطف على عباده ويفيض عليهم ولا يرغب فيما بأيديهم رد على أهل كل قرية ما أخذت منهم فرده كله على أهله. قال فلا يعلم بمصر خليج أكثر عطوفاً منه لما فعل هامان فى حفره. وكان هامان كما حدثنا أسد عن خالد بن عبد الله عن محدث حدثه نبطياً. وكانت بحيرة الاسكندرية كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد كرماً كلها لامرأة المقوقس فكانت تأخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم فكثر الخمر عليها حتى ضاقت به ذرعاً فقالت لا حاجة لى فى الخمر اعطونى دنانير فقالوا ليس عندنا فأرسلت عليهم الماء فغرقتها فصارت بحيرة يصاد فيها الحيتان حتى استخرجها بنو العباس فسدوا جسورها وزرعوا فيها.

ذكر نزول القبط بمصر وسكناهم بها

حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن عياش بن عباس القتبانى عن حنش بن عبد الله الصنعانى عن عبد الله بن عباس قال كان لنوح صلعم أربعة من الولد، سام بن نوح، وحام بن نوح، ويافث بن نوح، ويحطون بن نوح، وأن نوحا صلعم رغب إلى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة فى ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فنادى ساما فأجابه يسعى وصاح سام فى ولده فلم يجبه أحد منهم إلا ابنه أرفخشذ فانطلق به معه حتى أتياه فوضع نوح يمينه على سام وشماله على

أرفخشذ ابن سام وسأل الله عز وجل أن يبارك فى سام أفضل البركة وأن يجعل الملك والنبوة فى ولد أرفخشذ ثم نادى حاما فتلفت يمينا وشمالا ولم يجبه ولم يقم إليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده آذلاء وأن يجعلهم عبيداً لولد سام. وقال وكان مصر بن بيصر بن حام نائماً إلى جنب جده حام فلما سمع دعاء نوح على جده وولده قام يسعى إلى نوح فقال ياجدى ....

ذكر فتح مصر

من كتاب

فتوح مصر وأخبارها

لابن عبد الحكم



اختلاف عمرو بن العاص إلي الإسكندرية

قبل الفتح

.... فى بعض جبالها يسيح وكان عمرو يرعى إبله وابل أصحابه وكانت رعية الابل نوباً بينهم فبينما عمرو يرعى ابله إذ مر به ذلك الشماس وقد أصابه عطش شديد فى يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه عمرو من قربه له فشرب حتى روى ونام الشماس مكانه وكانت إلى جنب الشماس حيث نام حفرة فخرجت منها حية عظيمة فبصر بها عمرو فنزع لها بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر إلى حية عظيمة قد أنجاه الله منها فقال لعمرو ما هذه فأخبره عمرو أنه رماها فقتلها فأقبل إلى عمرو فقبل رأسه وقال قد أحيانى الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما أقدمك هذه البلاد قال قدمت مع أصحاب لى نطلب الفضل فى تجارتنا فقال له الشماس وكم تراك ترجو أن تصيب فى تجارتك قال رجائى أن أصيب ما أشترى به بعيراً فإنى لا أملك إلا بعيرين فأملى أن أصيب بعيراً آخر فتكون ثلاثة أبعرة . فقال له الشماس أرأيت دية أحدكم بينكم كم هى قال مائة من الابل قال له الشماس لسنا أصحاب إبل إنما نحن أصحاب دنانير قال يكون ألف دينار فقال له الشماس إنى رجل غريب فى هذه البلاد وإنما قدمت أصلى فى كنيسة بيت المقدس وأسيح فى هذه الجبال شهراً جعلت ذلك نذراً على نفسى وقد قضيت ذلك وأنا أريد الرجوع إلى بلادى فهل لك أن تتبعنى إلى بلادى ولك عهد الله وميثاقه أن أعطيك ديتين لأن الله تعالى أحيانى بك مرتين فقال له عمرو أين بلادك قال مصر فى مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا أعرفها ولم أدخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت أنك لم تدخل قط مثلها فقال عمرو وتفى لى بما تقول وعليك بذلك العهد والميثاق فقال له الشماس نعم

لك الله على بالعهد والميثاق أن أفى لك وأن أردك إلى أصحابك فقال عمرو وكم يكون مكثى فى ذلك قال شهراً تنطلق معى ذاهباً عشراً وتقيم عندنا عشراً وترجع فى عشر ولك على أن أحفظك ذاهباً وأن أبعث معك من يحفظك زاجعاً فقال له عمرو أنظرنى حتى أشاور أصحابى فى ذلك فانطلق عمرو إلى أصحابه فأخبرهم بما عاهده عليه الشماس وقال لهم تقيموا على حتى أرجع إليكم ولكن على العهد أن أعطيكم شطر ذلك على أن يصحبنى رجل منكم آنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلاً منهم فانطلق عمرو وصاحبه مع الشماس إلى مصر حتى انتهى إلى الاسكندرية فرأى عمرو من عمارتها وكثرة أهلها وما بها من الأموال والخير ما أعجبه وقال ما رأيت مثل مصر قط وكثرة ما فيها من الأحوال ونظر إلى الاسكندرية وعمارتها وجودة بنائها وكثرة أهلها وما بها من الأموال فازداد عجباً. ووافق دخول عمرو الإسكندرية عيداً فيها عظيماً يجتمع فيها ملوكهم وأشرافهم ولهم أكرة من ذهب مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها بأكمامهم وفيما اختبروا من تلك الأكرة على ما وضعها من مضى منهم أنها من وقعت الأكرة فى كمه واستقر فيه لم يمت حتى يملكهم. فلما قدم عمرو الاسكندرية أكرمه الشماس الإكرام كله وكساه ثوب ديباج ألبسه إياه وجلس عمرو والشماس مع الناس فى ذلك المجلس حيث يترامون بالأكرة وهم يتلقونها بأكمامهم فرمى بها رجل منهم فأقبلت تهوى حتى وقعت فى كم عمرو فعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الأكرة قط إلا هذه المرة أترى هذا الإعرابى يملكنا هذا ما لايكون أبداً. وأن ذلك الشماس مشى فى أهل الاسكندرية واعلمهم أن عمرا أحياه مرتين وأنه قد ضمن له ألفى دينار وسألهم أن يجمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها إلى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه. وبعث معهما الشماس دليلاً ورسولاً وزودهما وأكرمهما حتى رجع وصاحبه إلى أصحابهما فبذلك عرف عمرو مدخل مصر ومخرجها ورأى منها ما علم أن

أفضل البلاد وأكثره مالاً فلما رجع عمرو إلى أصحابه دفع إليهم فيما بينهم ألف دينار وأمسك لنفسه ألفاً قال عمرو فكان أول مال اعتقدته وتأثلته.

ذكر فتح مصر

حدثنا عثمن بن صلح حدثنا ابن لهيعة عن عبيد الله ن أبى جعفر وعياش ابن عباس القتبانى وغيرهما يزيد بعضهم على بعض قال فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية قام إليه عمرو فخلا به وقال ياأمير المؤمنين ائذن لى أن أسير إلى مصر وحرضه عليها وقال إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهى أكثر الأرض أموالاً وأعجزها عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب على المسلمين وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم أمرها عند عمر بن الخطاب ويخبره حالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك عمر فعقد له على أربعة آلاف رجل، كلهم من عك. ويقال بل ثلثة آلاف وخمسمائة. حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب أن عمرو بن العاص دخل مصر بثلثة آلاف وخمسماية حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب مثله ألا أنه قال ثلثهم غافق قال ثم رجع إلى حديث عثمن قال فقال له عمر سر وأنا مستخير فى الله فى مسيرك وسيأتيك كتابى سريعاً إن شاء الله فإن أدركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف وإن أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره. فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به أحد من الناس واستخار عمر الله فكأنه مخوف على المسلمين فى وجههم ذلك فكتب إلى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك الكتاب عمراً وهو برفح فتخوف عمرو بن العاص إن

هو أخذ الكتاب وفتحه. أن يجد فيه الانصراف كما عهد إليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل إنها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن معه ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى قال فإن أمير المؤمنين عهد إلى وأمرنى إن لحقنى كتابه ولم أدخل أرض مصر أن أرجع ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله ويقال بل كان عمرو بفلسطين فتقدم بأصحابه إلى مصر بغير إذن . فكتب فيه إلى عمر فكتب إليه عمرو هو دون العريش فحبس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش فقرأه فإذا فيه من عمر بن الخطاب إلى العاص بن العاص أما بعد فإنك سرت إلى مصر ومن معك وبها جموع الروم وإنما معك نفر يسير ولعمرى لو كانوا ثكل أمك ما سرت بهم فإن لم تكن بلغت مصر فارجع. فقال عمرو الحمد لله أية أرض هذه قالوا من مصر فتقدم كما هو. حدثنا ذلك عثمن بن صالح عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب. ويقال بل كان عمرو فى جنده على قيسارية مع من كان بها من أجناد المسلمين وعمر بن الخطاب إذ ذاك بالجابية فكتب سراً فاستأذن إلى مصر وأمر أصحابه فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتنحوا من منزل إلى منزل قريب ثم سار بهم ليلاً فلما فقده أمراء الأجناد استنكروا الذى فعل ورأوا أن قد غرر فرفعوا ذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر إلى العاص بن العاص أما بعد فإنك قد غررت بمن معك فإن أدركك كتابى ولم تدخل مصر فارجع وإن أدركك وقد دخلت فامض واعلم إنى ممدك. فيما حدثنا عبد الملك بن مسلمة ويحيى بن خلد عن الليث بن سعد. قال ويقال إن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص بعدما فتح الشام أن أندب الناس إلى المسير معك إلى مصر فمن خف معك فسر به وبعث به مع شريك بن عبدة فندبهم عمرو

فأسرعوا إلى الخروج مع عمرو ثم أن عثمن بن عفان دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر كتبت إلى عمرو بن العاص يسير إلى مصر من الشام فقال عثمن ياامير المؤمنين إن عمراً لمتجرؤ وفيه رقدام وحب للإمارة فاخشي أن يخرج فى غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لايدرى تكون أم لا فندم عمر بن الخطاب على كتابه إلى عمرو إشفاقاً مما قال عثمن فكتب إليه إن أدركك كتابى قبل أن تدخل مصر فارجع إلى موضعك وإن كنت دخلت فامض لوجهك.

وكانت صفة عمرو بن العاص كما حدثنا سعيد بن عفير عن الليث بن سعد قصيراً عظيم الهامة ناتئ الجبهة واسع الفم عظيم اللحية عريض مابين المنكبين عظيم الكفين والقدمين. قال الليث يملأ هذا المسجد.

قال فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص إلى مصر توجه إلى الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش وكان على القصر رجل من الروم يقال له الأعيرج والياً عليه وكان تحت يدى المقوقس وأقبل عمرو حتى إذا كان بجبل الحلال نفرت معة راشدة وقبائل من لخم فتوجه حتى إذا كان بالعريش أدركه النحر فحدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال فضحى عمرو عن أصحابه يومئذ بكبش وكان رجل ممن كان خرج مع عمرو بن العاص حين خرج من الشام إلى مصر كما حدثنا هانئ بن المتوكل عن أبى شريح عبد الرحمن بن شريح عن عبد الكريم بن الحرث أصيب بجمل له فأتى إلى عمرو يستحمله فقال له عمرو تحمل مع أصحابك حتى نبلغ أوائل العامر فلما بلغوا العريش جاء فام له بجملين ثم قال له لن تزالوا بخير ما رحكمتكم أئمتكم فإذا لم يرحموكم هلكتم وهلكوا قال ثم رجع إلى حديث عثمن بن صلح قال فتقدم عمرو بن العاص فكان أول موضع قوتل فيه الفرما قاتلته

الروم قتالاً شديداً نحواً من شهر ثم فتح الله على يديه. وكان عبد الله بن سعد كما حدثنا سعيد بن عفير على ميمنة عمرو بن العاص منذ توجه من قيسارية إلى أن فرغ من حربه. وقال غير ابن عفير من مشائخ أهل مصر وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له أبو بنيامين فلما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر كتب إلى القبط يعلمهم أنه لاتكون للروم دولة وأن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقى عمرو. فيقال أن القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعواناً. قال عثمن فى حديثه ثم توجه عمرو لايدافع إلا بالأمر الخفيف حتى نزل القواصر. فحدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن وهب حدثنا عبد الرحمن بن شريح أنه سمع شراحيل بن يزيد يحدث عن أبى الحسين أنه سمع رجلاً من لخم يحدث كريب بن أبرهة قال كنت أرعى غنماً لأهلى بالقواصر فنزل عمرو ومن معه فدنوت إلى أقرب منازلهم فإذا بنفر من القبط كنت قريباً منهم فقال بعضهم لبعض ألا تعجبون من هولاء القوم يقدمون على جموع الروم وإنما هم فى قلة من الناس فأجابه رجل آخر منهم فقال إن هؤلاء القوم لايتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم قال فقمت إليه فأخذت بتلابيبه فقلت أنت تقول هذا انطلق معى إلى عمرو بن العاص حتى يسمع الذى قلت فطلب إلى أصحابه وغيرهم حتى خلصوه فرددت الغنم إلى منزلى ثم جئت حتى دخلت فى القوم. قال عثمن فى حديثه فيقدم عمرو لايدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى بلبيس فقاتلوه بها نحواً من شهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لايدافع إلا بالأمر الخفيف حتى أتى أم دنين فقاتلوه بها قتالاً شديداً وأبطأ عليه الفتح فكتب إلى عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف فقاتلهم. ثم رجع إلى حديث ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح عن شراحيل بن يزيد عن أبى الحسين أنه سمع رجلاً من لخم. قال فجاء رجل إلى عمرو بن العاص . فقال

ندب معى خيلاً حتى آتى من ورائهم عند القتال فأخرج معه خمسمائة فارس
ساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بنى وائل قبل الصبح. وكانت الروم قد
خندقوا خندقاً وجعلوا له أبواباً وبثوا فى أفنيتها حسك الحديد. فالتقى القوم حين
صبحوا وخرج اللخمى بمن معه من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن. قال
غير ابن وهب بعث خمسمائة عليهم خارجة بن حذافة قال فلما كان فى وجه
الصبح نهض القوم فصلوا الصبح ثم ركبوا خيلهم. وغدا عمرو بن العاص على
القتال فقاتلهم من وجههم وحملت الخيل الذى كان وجه من ورائهم وأقحمت
عليهم فانهزموا وكانوا قد خندقوا حول الحصن وجعلوا للخندق أبواباً. قال ابن
وهب فى حديثه عن عبد الرحمن بن شريح فسار عمرو بمن معه حتى نزل
على الحصن فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت
ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه
ديناراً وجبة وبرنسا وعمامة وخفين وسألوه أن يأذن لهم أن يهيئوا له
ولأصحابه صنيعاً ففعل. فحدثنى أبى عبد الله بن عبد الحكم أن عمرو بن
العاص أمر أصحابه فتهيئوا ولبسوا البرد ثم أقبلوا. قال ابن وهب فى حديثه فلما
فرغوا من طعامهم سألهم عمرو كم أنفقتم قالوا عشرين ألف دينار قال عمرو لا
حاجة لنا صنيعكم بعد اليوم أدوا إلينا عشرين ألف دينار. فجاءه النفر من القبط
فاستأذنوه إلى قراهم وأهليهم فقال لهم عمرو كيف رأيتم أمرنا قالوا لم نر إلا
حسناً فقال الرجل الذى قال فى المرة الأولى ما قاله لهم إنكم لن تزالوا تظهرون
على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلاً فغضب عمرو وأمر به فطلب إليه
أصحابه وأخبروه أنه لايدرى ما يقول حتى خلصوه فلما بلغ عمراً قتل عمر بن
الخطاب أرسل فى طلب ذلك القبطى فوجده قد هلك فعجب عمرو من قوله.
قال غير ابن وهب قال عمرو بن العاص فلما طعن عمر بن الخطاب قلت هو ما

قال القبطى فلما حدثت أنه إنما قتله أبو لؤلؤة رجل نصرانى قلت لم يعن هذا إنما عنى من قتله المسلمون فلما قتل عثمن عرفت أن ما قاله الرجل حق. فقال أبى فى حديثه فلما فرغوا من صنيعهم أمر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهمو أمرهم أن يحضروا لذلك فصنع لهم الثريد والعراق وأمر أصحابه بلباس الأكسية واشتمال الصماء والقعود على الركب فلما حضرت الروم وضعوا كراسى الديباج فجلسوا عليها وجلست العرب إلى جوانبهم فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من ذلك اللحم فتيطاير على من إلى جنبه من الروم فبشعت الروم بذلك وقالوا أين أولئك الذين كانوا أتونا قبل فقيل لهم أولئك أصحاب المشورة وهؤلاء أصحاب الحرب. قال وقد سمعت فى فتح القصر وجهاً غير هذا.

حدثنا عثمن بن صالح أخبرنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبى جعفر وعياش ابن عباس وغيرهما يزيد بعضهم على بعض أن عمرو بن العاص حصرهم بالقصر الذى يقال له بابليون حيناً وقاتلهم قتالاً شديداً يصبحهم ويمسيهم فلما أبطأ الفتح عليه كتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويعلمه ذلك فأمده عمر بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل وكتب إليه عمر بن الخطاب إنى قد أمدتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل مقام الألف الزبير بن العوام والمقداد ابن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد. وقال آخرون بل خارجة بن حذافة الرابع لايعدون مسلمة. وقال عمر بن الخطاب اعلم أن معك اثنى عشر ألفاً ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة. قال عثمن قال ابن وهب فحدثنى الليث بن سعد قال بلغنى عن كسرى أنه كان له رجال إذا بعث أحدهم فى جيش وضع من عدة الجيش الذى كان معه ألفاً مكانه لأجزاء ذلك الرجل فى الحرب وإذا احتاج إلى أحدهم فكان فى جيش فحبسه

نحاجته إليه زادهم ألف رجل. قال الليث فانزلت الذى صنع عمر بن الخطاب نى بعثته بالزبير والمقداد ومن بعث معهما نحو ماكان يصنع كسرى. حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال كان عمر بن الخطاب قد أشفق على عمرو فأرسل الزبير فى أثره. فى اثنى عشر ألفاً فشهد معه الفتح. حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحرث وابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر بن الخطاب بعث الزبير بن العوام فى اثنى عشر ألفاً. وقال غير عثمن فكانوا قد خندقوا حول حصنهم وجعلوا للخندق أبواباً وجعلوا سكك الحديد موتدة بأفنية الأبواب وكان عمرو قد قدم من الشام فى عدة قليلة فكان يفرق أصحابه ليرى العدو أنهم أكثر مما هم فلما انتهى إلى الخندق نادوه أن قد رأينا ما صنعت وإنما معك من أصحابك كذا وكذا فلم يتحصنوا برجل واحد فأقام عمرو على ذلك أياماً يغدو فى السحر فيصف أصحابه على أفواه الخندق عليهم السلاح فبينما هو على ذلك إذ جاءه خبر الزبير بن العوام. ثم قدم الزبير بن العوام فى اثنى عشر ألفاً فتلقاه عمرو ثم أقبلا يسيران ثم لم يلبث الزبير أن ركب ثم طاف بالخندق ثم فرق الرجال حول الخندق.

ثم رجع إلى حديث عثمن عن ابن لهيعة قال فلما قدم المدد على عمرو بن العاص ألح على القصر ووضع عليه المنجنيق . وقال عمرو يومئذ

يوم لهمدان ويوم للصدف　　　　والمنجنيق فى بلى تختلف

وعمرو يرقل أرقال الشيخ الخرف

وكان عمرو إنما يقف تحت راية بلى فيما يزعمون.

وقد كان عمرو بن العاص كما أخبرنى شيخ من أهل مصر قد دخل إلى صاحب الحصن فتناظرا فى شئ مما هم فيه فقال عمرو أخرج استشير

أصحابى وقد كان صاحب الحصن أوصى الذى على الباب إذا مر به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو إلى صاحب الحصن فقال له أنى أريد أن آتيك بنفر من أصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت فقال العلج فى نفسه قتل جماعة أحب إلى من قتل واحد وأرسل إلى الذى كان أمره بما أمره به من قتل عمرو ألا تعرض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم وخرج عمرو. هذا أو معناه . حدثنا عيسى بن حماد قال لما حصر المسلمون الحصن كان عبادة بن الصامت فى ناحية يصلى وفرسه عنده فرآه قوم من الروم فخرجوا إليه وعليهم حلية وبزة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حمل عليهم فلما رأوه غير مكذب عنهم ولوا راجعين وأتبعهم فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم ولا يلتفت إليه حتى دخلوا الحصن ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يعرض لشئ مما كانوا طرحوا من متاعهم حتى رجع إلى موضع الذى كان به فاستقبل الصلاة وخرج الروم إلى متاعهم يجمعونه.

حدثنا أبو الأسود النصر بن عبد الجبار حدثنا المفضل بن فضالة أخبرنا عياش ابن عباس القتبانى عن شييم بن بيهان عن شيبان بن أمية عن رويفع بن ثابت قد كان أحدنا فى زمان رسول الله ﷺ . يأخذ نصو أخيه على أن يعطيه النصف مما يغنم وله النصف حتى إن أحدنا ليطير له النصل والريش . وللآخر القدح. وإن رسول الله ﷺ قال من استنجى برجيع دابته أو بعظم فإن محمداً منه برئ . قال عياش بن عباس وأخبرنى شييم بن بيتان عن أبى سالم الجيشانى أنه سمع عبد الله بن عمرو وهو مرابط حصن بابليون يحدث عن رسول الله ﷺ بهذا الحديث.

قال عثمان فى حديثه فلما أبطأ الفتح على عمرو بن العاص قال الزبير أنى أهب نفسى لله أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلماً إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً قال غير عثمن فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبر معه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر . قال ثم رجع إلى حديث عثمن قال فلما اقحم الزبير وتبعه من تبعه وكبر وكبر من معه وأجابهم المسلمون من خارج لم يشك أهل الحصن أن العرب قد اقحموا جميعاً فهربوا فعمد الزبير وأصحابه إلى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه إليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو إلى ذلك. حدثنا سعيد بن عفير قال وصعد مع الزبير الحصن محمد بن مسلمة وملك بن أبى سلسلة السلامى ورجال من بنى حرام وأن شرحبيل بن حجية المرادى نصب سلماً آخر من ناحية [زقاق] الزمامرة اليوم فصعد عليه فكان بين الزبير وبين شرحبيل شئ على باب أو مدخل فكأن شرحبيل نال من الزبير بعض ما كره فبلغ ذلك عمرو ن العاص فقال له استقد منه إن شئت فقال الزبير أمن نغفة من نغف اليمن أستقيد يابن النابغة. وكانت صفة الزبير بن العوام كما حدثنا هشام بن اسحق فيما يزعمون أبيض حسن القامة ليس بالطويل قليل شعر اللحية أهلب كثير شعر الجسد. وكان مكثهم كما حدثنا عثمن بن صلح عن عبد الله بن وهب عن الليث على باب القصر حتى فتحوه سبعة أشهر. وقد سمعت فى فتح القصر وجها آخر مخالفاً للحديثين جميعاً. والله أعلم.

حدثنا عثمن بن صالح أخبرنا خلد بن نجيح عن يحيى بن أيوب وخلد بن

حميد قالا حدثنا خلد بن يزيد عن جماعة من التابعين بعضهم يزيد على بعض أن المسلمين لما حاصروا بابليون وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهم بها شهراً فلما رأى القوم الجد منهم على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروات عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل وزعم بعض مشائخ أهل مصر أن الأعيرج كان مخلف فى الحصن بعد المقوقس فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفهنم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة.

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخلد بن حميد. قال فارسل المقوقس إلى عمرو بن العاص إنكم قوم قد ولجتم فى بلادنا، وألححتم على قتالنا وطال مقامكم فى أرضنا وإنما أنتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وإنما أنتم أسارى فى أيدينا فابعثوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لطلبتكم ورجائكم فابعث إلينا رجالاً من أصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شئ. فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس فقال لأصحابه أترون أنهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك فى دينهم وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله أنه ليس بينى وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال إما أن دخلتم فى الإسلام فكنتم إخواننا وكان لكم ما لنا وأن أبيتم

فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا، وهو خير الحاكمين. فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال لهم كيف رأيتموهم قالوا رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إليه من الرفعة ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم. فقال عند ذلك المقوقس والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذ أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم. فرد إليهم المقوقس رسله ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم. فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت حدثنا سعيد بن عفير قال أدرك الإسلام من العرب عشرة نفر طول كل رجل منهم عشرة أشبار عبادة بن الصامت أحدهم. ثم رجع إلى حديث عثمن قال وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم وألا يجيبهم إلى شئ دعوه إليه إلا إحدى هذه الثلث خصال فإن أمير المؤمنين قد تقدم إلى فى ذلك وأمرنى أن لا أقبل شيئاً سوى خصلة من هذه الثلث خصال. وكان عبادة بن الصامت أسود فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده فقال نحوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى فقالوا جميعاً إن هذا الأسود أفضلنا رأياً وعلماً وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وإنما نرجع جميعاً إلى قوله ورأيه وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به وأمرنا بأن لا نخالف رأيه وقوله قال وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغى أن يكون هو دونكم قالوا كلا إنه وإن كان أسود كما ترى فإنه من أفضلنا موضعاً وأفضلنا سابقة وعقلاً ورأياً

وليس ينكر السواد فينا فقال المقوقس لعبادة تقدم يا أسود وكلمنى برفق فإنى أهاب سوادك وإن اشتد كلامك على ازددت لذلك هيبة فتقدم إليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وإن فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود كلهم أشد سواداً منى وأفظع منظراً ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لى وأنا قد وليت وأدبر شبابى وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعاً وكذلك أصحابى وذلك أنا إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة فى دنيا ولا طلباً للاستكثار منها إلا أن الله قد أحل ذلك لنا وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً وما يبالى أحدنا أكان له قنطار من ذهب أم كان لايملك إلا درهماً لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته لليله ونهاره وشملة يلتحفها فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله واقتصر على هذا الذى بيده ويبلغه ما كان فى الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء إنما النعيم والرخاء فى الآخرة وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله فى رضاء ربه وجهاد عدوه. فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندى من منظره إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها. ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال أيها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم إلا بما ذكرت وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل وأنا لنعلم انكم لن تقووا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم

وقد أقمت بين أظهرنا أشهراً وأنتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغاشكم ما لا قوام لكم به. فقال عبادة بن الصامت ياهذا لاتغرن نفسك ولا أصحابك أما ما مخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لانقوى عليهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه إن كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه وجنته وما من شئ أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك وإنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسنيين إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا وإنها لأحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا وإن الله عز وجل قال لنا فى كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده وليس لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا. وأما قولك أنا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه. فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك فى الباطل بذلك أمرنى الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا، إما أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين الذى لايقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا

فى دين الله فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم، فإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون نعاملكم على شئ نرضى به نحن وأنتم فى كل عام أبداً ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض لكم فى شئ من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد علينا، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذى ندين الله به ولايجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لأنفسكم. فقال له المقوقس هذا ما لايكون أبداً ما تريدون إلا أن تتخذونا نكون لكم عبيداً ما كانت الدنيا. فقال له عبادة بن الصامت هو ذاك فاختر ما شئت فقال له المقوقس أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال فرفع عبادة يديه وقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شئ ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختروا لأنفسكم. فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه فقال قد فرغ القوم فما ترون فقالوا أويرضى أحد بهذا الذل أما ما أرادوا من دخولنا فى دينهم فهذا ما لايكون أبداً أن نترك دين المسيح ابن مريم وندخل فى دين غيره لا نعرفه وأما ما أرادوا من أن يسبونا ويجعلونا عبيداً فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مراراً كان أهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون. فقام عبادة وأصحابه فقال المقوقس عند ذلك لمن حوله أطيعونى وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ماهو أعظم كارهين فقالوا وأى خصلة نجيبهم إليها قال إذاً أخبركم أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم

ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة قالوا أفنكون لهم عبيداً أبداً قال نعم تكونوا عبيداً مساطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيداً تباعون وتمزقوا فى البلاد مستعبدين أبداً أنتم وأهلوكم وذراريكم قالوا فالموت أهون علينا وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط وبالجزيرة وبالقصر من جمع القبط والروم جمع كثير فألح عليهم المسلمون عند ذلك بالقتال على من فى القصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير وأسر من أسر وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة وصار المسلمون قد أحدق بهم الماء من كل وجه لايقدرون على أن ينفذوا نحو الصعيد ولا إلى غير ذلك من المدائن والقرى والمقوقس يقول لأصحابه ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم ما تنتظرون فوالله لتجيبنهم إلى ما أرادوا طوعاً أو لتيجبنهم إلى ما هو أعظم منه كرهاً فأطيعونى من قبل أن تندموا. فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال أذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه وأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص إنى لم أزل حريصاً على إجابتكم إلى خصلة من تلك الخصال التى أرسلت إلى بها فأبى ذلك على من حضرنى من الروم والقبط فلم يكن لى أن أفتات عليهم فى أموالهم وقد عرفوا نصحى لهم وحبى صلاحهم ورجعوا إلى قولى فأعطنى أماناً اجتمع أنا وأنت فى نفر من أصحابى وأنت فى نفر من أصحابك فإن استقام الأمر بيننا تم ذلك لنا جميعاً وإن لم يتم رجعنا إلى ما كنا عليه. فاستشار عمرو أصحابه فى ذلك فقالوا لا نجيبهم إلى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير [الأرض] كلها لنا فيئاً وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه فقال عمرو قد علمتم ما عهد إلى أمير المؤمنين فى عهده فإن أجابوا إلى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد إلى فيها أجبتهم إليها وقبلت منهم مع ما قد حال هذا

الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم. فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران ديناران عن كل نفس شريفهم ووضيعهم من بلغ الحلم منهم ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا النساء شئ وعلى أن للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم وأن لهم أرضهم وأموالهم لايعرض لهم فى شئ منها فشرط هذا كله على القبط خاصة وحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليه الديناران رفع ذلك عرفاؤهم بالإيمان المؤكدة فكان جميع من أحصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما أحصوا وكتبوا ورفعوا أكثر من ستة آلاف ألف نفس فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمى قال لما فتح عمرو بن العاص مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم إلى ما وفق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبى فاحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية ألف ألف. قال وحدثنى عبد الله بن صلح حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب أن المقوقس صالح عمرو بن العاص على أن يفرض على القبط دينارين دينارين على كل رجل منهم.

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال وشرط المقوقس للروم أن يخيروا فمن أحب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازماً له مفترضاً عليه ممن أقام بالاسكندرية وما حولها من أرض مصر كلها ومن أراد الخروج منها إلى أرض الروم خرج وعلى أن للمقوقس الخيار فى الروم خاصة

حتى يكتب إلى ملك الروم يعلمه ما فعل فإن قبل ذلك ورضيه جاز عليهم وإلا كانوا جميعاً على ما كانوا عليه. وكتبوا به كتاباً وكتب المقوقس إلى ملك الروم كتاباً يعلمه على وجه الأمر كله فكتب إليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول فى كتابه : إنما أتاك من العرب اثنا عشر ألفاً وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فإن كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية إلى العرب واختاروهم علينا فإن عندك بمصر من الروم بالاسكندرية ومن معك أكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون أنت ومن معك من الروم فى حال القبط أذلاء ألا تقاتلهم أنت ومن معك من الروم حتى تموت أو تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة فناهضهم القتال ولا يكون لك رأى غير ذلك. وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتاباً إلى جماعة الروم. فقال المقوقس لما أتاه كتاب ملك الروم والله أنهم على قلتهم وضعفهم أقوى وأشد منا على كثرتنا وقوتنا أن الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك أنهم قوم الموت أحب إلى أحدهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقتل يتمنى ألا يرجع إلى أهله ولا بلده ولا ولده ويرون أن لهم أجراً عظيماً فيمن قتلوا منا ويقولون أنهم إن قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة فى الدنيا ولا لذة إلا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله إنى لا أخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب عليه وانى لأعلم أنكم سترجعون غداً إلى رأيى وقولى وتتمنون إن لو كنتم أطعتمونى وذلك إنى قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه. ويحكم إما يرضى أحدكم أن يكون آمناً فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة. ثم أقبل المقوقس إلى عمرو بن العاص فقال له إن الملك قد

كره ما فعلت وعجزنى وكتب إلى والى جماعة الروم أن لا نرضى بمصالحتك وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ولم أكن لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وإنما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متم لك على نفسى والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاهدتهم وأما الروم فأنا منهم برئ. وأنا أطلب إليك أن تعطينى ثلاث خصال قال له عمرو ماهن قال لاتنقض بالقبط وأدخلنى معهم وألزمنى ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ما عاهدتك عليه فهم متمون لك على ما تحب، وأما الثانية إن سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئا وعبيداً فإنهم أهل ذلك لأنى نصحتهم فاستغشونى ونظرت لهم فاتهمونى، وأما الثالثة اطلب إليك إن أنا مت أن تأمرهم يدفنونى فى أبى يحنس بالاسكندرية. فانعم له عمرو بن العاص بذلك وأجابه إلى ما طلبه على أن يضمنوا له الجسرين جميعاً ويقيموا لهم الانزال والضيافة والأسواق والجسور مابين الفسطاط إلى الإسكندرية ففعلوا وقال غير عثمن وصارت لهم القبط أعواناً كما جاء فى الحديث.

ويقال إن المقوقس إنما صالح عمرو بن العاص على الروم وهو محاصر الاسكندرية. حدثنا يحيى بن خلد العدوى عن الليث بن سعد أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية حاصر أهلها ثلاثة أشهر وألح عليهم وخافوه وسأله المقوقس الصلح عنهم كما صالحه على القبط على أن يستنظر رأى الملك قال فحدثنا عبد الله بن صلح حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب أن المقوقس الرومى الذى كان ملكاً على مصر صالح عمرو بن العاص على أن يسير من الروم من أراد المسير ويقر من أراد الأقامة من الروم على أمر قد سماه فبلغ ذلك هرقل ملك الروم فتسخطه أشد التسخط وأنكره أشد الانكار وبعث

الجيوش فأغلقوا الاسكندرية وآذنوا عمرو بن العاص بالحرب فخرج إليه المقوقس فقال أسألك ثلاثا قال ما هن قال لاتبذل للروم ما بذلت لى فانى قد نصحت لهم فاستغشوا نصحى ولا تنقض بالقبط فإن النقض لم يأت من قبلهم وأن تأمر بى إذا مت فادفنى فى أبى يحنس فقال عمرو هذه أهونهن علينا.

ثم رجع إلى حديث عثمن قال فخرج عمرو بن العاص بالمسلمين حين أمكنهم الخروج وخرج معه جماعة من رؤساء القبط وقد أصلحوا لهم الطرق وأقاموا لهم الجسور والأسواق وصارت لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من قتال الروم وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت وقدمت عليهم مراكب كثيرة من أرض الروم فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح فخرج إليهم عمرو بن العاص من الفسطاط متوجهاً إلى الاسكندرية فلم يلق منهم أحداً حتى بلغ ترنوط فلقى بها طائفة من الروم فقاتلوه قتالاً خفيفاً فهزمهم الله ومضى عمرو بمن معه حتى لقى جمع الروم بكوم شريك فاقتتلوا به ثلاثة أيام ثم فتح الله للمسلمين وولى الروم أكتافهم ويقال بل أرسل عمرو بن العاص شريك بن سمى فى آثارهم كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب فأدركهم عند الكوم الذى يقال له كوم شريك فقاتلوهم شريك فهزمهم قال غير عبد الملك بن مسلمة فلقيهم شريك بكوم شريك وكان على مقدمة عمرو بن العاص وعمرو بترنوط فالتجؤه إلى الكوم فاعتصم به وأحاطت الروم به فلما رأى ذلك شريك بن سمى أمر أبا ناعمة ملك بن ناعمة الصدفى وهو صاحب الفرس الأشقر الذى يقال له أشقر صدف وكان لايجارى سرعة فاسخط عليهم من الكوم وطلبته الروم فلم تدركه حتى أتى عمرا فأخبره فاقبل عمرو متوجهاً نحوه وسمعت به الروم فانصرفت. وبالفرس الأشقر سميت خوخة الأشقر التى بمصر وذلك أن الفرس نفق فدفنه صاحبه هنالك فسمى المكان به.

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخلد بن حميد قال ثم التقوا بسلطيس فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ثم هزمهم الله ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوماً وكان عبد الله بن عمرو على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو.

فحدثنا طلق بن السمح ويحيى بن عبد الله بن بكير قالا حدثنا ضمام بن اسماعيل المعافرى. حدثنا أبو قبيل عن عبد الله بن عمرو أنه لقى العدو بالكريون وكان على المقدمة وحامل اللواء وردان مولى عمرو فأصابت عبد الله بن عمرو جراحات كثيرة فقال ياوردان لو تقهقرت قليلاً نصيب الروح فقال وردان الروح تريد الروح أمامك وليس هو خلفك فتقدم عبد الله فجاءه رسول أبيه يسئله عن جراحه فقال عبد الله

أقول : إذا ما جاشت النفس إصبرى فعن ما قليل تحمدى أو تلامى

فرجع الرسول إلى عمرو فاخبره بما قال فقال عمرو هو ابنى حقاً حدثنا عثمن بن صالح أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاص صلى يومئذ صلاة الخوف حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم والنضر بن عبد الجبار قالا حدثنا ابن لهيعة عن بكر بن سوادة أن شيخاً حدثهم أنه صلى صلاة الخوف بالاسكندرية مع عمرو بن العاص بكل طائفة ركعة وسجدتين.

ثم رجع إلى حديث يحيى ين أيوب وخلد بن حميد قال ثم فتح الله للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها الروم وكانت عليهم حصون مبنية لا ترام حصن دون حصن فنزل المسلمون ما بين حلوة إلى قصر فارس إلى ماوراء ذلك ومعهم رؤساء القبط يمدونهم بما احتاجوا إليه من الأطعمة والعلوفة قال فحدثنا هانى بن المتوكل حدثنا ابن لهيعة عن بكر بن عمرو الخولانى أن عبد العزيز بن مروان حين

قدم الاسكندرية سأل عن فتحها فقيل له لم يبق ممن أدرك فتحها إلا شيخ كبير من الروم فأمرهم فأتوه به فسأله عما حضر من فتح الاسكندرية فقال كنت غلاماً شاباً وكان لى صاحب ابن بطريق من بطارقة الروم فأتانى فقال ألا تذهب بنا حتى ننظر إلى هؤلاء العرب الذين يقاتلونا فلبس ثياب ديباج وعصابة ذهب وسيفاً محلى وركب برذوناً سميناً كثير اللحم وركبت أنا برذوناً خفيفاً فخرجنا من الحصون كلها حتى برزنا على شرف فرأينا قوماً فى خيام لهم عند كل خيمة فرس مربوط ورمح مركوز رأينا قوماً ضعفاء فعجبنا من ضعفهم وقلنا كيف بلغ هؤلاء القوم ما بلغوا فبينا نحن وقوف ننظر إليهم ونعجب إذا خرج رجل منهم من بعض تلك الخيام فنظر فلما رآنا حل فرسه فمعكه ثم مسحه ووثب على ظهره وهويعرى وأخذ الرمح بيده وأقبل نحونا فقلت لصاحبى هذا والله يريدنا فلما رأيناه مقبلاً إلينا لايريد غيرنا أدبرنا مولين نحو الحصن وأخذ فى طلبنا فلحق صاحبى لأن برذونه كان ثقيلاً كثير اللحم فطعنه برمحه فصرعه ثم خضخض الرمح فى جوفه حتى قتله ثم أقبل فى طلبى وبادرت وكان برذونى خفيف اللحم فنجوت منه حتى دخلت الحصن فلما دخلت الحصن أمنت فصعدت على سور الحصن أنظر إليه فإذا هو لما أيس منى رجع فلم يبال بصاحبى الذى قتله ولم يرغب فى سلبه ولم ينزعه عنه وقد كان سلبه ثياب الديباج وعصابة من ذهب ولم يطلب دابته ولم يلتفت إلى شئ من ذلك وانصرف من طريق أخرى وأنا أنظر إليه وأسمعه يتكلم بكلام ويرفع به صوته فظننت إنه إنما يقرأ بقرآن العرب فعرفت عند ذلك أنهم إنما قووا على ما قووا عليه وظهروا على البلاد لأنهم لايطلبون الدنيا ولايرغبون فى شئ منها حتى بلغ خيمته فنزل عن فرسه فربطه وركز رمحه ودخل خيمته ولم يعلم بذلك أحداً من أصحابه. فقال عبد العزيز صف لى ذلك الرجل وهيئته وحالته فقال نعم هو قليل دميم ليس بالتام من الرجال فى قامته ولا فى

لحمه رقيق آدم كوسج فقال عبد العزيز عند ذلك إنه ليصف صفة رجل يمانى قال وحدثنا هانى بن المتوكل حدثنا محمد بن يحيى الاسكندرانى قال نزل عمرو بن العاص بحلوة فأقام بها شهرين ثم تحول إلى المقس فأخرجت عليه الخيل من ناحية البحيرة مستترة الحصن فواقعوه فقتل من المسلمين يومئذ بكنيسة الذهب اثنى عشر رجلاً.

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قال ورسل ملك الروم تختلف إلى الاسكندرية فى المراكب بمادة الروم. وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية إن ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الاسكندرية وإنما كان عيد الروم الاسكندرية حيث غلبت العرب على الشام فقال الملك لئن غلبونا على بالاسكندرية لقد هلكت الروم واقتطع ملكها فامر بجهازه ومصلحته لخروجه إلى الاسكندرية حتى يباشر قتلاها بنفسه إعظاماً لها وآمر أن لايختلف عنه أحد من الروم وقال ما بقاء الروم بعد الاسكندرية فلما فرغ من جهازه صرعه الله فأماته وكفى المسلمين مؤنته وكان موته فى سنة تسع عشرة فكسر الله بموته شوكة الروم فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه إلى الاسكندرية حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير عن الليث بن سعد قال مات هرقل فى سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام.

قال ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخلد بن حميد قال واستأسدت العرب عند ذلك والحت بالقتال على أهل الاسكندرية فقاتلوهم قتالاً شديداً فحدثنا عبد الله بن صلح حدثنا الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب قال خرج طرف من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس فقتلوا رجلاً من مهرة فاحتزوا رأسه وانطلقوا به فجعل المهريون يتغضبون ويقولون لا

ندفنه أبداً إلا برأسه فقال عمرو بن العاص تتغضبون كأنكم تتغضبون على من يبالى بغضبكم احملوا على القوم إذا خرجوا فاقتلوا منهم رجلاً ثم ارموا برأسه يرموكم رأس صاحبكم فخرجت الروم إليهم فاقتتلوا فقتل من الروم رجل من بطارقتهم فاحتزوا رأسه فرموا به إلى الروم فرمت الروم برأس المهرى إليهم فقال دونكم الآن فادفنوا صاحبكم وكان عمرو بن العاص كما حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد يقول ثلاث قبائل من مصر أما مهرة فقوم يقتلون، ولايقتلون وأما غافق فقوم يقتلون ولا يقتلون وأما بلى فأكثرها رجلاً صحب رسول الله ﷺ وأفضلها فارساً حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ضمام بن اسمعيل حدثنا عياش بن عباس أنه قال لما حاصر المسلمون الاسكندرية قال لهم صاحب المقدمة لاتعجلوا حتى آمركم برأيى فلما فتح الباب دخل رجلان فقتلا فبكى صاحب المقدمة فقيل له لم بكيت وهما شهيدان قال ليت أنهما شهيدان ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لايدخل الجنة عاص وقد أمرت ألا يدخلوا حتى يأتيهم رأيى فدخلوا بغير إذنى حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا الليث بن سعد عن موسى بن على أن رجلاً قال لعمرو بن العاص لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم منه حائطهم فقال عمرو أتستطيع أن تغبى مقامك من الصف فقال الليث وقيل لعمرو إن العدو قد غشوك ونحن نخاف على رائطة يريدون امرأته قال إذا تجدون رياطاً كثيرة.

ثم رجع إلى حديث عثمن بن صلح قال حدثنى خالد بن نجيح قال اخبرنى الثقة أن عمرو بن العاص قاتل الروم بالاسكندرية يوماً من الأيام قتالاً شديداً فلما استحر القتال بينهم بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد فصرعه الرومى وألقاه عن فرسه وهوى إليه ليقتله حتى حمله رجل من أصحابه وكان مسلمة لايقام لسبيله ولكنها مقادير ففرحت بذلك الروم وشق ذلك على

المسلمين وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة كثير اللحم ثقيل البدن فقال عمرو بن العاص عند ذلك ما بال الرجل ألمسته الذى يشبه النساء يتعرض مداخل الرجا ويتشبه بهم فغضب من ذلك مسلمة ولم يراجعه ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن الاسكندرية فقاتلتهم العرب فى الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى أخرجوهم جميعاً من الحصن إلا أربعة نفر بقوا فى الحصن وأغلقوا عليهم باب الحصن أحدهم عمرو بن العاص والآخر مسلمة ابن مخلد ولم نحفظ الآخرين وحالوا بينهم وبين أصحابهم ولاتدرى الروم من هم فلما رأى ذلك عمرو بن العاص وأصحابه التجؤا إلى ديماس من حماماتهم فدخلوا فيه فاحترزوا به فامروا رومياً أن يكلمهم بالعربية فقال لهم إنكم قد صرتم بأيدينا أسارى فاستأسروا ولا تقتلوا أنفسكم فامتنعوا عليهم ثم قال لهم إن فى أيدى أصحابكم منا رجالاً أسروهم ونحن نعطيكم العهود نفادى بكم أصحابنا ولا نقتلكم فأبوا عليهم فلما رأى ذلك الرومى منهم قال لهم هل لكم إلى خصلة وهى نصف فيما بيننا وبينكم أن تعطونها العهد ونعطيكم مثله على أن يبرز منك رجل ومنا رجل فإن غلب صاحبنا صاحبكم استأسرتم لنا وأمكنتمونا من أنفسكم وإن غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم إلى أصحابكم فرضوا بذلك وتعاهدوا عليه وعمرو ومسلمة وصاحباهما فى الحصن فى الديماس فتداعوا إلى البراز فبرز رجل من الروم قد وثقت الروم بنجدته وشدته وقالوا يبرز رجل منكم لصاحبنا فأراد عمرو أن يبرز فمنعه مسلمة وقال هذا ما هذا تخطئ مرتين تشد عن أصحابك وأنت أمير وإنما قوامهم بك وقلوبهم معلقة نحوك لايدرون ما أمرك ثم لاترضى حتى تبارز وتتعرض للقتل فإن قتلت كان ذلك بلاء على أصحابك. مكانك وأنا أكفيك إن شاء الله فقال عمرو دونك فربما فرجها الله بك فبرز مسلمة والرومى تجاولا ساعة ثم أعانه الله عليه فقتله فكبر مسلمة وأصحابه ووفى لهم الروم بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن

فخرجوا ولاتدرى الروم أن أمير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فأسفوا على ذلك وأكلوا أيديهم تغيظاً على ما فاتهم فلما خرجوا استحيى عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب فقال عمرو عند ذلك استغفر لى ما كنت قلت لك فاستغفر له وقال عمرو ما أفحشت قط إلا ثلاث مرار مرتين فى الجاهلية وهذه الثالثة وما منهن مرة إلا وقد ندمت واستحييت وما استحييت من واحدة منهم أشد مما استحييت مما قلت لك ووالله إنى لأرجو أن لا أعود إلى الرابعة ما بقيت.

قال ثم رجع إلى حديث عثمن عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال أقام عمرو بن العاص محاصر الاسكندرية أشهراً فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب قال ما أبطأوا بفتحها إلا لما أحدثوا حدثنا يحيى بن خلد عن عبد الرحمن بن زيد بن أسام عن أبيه قال لما أبطأ على عمر بن الخطاب فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر إنكم تقاتلونهم منذ سنتين وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم وإن الله تبرك وتعالى لاينصر قوماً إلا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت إليك أربعة نفر وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف إلا أن يكونوا غيرهم ما غير غيرهم فإذا أتاك كتابى هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم أولئك الأربعة فى صدور الناس ومر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الإجابة وليعج الناس إلى الله ويسئلوه النصر على عدوهم. فلما أتى عمراً الكتاب جمع الناس وقرأ عليهم كتاب عمر ثم دعا أولئك النفر فقدمهم أمام الناس وأمر الناس أن يتطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا إلى الله عز وجل ويسئلوه النصر ففعلوا ففتح الله عليهم ويقال أن عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد كما حدثنا عثمن بن

صالح عن من حدثه قال أشر على فى قتال هؤلاء فقال له مسلمة أرى أن تنظر إلى رجل له معرفة وتجارب من أصحاب رسول الله ﷺ فتعقد له على الناس فيكون هو الذى يباشر القتال ويكفيك قال عمرو ومن ذلك قال عبادة بن الصامت قال فدعا عمرو عبادة فأتاه وهو راكب على فرسه فلما دنا منه أراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك إن نزلت ناولنى سنان رمحك فناوله إياه فنزع عمرو عمامته عن رأسه وعقد له وولاه قتال الروم فتقدم عبادة مكانه فصاف الروم وقاتلهم ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومهم ذلك حدثنا أبى عبد الله بن عبد الحكم قال لما أبطأ على عمرو بن العاص فتح الاسكندرية استلقى على ظهره ثم جلس فقال إنى فكرت فى هذا الأمر فإذا هو لايصلح آخره إلا من أصلح أوله يريد الأنصار فدعا عبادة بن الصامت فعقد له ففتح الله على يديه الاسكندرية فى يومه ذلك.

ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخلد بن حميد قال حاصروا الاسكندرية تسعة أشهر بعد موت هرقل وخمسة قبل ذلك وفتحت يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة عشرين . حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن بكير بن عبد الله بن بسر بن سعيد عن جنادة بن أبى أمية قال دعانى عبادة ابن الصامت يوم الاسكندرية وكان على قتالها فأغار العدو على طائفة من الناس ولم يأذن لهم بقتالهم فسمعنى فبعثنى أحجز بينهم فأتيتهم فحجزت بينهم ثم رجعت إليه فقال أقتل أحد من الناس فهنالك قلت لا قال الحمد لله الذى لم يقتل أحد منهم عاصياً قال وحدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ملك بن أنس أن مصر فتحت سنة عشرين قال فلما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتحت الاسكندرية كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث وهرب الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العاص بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه

ومضى عمرو ومن معه فى طلب من هرب من الروم فى البر فرجع من كان هرب من الروم فى البحر إلى الاسكندرية فقتلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعاً ففتحها وأقام بها وكتب إلى عمر بن الخطاب إن الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير عقد ولا عهد. فكتب إليه عمر بن الخطاب يقبح رأيه ويأمره أن لايجاوزها قال ابن لهيعة وهو فتح الاسكندرية الثانى. وكان سبب فتحها هذا كما حدثنا ابراهيم بن سعيد البلوى أن رجلاً يقال له ابن بسامة كان بواباً فسأله عمرو بن العاص أن يؤمنه على نفسه وأرضه وأهل بيته ويفتح له الباب فأجابه عمرو إلى ذلك ففتح له ابن بسامة الباب فدخل عمرو وكان مدخله هذا من ناحية القنطرة التى يقال لها قنطرة سليمان وكان مدخل عمرو بن العاص الأول من باب المدينة الذى من ناحية كنيسة الذهب. وقد بقى لابن بسامة عقب بالاسكندرية إلى اليوم . حدثنا هانئ بن المتوكل حدثنا ضمام بن اسماعيل المعافرى قال قتل من المسلمين من حيث كان من أمر الاسكندرية ما كان إلى أن فتحت اثنان وعشرون رجلاً.

وبعث عمرو بن العاص كما حدثنا عثمن بن صالح عن ابن لهيعة معاوية بن حديج وافداً إلى عمر بن الخطاب بشيراً بالفتح فقال له معاوية ألا تكتب معى فقال له عمرو وما أصنع بالكتاب ألست رجلاً عربياً تبلغ الرسالة وما رأيت وحضرت . فلما قدم على عمر أخبره بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجداً وقال الحمد لله. وحدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا موسى بن على عن أبيه أنه سمعه يقول سمعت معاوية بن حديج يقول بعثنى عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة فى الظهيرة فأنخت راحلتى بباب المسجد ثم دخلت المسجد فبينا أنا قاعد فيه إذ خرجت جارية من منزل

عمر بن الخطاب فرأتنى شاحباً على ثياب السفر فإتتنى فقال من أنت قال فقلت أنا معاوية بن حديج رسول عمرو بن العاص فانصرفت عنى ثم أقبلت تشتد أسمع حفيف إزارها على ساقها أو على ساقيها حتى دنت منى فقالت قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك فتبعتها فما دخلت فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه بإحدى يديه ويشد إزاره بالأخرى فقال ما عندك فقلت خير يا أمير المؤمنين فتح الله الاسكندرية فخرج معى إلى المسجد فقال للمؤذن أذن فى الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لى قم فأخبر أصحابك فقمت فاخبرتهم ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال ياجارية هل من طعام فأتت بخبز وزيت فقال كل فأكلت على حياء ثم قال كل فإن المسفار يحب الطعام فلو كنت آكلاًلأكلت معك فأصبت على حياء ثم قال ياجارية هل من تمر فأتت بتمر فى طبق فقال كل فأكلت على حياء ثم قال ماذا قلت يامعاوية حين أتيت المسجد قل قلت أمير المؤمنين قائل قال بئس ما قلت أو بئس ما ظننت لئن نمت النهار لأضيعن الرعية ولئن نمت الليل لأضيعن نفسى فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية.

ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك كما حدثنا ابراهيم بن سعيد البلوى إلى عمر بن الخطاب أما بعد فإنى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أنى أصبت فيها أربعة آلاف منية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية وأربعمائة ملهى للملوك قال حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ضمام بن اسماعيل عن أبى قبيل أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا ابن مقلاص عن يحيى بن عبد الله بن داؤد قال رواه عن حيوة بن شريح أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بقال. حدثنا

هانئ بن المتوكل حدثنا محمد بن سعيد الهاشمى قال ترحل من الاسكندرية فى الليلة التى دخلها عمرو بن العاص أو فى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى. حدثنا هانئ بن المتوكل عن موسى بن أيوب ورشدين بن سعد عن الحسن بن ثوبان عن حسين بن شفى بن عبيد قال كان بالاسكندرية فيما أحصى من الحمامات اثنا عشر ديماساً أصغر ديماس منها يسع ألف مجلس كل مجلس منها يسع جماعة نفر وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلثون ألفاً مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل وبقى من بقى من الأسارى ممن بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان. فاختلف الناس على عمرو فى قسمهم وكان أكثر الناس يريدون قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها ويعلمه أن المسلمين طلبوا قسمها فكتب إليه عمر لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر صلحاً كلها بفريضة دينارين دينارين على كل رجل لايزاد على أحد منهم فى جزية رأسه أكثر من دينارين إلا أنه يلزمهم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع إلا الاسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لأن الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة. وقد كانت قرى من قرى مصر كما حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث ابن سعد عن يزيد بن أبى حبيب قاتلت فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس، فوقع سباياهم بالمدينة وغيرها فردهم عمر بن الخطاب إلى قراهم وصيرهم وجماعة القبط أهل ذمة. حدثنا عثمن بن

صالح أخبرنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمراً سبى أهل بلهيب وسلطيس وقرطسا وسخا فتفرقوا وبلغ أولهم المدينة حين نقضوا ثم كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بردهم فرد من وجد منهم. حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمر بن الخطاب كتب فى أهل سلطيس خاصة : من كان منهم فى أيديكم فخيروه بين الإسلام فإن أسلم فهو من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم وإن اختار دينه فخلوا بينه وبين قريته فكان البلهيبى خير يومئذ فاختار الإسلام. ثم رجع إلى حديث عثمن عن يحيى بن أيوب أن أهل سلطيس ومصيل وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين فى جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء لنا فئ مع الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر بن الخطاب أن تجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلث قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلون فيئاً ولا عبيداً ففعلوا ذلك. ويقال إنما ردهم عمر بن الخطاب لعهد كان تقدم لهم. حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة وابن وهب عن عمرو بن الحرث عن يزيد بن أبى حبيب عن عوف بن حطان أنه كان لقريات من مصر منهم أم دنين . وبلهيب عهد وأن عمر لما سمع بذلك كتب إلى عمرو بن العاص يأمره أن يخيرهم فإن دخلوا فى الإسلام فذاك وإن كرهوا فارددهم إلى قراهم قال وكان من أبناء السلطيسيات عمران بن عبد الرحمن بن جعفر ابن ربيعة وأم عياض بن عقبة وأبو عبيدة بن عقبة وأم عون بن خارجة القرشى ثم العدوى وأم عبد الرحمن بن معاوية بن حديج وموالى أشراف بعد ذلك وقعوا عند مروان بن الحكم منهم أبان وعمه أبو عياض وعبد الرحمن البلهيبى.

ذكر من قال أن مصر فتحت بصلح

قال ثم رجع إلى حديث موسى بن أيوب ورشدين بن سعد عن الحسن بن ثوبان عن حسين بن شفى أن عمراً لما فتح الاسكندرية بقى من الأسارى بها ممن بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان. فاختلف الناس على عمرو فى قسمهم فكان أكثر المسلمين يريدون قسمها فقال عمرو لا أقدر على قسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين فكتب إليه يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها فكتب إليه عمر لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيها للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فأقرها عمرو وأحصى أهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صلحاً بفريضة دينارين دينارين على كل رجل لايزاد على أحد منهم فى جزية رأسه أكثر من دينارين إلا أنه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الأرض والزرع إلا الاسكندرية فإنهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لأن الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة. حدثنا عثمن أخبرنا الليث قال كان يزيد بن أبى حبيب يقول مصر كلها صلح إلا الاسكندرية فإنما فتحت عنوة. حدثنا عثمن بن صالح عن بكر بن مضر عن عبيد الله بن أبى جعفر قال حدثنى رجل ممن أدرك عمرو بن العاص قال للقبط عهد عند فلان. وعهد عند فلان فسمى ثلاثة نفر. حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن أبى جعفر عن شيخ من كبراء الجند أن عهد أهل مصر كان عند كبرائهم. حدثنا هشام بن اسحق العامرى عن الليث بن سعد عن عبيد الله بن أبى جعفر قال سألت شيخاً من القدماء عن فتح مصر فقال هاجرنا إلى المدينة أيام عمر ابن الخطاب وأنا محتلم فشهدت فتح مصر. قلت له فإن ناساً يذكرون أنه لم يكن لهم عهد فقال ما يبالى ألا يصلى من قال أنه ليس لهم عهد فقلت كان لهم

كتاب فقال نعم كتب ثلاثة كتاب عند طلما صاحب إخنا وكتاب عند قزمان صاحب رشيد وكتاب عند يحنس صاحب البرلس. قلت كيف كان صلحهم قال دينارين على كل إنسان جزية وأرزاق المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ستة شروط لايخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ولا أرضيهم ولايزاد عليهم. وحدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أنه حدثه عن أبى جمعة مولى عقبة قال كتب عقبة بن عامر إلى معاوية بن أبى سفين يسأله أرضاً يسترفق فيها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده أنظر أصلحك الله أرضاً صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك إن فى عهدهم شروطاً ستة ألا يؤخذ من أنفسهم شئ ولا من نسائهم ولا من أولادهم ولايزاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وأنا شاهد لهم بذلك. حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن وهب عن أبى شريح عبد الرحمن بن شريح عن عبيد الله بن أبى جعفر عن أبى جمعة حبيب بن وهب قال كتب عقبة بن عامر إلى معاوية يسأله بقيعاً فى قرية يبنى فيه منازل ومساكن فامر له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع فقال له مواليه ومن كان عنده أنظر إلى أرض تعجبك فاختط فيها وابتن فقال إنه ليس لنا ذلك لهم فى عهدهم ستة شروط منها أن لا يؤخذ من أرضهم شئ ولايزاد عليهم ولايكلفوا غير طاقتهم ولايؤخذ ذراريهم وأن يقاتل عنهم عدوهم من ورائهم. حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن أبى جعفر عن رجل من كبراء الجند قال كتب معاوية بن أبى سفيان إلى وردان أن زد على كل رجل منهم قيراطاً فكتب وردان إلى معاوية كيف تزيد عليهم وفى عهدهم أن لا يزاد عليهم شئ فعزل معاوية وردان. ويقال أن معاوية إنما عزل وردان كما حدثنا سعيد بن عفير أن عتبة بن أبى

سفيان وفد إلى معاوية فى نفر من أهل مصر وكان معاوية ولى عتبة الحرب ووردان الخراج وحويت بن زيد الديوان فسأل معاوية الوفد عن عتبة فقال عبادة بن صمل المعافرى حوت بحر يا أمير المؤمنين ووعل بر فقال معاوية لعتبة أسمع ما تقول فيك رعيتك فقال صدقوا ياامير المؤمنين حجبتنى عن الخراج ولهم على حقوق وأكره أن أجلس فاسأل فلا أفعل فأبخل فضم إليه معاوية الخراج.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب وابن وهب عن عمرو بن الحرث عن يزيد بن أبى حبيب عن عوف بن حطان أنه قال كان لقريات من مصر منهم أم دنين وبلهيب عهد وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع بذلك كتب إلى عمرو بن العاص يأمره أن يخيزهم فإن دخلوا فى الاسلام فذلك وأن كرهوا فأرددهم إلى قراهم قال وحدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن يحيى بن ميمون الحضرمى قال لما فتح عمرو بن العاص مصر صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم إلى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا صبى ولا شيخ على دينارين دينارين فأحصوا لذلك فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف.

حدثنا عثمن بن صالح حدثنا ابن وهب قال سمعت حيوة بن شريح قال سمعت الحسن بن ثوبان الهمدانى يقول حدثنى هشام بن أبى رقية اللخمى أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر أن من كتمنى كنزاً عنده فقدرت عليه قتلته وأن نبطياً من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو أن عنده كنزاً فأرسل إليه فسأله فأنكر وجحد فحبسه فى السجن وعمرو يسأل عنه

هل يسمعونه يسأل عن أحد فقالوا لا إنما سمعناه يسأل عن راهب فى الطور فارسل عمرو إلى بطرس فنزع خاتمه من يده ثم كتب إلى ذلك الراهب أن أبعث إلى بما عندك وختمه بخاتمه فجاءه رسوله بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها ما لكم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو إلى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين إردباً ذهباً مضروبة فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد. فذكر ابن أبى رقية أن القبط أخرجوا كنوزهم شفقاً أن يبغى على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس حدثنا عثمن بن صلح حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطى من قبط مصر لأنه استقر عنده أنه يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب إليهم بذلك فاستخرج منه بضعة وخمسين إردباً دنانير.

قال ثم رجع إلى حديث يحيى بن أيوب وخلد بن حميد قال ففتح الله أرض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس ومصيل وبلهيب فإنه كان للروم جمع فظاهروا الروم على المسلمين فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها وقالوا هؤلاء لنا فئ مع الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر أن تجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسملين لايجعلون فيئاً ولا عبيداً ففعلوا ذلك إلى اليوم.

ذكر من قال فتحت مصر عنوة

وقال آخرون بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد. حدثنا عبد الملك بن مسلمة وعثمن بن صالح قلا حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن من سمع عبيد الله بن المغيرة بن أبى بردة يقول سمعت سفين بن وهب الخولانى يقول إنا لما فتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام فقال أقسمها ياعمرو بن العاص قال عمرو والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين فكتب إليه عمر أقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة. قال ابن لهيعة وحدثنى يحيى بن ميمون عن عبيد الله بن المغيرة عن سفيان بن وهب بهذا إلا أنه قال فقال عمرو لم أكن لأحدث فيهم شيئاً حتى أكتب إلى عمر بن الخطاب. فكتب إليه فكتب إليه بهذا قال عبد الملك فى حديثه وأن الزبير صولح على شئ أرضى به. حدثنا عبد الملك بن مسلمة وعثمن بن صالح قالا حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة أن مصر فتحت عنوة حدثنا عبد الملك حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال سمعت أشياخنا يقولون أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد. قال ابن أنعم منهم أبى يحدثنا عن أبيه وكان ممن شهد فتح مصر. حدثنا عثمن بن صالح حدثنا ابن وهب عن ابن انعم قال سمعت أشياخنا يقولون فتحت مصر عنوة بغير عهد ولا عقد. حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة أن مصر فتحت عنوة. حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن لهيعة عن أبى قنان أيوب بن أبى العالية عن أبيه وأخبرنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن وهب عن داود بن عبد الله الحضرمى أن أبا قنان حدثه عن أبيه أنه سمع عمرو بن العاص يقول لقد قعدت مقعدى هذا وما لأحد من قبط مصر على عهد ولا عقد إلا أهل أنطابلس فإن لهم عهداً يوفى لهم به. قال ابن لهيعة فى حديثه إن شئت قتلت وإن شئت خمست وإن شئت بعت.

حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن وهب عن عياض بن عبد الله الفهرى عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عقد ولا عهد وأن عمر بن الخطاب حبس درها وصرها أن يخرج منه شئ نظراً للإسلام وأهله. حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن ابن شريح عن يعقوب بن مجاهد عن زيد بن أسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد ممن عاهده فلم يوجد فيه لأهل مصر عهد. قال عبد الرحمن بن شريح فلا أدرى أعن زيد حدث أم شئ قاله. فمن أسلم منهم فأمة ومن أقام منهم فذمة. حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار وعبد الملك بن مسلمة قالا حدثنا ابن لهيعة عن عبد الملك بن جنادة كاتب حيان بن سريج من أهل مصر من موالى قريش قال كتب حيان إلى عمر بن عبد العزيز يسئله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم فسأل عمر عراك بن مالك فقال عراك ما سمعت لهم بعهد ولا عقد وإنما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد فكتب عمر إلى حيان بن سريج أن يجعل جزية مؤتى القبط على أحيائهم . قال وسمعت يحيى بن عبد الله بن بكير خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريدالاسكندرية فى سفينة فاحتاج إلى رجل يقذف به فسخر رجلاً من القبط فكلم فى ذلك فقال إنما هم بمنزلة العبيد إن احتجنا إليهم. حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن الصلت بن أبى عاصم أنه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن سريج أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد. حدثنا عبد الملك بن مسلمة حدثنا ابن وهب عن عبد الرحمن بن شريح عن عبيد الله بن أبى جعفر أن كاتب حيان حدثه أنه احتيج إلى خشب لصناعة الجزيرة فكتب حيان إلى عمر يذكر ذلك له وأنه وجد خشباً عند بعض أهل الذمة وأنه كره أن يأخذ منهم حتى يعلمه فكتب إليه عمر خذها منهم بقيمة عدل فإنى لم

أجد لأهل مصر عهداً أفى لهم به. حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا عبدالملك بن مسلمة قال حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب قال كتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بن سريج أن مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد. حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا يحيى بن أيوب عن عبد الرحمن بن كعب بن أبى لبابة أن عمر بن عبد العزيز قال لسالم بن عبد الله أنت تقول ليس لأهل مصر عهد قال نعم. حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب فى رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وليس له وارث فكتب إليه عمر أن من كان منهم له عقب فادفع ميراثه إلى عقبه ومن لم يكن له عقب فاجعل ماله فى بيت مال المسلمين فإن ولاءه للمسلمين. حدثنا يحيى ابن خلد عن رشدين بن سعد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب أنه قال كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعاً ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم إلى اليوم.

[١٦] ذكر بناء القاهرة

قال أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق [١] المصري في كتاب «إتمام أخبار أراء مصر للكندي» – رحمهما الله – :

« وفى جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة صحت الأخبار بمسير عساكر المعز لدين الله من المغرب إلى مصر، عليها عبده جوهر، وكانت بمصر للمعز دعاة استدعوا خلقا فى البلد، وكانوا يقولون : « إذا زال الحجر الأسود ملك مولانا المعز لدين الله الأرض كلها، وبيننا وبينكم الحجر الأسود – يعنون كافور الإخشيدى – » ، فلما مات كافور أنفذ المعز إلى دعاته بنوداً، وقال: « فرقوها على من يبايع من الجند »، وأمرهم إذا قربت العساكر ينشرونها، فلما قربت العساكر من الإسكندرية جمع الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات [٢] الناس

---

(١) هذا أول نص ينقله المقريزى هنا عن ابن زولاق، والحسن بن زولاق (٣٠٦ – ٣٨٧ = ٩١٩ – ٩٩٧) مؤرخ مصرى عاصر الدولتين الأخشيدية والفاطمية، له مؤلفات هامة منها هذا الذى ينقل عنه المقريزى، وذيل آخر على قضاة الكندى، وله أيضاً كتاب فى سيرة الأخشيد وهو الذى نقله مختصراً عنه المؤرخ ابن سعيد فى كتاب «المغرب فى حلى المغرب» وسماه «العيون الدعج فى حلى دولة بنى طغج»، ولعل أهم مؤلفاته سيرة المعز لدين الله، غير أن مؤلفات ابن زولاق لم تصلنا للأسف، وإنما وصلت شذرات منها – تدل على أهميتها القصوى – فى المؤلفات المتأخرة، انظر ما يلى عند كلام المقريزى عن المعز، فإنه ينقل فصلاً كبيراً عن «سيرة المعز» السالف ذكرها.

(٢) جعفر بن الفرات (٣٠٨ – ٣٩١) كان أبوه وزير المقتدر بالله الخليفة العباسى، ثم وفد هو إلى مصر ووزر بها لأونوجور بن أبى بكر الأخشيد، ثم لأخيه أبى الحسن على، ثم لكافور، وبقى وزيراً إلى أن انتهت الدولة الأخشيدية ودخل الفاطميون مصر، ويقال أن المعز لما أتى إلى مصر عرض عليه الوزارة فامتنع، فقال : إذا لم تل لنا شغلاً فيجب أن لاتخرج عن بلادنا، =

وشاورهم، فاتفقوا على مراسلة جوهر، وأن يشترطوا عليه شروطاً، وأنهم يسمعون له ويطيعونه، ثم اجتمعوا على محاربته، ثم انحل ذلك، وعادوا إلى المراسلة بالصلح.

وكانت رسل جوهر ترد سراً إلى ابن الفرات، ثم اتفقوا على خروج أبى جعفر مسلم الحسينى، وأبى إسماعيل الرسى، ومعهما القاضى أبو طاهر، وجماعة، فبرزوا إلى الجيزة لاثنتى عشرة بقيت من رجب، ولم يتأخر عن تشييعهم قائد، ولا كاتب، ولا عالم، ولا شاهد، ولا تاجر، وساروا فلقوا جوهر بتروجة[1] ووافقوه، واشترطوا عليه، فأجابهم إلى ما التمسوه، وكتب لهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من جوهر الكاتب - عبد أمير المؤمنين المعز لدين الله - صلوات الله عليه - لجماعة أهل مصر الساكنين بها، من أهلها ومن غيرهم :

أنه قد ورد من سألتموه الرسل والاجتماع معى ، وهم :

أبو جعفر مسلم الشريف - أطال الله بقاءه -

وأبو إسماعيل الرسى - أيده الله -

= فانا لا نستغنى أن يكون فى دولتنا مثلك، فأقام بها ولم يرجع إلى بغداد، وجعفر هذا هو الذى استجلب الدارقطنى من بغداد إلى مصر، وأنفق عليه نفقة واسعة، وله صنف مسنده، وقد مات جعفر فى عهد الحاكم، فحمل تابوته إلى المدينة، ودفن بها حسب وصيته، وقد ولى ابن له الوزارة للحاكم سنة ٤٠٥ ، فقتله بعد خمسة أيام من ولايته، انظر : (ياقوت : معجم الأدباء).

(١) حقق محمد رمزى موقع هذه القرية فى (النجوم الزاهرة، ج ٤، ص ٣٠، هامش ٣٠) بقوله : هذه القرية كانت موجودة لغاية القرن التاسع الهجرى، حيث وردت فى كتاب التحفة السنية لابن الجيعان ص ١٢٤ وقد درست مساكنها، ومحلها كوم تروجة بحوض تروجة بأراضى زاوية صقر، بمركز أبى المطامير، بمديرية البحيرة.

وأبو الطيب الهاشمى – أيده الله –

وأبو جعفر أحمد بن نصر – أعزه الله –

والقاضى – أعزه الله – .

وذكروا عنكم أنكم التمستم كتاباً يشتمل على أمانكم فى أنفسكم وأموالكم وبلادكم وجميع أحوالكم، فعرفتم ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – وحسن نظره لكم.

فلتحمدوا الله على ما أولاكم، وتشكروه على ما حماكم، وتدأبوا فيما يلزمكم، وتسارعوا إلى طاعته العاصمة لكم، العائدة بالسلامة لكم، وبالسعادة عليكم، وهو أنه – صلوات الله عليه – لم يكن إخراجه للعساكر المنصورة، والجيوش المظفرة إلا لما فيه إعزازكم وحمايتكم والجهاد عنكم، إذ قد تخطفتكم الأيدى، واستطال عليكم المستذل وأطمعته نفسه بالاقتدار على بلدكم فى هذه السنة، والتغلب عليه وأسر من فيه، والاحتواء على نعمكم وأموالكم حسب ما فعله فى غيركم من أهل بلدان المشرق، وتأكد عزمه، واشتد كلبه ، فعاجله مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – بإخراج العساكر المنصورة، وبادره بانفاذ الجيوش المظفرة دونكم، ومجاهدته عنكم وعن كافة المسلمين ببلدان المشرق، الذين عمهم الخزى، وشملتهم الذلة، واكتنفتهم المصائب وتتابعت الرزايا، واتصل عندهم الخوف وكثرت استغاثتهم، وعظم ضجيجهم، وعلا صراخهم، فلم يغثهم إلا من أرمضه أمرهم، ومضه حالهم، وأبكى عينه ما نالهم، وأسهرها ما حل بهم، وهو مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه –، فرجا – بفضل الله ، وإحسانه لديه، وما عوده وأجراه عليه – استنقاذ من أصبح منهم فى ذل مقيم، وعذاب أليم، وأن يؤمن من استولى عليه

الوهل[1]، ويفرخ روع من لم يزل فى خوف ووجل، وآثر إقامة الحج الذى تعطل وأهمل العباد فروضه وحقوقه لخوف المستولى عليهم، وإذ لا يأمنوهن على أنفسهم ولا على أموالهم، وإذ قد أوقع بهم مرة بعد أخرى، فسفكت دماؤهم، وابتزت أموالهم، مع اعتماد ما جرت به عادته من صلاح الطرقات، وقطع عبث العابثين فيها، ليتطرق الناس آمنين، ويسيروا مطمئنين، ويتحفوا بالأطعمة، والأقوات، إذ كان قد انتهى إليه – صلوات الله عليه – انقطاع طرقاتها، لخوف مادتها، إذ لا زاجر للمعتدين، ولا دفاع للظالمين.

ثم تجديد السكة[2]، وصرفها إلى العيار الذى عليه السكة الميمونة المنصورية المباركة، وقطع الغش [١٦ ب] منها، إذ كانت هذه الثلاث خصال هى التى لايتسع لمن ينظر فى أمور المسلمين إلا إصلاحها، واستفراغ الوسع فيما يلزمه منها.

وما أوعز به مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – إلى عبده من نشر العدل، وبسط الحق، وحسم الظلم، وقطع العدوان، ونفى الأذى، ورفع المون، والقيام فى الحق، وإعانة المظلوم مع الشفقة والإحسان، وجميل النظر، وكرم الصحبة، ولطف العشرة، وافتقاد الأحوال، وحياطة أهل البلد فى ليلهم ونهارهم، وحين تصرفهم فى أوان ابتغاء معاشهم، حتى لاتجرى أمورهم إلا

---

(١) فى الأصل و ج : « المهل » ، وما أثبتناه قراءة ترجيحية، والوهل معناها الفزع.

(٢) عرف (الماوردى : الأحكام السلطانية، ص ١٤٩) السكة بأنها «الحديد التى يطبع عليها الدراهم، ولذلك سميت الدراهم المضروبة السكة»، وقد شرح (المقريزى : كتاب الأوزان والأكيال الشرعية، طبعة Tychsen ص ٨٦) لفظ السكة بأنها «الدينار والدرهم المضروبين، سمى كل منهما سكة، لأنه طبع بالحديدة المعلمة، ويقال لها السكة، وكل مسمار عند العرب سكة».

على ما لم شعثهم، وأقام أودهم، وأصلح بالهم ، وجمع قلوبهم، وألف كلمتهم، عل طاعة وليه ومولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – وما أمره به مولاه من إسقاط الرسوم الجائرة التى لايرتضى – صلوات الله عليه – بإثباتها عليكم.

وأن أجريكم فى المواريث على كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وأضع ما كان يؤخذ من تركات موتاكم لبيت المال من غير وصية من المتوفى بها، فلا استحقاق لمصيرها لبيت المال.

وأن أتقدم فى رم مساجدكم، وتزيينها بالفرش والإيقاد، وأن أعطى مؤذنيها وقومتها ومن يؤم الناس فيها أرزاقهم، وأدرها عليهم، ولا أقطعها عنهم، ولا أدفعها إلا من بيت المال، لا بإحالة على من يقبض منهم.

وغير ما ذكره مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – مما ضمنه كتابه هذا [ماذكره] من ترسل عنكم – أيدهم الله، وصانكم أجمعين بطاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه – من أنكم ذكرتم وجوها التمستم ذكرها فى كتاب أمانكم، فذكرتها إجابة لكم، وتطميناً لأنفسكم.

[وإلا] فلم يكن لذكرها معنى، ولا فى نشرها فائدة، إذ كان الإسلام سنة واحدة، وشريعة متبعة، وهى إقامتكم على مذهبكم، وأن تتركوا [على] ما كنتم عليه من أداء الفروض فى العلم، والاجتماع عليه فى جوامعكم ومساجدكم، وثباتكم على ماكان عليه سلف الأمة من الصحابة – رضى الله عنهم – والتابعين بعدهم، وفقهاء الأمصار الذين جرت الأحكام بمذاهبهم وفتواهم، وأن يجرى الأذان، والصلاة، وصيام شهر رمضان وفطره، وقيام لياليه، والزكاة، والحج، والجهاد على أمر الله وكتابه، و [ما] نصه نبيه – صلى الله عليه وسلم – فى سنته، وإجراء أهل الذمة على ما كانوا عليه.

ولكم على أمان الله التام العام، الدائم المتصل، الشامل الكامل، المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام، فى أنفسكم، وأموالكم، وأهليكم، ونعمكم، وضياعكم، ورباعكم، وقليلكم وكثيركم.

وعلى أنه لايعترض عليكم معترض، ولايتجنى عليكم متجن، ولايتعقب عليكم متعقب.

وعلى أنكم تصانون وتحفظون وتحرسون، ويذب عنكم، ويمنع منكم، فلا يتعرض إلى أذاكم، ولايسارع أحد فى الاعتداء عليكم، ولا فى الاستطالة على قويكم – فضلاً عن ضعيفكم –.

وعلى أن لا أزال مجتهداً فيما يعمكم صلاحه، ويشملكم نفعه، ويصل إليكم خيره، وتتعرفون بركته، وتغتبطون معه طاعة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين – صلوات الله عليه –.

ولكم على الوفاء بما التزمته، وأعطيتكم إياه، عهد الله، وغليظ ميثاقه وذمته، وذمة أنبيائه ورسله، وذمة الأئمة موالينا أمراء المؤمنين – قدس الله أرواحهم –، وذمة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين المعز لدين الله – صلوات الله عليه – فتصرحون بها وتعلنون بالانصراف إليها، وتخرجون إلى وتسلمون على، وتكونون بين يدى، إلى أن أعبر الجسر، وأنزل فى المناخ[1] المبارك، وتحافظون – من بعد – على الطاعة، وتثابرون عليها، وتسارعون إلى

(١) المناخ هو المكان الذى أنيخت فيه دواب الجيش الفاطمى عند نزوله خارج الفسطاط وحيث بنيت القاهرة بعد ذلك، وقد كان له شأن بعد ذلك فى عهد الدولة، ويسميه (المقريزى : الخطط، ج ٢، ص ٣١١) «المناخ السعيد»، ويقول أنه كان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر، وأنه كان موضعاً «برسم طواحين القمح التى تطحن جرايات القصور، وبرسم مخازن الأخشاب والحديد ونحو ذلك».

فروضها، ولا تخذلون ولياً لمولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه -، وتلزمون ما أمرتهم به، وفقكم الله وأرشدكم أجمعين».

وكتب القائد جوهر الأمان بخطه في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين الأخيار».

وكتب خطه في هذا الكتاب :

« قال جوهر الكاتب عبد أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين - :

كتبت هذا الأمان على ما تقدم به أمر مولانا وسيدنا [١٧ أ] أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - ، وعلى الوفاء بجميعه لمن أجاب من أهل البلد وغيرهم على ما شرطت فيه.

والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين.

وكتب جوهر بخطه في التاريخ المذكور :

وأشهد جوهر على نفسه جماعة الحاضرين وهم :

أبو جعفر مسلم بن محمد بن عبيد الله الحسينين.

وأبو إسماعيل ابراهيم بن أحمد الرسي الحسني.

وأبو الطيب العباس بن أحمد الهاشمي.

والقاضي أبو الطاهر محمد بن أحمد.

وابنه أبو يعلى محمد بن محمد.

ومحمد بن مهلب بن محمد.

وعمرو بن الحرث بن محمد.

وأخذ منه أبو جعفر مسلم كتاباً إلى أبى الفضل جعفر بن الفرات – الوزير – وجماعة وجوه الدولة، وخاطب ابن الفرات – فى كتابه – بالوزير بعد مراجعة، وكان قد توقف فى مخاطبته بالوزير، وقال : « ماكان وزير خليفة »، وأجاز الجماعة وحملهم، ولم يقبل أبو جعفر مسلم شيئاً منه، وأكلت الجماعة معه، وودعوه وانصرفوا ، فوافوا لثمان خلوان من شعبان».

قال ابن زولاق :

«سألت أبا جعفر مسلم عند رجوعه عن مقدار العسكر، فقال : « هو مثل جمع عرفات كثرة وعدة»؛ وسألته عن سن القائد جوهر ، فقال لى : «نيف وخمسون سنة».

الرسالة - أو السجل - المعروف باسم

الهداية الآمرية في إبطال الدعوى النزارية

الرسالة - أو السجل - المعروف باسم الهداية الآمرية
في إبطال الدعوي النزارية

تبدأ هذه الوثيقة كالعادة بالحمد، ثم تثنى بالصلاة على محمد ، وعلى «وصية ووارث مقامه» وعلى الأئمة من ذريتهما «الذين احتووا بهدايتهم من الحكمة زماماً، وأزاحوا بأنوارهم من الضلالة ظلاماً».

وهذه الوثيقة تعتبر من أهم الوثائق التى وصلتنا عن العصر الفاطمى لأنها تلقى أضواء كثيرة على أول انقسام مذهبى وسياسى أصاب الدولة الفاطمية وهو الانقسام الذى حدث بعد موت الخليفة المستنصر، وأدى إلى إبعاد ابنه الأكبر نزار عن الخلافة وتولية الابن الأصغر أبى القاسم أحمد (المستعلى بالله) وانقسمت تبعاً لذلك الشيعة الإسماعيلية إلى فرقتين :

الإسماعيلية النزارية التى نجح دعاتها فى إقامة ملك لهم فى ألموت ثم فى الشام وقد لعبوا دوراً خطيراً فى التاريخ الإسلامى فى القرنين الخامس والسادس.

وقد ناصب النزارية الفواطم فى مصر العداء، ولم يكن الخلفاء الفاطميون – منذ عهد المستعلى – أعداء أشد قسوة من النزارية بحيث نستطيع أن نقول أن تاريخ الحركة الإسماعيلية بوجه عام، وتاريخ الدولة الفاطمية فى مصر بوجه خاص كان من الممكن أن يتخذ شكلاً آخر غير الذى عرفناه لو أن الإسماعيلية النزارية (الحشيشية) اتحدوا مع الفاطميين فى مصر بدلاً من انتهازهم كل فرصة ممكنة للمكيدة لهم والإضرار بهم.

والخلاف بين الفرقتين يتصل اتصالاً وثيقاً بصميم المذهب ومبادئه الأساسية، وقد أشرنا من قبل إلى أن نظرية الإمامة هى عند الشيعة بمثابة

الركن الركين والعنصر الأساسى من مذهبهم، بحيث اعتبر من لا إمام له خارجاً ومارقاً عن الدين، والإمامة فى معتقدهم تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن – من نسل على بن أبى طالب – وذلك لأن للإمامة صفات ومميزات خاصة وعلوم لدنية تلقاها الإمام الأول على عن محمد عليه السلام، وهذه الصفات والعلوم يستودعها كل إمام الإمام اللاحق له.

ومن الشروط الهامة لصحة الإمامة عند الشيعة الإسماعيلية الوصية أو «النص» أى أن ينص الإمام – السابق على الإمام اللاحق من أولاده، فهم يعتبرون «النص» بمثابة أمر بالتعيين صادر عن الإمام السابق، ولذلك هو عندهم شرط هام من شروط صحة الإمامة، ويشترط فى النص عندهم أن يصدر عن الإمام وقت نقلته أى عند موته، بمعنى أنه إذا صدر عن الإمام أكثر من نص لأكثر من ولد من أولاده فإنه لايؤخذ إلا بالنص الأخير الذى صدر عنه وقت نقلته وانتقاله إلى الدار الآخرة، لأنه فى رأيهم يجب كل النصوص الأخرى السابقة.

وهذه الموضوعات جميعاً هى موضوع مناقشة فى هذه الوثيقة «الهداية الآمرية» لأنها جميعاً أثيرت عند موت المستنصر، وظلت تثار بعد هذا وخاصة فى عهد الخليفة الآمر ابن المستعلى.

والحقيقة أن إبعاد نزار وتولية المستعلى يعتبر إنقلاباً سياسياً واضح المعالم (Coup d'état) قام به الوزير الأفضل شاهنشاه محافظة على السلطان القوى الذى كان يتمتع به منفرداً منذ أواخر عهد المستنصر، فقد كان نزار – عند موت أبيه المستنصر – رجلاً مكتمل الرجولة – ولم تكن العلاقات بينه وبين الأفضل – أثناء حياة المستنصر – علاقات طيبة، بل لقد كانت على العكس علاقات يشوبها الكره المتبادل، يشير إلى هذا المقريزى بقوله :

«وقوم يذكرون أن المستنصر كان قد أجلس ابنه أبا المنصور نزار لأنه أكبر أولاده، وجعل إليه ولاية العهد من بعده، فلما قربت وفاته أراد أن يأخذ له البيعة على رجال الدولة، فتقاعد له الأفضل ودافع حتى مات، ذلك أنه كانت بينه وبين نزار مباينة، وكان فى نفس كل منهما مباينة من الآخر، لأمور منها:

إن نزارا أخرج ذات يوم من بعض أماكن القصر، فوجد الأفضل قد دخل من أحد أبواب القصر وهو راكب ، فصاح به : انزل يا أرمنى الجنس، فحقدها الأفضل عليه، وظهرت كراهة أحدهما للآخر.

ومنها أن الأفضل كان يغار من نزار فى أمور بأيام حياة أبيه، ويرد شفاعاته، ويضع من قدره، ولا يرفع رأسا لأحد من غلمانه وحواشيه، بل يحتقرهم ويقصدهم بالأذى والضرر، فلما عزم المستنصر على أخذ البيعة لنزار اجتمع الأفضل بالأمراء الجيوشية، وخوفهم من نزار، وحذرهم من مبايعته وأشار عليهم بولاية أخيه أحمد، فإنه صغير لايخاف منه، ويؤمن جانبه فرضوا بذلك، وتقرر أمرهم عليه بأجمعهم، ما خلا محمود بن مصال اللكى – من قرية يقال لها لك برقة – فإنه لم يوافق، لأنه كان قد وعده نزار بأن يوليه الوزارة والتقدمة على الجيوش مكان الأفضل، فلما اطلع على ما قرره الأفضل من ولاية أبى القاسم أحمد مع الأمراء، وأنهم قد وافقوه على ترك مبايعة نزار طالعة بجميع ذلك. إلخ.

وكان من العسير إلى وقت قريب فهم هذا الانقسام السياسى المذهبى وآثاره التاريخية فهماً واضحاً، لأن المعلومات التى تقدمها المراجع التاريخية كانت فى معظمها غامضة غير واضحة، كما أنها تمثل – فى نفس الوقت – وجهة النظر المعادية أى وجهة النظر السنية، لأن معظم المؤرخين الذين نستطيع استشارتهم والذين تتداول كتبهم بين أيدى الباحثين هم مؤرخون سنيون.

وفى السنوات الأخيرة بدأت المؤلفات الإسماعيلية – النزارية منها والمستعلية – تظهر للنور – مخطوطة ومطبوعة – ، وهذه المؤلفات – لحسن الحظ – تلقى أضواء جديدة على تاريخ هذا النزاع، وأهم من هذا كله فهى تقدم للباحثين وجهة النظر الأخرى، وجهة نظر الفريق الأصلى صاحب النزاع.

أما آراء الفرقة النزارية فإن الفضل الأكبر فى معرفتها يرجع إلى بعض المنشورات التى قام على إخراجها ونشرها أخيراً المستشرق الروسى الأستاذ «إيفانوف W. Ivanow».

وأما وجهة النظر المستعلية، أو بمعنى أدق الرأى الرسمى للحكومة المستعلية فى مصر فيظهر جلياً واضحاً فى هذه الوثيقة الرسمية موضوع دراستنا والموسومة باسم «الهداية الآمرية» فهى سجل رسمى صادر عن الخليفة الفاطمى العاشر الآمر بأحكام الله – ابن المستعلى – لتفنيد إدعاءات الفرقة النزارية، وقد قام بنشر هذه الرسالة لأول مرة الأستاذ آصف على فيظى – سفير الهند السابق فى مصر –.

والوثيقة – لقدم تاريخها وللأدلة المبينة بها – تقدم إضافات قيمة للباحث فى تاريخ النزاع بين النزارية والمستعلية : أسبابه ونشأته، وخاصة للمراحل الأولى من هذا النزاع، لأن الوثيقة كتبت بعد مضى عشرين سنة فقط من نشأة هذا الانقسام السياسى المذهبى.

وقد كان للنزارية براهين كثيرة يدللون بها على صحة إمامة نزار ويبدو من هذه الوثيقة والوثيقة التى تليها أنهم دأبوا – وخاصة بعد إقامة ملك لهم فى ألموت – على نشر هذه البراهين والدعوة لها بوساطة دعاتهم للتشكيك فى صحة إمامة المستعلى، وبالتالى فى صحة إمامة الإمام القائم وقتذاك وهو الآمر بأحكام الله ولهذا نرى أن منهج كاتب هذه الرسالة يتلخص فى عرض

البراهين التى يسوقها النزارية دليلاً دليلاً، ثم تفنيدها والرد عليها بالأدلة الأخرى التى يعتقد فى صحتها المستعلية ويؤمنون بها.

وكان السجل يناقش فى أوله الفكرة الأساسية، فكرة الإمامة، ويهاجم الذين يجحدون أئمة دينهم ويتخذون أئمة ضلال، وكذلك من «صد عن حدود الله، وتأول على الولاية، وتحكم فى الإمــامــة، هؤلاء - فى نظره - يقال لهم : اهبطوا من مرتبة الإيمان الخاصة إلى رتبة الغواية العامة، وهم - لهذا - باءوا بغضب من الله حين فارقوا رحمته التى هى عصمة إمام الزمان ثم هو ينتقل بعد ذلك إلى الهدف الأساسى، فيعرف بهؤلاء الذين وصفهم بالأوصاف السابقة ويقول هم : «قوم قالوا بإمامة نزار دون دليل واضح هداهم ولا نص جلى قادهم إلى ذلك وأداهم».

ويبدأ كاتب السجل بمناقشة الأسلوب الصحيح لتعيين الإمام ويبين أفضلية النص على الاختيار، فيقول :

«ومعلوم أنه لا طريق إلى تثبيت الإمامة إلا بالنص والاختيار، وقد أجمع جميع من ينسب إلى الدعوة الهادية على النص فى الإمامة وفساد الاختيار ... وذلك أن الاختيار لايصح إلا بحصول شرائط فى التخير والمتخير».

ثم يذكر هذه الشرائط ويدلل على صعوبة توفرها، وينتقل إلى البرهنة على أفضلية النص.

ويشترط فى النص عنده أن يقرره الإمام فى وقت انفصاله ودقيقة انتقاله، وإذا كان هناك نص سابق للنص الصادر وقت النقلة فلا يؤخذ به، لأن الإمام قد يضطر أثناء حياته إلى النص على أشياء يقتضيها الحال أو سياسة الدولة ثم يعدل عنها بنص أو نصوص أخرى، فالمعول عليه هو النص وقت النقلة لأنه آخر نص، فهو يجب أى نص سابق ويلغيه وينسخه، وعلى حد قول السجل :

«ولا يعتمد فى ذلك إلا على ما يقرره (الإمام) فى وقت انفصاله ودقيقة انتقاله، وإلا فقد ينص على أشياء تقتضيها الحكمة فى وقت وتوحيها السياسة فى حال، ثم ينسخها فى مقام آخر، وكل ذلك بحسب الأصلح فى إرشاد الحق على قدر منازلهم وطبقاتهم، فعيون الخفاش لاتثبت لضوء النهار فضلاً عن أن تثبت لضوء الشمس الذى يبهر أعين النظار».

فإذا انتهى صاحب السجل من شرح فكرة الإمامة وبيان أنها لاتصح بالاختيار وإنما بالنص، وأن النص المعتمد هو الصادر وقت النقلة، انتقل بعد ذلك إلى الناحية التطبيقية فأكد صحة إمامة المستعلى وأن المستنصر لم يوص لأحد غيره «فإنه أشار إليه ونص عليه، وأقعده فى دقيقة انتقاله مقعده»، وأبان أن نزار فعل ما فعل لأنه «لحقه من الحسد ما لحق أخوة يوسف».

والكاتب يأتى بعد هذا ببراهين كثيرة، ويسوقها واحداً بعد الآخر، للدلالة على أن المستنصر أوصى للمستعلى ونص عليه فى مناسبات كثيرة وأدلته تعتمد على أسس ثلاثة :

١ – الأقوال والروايات التى تروى عن المستنصر ويؤكدها بروايات وأقوال أخرى روتها أخت نزار شقيقته وقت كتابة هذا السجل – أى فى عهد الآمر –.

٢ – وأدلة تعتمد على الأحداث والسوابق التاريخية فى العصر الفاطمى. وأدلة تعتمد على مبادئ المذهب.

الأدلة المعتمدة علي الأقوال والروايات التي تروي عن المستنصر:

– إن المستنصر لم يكن بل أفصح بالنص على المستعلى، وبالغ فى الإشارة بالإمامة إليه، وذلك أنه لما علم بما يكون من الخلاف فى أمره والفتنة فيه سماه باسم النبى، وكناه بكنيته، ليجعله رمزاً خفياً «يعلمه العارف الخبير ويفهمه الناقد البصير».

– أنه لما بشر بميلاده فى محضر من خاصته وأولاده قالوا له : «ليهنك ياأمير المؤمنين الأمير» ، فقال : بل قولوا : «ليهنك الإمام» ، ولم يعتمد هذا مع أحد من سائر أولاده .

– أنه لما زوج المستعلى من ابنة أمير الجيوش بدر الجمالى أقعده أبوه المستنصر – يوم عقد النكاح – على يمينه ، وأقعد سائر أولاده على يساره – أن المستنصر فى ذلك اليوم – يوم الزواج – نعت المستعلى بولى عهد المؤمنين ولم ينعت ولديه الآخرين – يعنى عبد الله ونزاراً – إلا بولى عهد المسلمين «وبين ولاية عهد المؤمنين وولاية عهد المسلمين» – كما يقول السجل – «ميزة لاتخفى على أحد ، وحقيقة لاينكرها إلا ذو بغى وحسد ، ثم لم يكتف بهذا حتى كرر هذا النعت فى عدة مواضع من كتاب الصداق ، وكتب علامته الشريفة بيده الطاهرة فوقه : ««صح» ، والحمد لله رب العالمين» وأشهد عليه من أعيان الشهود المعدلين جماعة بعضهم فى قيد الحياة إلى وقتنا هذا (يقصد وقت كتابة السجل) ، ويؤكد الآمر – باعتباره كاتب هذا السجل – هذه الحقيقة بقوله : «وكتاب الصداق موجود عندنا لايقدر بشر على دفع أعلامه ولا نقض أحكامه» .

– لما تشاجر ولدا المستنصر – عبد الله ونزار – فى الإمامة بين يديه قال لهما : لا تشاجرا ولا تنازعا ، فليس واحد منكما بصاحب هذا الأمر ، وإنما صاحبه ها هنا» وأشار بيده إلى ظهره الطاهر» وكان مولانا المستعلى حينئذ لم يحمل بعد ، وهذا كان فى يوم مشهود ومقام غير خفى ولا مجحود» .

– لما حضر المستنصر النقلة إلى الدار الآخرة ، وحانت دقيقة الانتقال «وهو الوقت الذى يعول فيه على النص أشار إليه (أى إلى المستعلى) ونص مصرحاً عليه ، وأمر من حضر بطاعته ، وعرفهم ما خصه الله به من وراثة رتبته ومقامه ودرجته ، فأذعن الجميع طائعين ، وبادروا بشعاره معترفين ، ولم

يخالف فى ذلك أحد من المخالفين والموالفين إلا نزار وشرذمة من الغلمان لم يعتقوا بعد، ولا فوض إليهم التصرف فى الأموال، فضلاً عن التحكم فى الإمامة».

ثم يؤكد السجل هذه الأقوال والروايات بأقوال أخرى أوردتها أخت نزار شقيقته فى اعترافها الذى أدلت به أمام كبار رجال الدولة قبل كتابة هذا السجل بأيام.

«واعترفت به متبرعة، وأدت الأمانة معلنة، وأقسمت لمن حضر أن مولانا المستنصر بالله أمير المؤمنين صرح فى عدة مواطن بأن مولانا الإمام المستعلى بالله هو صاحب هذا الأمر بعده، ووارث إمامته ومقامه.

وأيدت اعترافها بالأدلة التالية:

– أن أخاها نزارا خرج وهو معترف بمقاطعته لله فيما فعل، وأن الحسد حمله على ما لجج فيه وتوغل.

– وأن نزار دخل عليها يوم نكاح المستعلى بالله على بنت أمير الجيوش وقال لها : « مايئست من الخلافة إلا فى يومى هذا، فإن مولانا المستنصر بالله نعت أخى أحمد بولى عهد المؤمنين، وأقعده على يمينه، وأقعدنى وسائر أولاده على يساره».

ويشير السجل بعد ذلك إلى أن هذه السيدة قد تبرأت علناً من إمامة أخيها نزار، وأوجبت اللعنة على من يقول بها فى إعلان وأسرار، «وذلك أن الله أراد أن يطهرها قبل موتها من دنس العصيان، وأن يختم لها بخاتمة أهل الإيمان وأن تستوجب برضى إمامها عليها أتم الزلفة والرضوان».

ويذكر السجل أن أولاد نزار الباقين حذوا حذوها فى الاعتراف بالحق لأهله، والتبرأ مما فرط من نزار وسلف من سوء فعله.

أما الأدلة المعتمدة على الأحداث والسوابق التاريخية فتتلخص فيما يلي:

- أن النبى عليه السلام قال : «كائن فى أمتى ما كان فى بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة». واعتماداً على هذا يرى كاتب السجل أن المستنصر بالله يشبه فى دوره ومنزلته النبى سليمان فى دوره ومنزلته من بنى إسرائيل، فالمستنصر هو سليمان هذه الأمة لأنه واقع فى المرتبة والعدد من أئمة دوره موقع سليمان فى الرتبة والعدد من أئمة دوره، وأن المستنصر أوتى ملكاً لم يؤت مثله أحد من آبائه طولاً وتمكيناً - كما أوتى سليمان - أو كما يقول النص : «وسخرت له الريح والشياطين كما سخرت لسليمان»، ويفسر تسخير الريح للمستنصر بأنه «تأييده فى كل مقام»، ويفسر تسخير الشياطين له بأنه «انقياد المارقين له والمخالفين لأمره ونهيه»، كما يفسر قوله تعالى : «وما كفر سليمان»، بقوله : «أى ما كفر مولانا المستنصر بالله ولا جحد حقيقة علمه فى معنى الإمام من بعده، بل عقد الإمامة لمولانا المستعلى بالله فى يوم النكاح على رؤوس الإشهاد، ونص عليه فى دقيقة انتقاله».

- ويمضى كاتب السجل فى المقارنة بين المستنصر وسليمان، فيقارن أيضاً بين ما حدث بين ولدى المستنصر : المستعلى ونزار، وما حدث بين ولدى سليمان : رحبعون ويربعون، «ومما يعضد هذا التأويل ما ورد فى أسفار بنى إسرائيل من أن سليمان نص بالإمامة على ولده رحبعون، كما نص مولانا المستنصر بالله على مولانا المستعلى بالله، فحسده المسمى يربعون فخرج عليه، واتبعه جماعة ممن أضلهم بمكره، واستهواهم بسحره، وغير لهم نصوص الدين، وأزلهم عن الصراط الواضح المبين، كما فعل نزار فى خروجه على مولانا المستعلى بالله، وكانت الدائرة على نزار وأصحابه. وكانت العاقبة لابن سليمان صاحب الحق، كما كانت العاقبة لمولانا المستعلى بالله أمير المؤمنين.

- ويناقش كاتب السجل الحجج التى يوردها النزارية للبرهنة على صحة إمامة نزار، وخاصة القول بأن المستنصر دعا نزارا بولى عهد المسلمين ويستشهد الكاتب لتفنيد هذه الحجة بسابقة تاريخية فى العصر الفاطمى نفسه وهى وصية الحاكم لابن عمه عبد الرحيم بن الياس بولاية العهد أثناء حياته وإن كانت الإمامة قد تحققت لابنه الظاهر لاعزاز دين الله بعد وفاته، ويمضى الكاتب فى تفنيد هذه الحجة بجميع تفاصيلها وفروعها، فيقول :

« فإن قال قائل فيما تقدم من تقليد عبد الرحيم أن مولانا الحاكم بأمر الله إنما فعل ذلك لأنه كان لم يولد له ولد، فلما ولد له مولانا الظاهر لاعزاز دين الله صح الأمر له وارتفع عن ذلك، قلنا أن مولانا الحاكم بأمر الله لم يغب عن مكنون علمه أن مولانا الظاهر لاعزاز دين الله سيولد له، كما لم يخف على مولانا المستنصر بالله بأنه سيولد له مولانا المستعلى بالله، ولا فرق بين الأجنبى وبين الولد الذى ليس بإمام فى هذا، والحجة كما قدمنا على سياقها عليهم لا لهم» .

- ويشير كاتب السجل بعد ذلك إلى شبهة أخرى يوردها النزارية، وهى :

لم دعا المستنصر نزار بولى عهد المسلمين مع أنه يعلم أنه لن يكون إماماً أو على حد قول السجل :

« ما الحكمة فى تقديم الإمام لولى عهد المسلمين من ليس مخلفاً فيه الإمامة ؟» .

وجوابه على هذا السؤال أن الإمام إنما يفعل هذا لحكمة يراها تخفى على عقول الناس، والناس فى رأيه متفاضلون فى رتب التعليم، متفاوتون فى منازل الهداية .

« وقد تقتضى المصلحة الحاضرة والمنفعة الزمنية بوجوه من السياسة وضروب من الاختبار والامتحان، أن يشار إلى الناس بشئ والغرض سواه ويصرح لهم بأمر وليس المقصود إياه».

ثم يشرح الحكمة الكامنة فى أن يولى المستنصر عهد المسلمين لولديه نزار وعبد الله مع علمه بأن الإمامة ستكون للمستعلى فيقول :

« إنما فعل هذا مولانا المستنصر بالله لأنه لما تضمن من مكنون علمه أن الإمام إنما يولد فى طرف عمره، وعلم أن قلوب الضعفاء ربما توحشت أن لم تكن تسكن إلى شئ يشغلها فى أوقات توحشها، وليس لهم من الصبر على انتظار الوقت المعين، وظهور الشخص المبين، ما للأقوياء المهتدين الواثقين بعصمة المؤيدين، شغل نفوسهم بشئ يداوى به ضعفهم وقلة صبرهم، ثم لم يترك ذلك مهملاً ولا أرسله سدى، بل قرنه بتقليد عبد الله ليشعر كل ذى لب حاضر وحظ من التوفيق وافر أن الأول منسوخ بالثانى، والثانى كالأول فاقتضى ذلك صحة ثالث، وهذه نكتة لايعلم تأويلها إلا الراسخون فى العلم والمخصوصون بالذكاء والفهم، وهذا – معنى قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها »، ولا خلاف بين أهل التأويل أن الآية مثل الإمام» ... إلخ.

بعد هذا التحليل لمحتويات الوثيقة كان لابد من تحديد تاريخ كتابتها واسم كاتب الإنشاء الذى كتبها، فهى خلو منهما، كما أن الناشر الأول لهذه الوثيقة – آسف على فيظى – لم يعن بتوضيح هاتين الناحيتين على الرغم من أهميتهما، وقد استطعت بعد الرجوع إلى المخطوطة الكاملة لكتاب اتعاظ الحنفا أن أجلو ما يكتنف هاتين النقطتين من غموض.

أشار المقريزى فى حوادث سنة ٥١٦ هـ من هذا الكتاب - نقلاً عن تاريخ ابن ميسر - إلى نشاط الطائفة النزارية فى ألموت، وإلى نشاط أتباعها فى مصر، ثم أشار بعد هذا إلى أن المأمون البطائحى وزير الآمر قد بذل جهوداً ضخمة لتتبع عيون النزارية وأتباعها الذى يأتون متخفين إلى مصر وينتشرون فى أنحائها لإشاعة الفوضى وبلبلة الأفكار واغتيال كبار رجال الدولة، فلما قبض عليهم قال للخليفة الآخر :

« قد كشفت الغطاء وفعلت ما لايقدر أحد على فعله، وأما القصر فما لى فيه حيلة » .

وكان يقصد بهذا التلميح أخت نزار شقيقته التى كانت لاتزال تقيم فى القصر الفاطمى بالقاهرة حتى ذلك الحين.

يقول المقريزى - نقلاً عن ابن ميسر :

« فلما بلغ أخت نزار ذلك حضرت إلى الخليفة الآمر لتبرئ نفسها، ورغبت فى أن تخرج للناس لتقول ما سمعته من والدها وشاهدته ليكون قولها حجة على من يدعى لأخيها ما ليس له، فاستحسن الآمر ذلك منها، وأحضر المأمون وأخاه شقيقه أبا الفضل جعفر بن المستعلى، واتفقوا على يوم يجتمعون فيه فلما كان فى شوال عمل المجلس المذكور.

وقد قوبلت رغبتها بالترحاب، وعقد اجتماع عام حضره كبار رجال الدولة وابن ميسر (والمقريزى نقلاً عنه) يرويان بالتفصيل أخبار هذا **الاجتماع العام الذي عقد في شوال سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢م)**، وقد حضر هذا الاجتماع عدد من الأشراف ورجال الدين والدولة من بينهم : أبو الحسن على بن أبى أسامة - كاتب الدست - ، وولى الدولة أبو البركات بن عبد الحقيق - داعى الدعاة وأبو محمد بن آدم - متولى دار العلم بالقاهرة - ، وأبو الثريا بن مختار - فقيه

الإسماعيلية - ورفيقة أبو الفخر، والشريف ابن عقيل، وشيوخ الشرفاء وقاضى القضاة، وأولاد المستنصر وجماعة من بنى عم الخليفة.

وأدلت أخت نزار - من وراء ستار - للمجتمعين باعترافها الذى تنكر فيه إمامة شقيقها وتؤكد فيه أحقية المستعلى، مستعينة بالحجج والبراهين التى سبقت الإشارة إليها عند تلخيص الوثيقة.

ويذكر ابن ميسر والمقريزى أن المجتمعين كتبوا - بعد سماع هذا الاعتراف - محضراً بهذه الحجج والبراهين، وأنهم أضافوا إليها حججاً وبراهين أخرى وصار إليها بعد مناقشة الموضوع من جميع نواحيه، ومناقشة الحجج التى يدلى بها النزارية، وجميع هذه الحجج والبراهين الجديدة يمكن أن نضيفها إلى النوع الثالث من الأدلة الواردة فى الهداية الآمرية وهى الأدلة التى قلنا أنها تعتمد على الأحداث والسوابق التاريخية، **وفيما يلي موجز لهذه الأدلة التاريخية الجديدة التي أثبتت في المحضر:**

- إن ما يدعيه النزارية من أن السكة ضربت فى عهد المستنصر وعليها اسم نزار غير صحيح، وأن الدينار المسمى بالدينار المنقوط الذى يحمل اسم نزار إنما ضرب فى عهد الخليفة العزيز بالله، وقد شبه عليهم الأمر، أو أرادوا التمويه على الناس لأن الخليفة العزيز بالله اسمه نزار.

ويسير المحضر مع إدعاء النزارية هذا خطوة أخرى، فيقول أنه لو صح مع هذا قولهم فى شأن هذا الدينار لما كان فيه حجة بإمامة نزار، فالسوابق التاريخية فى العصر الفاطمى تنفى هذه الحجة :

ومن هذه السوابق أن الخليفة الحاكم بأمر الله سبق أن أمر بضرب السكة وعليها اسم بعض بنى عمه (يقصد ابن عمه وولى عهده عبد الرحيم بن الياس) ولم ينهض هذا حجة لتوليه الإمامة بعد ذلك.

ومنها أن الوزير اليازورى سبق أن سأل الخليفة المستنصر أن يكتب اسمه على السكة فوافق وضربت السكة فعلاً لمدة شهر وعليها اسم اليازورى، ثم بطل استعمالها وأمر المستنصر أن لايسطر هذا فى السير.

– ومن الحجج التى أدلى بها كاتبو المحضر أيضاً أن المستنصر لما جرت على دولته الشدائد، سير أولاده على مراكز الدفاع الهامة، فأرسل ابنه عبد الله إلى عكا – حيث كان يتولى قيادة الجيش أمير الجيوش بدر الجمالى – وأرسل ابنه أبا القاسم (والد الحافظ الذى سيتولى الخلافة فيما بعد) إلى عسقلان، وأرسل نزار إلى ثغر دمياط، وراعى فى هذا أن يكون الابن الأعلى مكانة هو الأقرب إلى العاصمة، ولهذا لم يسمح المستعلى بالخروج من قصره خوفاً على حياته، لأنه كان يؤهله للخلافة من بعده.

– والحجة الأخيرة من الحجج التى وردت فى هذا المحضر أن نزار بايع المستعلى بالخلافة فعلاً بعد وفاة المستنصر.

وبالمقارنة بين سجل «الهداية الآمرية» وبين نصى ابن ميسر والمقريزى يتضح أن هذا السجل هو الذى أمر بكتابته فى نهاية هذا الاجتماع الذى أدلت فيه أخت نزار بشهادتها، والذى نوقش فيه الموضوع بأكمله، والذى كتب فيه المحضر المشار إليه ولهذا نرى مطمئنين أن الهداية الآمرية كتبت فى شوال سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢م).

أما كاتب السجل فهو كاتب الإنشاء فى ذلك الحين – ابن الصيرفى – قد نص ابن ميسر فى تاريخه على هذا صراحة، فقد قال بعد أن ختم حديثه عن هذا الاجتماع.

«وأمر المأمون ابن الصيرفى بإنشاء سجل يقرأ على منبر مصر بذلك فكتبه وانفض المجلس».

وقال المقريزى أيضاً :

وأحضر الشيخ أبو القسم بن الصيرفى، وأمر بكتب سجل يقرأ على رؤوس الإشهاد . وتفرع منه النسخ إلى البلاد بمعنى ما ذكر من نفى نزار عن الإمامة».

نوع الوثيقة : رسالة (أو سجل وتوسم بـ «الهداية الآمرية» فى إبطال الدعوى النزارية» .

موضوعها : تبرير أحقية المستعلى – والد الآمر – فى الخلافة، وإثبات عدم أحقية أخيه نزار لها .

صادرة عن : الخليفة الآمر بأحكام الله .

إلـى : معشر المؤمنين فى جميع أنحاء الدولة وممتلكاتها .

تاريخها : لم يذكر، ولكنه استنتاجاً : شوال سنة ٥١٦ هـ (انظر المقدمة التحليلية) .

كاتبها : لم يذكر، ولكنه استنتاجاً : ابن الصيرفى (انظر المقدمة التحليلية) .

المراجع : (آصف بن على أصغر فيظى : الهداية الآمرية فى إبطال الدعوى النزارية، ص ٣ – ٢٦) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعلنا للمتقين إماماً، وأقامنا للهدى أعلاماً، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون للمؤمنين وسيلة وذماماً، ونصلى على جدنا سيدنا محمد رسوله الذى أسبل ببلاغه من سماء الحكمة غماماً، ونسخ بأحكام دينه أنصاباً وأزلاماً، وعلى أبينا وصية ووارث مقامه وعلمه على بن أبى طالب أعظم الخلق قرباً وإلماماً، وأولهم إيماناً وإسلاماً، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين احتووا بهدايتهم من الحكمة زماماً، وأزاحوا بأنوارهم من الضلالة ظلاماً، صلى الله عليهم صلاة دائمة ولقاهم تحية وسلامة. «يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقاً من الذين أوتو الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين(*)» إلى قوله : «إلى صراط مستقيم» (*).

لقد خسر من دفع مقامات أولياء الله وجحد حق أئمة دينه وسكن فيهم إلى مختلفات الأهواء، واتخذ أئمة ضلال أنشأهم لنفسه وهؤلاء عناهم الله تعالى بقوله : « وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك» إلى قوله «يعتدون (**)».

وذلك أن من صد عن حدود الله وعلومهم الإلهية، وتأول على الولاية وتحكم فى الإمامة، ونبذ عهد الإيمان وراء ظهره، فأشباه هؤلاء يقال لهم: اهبطوا من مرتبة الإيمان الخاصة إلى رتبة الغواية العامة، التى هى كالمصر الجامع لأصناف الناس، المشتمل على مختلف البرايا والأجناس. فإن الآراء المختلفة والمذاهب المفترقة لاتوجد فى جماعة الدعوة وحريم الإمامة، وقد ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة لتقهقرهم وارتدادهم وعدولهم عن سنن

(*) السورة ٣ (آل عمران)، الآيتان ، ١٠٠ و ١٠١م.
(**) السورة ٢ (البقرة) الآية ٦١ م.

رشادهم فإن العزة إنما هى مرتبة الإيمان التى أخلوا بها ولم يتمسكوا بسببها، ولهذا باءوا بغضب من الله حين فارقوا رحمته التى هى عصمة إمام الزمان، وانضووا إلى أضداده الذين هم فى الحقيقة غضب الرحمن، وقد أعطى الله السبب فى ضرب الذلة والمسكنة على من جحد حق الوصى والإمام ومال إلى الضلالة ولم صبر على صنف واحد من الطعام بقوله سبحانه : «ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله» (*). وبقوله تعالى : «ويقتلون الأنبياء بغير حق» (**). يعنى يسلبون أرباب الحق مرتبتهم ويقيمون دعوة أضدادهم، فما أعظم ما عليه أقدموا وما أصعب ما إياه اقتحموا، بغيا على النفوس البشرية التى لو خلوا بينها وبين اكتساب صورتها تخلصت من شوائب الطبيعة وكدورتها، ولحقت بدار مقامتها ووصلت إلى مظلة كرامتها، فتبت أيديهم وتعست جدودهم، فلقد نصبوا على النفوس المسكينة حبائل تصرفها عن سداد أمرها، وتمنعها عن التخلص من أسرها ، طلباً لأعراض الدنيا التى هى متاع قليل، وظل لا دائم ولا ظليل فهم مستحقون لغاية اللوم والذم، مستوجبون أعظم عقوبات ذوى الجرائم والظلم وذلك لأنهم أضلوها عن الهدى وهدوها إلى الضلال، فاستوجبوا بذلك أليم العقوبة وشديد النكال فأحرى بمن منع النفوس خلاصها الأبدى وغيرها عن عالمها العلوى، وميزها عن مقصد فوزها السرمدى، بأن لايخفف الله عنه العذاب ساعة، ولايأخذ منه عدلاً ولايقبل فيه شفاعة، يصغر - وأيم الله - عظيم العقوبة عند مقدار جرمه ولايكفى مؤلم التقريع فى مكافأة بغية وظلمه، فإنهم ضيموا كلمة الله الحية الناطقة وحرفوا حجته البالغة الصادقة، وناصبوا

(*) السورة ٢ (البقرة) الآية ٦١ م.

(**) السورة ٣ (آل عمران) الآية ١١٢، والآية فى الأصل - كما نشرها محرفة إلى «بغير الحق».

رحمته الحاضرة الموجودة ونقلوها عن موضعها بغير نص مشهور، ولا خبر مأثور ولا دليل قابلة الحق بنور «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون»(*).

هذه الآية عند أهل التأويل هى بيان أمثال هؤلاء الذين يعملون فى اختيار الأئمة على آرائهم جهلاً بحدود الله وافتراء على الله، والكتاب الذى كتبوه بأيديهم مثل الإمام الذى اختاروا برأيهم، ورأى الماكرين من مقدميهم وقولهم : «هذا من عند الله» ولا يخرج عن أمر الله، ليشتروا به من حطام الدنيا ثمناً قليلاً، «سيكسبون بما فعلوه من خزى الآخرة عذاباً شديداً وبلاء طويلاً.

يامعشر المؤمنين : اصغوا بآذان واعية إلى ما أوضحه لكم من سبيل الله وتفهموا بقلوب صافية ما أعرضه عليكم من حجج الله البينات أما تعجبون لطائفة حالفها الشيطان لخالفت القرآن، وكسبت فى دين الله عظيماً، وأباحت منه حمى معصوماً، فأشبهت يهود هذه الأمة فى كتمان الحق بعد عرفانه، واجتناب الصدق بعد وضوحه وبيانه. «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين»(**).

هؤلاء قوم قالوا بإمامة نزار دون دليل واضح هداهم، ولا نص جلى قادهم إلى ذلك وأداهم، بل عموا على محال يستنزل ألباب الأغمار وأخبار ملفقة تموهت لأجل بعد الدار، ومعلوم أنه لا طريق إلى تثبيت إلا بالنص والاختيار، وقد أجمع جميع من ينسب إلى الدعوة الهادية على صحة النص فى الإمامة

(*) السورة ٢ (البقرة) الآية ٧٩ م.

(**) السورة ٢ (البقرة) الآية ٨٩ م.

وفساد الاختيار، وأتوا بما يؤيده من البراهين الواضحة والقضايا الصادقة، وذلك أن الاختيار لايصح إلا بحصول شرائط فى التخير والمتخير.

وأما شرائط التخير فأن يكون باجتماع من جهة العقلاء والفضلاء دون هوى يلحقهم ولا هوادة توبتهم، وتحصيل هذا الاجتماع بعيد والاتفاق مع عدم الهوى صعب شديد. وأما شرائط المتخير فأن تجتمع فيه خلال الإمامة التى أفادتها أئمة الدين وهداته، وأثبتها عنهم أرباب المذهب الطاهر ودعاته ووصول الناقد فى الزمان الطويل، الناظر فى الدقيق والجيل ، إلى تحقق هذه الخلال من شخص متعذر غير موثوق به، لأن أشياء خفية ونحائز نفسانية يمكن أن يساير الشخص بها ويرائى فيها فكيف يصل إلى تحققها جمهور أهل العقد والحل وأكثرهم له مفارقون وعنه متباعدون، فهذا وأمثاله من ضعف البصائر البشرية واضطرارها إلى الاستضاءة بالمعارف الحقيقية ، بإرشاد هداة الحكم الربانية، لم يكن تثبيت الإمامة إلا بنص صحيح يؤخذ من لسان المويد المرشد إلى الحق فى وقته وزمانه، لايكتفى فى ذلك بمجرد قوله، دون ما يمعهم من حقيقة إشارته وفعله، ولايعتمد فى ذلك إلا على ما يقرره فى وقت انفصاله ودقيقة انتقاله، وإلا فقد ينص على أشياء تقتضيها الحكمة فى وقت وتوجبها أسياسة فى حال ثم ينسخها فى مقام آخر، وكل ذلك بحسب الأصلح فى إرشاد الخلق على قدر منازلهم وطبقاتهم، فعيون الخفاش لا تثبت لضوء النهار فضلاً عن أن تثبت لضوء الشمس الذى يبهر أعين النظار.

ومن أعظم الدلائل على صحة النص أن كل من يقول بالاختيار فى الإمامة إذا خوطب على ذلك وطولب بشرائط الاختيار وهن دليله وضعف تعليله ولجأ إلى إدعاء النص وانتحاله، فتتأكد صحة النص بأن كل من أباه إذا حوقق عليه لجأ مضطراً إليه، والذين قالوا بالاختيار متى راموا عليه استدلالاً

وتكلفوا فيها مقالاً، سلبه الحق نوره وخلع عنه التوفيق لباسه، يموهون محالهم ويأبى إلا افتضاحاً، ويشترون ضلالهم ويأبى إلا انكشافاً، وينسبون أقاويلهم إلى الكتاب العزيز وينقضها تنزيله وتأويله، ويسندونها إلى رسول الله – صلى الله عليه وآله – فتدفعها سنته وتدحضها ملته، وحسبك التجاء القائلين بالاختيار إلى النص بأنهم إذا ضايقهم العرب فى استحقاق الإمامة من دونهم ادعوا النص وقالوا : قال رسول الله : « الإمامة فى قريش »، وإذا ضايقهم بنو أمية وادعوا من استحقاقها مثل ما ادعوه لجأوا إلى النص فقالوا : قال رسول الله : « الإمامة محرمة على الطرداء وأبناء الطرداء»، وإذا ضايقهم بنو عباس وادعوا من اس حقاقها لجأوا إلى النص فقالوا : قال رسول الله : «الإمامة محرمة على الطلقاء وأبناء الطلقاء»، وإذا حاججهم آل الرسول أولياء التنزيل بما معهم من الأثر الجلى والنص الحقيقى موهوا بالاختيار، فإذا حوققوا فيه وقفوا موقف الخجل والاعتذار، فإنهم عند ثبوت النص يراوغون بالاختيار فإذا فحموا بفساده وما يلحقه من تعاقب الآراء واتباع الأهواء ادعوا النص انتحالاً ولفقوا فيه محجالاً، واضطروا برغم آنافهم إلى حجة آل محمد فجاءت غراء علياء تبهر الخصوم وتسكت القائلين، وتبين بأن الأئمة فى تتابع وجودهم، وتواصل جهودهم، كالشمس التى لاتخلو من آفاق سماءها ولاتعدم من مجارى أفلاكها فهى أبداً ظاهرة للنظار، مواصلة لإفاضة الأنوار، ولا يصح خلو زمان من ظهورها ولا يفقد مكان إشراق نورها.

ومن المعلوم الذى لاشك فيه أن مولانا الإمام المستنصر بالله – أمير المؤمنين – لم يقعد مكانه، ولا خلف عيانه، ولا ورث مقامه، ولا أعاد أيامه ولا أمسك قضيب مملكته إلا مولانا المستعلى بالله – أمير المؤمنين – فإنه أشار إليه ونص عليه، وأقعده فى دقيقة انتقاله مقعده، وجهل حده فى الإمامة والخلافة حده، عرف ذلك من عرفه وأنكره من حسده، فثبت مولانا المستعلى

بالله إماماً، وطلع فى سماء ملك آبائه الطاهرين وقصورهم بدراً تماماً وخرج عنها نزار بدنياه تلم يجد منها بنائل، ولا حظى فيها بطائل، ثم لما أسلمه علمه، وأوبقه زلله، ونزلت الدائرة بأتباع دعواه، وأرباب هواه ولم يقم لهم قائمة، وأخذوا أخذ القرى وهى ظالمة فحينئذ كر منصرفاً وأقر معترفاً بأنه لحقه من الحسد ما لحق أخوة يوسف، وأظهر الندم على ما فرط منه وقال : « ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين » (*)، ثم بعد حكم الله فيه، لحق بأشياعه وذويه، «فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين »(**).

فأى دليل أوضح فى بطلان إمامته، من انقطاع سببه وظهور ندامته واعترافه بلسانه، ولحاقه بأهل عدوانه، وليس هذا من شأن الأئمة، فإن لا يقولون كما قال الملكان ببابل : هاروت وماروت :

« إنما نحن فتنة فلا تكفر »(***).

وذلك أن الأمة افتتنت بعد نبيها وأشهرت كل طائفة منهم سيفها، وقال بعضهم : « منا أمير ومنكم أمير » قال كبيرهم فى أول قعوده : «وليتكم ولست بخيركم » وقال صاحبه عمر : «كانت بيعة أبى بكر فلتة وقى الله شرها» وأقر أبو بكر على نفسه بالشك، فقال : «إنى وودت لو أنى سألت رسول الله : لمن هذا الأمر من بعده ؟ » والإمام الحق لايشك فى نفسه ولا يرجع عن أمره ولا يندم إن غضب على حقه، بل يثبت مستمراً على شأنه مفصحاً عن محله ومكانه هادياً مهدياً متبوءاً من العصمة مكاناً علياً كما فعل على فى جميع مقاماته، فإنه لم يذعن قط راجها، ولا رفق فى إسقاط حقه منازعاً، بل نوصب

(*) السورة ٢٣ (المؤمنون) الآية ١٠٦ ك.

(**) السورة ٤٤ (الدخان) الآية ٢٩ ك.

(***) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ١٠٢م.

فصبر، حتى أظهر الله أمره به. ووصل الإمامة بسببه، وجعلها كلمة باقية في عقبه.

ومولانا المستعلي بالله هو حبل الله الممدود، فمن يقطعه؟ ومشرع نجاته المورود، فمن يمنعه ؟ وعلم الهدى المرفوع، فمن يطرحه ؟ وجبل الدين الراسي، فمن يزحزحه، وبحر الحق المسجور، فمن ينزفه ؟ وسراج الأمة الوهاج ، فمن يستره ؟ ومعنى الكتاب المسطور، فمن يحرفه ؟ ومحل الولاية المقدم ، فمن يؤخره ؟ وهل عرض له في مناصبة إمامته، وجحد حقوقه والإدعاء عليه إلا ما عرض لجده على بن أبي طالب. وكما أن ذلك لم يقدح في إمامة مولانا المستعلي بالله «يريدون أن يطفئوا نور الله بأوفاههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون»(*). فمن شك في هذا الأمر خرج من عهدة الدين وفارق عصمة المؤمنين فكان من يهود هذه الأمة الذين قالوا : «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون، إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون»(**).

والعجب أن هذه الطائفة يظهرون طاعة مولانا المستنصر بالله وهم يعصونه، ويستمسكون بحبله وهم يفارقونه، ويموهون باتباعه وهم يخالفونه فإذا كذبوا بنص مولانا المستنصر بالله المأخوذ عنه في دار هجرته ومحل كرامته وبمرأى ومسمع من أولاده وخاصته والحاضرين من أشياع مملكته وجمهور رعيته وعلموا على شبه مضلة وأخبار على بعد الدار ملفقة، فإلى أي نص يرجعون وبأي حديث بعده يؤمنون ؟ فجحد الحق بعد معرفة الكفر والرجوع إليه أولى بالعاقل من التمادي في الباطل، وما كنى مولانا المستنصر بالله –

(*) السورة ٩ (التوبة)، الآية ٣٢ م.

(**) السورة ٧ (الأعراف)، الآيتان ١٣٨ ـ ١٣٩ ك.

أمير المؤمنين – بل أفصح بالنص عليه، وبالغ فى الإشارة بالإمامة إليه وذلك أنه لما علم مايكون من الخلاف فى أمره والفتنة فيه سماه باسم النبى، وكناه بكنيته ليجعله رمزاً خفياً يعلمه العارف الخبير، ويفهمه الناقد البصير، ثم إنه لما بشر بميلاده فى محضر من خاصته وأولاده قالوا له : «ليهنئك يا أمير المؤمنين الأمير» قال : بل قولوا : «ليهنئك الإمام»، لم يعتد هذا مع أحد من سائر ولده.

ثم إنه لما زوج ابنة أمير الجيوش وعقد النكاح عليها أقعده على يمينه وأقعد سائر أولاده على يساره، ونعته فى ذلك اليوم بولى عهد المؤمنين ولم ينعت ولديه الآخرين – يعنى عبد الله ونزارا – إلا بولى عهد المسلمين وبين ولاية عهد المؤمنين وولاية عهد المسلمين ميزة لاتخفى على أحد، وحقيقة لاينكرها إلا ذو بغى وحسد، ثم لم يكتف بهذا حتى كرر هذا النعت له فى عدة مواضع من كتاب الصداق، وكتب علامته الشريفة بيده الطاهرة فوقه :

صح « والحمد لله رب العالمين »

وأشهد عليه من أعيان الشهود المعدلين جماعة بعضهم فى قيد الحياة إلى وقتنا هذا، وكتاب الصداق موجود عندنا لايقدر بشر على دفع أعلامه ولا نقض أحكامه.

ثم إنه لما تشاجر عبد الله ونزار – ولداه – فى الإمامة بين يديه، قال لهما : « لا تشاجرا ولا تنازعا، فليس واحد منكما بصاحب هذا الأمر، وإنما صاحبه ها هنا » – وأشار بيده إلى ظهره الطاهر، وكان مولانا المستعلى حينئذ لم يحمل بعد. وهذا كان فى يوم مشهود ومقام غير خفى ولا مجحود.

ثم إنه لما حضرته النقلة إلى دار الكرامة وحانت دقيقة الانتقال، وهو الوقت الذى يعول فيه على النص أشار إليه، ونص مصرحاً عليه، وأمر من

حضر بطاعته، وعرفهم ما خصه الله به من وراثة رتبته ومقامه ودرجته، فأذعن الجميع طائعين ، وبادروا بشعاره معترفين، ولم يخالف فى ذلك أحد من المخالفين والموالفين، إلا نزار وشرذمة من الغلمان لم يعتقوا بعد، ولا فوض إليهم التصرف فى الأموال، فضلاً عن التحكم فى أمر الإمامة.

وجميع ما ذكرنا ليس فى أولاد مولانا المستنصر بالله وأبنائه ولا فى الحاشية والأولياء وسائر طبقات الناس، إلا من يعرف ذلك كما يعرف نفسه، ويتحققه كما يتحقق يومه وأمسه، ومنذ أيام أقرت به أخت نزار على رؤوس الأشهاد طائعة واعترفت به متبرعة، وأدت الأمانة معلنة، وأقسمت لمن حضر أن مولانا المستنصر بالله – أمير المؤمنين – صرح لها فى عدة مواطن بأن مولانا الإمام المستعلى بالله هو صاحب هذا الأمر من بعده، ووارث إمامته ومقامه، وذكرت أن أخاها نزار خرج وهو معترف بمقاطعته لله فيما فعل، وأن الحسد حمله على ما لجج فيه وتوغل، وذكرت أن يوم نكاح مولانا المستعلى بالله على بنت أمير الجيوش دخل نزار إليها وقال : «ما يئست من الخلافة إلا فى يومى هذا، فإن مولانا المستنصر بالله نعت أخى أحمد بولى عهد المؤمنين، وأقعده على يمينه وأقعدنى وسائر أولاده على يساره»، ثم إنها تبرأت من إمامة أخيها نزار وأوجبت اللعنة على من يقول بها فى إعلان وأسرار، وذلك أن الله أراد أن يطهرها قبل موتها من دنس العصيان، وأن يختم لها بخاتمة أهل الإيمان وأن تستوجب برضى إمامها عليها أتم الزلفة والرضوان.

وكذلك احتذى أولاد نزار الباقون حذوها فى الاعتراف بالحق لأهله والتبرأ مما فرط من نزار وسلف من سوء فعله وبايعونا بصدور منشرحة، وأيد إلى طاعة الله وطاعتنا منبسطة.

وهذه أمورة جلية لايكابر فيها إلا من يجحد العيان ويدفع البرهان وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله : «واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين»(*)، وذلك مولانا المستنصر بالله من دوره بمنزلة سليمان من دور بنى إسرائيل، وهو المشار إليه بسليمان، وقد قال النبى : «كائن فى أمتى ما كان فى بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة» فسليمان هذه الأمة هو مولانا المستنصر بالله، لأنه واقع فى الرتبة والعدد من أئمة دوره موقع سليمان فى الرتبة والعدد من أئمة دوره، وأيضاً فإنه أوتى ملكاً لم يؤت مثله أحد من آبائه طولاً وتمكينا كما أوتى سليمان ، وسخرت له الريح والشياطين كما سخرت لسليمان، فتسخير الريح تأييده فى كل مقام، وتسخير الشياطين له انقياد المارقين له والمخالفين لأمره ونهيه، وقوله : «وما كفر سليمان» أى ما كفر مولانا المستنصر بالله وما جحد حقيقة علمه فى معنى الإمام من بعده، بل عقد الإمامة لمولانا المستعلى بالله فى يوم النكاح على رؤوس الأشهاد ونص عليه فى دقيقة انتقاله لا موضع تأول فيه ولا اشتباه على أحد من حاضريه، وكفر بذلك من اتبع الهوى وآثر الدنيا، إذ كانت الخلافة والإمامة محل المنافسة وباعث الحسد، ولهذا قال سبحانه : «ولكن الشياطين كفروا» أى هؤلاء الذين شطوا عن الحق وبالغوا فى الحيلة، فضلوا وأضلوا.

ومما يعضد هذا التأويل ما ورد فى أسفار بنى إسرائيل من أن سليمان نص بالإمامة على ولده رحبعون كما نص مولانا المستنصر بالله على مولانا المستعلى بالله، فحسده المسمى يربعون، فخرج عليه، واتبعه جماعة ممن أضلهم بمكره واستهواهم بسحره، وغير لهم نصوص الدين ، وأزلهم عن

(*)السورة ٢ (البقرة) الآية ١٠٢م.

الصراط الواضح المبين، كما فعل نزار فى خروجه على مولانا المستعلى بالله، وكانت الدائرة على يربعون وأصحابه، كما كانت الدائرة على نزار وأصحابه، وكانت العاقبة لابن سليمان صاحب الحق، كما كانت العاقبة لمولانا المستعلى بالله – أمير المؤمنين – فإن الله قد أنفذ مشيئاته الأزلية، وأحكام قضاياه الكلية، بصلة حبل الإمامة وعصمتها، وإمحاقه المكر السئ ممن عاندها وخالف أمر الله فى طاعتها، فاعتبروا يا أولى الأبصار فقد وضح الصبح للنظار، أما يأنف من تغذى بلبان الدعوة ودخل فى عصمة الولاية أن يتعامى عن الحقيقة وقد أسفر نورها أسفاراً، «مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، والله لايهدى القوم الظالمين» (*).

ومع هذا إن ركبوا ظهر اللجاج، وتوعروا فى سبيل الاحتجاج واستدلوا بأن نزار خرج طالباً للأمر، ونصب راية الحرب، ودعا لنفسه دون سائر أولاد المستنصر بالله قلنا هذا ما لايجب نص حق، ولا تثبت به إمامة، ولا يصح لقائله فيه دلالة، فإنه ليس بأول ظالم لنفسه، مقاطع لربه، ومطالب ما ليس بحقه، وقد خرج قوم على أمير المؤمنين ، وعصب قوم حقه، فلم يكن ذلك مما يبطل حقه ولا يثبت لأولئك حقاً.

فإن استدلوا بأن مولانا المستنصر بالله نعته بولى عهد المسلمين، قلنا وهذا ما لا يثبت به إمامة، فقد ولى مولانا الحاكم بأمر الله عبد الرحيم عهد المسلمين، ثم حقق الإمامة لصاحبها، وخلفها لمستحقيها – مولانا الظاهر لإعزاز دين الله –، فلم سلمتم ذلك فى مولانا الظاهر ومنعتموه فى مولانا المستعلى بالله؟ وعبد الرحيم كان أظهر أمراً، وأنبه ذكراً، وأمكن يداً، وأجلى

(*) السورة ٦٢ (الجمعة) الآية ٥م.

نصاً من نزار، فإن قالوا إن عبد الرحيم ليس بولد، ونزار ولد، قلنا إذا جاز للإمام أن يقدم من ليس بولد لولاية عهد المسلمين من غير أن يخلف الإمامة فيه فكيف يجوز أن يقدم من ولده لولاية عهد المسلمين من ليس يخلف الإمامة فيه؟ إذ ليس جميع ولده أئمة، فلا فرق بين الولد فى ذلك وغير الولد، فلا حجة إذاً فى تقديم إنسان لولاية عهد المسلمين فى ثبوت الإمامة له، ومما يؤكد ذلك أن عبد الله أيضاً قد قلده ولاية عهد المسلمين كمثل تقليده ذلك لنزار، وهذه خطوط يده الشريفة باقية إلى اليوم شاهدة بذلك.

فأما أن يقولوا إنهما جميعاً إمامان فمحال، وأنى يكون الحق فى طريقين، والإمامة منقسمة فى شخصين، وأما أن يقولوا : إن أحدهما إمام فقط، فما الذى جعل نزار أولى بها من عبد الله ؟ والمعنى الذى استدلوا به على إمامة نزار هو تقليده عهد المسلمين، فعقد الله مشارك فيه على السواء بل عبد الله أولى بذلك لأنه المتأخر فى الزمان ومعلوم فى أحكام الشرائع الطاهرة أن الحكم المتأخر ناسخ للحكم المتقدم، وأيضاً فإن الإمامة تجرى مجرى الوصية ولا خلاف بين الأمة فى أن الوصية المتأخرة ناقضة للوصية المتقدمة، فتبين من حيث هذا أن تقليد عبد الله مبطل لتقليد نزار، وتقليد مولانا المستعلى بالله مبطل لجميع ما تقدم، وناسخ لكل ما سلف، وقد نعت بولى عهد أمير المؤمنين وما نعتا إلا بولى عهد المسلمين، ونص عليه فى دقيقة الانتقال، وخلف الإمامة فيه دون الناس والأشكال، فقد ثبت أن لا حجة لهم فى تقليد ولاية عهد المسلمين.

فإن قال قائل فيما تقدم من تقليد عبد الرحيم أن مولانا الحاكم بأمر الله إنما فعل ذلك لأنه كان لم يولد له ولد، فلما ولد له مولانا الظاهر لإعزاز دين الله صح الأمر له وارتفع عن ذلك، قلنا إن مولانا الحاكم بأمر الله لم يغب عن

مكنون علمه أن مولانا الظاهر لإعزاز دين الله سيولد له، كما لا يخفى على مولانا المستنصر بالله أنه سيولد له مولانا المستعلى بالله، ولا فرق بين الأجنبى وبين الولد الذى ليس بإمام فى هذا والحجة كما قدمنا – على سياقتها – عليهم لا لهم.

فإن قالوا : وهذا موضع أشكال ، وما الحكمة فى تقديم الإمام لولى عهد المسلمين من ليس مخلفاً فيه الإمامة، فالجواب أنهم لو رجعوا إلى إمام وقتهم فسألوا عن وجه الحكمة فى هذا الفعل، وسر الحقيقة فى باطن هذا الظاهر لكان أولى بهم، وأعود بالفائدة عليهم، وأبعد من توجه الشبهة إليهم وكانوا يسلمون من الرجوع إلى آرائهم والاتباع لأهوائهم، ونحن نفيدهم وجه الحكمة فى ذلك، وهو:

أن الأئمة إنما يقصدون إرشاد الخلق وتعليمهم ما تكمل به صور نفوسهم ويحصل عنه رتبة نجاتهم فى معادهم، والناس فى رتب التعليم متفاضلون، وفى منازل الهداية متفاوتون، وقد تقتضى المصلحة الحاضرة والمنفعة الزمنية بوجوه من السياسة وضروب من الاختيار والامتحان أن يشار إلى الناس بشئ والغرض سواه، ويصرح لهم بأمر وليس المقصود إياه، وما هذا يتناقص منهم ولا اختلاف فى علمهم، بل هو بحسب الأصلح فى زمان، وبحكم ما يطلعون عليه من صفاء الضمائر وكدرها فى أوان ، وإنما فعل هذا مولانا المستنصر بالله لأنه لما تضمن من مكنون علمه أن الإمام إنما يولد فى طرف عمره، وعلم أن قلوب الضعفاء ربما توحشت إن لم تكن تسكن إلى شئ يشغلها فى أوقات توحشها وليس لهم من الصبر على انتظار الوقت المعين، وظهور الشخص المبين ما للأقوياء المهتدين الواثقين بعصمة المويدين شغل نفوسهم بشئ يداوى به ضعفهم وقلة صبرهم ثم لم يترك ذلك مهملاً ولا أرسله سدى

بل قرنه بتقليد عبد الله ليشعر كل ذى لب حاضر، وحظ من التوفيق وافر، وأن الأول منسوخ بالثانى والثانى كالأول فاقتضى ذلك صحة ثالث، وهذه نكتة لا يعلم تأويلها إلا الراسخون فى العلم والمخصوصون بالذكاء والفهم وهذا معنى قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها»(*).

ولا خلاف بين أهل التأويل أن الآية مثل الإمام، ويعنى بقوله : « ما ننسخ من آية » أى نؤخر من شخص قد وسم بوسم يوهم فيه الإمامة ويعنى بقوله : «أو ننسها» أى ننقل من إمام حقيقى إلى دار الكرامة، فإن النسخ هو إبطال حكم متقدم بإثبات حكم متأخر، وهو مثل تصرف الشخص المتوهمة إمامته والنسيان هو انتقال الشئ من مقر الحفظ، وهو مثل انتقال الإمام إلى دار الكرامة وقوله : « نأت بخير منها » أى نأت بإمام بالحق وهو خير من الشخص المتوهمة إمامته.

ومما يؤيد هذا قول الله تعالى : « أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير»(**). فإنه أشار عند جميع أهل التأويل بقوله «خير» ، إلى الوصى، أو إلى إمام الحق، وبالذى أدنى إلى الشخص الذى يتوهم فيه أنه إمام وليس بإمام، ويريد بقوله تعالى : أو مثلها، أى يخلف إمام حق بإمام حق مثله من عنصره وأصله، فإن الأئمة فى معنى الإمامة متماثلون، وفى حقيقة التأييد والعصمة متشاكلون، وجعل بإزاء نسخ الآية الإتيان بما هو خير ، وبإزاء نسيانها الاتيان بما هو مثلها، فهل بقى بعد فهم هذا فى فعل الأئمة ريب أو يكون على وجه حكمتهم اعتراض بحضرة أو غيب ؟

(*) السورة ٢ (البقرة) الآية ١٠٦م.

(**) السورة ٢ (البقرة) الآية ٦١.

يا هؤلاء : ما تعلمون أنكم مضطرون إلى الإمام الحاضر فى الاستضاءة بتعليمه وإرشاده، وتحصيل المعارف التى لا تحصل إلا من جهته، وتلومون أهل الظاهر فى الاستبداد بآرائهم والسكون إلى أهوائهم، فكيف تأتون إلى أعظم الأمور قدراً وأخفاها علماً – وهى الإمامة – تحكمون فيها آراءكم، وتتبعون فيها أهواءكم، إن هذا لهو الضلال البعيد والخسران المبين.

فإن قال بعضهم : إن الإمام المستنصر بالله قد كاتب بعض الناس مشيراً إلى تقليد نزار ولاية العهد، قلنا : فلا فرق بين مكاتبته ومشافهته، بل الكتابة أضعف، ولا عمل بها عند أهل البيت فى البيوعات والمعاملات، فضلاً عن أعظم الأمور التى هى الإمامة وبعد أن تسلم لهم صحة المكتوب كانت الحجة عليهم هى الحجة التى ذكرناها قبل هذا فى المشافهة، ولا يثبت لهم ما ادعوه بشئ من ذلك ولا بسواه.

فإن قال قائل بما نقول لهم أن مولانا المستنصر بالله حين نص على مولانا المستعلى بالله فى آخر الأمر إنما نص عليه ستراً على نزار، قلنا : معلوم أنه حين نص على مولانا المستعلى بالله كان مالكاً لأمره قائماً بتدبيره غير معارض فى فعله ولا ممنوع من إرادته، وليس فى دولته وعبيد طاعته من يعارضه، فأى داع كان يدعوه إلى أن يستر على نزار بالنص على غيره، فإن قيل أنه إنما خاف على نزار من المستعلى بالله قلنا : وهذا مما لايقع ببال عاقل، بل الأحرى – ومن كان إمام الحق لايخاف عليه – أن يخاف على الإمام المستعلى بالله من نزار، إذ كان نزار أكبر سناً، وأحرى أن تبعثه المنافسة والحسد على ما قد فعله آخراً، ومع هذا فأى كلام ينفى النص على الإمام المستعلى بالله فى دقيقة الانتقال والأمر لنزار وسائر الحاضرين بطاعته والدخول تحت رايته والتمسك بحبل ولايته، ومما يلجم الأفواه، ولا يبقى مقالاً

للخصم أن نزار وعبد الله بايعاً مولانا المستعلى بالله بعد انتقال مولانا المستنصر بالله بيعة كاملة فثبت عبد الله وسائر الناس عليها، ونكثها نزار لما تداخله من الحسد، وخرج فى تلك الليلة، وكان منه ما كان فكيف بايع والحق له؟.

فإن كابر مكابر وادعى النص لنزار فى دقيقة الانتقال التى عليها المعول قلنا : كيف خفى هذا النص على أولاد المستنصر بالله وأهله وخدامه ونسائه وجميع الحاضرين لوقت نقلته من رجال ونساء وكان الذين شاهدوه من نصه فى ذلك الوقت دون فصل ولا تأويل خلاف ذلك، وهو النص على مولانا المستعلى بالله وعلمه من بأقصى خراسان هل يقبل بهذا عاقل أو يرجع إليه محصل؟ وهل بين هذا فرق وبين من يترك أن يأخذ نص النبى فى أمير المؤمنين على أنه وصية من بعده من أهل البيت الذين هم مشاهدوه وملازموه، ويأخذ ذلك من الأباعد والغرباء؟ فمن المعلوم أن من عدل فى استلام أخبار النبى وأفعاله ونصوصه عن أهل بيته وخاصته وأخذها من الغرباء كان قد وضع نفسه موضع الاستهزاء، وكذلك لو ترك أخذ ذلك عن الصحابة والتابعين من أهل المدينة وأخذ ذلك عن أهل الهند وفارس لارتفع معه الكلام، وأيضاً فعل مبايعتهم على جهاتهم والإغراق فى الاحتجاج عليهم، فلا شك أن نزار مع اعترافه بمقاطعة ربه وندمه على سوء فعله مات وحده ولم يبق له عقب يدعى إمامة أو تدعى فيه فأى شئ أقوى فى بطلان إمامته من انقطاع عقبه ؟!

فإن ادعى مدع أن له بخراسان ولد جارية حملت من ولده قلنا لهم فبماذا وقفتم على نص نزار على ولده، ثم بما علمتم أن هذا ولد ولده وبما علمتم أن الولد نص على ولده هذا وولد نزار لم يظهر لأحد ولا وصل إليه بشر، ولا

حملت منه جارية خرجت عن موضع استقراره، وهذا نهاية فى المحال وغاية فى الاضطراب والاختلال.

ومع هذا : الولد الذى يدعيه بعضهم مخبو لم يظهر للعيان لا برز للوجود والبيان فأى فرق بينه وبين إمام القطيعة الذى نباينهم فيه ونضطرهم بالحجة إلى فساد معتقديه، فهل يصح لمحصل عاقل من أهل الدعوة أن ينخدع لهذا المحال، وكيف يرضى الطالب لنجاته والمجتهد لخلاصه أن يقع فى أشراك الاحتيال، ويتبع من نصب هذا المقال استدراجاً للجهال، وتلطفاً فى جباية النجاوى والأموال، والله ولى مكافأتهم ومعاقبتهم إنه شديد المحال.

وأيضاً فإذا نظرنا إلى شرائط الإمامة وجدناها كاملة فى مولانا المستعلى بالله، وذلك أنه معرق فى الإمامة خلفاً عن سلف بلا فصل ولا واسطة، منته إلى الوصاية والنبوة، ثم إن الإمامة صيرت إليه بنص صحيح ثابت من إمام حق لا خلاف بين أهل الدعوة فى إمامته وذلك النص واقع منه فى دقيقة نقلته بمحضر من خاصته وأولاده وجميع جلته، ثم إنه قعد مقعده ولم يفارق مكان خلافته ولا خرج عن آفاق عزه ولا برح من سماء مملكته، وأطبق جميع من فى المملكة على طاعته وانتقلت إليه جميع مكاسبه الباطنة والظاهرة وقنيته، ثم اتصل سببه وظهرت عصمته وبانت معجزاته ونزلت الدوائر بمن خالفه، ولاح التأييد والتسديد فى أقواله وأفعاله، ولم يزل داعياً إلى خلاص النفوس ونجاتها، محامياً عنها، قائماً بميزان القسط فيها لم تختلف عزائمه ولا اضطربت أحكامه، وكملت فيه الفضائل الطبيعية التى هى أسباب السعادة الأبدية، وذلك أنه كان يفهم الشئ وحيا وإيماء ويحفظ ما يدركه ويراه وأن تناهى كثرة واختلافة، ويفطن الأمر بأدنى دليل عليه أو هاد إليه، ويذكر ما مر به ذكراً لايذهب عن خاطره ولا يبرح عن باله، وكان إذا عبر عن المعنى ملك

فصل الخطاب وجمع المعانى الكثيرة فى يسير الألفاظ، واستدعى بحسن عبارته قبول النفس وانصات الأسماع وكانت أعضاؤه على أفضل الهيئات متناهية فى الكمال حاصلة فى درجة الاعتدال أجود الناس طبعاً فى استفادة المعارف وإفاضتها، وأفضلهم نحيزة فى مواتاة الأخلاق ونفاستها، وأكثرهم تأنياً لمعاناة أمور الملك ومباشرتها. وكان لا شرهاً ولا راغباً فى لذة ولا متزايداً على الحاجة بفضله، عظيم النفس كريماً، محباً للعدل، مبغضاً للظلم، مؤثراً للصدق، منبسطاً إلى الخلق راغباً لما يعود على النفس منفعته، كارهاً لما يسوء فيها مغبته، وفياً لما يعده ويعطيه معصوماً فيما يعتمده وينتحيه، لم يعتوره قصور ولا فتور، ولا ظهر منه أمر ينقد، أو سبب ينكر، بل كمل كمالاً دل على أنه مواصل بنور إلهى من دار القدس، منبعث لإفاضة العدل وتهذيب النفس.

ثم لم يزل يدعو إلى معالم الدين وأسباب النجاة ويهدى إلى تفصيل حال المبدعات والمنبعثات، ويقابل تقاسيم الروحانيات والجسمانيات ويوازن بين الحدود السفلية والحدود العلوية، واستمر على ذلك إلى أن انتقلت أنواره إلينا، واتصلت أسبابه بنا، وظهر من حالنا ويظهر بتأييد الله تعالى ومشيئته ما يوشح به السير ويسير به الركبان وتضئ بغروره الأيام المستقبلة والأزمان.

هذا هدى للمستبصرين وشفاء لقلوب المؤمنين، فمن باهت بعد وقوفه عليه واصغائه إليه، وعاند العيان، أو شك فى هذا البيان، فنحن نقول ما قال الله فى كتابه العزيز لأمثاله : «فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم»(*).

(*) السورة ٣ (آل عمران) الآيتان : ٦١ و ٦٢م.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وسلم تسليماً، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير[١].

(١) انظر جمال الدين الشيال ، مجموعة الوثائق الفاطمية.



المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

(١) ابن الأثير، أبو الحسن على بن محمد الجزرى، توفى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٢٣م :

– الكامل فى التاريخ، طبعة القاهرة، ١٢ جزء، النسخة المصورة عن طبعة تورنبرج، بيروت، ١٩٦٥ – ١٩٦٦.

– طبع دار الفكر، بيروت، فى ٦ أجزاء.

– أسد الغابة فى معرفة الصحابة، ٥ أجزاء، طبعة المعارف، القاهرة، ١٢٨٥ هـ.

(٢) ابن اسحاق، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار، توفى سنة ١٥٠ هـ أو ١٥١ هـ / ٧٦٧ – ٧٦٨م :

– فتوح مصر وأقاليمها ، طبع القاهرة، سنة ١٣٧٥ هـ.

– فتوح مصر والإسكندرية.

(٣) ابن إياس، محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، توفى سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢١م:

– بدائع الزهور فى وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨١.

(٤) ابن أيبك الدواوارى، أبو بكر عبد الله بن أيبك، توفى بعد سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م :

- كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السادس، المسمى «الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، طبع المعهد الألمانى للآثار، ١٩٦١م.

(٥) الإدفوى، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب، توفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م:

- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة (مجموعة تراثنا).

(٦) البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، توفى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠م :

- التاريخ الكبير، طبع حيدر آباد الدكن، الهند، طبعة أولى سنة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١م.

(٧) البكرى، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المتوفى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م :

- المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر دسلان، الجزائر، ١٩١١م.

(٨) البلاذرى، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، توفى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢م:

- كتاب فتوح البلدان، طبع ليون، ١٨٦٦م.

(٩) البلوى، أبو محمد عبد الله بن محمد ، القرن الرابع الهجرى:

– سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على ، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

(١٠) التجانى، أبو محمد عبد الله بن محمد، توفى حوالى سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧م:

– رحلة التجانى، نشر حسن حسنى عبد الوهاب، طبع تونس ١٩٥٨م.

(١١) ابن تغرى بردى، أبو المحاسن يوسف، توفى سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠م:

– النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، فى ١٢ جزء ، النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

– المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى، مخطوط ٣ مجلدات، نسخة مصورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، رقم ١٦٨٧م، وهى من تصوير معهد إحياء المخطوطات العربية عن نسخة عارف حكمت بالمدينة.

– المنهل الصافى ، تحقيق يوسف نجاتى، طبع دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.

(١٢) جمال الدين الشيال :

– مجموعة الوثائق الفاطمية، طبع القاهرة، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية سنة ١٩٥٨م.

(١٣) الثعالبى، أبو منصور عبد الملك، توفى سنة ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م :

- يتيمة الدهر، (أربعة أجزاء)، تحقيق محيى الدين عبد الحميد، طبع التجارية، ١٩٥٦م.

(١٤) الجوزرى، أبو على منصور العزيزى، توفى بعد سنة ٣٨٦ هـ/ ٩٩٦م:

- سيرة الأستاذ جوذر، تحقيق محمد كامل حسين، محمد عبد الهادى شعيرة، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٥٤م.

(١٥) ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على، توفى سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م:

- المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، الجزء التاسع، طبع حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٥٩ هـ.

(١٦) سبط ابن الجوزى (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى، توفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م):

- مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، القسم الأول والثانى من الجزء الثامن، طبع حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٧٠ - ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ - ١٩٥٢م.

(١٧) ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على ابن أحمد أبو الفضل الكنانى العسقلانى القاهرى الشافعى، ولد سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١م، توفى سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩م:

- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ٤ أجزاء، طبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٥٠ هـ.

- إنباء الغمر بأنباء العمر، نشر وتحقيق الدكتور حسن حبشى، فى ثلاثة أجزاء، القاهرة، ١٩٦٩ – ١٩٧٢م (لجنة إحياء التراث الإسلامى).

(١٨) ابن حزم، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد الأندلسى، المتوفى سنة ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٤م:

- الفصل فى الملل والأهواء والنحل.

(١٩) حسن ابراهيم حسن :

- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج ٣.

(١٩) ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن على بن حماد بن عيسى بن أبى بكر الصنهاجى، توفى سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م:

- أخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم، تحقيق فوندرهايدن، طبع الجزائر سنة ١٣٤٦ هـ/ ١٩٢٧م.

(٢٠) الحميدى ، أبو محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى، توفى سنة ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥م:

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

(٢١) ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله، توفى سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٨٤م:

- كتاب أعمال الأعلام.

- (القسم الثالث) ، نشر وتحقيق الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى، والأستاذ محمد ابراهيم الكتانى تحت عنوان «المغرب العربى فى العصر الوسيط» ، طبعة الدار البيضاء، ١٩٦٤م.

(٢٢) ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ولى الدين التونسى الحضرمى الأشبيلى المالكى، توفى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م:

- العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، بولاق ١٣٨٤ هـ.

- مقدمة ابن خلدون، طبعة التجارية.

- التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، نشر محمد ابن تاويت الطنجى، القاهرة، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م.

(٢٣) ابن خلكان، شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد، توفى سنة ٦٨١ هـ/١٢٨٢م:

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، نشر محمد محيى الدين عبد الحميد، فى ٦ أجزاء، القاهرة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م - ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠م.

- تحقيق إحسان عباس، طبعة بيروت، فى ٧ أجزاء.

(٢٤) خليفة بن خياط، توفى سنة ٢٤٠ هـ / ٩٥١م :

- تاريخ خليفة (رواية بقى بن مخلد) تحقيق سهيل زكار، فى قسمين، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومى، دمشق ١٩٦٧ - ١٩٦٨م.

(٢٥) حاجى خليفة :

- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، فى جزئين، طبع وكالة المعارف الجليلة، الآستانة ١٩٤١ - ١٩٤٣م.

- طبع دار الفكر، بيروت، فى جزئين.

(٢٦) الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان، توفى سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م:

- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ثلاثة أجزاء نشر مكتبة القدسى طبع القاهرة، ١٣٦٧ - ١٣٦٨هـ.

- دول الإسلام، فى جزئين ، طبع حيدر آباد، ١٣٣٧هـ.

- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، ٤ أقسام، تحقيق محمد البجاوى، طبع عيسى البابى الحلبى، سنة ١٩٦٣م.

(٢٧) ابن أبى حاتم الرازى، أبو محمد عبد الرحمن، توفى سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨م:

- كتاب الجرح والتعديل، طبع حيدر آباد الدكن، الهند.

- القسم الثانى من المجلد الثانى، ١٩٥٣م.

- القسم الأول من المجلد الثالث.

- القسم الثانى من المجلد الثالث ١٩٤٢م.

(٢٨) الرقيق القيروانى، أبو القاسم إبراهيم، توفى بعد سنة ٤١٧ هـ/١٠٢٦م:

- تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق المنجى الكعبى، تونس ١٩٦٨م.

(٢٩) السجلات المستنصرية :

- سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أميـر المؤمنين صلوات الله عليـه، إلى دعـاة اليـمن وغيرهم قدس الله أرواح جميع المؤمنين، تحقيق عبد المنعم ماجد، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٥٤م.

(٣٠) السخاوى، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوى الشافعى، توفى سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧م:

- الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع فى ١٢ جزء، القاهرة، ١٣٥٣ - ١٣٥٥هـ.

- التبر المسبوك فى ذيل السلوك.

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، ضمن ترجمة صالح العلى لكتاب «علم التاريخ عند المسلمين» لروزنتال ، القسم الثانى.

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، حققه وعلق عليه بالإنجليزية فرانز روزنتال، ترجم التعليقات والمقدمة وأشرف على نشر النص، د. صالح أحمد العلى، طبع بغداد، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣م.

(٣١) ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهرى، توفى سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٥ م:

- كتاب الطبقات الكبير، تحقيق إدوارد سخو، فى ٨ أجزاء، ليدن، ١٩٠٤ - ١٩١٧م.

(٣٢) ابن سعيد، على بند سعيد المغربى، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م:

- المغرب فى حلى المغرب، القسم الخاص بالفسطاط، تحقيق ذكى محمد حسن .. جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣م.

- النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة، تحقيق حسين نصار، القاهرة، مركز تحقيق التراث، ١٩٧٢م.

(٣٣) السلفى، أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهانى، توفى سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠م:

- معجم السفر، المخطوط المصور الحفوظ بمكتبة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، تحت رقم (٩١٢) وهو فى جزئين.

(٣٤) السمعانى، أبو سعيد عبد الكريم بن عمر بن منصور التميمى، توفى سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٩ - ١٦٦٧م:

- كتاب الأنساب، نشر مرجليوث، أعادت طبعه بالأوفست، مكتبة المثنى بغداد، سنة ١٩٧٠م.

(٣٥) السيوطى : أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى الشافعى ولد سنة ٨٤٩ هـ / ١٤٤٥م، توفى سنة ٩١١ هـ / ١٥٠٥م:

- حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة، فى جزئين، طبع القاهرة.

(٣٦) ابن شاكر الكتبى، محمد بن شاكر الصلاح الكتبى الدمشقى، توفى سنة ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣م:

- فوات الوفيات، طبعة القاهرة.

(٣٧) ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم، المتوفى سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٩م:

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م.

(٣٨) أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل شهاب الدين الدمشقى، توفى سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٨م:

- كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية.
- الذيل على الروضتين ، نشر عزت العطار الحسينى الدمشقى، بعنوان «تراجم رجال القرنين السادس والسابع»، القاهرة، ١٩٤٧م.

(٣٩) الشهرستانى، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، المتوفى سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م:

- الملل والنحل، فى جزئين، طبع القاهرة.

(٤٠) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن أحمد بن أحمد الباجى، كان حياً سنة ٥٩٤ هـ / ١١٩٨م:

- المن بالإمامة على المستضعفين، نشر عبد الهادى التازى، بيروت، ١٩٦٤م.

(٤١) الصفدى، صلاح الدين خليل بن أيبك، توفى سنة ٧٦٢ هـ / ١٣٦٠م:

- الوافى بالوفيات، نشر منه ٩ أجزاء :
- ج ١ تحقيق هلموت ريتر، فيسبادن، سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢م.
- ج ٢ ، تحقيق س. ديدرينغ، سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م.
- ج ٣ ، تحقيق س. ديدرينغ، سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م.
- ج ٤ ، تحقيق س. ديدرينغ، سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ج ٥، تحقيق س. ديدرينغ، سنة ١٩٧٠م (طبع بمساعدة المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية ببيروت).

- ج ٦، تحقيق س. ديدرينغ، سنة ١٩٧٢م.

- ج ٧، تحقيق إحسان عباس، سنة ١٩٦٩م.

- ج ٨ ، تحقيق يوسف نجم، سنة ١٩٧١م.

- ج ٩، تحقيق يوسف فان أ. س.، سنة ١٩٧٣م.

(٤٢) صلاح الدين المنجد، الكتاب العربى المخطوط إلى القرن العاشر الهجرى، طبع معهد المخطوطات العربية.

(٤٣) ابن الصيرفى، أبو القاسم على بن منجب بن سليمان، توفى سنة ٥٤٢ هـ / ١١٤٧م:

- الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق أيمن فؤاد سيد، طبع الدار المصرية اللبنانية، طبعة أولى، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(٤٤) ابن ظافر، جمال الدين على بن ظافر، توفى سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦م:

- أخبار الدول المنقطعة، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب لأندريه فريه، طبع المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٧٢م.

(٤٥) ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث أبو القاسم القرشى، ولد حوالى سنة ١٨٧هـ، توفى سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧١م:

- فتوح مصر والمغرب والأندلس، نشر شارل تورى، طبعة ليدن، ١٩٢٠م.

- نشرة جزئية جديدة بمعرفة عبد المنعم عامر، القاهرة، ١٩٦١م.

(٤٦) ابن عذارى، المراكشى، أبو العباس أحمد بن محمد، كان حياً سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م:

- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، (الجزء الأول، تاريخ أفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجرى)، نشر وتحقيق ج. س. كولان أ. ليفى بروفنسال، ليدن، ١٩٤٨م.

- وفى سنة ١٩٦١م نشر الأستاذ أمبروسى ويثى ميراندا فى مجلة هيسبريس ثمودا التى تصدرها كلية الآداب بجامعة الرباط، قطعة متعلقة بتاريخ المرابطين مبتورة الأول أعاد نشرها إحسان عباس، بيروت.

وفيما بين سنة ١٩٦٠ و ١٩٦٣م نشرت كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط الجزء الثالث المتعلق بتاريخ الأندلس والمغرب العربى من انتهاء المرابطين إلى عام ٦٦٧ هـ ، وذلك بعناية أمبروسى ويثى ميراندا والأستاذين محمد بن تاويت التطوانى ومحمد إبراهيم الكتانى.

(٤٧) ابن عساكر، أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى، توفى سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م:

– تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذبه عبد القادر بدران، طبع دار المسيرة بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

(٤٨) عمارة اليمنى، توفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م:

– تاريخ اليمن، تحقيق حسن سليمان محمود، طبع القاهرة ١٩٥٧م.

– النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية، تحقيق هرتويغ درنبرغ، باريز ١٨٩٧م.

(٤٩) العماد الأصفهانى، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله مات سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م:

– خريدة القصر وجريدة العصر، القسم الرابع، الجزء الأول، والثانى، تحقيق عمر الدسوقى، وعلى عبد العظيم، القاهرة، ١٩٦٩م.

– خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء مصر)، نشر أحمد أمين، شوقى ضيف، إحسان عباس، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

(٥٠) إدريس عماد الدين، توفى سنة ٨٧٢ هـ / ١٤٨٨م:

– تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب «عيون الأخبار») ، تحقيق محمد اليعلاوى، طبع

دار الغرب الإسلامی، بیروت، طبعة أولی، سنة ۱۹۸۵م.

(٥١) القاضی عیاض، أبو الفضل بن موسی الیحصبی، توفی سنة ٤٧٦ هـ / ۱۰۸۳م:

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك فی معرفة أعلام مذهب مالك (٤ أجزاء)، تحقيق أحمد بكير محمود، طبع بيروت.

(٥٢) ابن القلانسی، أبو یعلی حمزة بن أسد التمیمی ، توفی سنة ٥٥٥ هـ / ۱۱٦۰م:

- ذيل تاريخ دمشق ، تحقيق آمدروز، طبع بيروت، ۱۹۰۸م.

(٥٣) القلقشندی، شهاب الدین أبو العباس أحمد بن علی القلقشندی المصری، توفی سنة ۸۲۱ هـ / ۱٤۱۸م:

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، فى ١٤ جزءاً، طبع دار الكتب المصرية، ۱۹۱۳ - ۱۹۱۹م، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

- نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبيارى، القاهرة، ١٩٥٩م.

(٥٤) الکندی، أبو عمر محمد بن یوسف، توفی سنة ۳٥۰ هـ / ٩٦١م:

- كتاب الولاة والقضاة، نشر رفن جست، طبعة بيروت، ١٩٠٨م.

(٥٥) الفرضى، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى توفى سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٣م:

- تاريخ علماء الأندلس، جزءان، نشر مجريط، سنة ١٨٩٠م.

(٥٦) المسبحى، الأمير المختار عز الملك محمد بن أبى القاسم عبيد الله بن أحمد ابن إسماعيل ، توفى سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م:

- أخبار مصر (فى سنتين ٤١٤ – ٤١٥ هـ)، تحقيق وليم ج ميلورد، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٠م، القاهرة.

(٥٧) المسعودى، أبو الحسن على بن الحسين، توفى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦م:

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ٤ أجزاء، طبع التجارية، ١٩٥٨م.

(٥٨) المراكشى، عبد الواحد (قرن ٧ هـ) :

- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين مع ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار الشعراء وأعيان الكتاب، تحقيق سعيد العريان، طبع القاهرة، ١٩٦٣م.

(٥٩) المقريزى، أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد الحسينى تقى الدين المقريزى، توفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢م:

- المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، جزئين، طبعة بولاق، ١٢٧٠م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة، الجزء الأول قسم أول وثانى وثالث، والجزء الثانى، قسم أول وثانى وثالث، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨م، الجزء الثالث، القسم الأول والثانى والثالث، تحقيق الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٧٠ - ١٩٧٢م.

- الجزء الرابع - القسم الأول والثانى والثالث، تحقيق الأستاذ الدكتور سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٧٢ - ١٩٧٣م.

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا.

- ج ١ ، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٧م.

- ج ٢، ج ٣ ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد، القاهرة، ١٩٧٢ - ١٩٧٣م.

- إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٧م.

- المقفى الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة

العبيدية من كتاب المقفى الكبير، اختيار وتحقيق محمد اليعلاوى، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٧م.

(٦٠) ابن مماتى، أسعد بن مهذب بن زكريا بن قدامة شرف الدين مماتى، أبى المكارم بن سعيد، توفى سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م:

- كتاب قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، طبع القاهرة، ١٩٤٣م.

(٦١) ابن ميسر، محمد بن عبد بن يوسف بن جلب راغب، توفى سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٦٨م:

- المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، طبع المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨١م.

(٦٢) مؤلف مجهول :

- الاستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، طبع جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م.

(٦٣) ناصر خسرو (قام برحلة بين سنتى ٤٣٧ هـ / ١٠٤٥م و ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢م سفر نامة، ترجمه عن الفارسية يحيى الخشاب ، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٠م) .

(٦٤) ابن النديم، محمد بن إسحاق، توفى ٣٨٣ هـ / ٩٩٣م:

- الفهرست، طبعة التجارية.

- النسخة المصورة عن طبعة فلوجل، طبع دار خياط، بيروت.

(٦٥) القاضى النعمان أبو حنيفة بن محمد التميمى، توفى سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٣م:

- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، ج ١، ٢، تحقيق آصف بن على بن أصغر فيضى، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥م.

- رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضى، بيروت - دار الثقافة، ١٩٧٠م.

- المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقى، إبراهيم شبوح، محمد اليعلاوى، طبع تونس، سنة ١٩٧٨م.

(٦٦) النوبختى ، أبو محمد الحسن بن موسى بن محسن، المتوفى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢م:

- فرق الشيعة، طبعة النجف، سنة ١٩٣٦م.

(٦٧) المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الشيرازى، المتوفى سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧م:

- سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة، تحقيق محمد كامل حسين، طبع القاهرة، دار الكتاب المصرى، سنة ١٩٤٩م.

(٦٨) النويرى، أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن محمد شهاب الدين، توفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م:

- نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق محمد محمد أمين، محمد حلمى محمد أحمد، طبع مركز تحقيق التراث، القاهرة، ج ٢٨، ١٩٩٢م.

- نهاية الأرب، تحقيق محمد عبد الهادى شعيرة، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٩٠م، الجزء (٣٠).

(٦٩) النيسابورى، أحمد بن إبراهيم، كان يعيش فى أواخر القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى :

- استتار الإمام عليه السلام وتفرق الدعاة فى الجزائر لطلبه .... نشر إيفانوف فى مقاله بعنوان «مذكرات فى حركة المهدى الفاطمى»، مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية، ج ٤، سنة ١٩٣٦، ص ص ٩٣ - ١٠٧.

(٧٠) الهداية الآمرية فى إبطال الدعوى النزارية، نشر آصف على أصغر فيضى فى كلكتا ، سنة ١٩٣٨

- وجمال الدين الشيال فى «مجموعة الوثائق الفاطمية»، القاهرة، ١٩٥٨م.

(٧١) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، توفى سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م، تحقيق جمال الدين الشيال، طبع المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م:

- مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب.

(٧٢) الواقدى (أبو عبد الله محمد بن عمر، توف سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٣م:

- فتوح مصر والإسكندرية.

(٧٣) ياقوت، شهاب الدين ياقوت، رومى، توفى سنة ٩٢٧ هـ / ١٩٢٩م:

- معجم البلدان، فى ٦ أجزاء، نشر وستنفلد Wuseenfeld ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٣م.

- ونشر محمد الخانجى، القاهرة، ١٩٠٦ - ١٩٠٧م، ١٠ أجزاء.

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، نشر ليدن، ١٨٥٠ - ١٨٦٤م.

- المشترك وصفا والمفترق صقعا، نشر وستنفلد، جوتنجن، ١٨٤٦م.

(٧٤) محمد بن محمد اليمانى، عاش فى أواسط القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى:

- سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى صلوات الله عليه وآله الطاهرين من سلمية إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة، تحقيق إيفانوف، مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، ج ٤، ١٩٣٦، ١٠٧ - ١٣٣.

الفهـرس

الصفحة

القسم الأول

تاريخ مصر منذ الفتح حتي نهاية الأخشيديين

القسم الثاني

الدولة الفاطمية


Bibliotheca Alexandrina
0605707